منبر الإسلام

العدد الثامن ـ السنة ٢٣ شعبان ١٣٨٥ هـ ـ ٢٤ نوفمبر ١٩٦٥

الثمن ٥ قروش

مع المجلة هدية ـ كتاب الازهر بين القديم والحديث

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

فى غرة كل شهر عربى

رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة

العدد الثامن - السنة ٢٣

شعبان ١٣٨٥هـ - ٢٤ نوفمبر ١٩٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

* معالم الطريق
* حديث مع سفير باكستان بالقاهرة
* من قمة جبل النور – **السيد الأستاذ حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية**
* أزمة اقتصادية فى عهد عمر بن الخطاب – **فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى**
* عن كتاب معالم فى الطريق وهو دستور الاخوان المفسدين – **فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى**
* لمحات الى جهود المسلمين العلمية – **الدكتور أحمد الحوفى**
* الصوفية فى الهامهم – **الأستاذ حسن كامل الملطاوى**
* مواقع النجوم – **الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل**
* ايلاف قريش – **الأستاذ مصطفى السقا**
* التوكل ليس تواكلا وتكاسلا وسلبية – **فضيلة الشيخ عبد الرحيم فودة**
* من الميثاق – **الأستاذ محمود كمال**
* دعائم الأسرة من بيت الرسول – **فضيلة الشيخ عبد الله المشد**
* شهر شعبان – **فضيلة الشيخ عطية صقر**
* ليلة البراءة – **سماحة الأستاذ مبشر الطرازى الحسينى**
* شعبان بين شهور العام – **فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغى**
* ماذا تعرف عن العالم الاسلامى دوله وشعوبه – **الدكتورة عنايات الطحاوى**
* رجال ونساء فى مجال القدوة – **فضيلة الشيخ معوض عوض ابراهيم**
* مع الله – **الشاعر عبد الله شمس الدين**
* أنت تسأل والمفتى يجيب – باب الرياضة – باب العلم – باب الفن الاسلامى – باب القصة – مع القراء ..

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى
هذه العملة فى البلاد الاخرى

•

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان
٢ شارع الأمير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

معالم الطريق

خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر في مالي

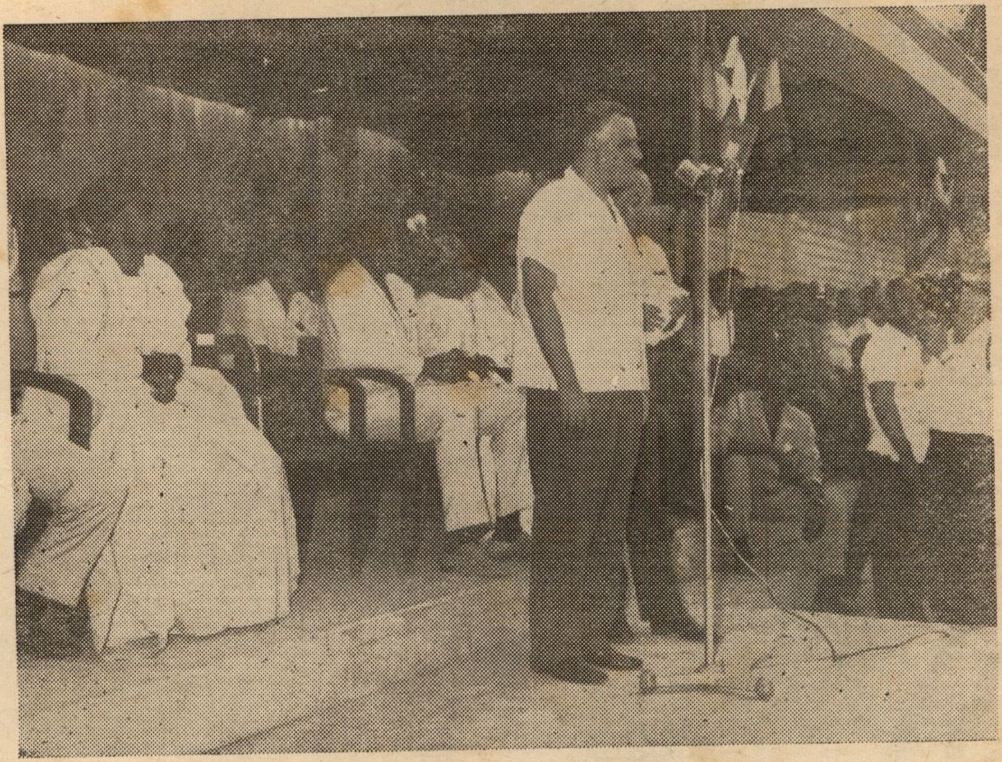

القى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا سياسيا هاما فى مالى . قال الرئيس ان الاستعمار يحاول ان يجعل من أعلام الاستقلال فى افريقيا شعارات بلا مضمون . قال عبد الناصر : ان الفترة التى تمر بها قارتنا تضعنا على طريق المصير .

ان مؤتمر القمة الافريقى أثبت ان وعى الشعوب أقوى من ارادة الاستعمار . قال الرئيس ان واجبنا ان نبقى على التضامن وان نعمل بكل طاقتنا لكى يصبح هذا التضامن وحدة حقيقية .

كلمة الرئيس

وقد رد الرئيس جمال عبد الناصر على كلمة الرئيس المالى بالكلمة التالية . « أخى وصديقى العزيز الرئيس موديبو كيتا ، ايها السادة والاصدقاء .

جئت الى بلدكم الطيب العزيز حاملا معى تحية عامرة بالود والاخاء من شعب الجمهورية العربية المتحدة الذى يذكر بالاعجاب والتقدير التاريخ العريق لدولة مالى العظيمة التى كانت تمد يدها بالصداقة والتعاون الى ارجاء القارة حتى جذبت اليها الكثير من ابناء مصر عبروا الصحراء الشاسعة لافريقيا من اقصى شمالها الشرقى . وقر مقامهم هنا أهلا ومواطنين منذ عصور التاريخ الوسطى . كذلك فان شعبنا فى الجمهورية العربية المتحدة كان يتطلع بالثقة الى تجديد صلة الاخاء والتعاون بينه وبين شعب مالى فى العصر الحديث وحين تهاوت الحواجز وفتحت الابواب الموصدة بين الاشقاء فى قارتنا الافريقية كان لقاؤنا من جديد بنفس الروح وفى نفس الطريق من أجل حرية شعوب القارة ووحدتها ورخائها

صلات عريقة بين الشعبين

ايها الاخ والصديق ..

فى أول لقاء بيننا مع مطلع عام ١٩٦١ فى الدار البيضاء يوم اجتمعنا فى دول مؤتمر افريقى على مستوى القمة لم يكن لقاؤنا الا تعبيرا أمينا لأجل شعبينا ولقد أحسست حينئذ ان التقاءنا الفكرى خلال عملنا المشترك لم يكن فى صورة اللقاءات الاولى بين الاشخاص بل كان ترجمة لصلات عريقة بين شعبين تتجدد بقوة اكثر من ذى قبل وتأخذ من احداث التاريخ تجربتها وقدرتها على مجابهة الحياة الحاضرة بكل مشاكلها وتياراتها المتضاربة وحين زرت أيها الأخ بلادنا كانت مشاعر الشعب فى الجمهورية العربية المتحدة وهو يلقاكم صدى عميقا لهذا التلاقى فى العمل والهدف وتابع شعبنا كفاح هذا الجيل من ابناء مالى رغم الصعوبات المتناهية وحيا شعبنا ايها الصديق جهدكم المتصل فى العمل الداخلى وفى حرصكم الدائب على الدعوة الى التحام خطى الشعوب الافريقية واتجاهاتها على الطريق الى التقدم والوحدة .. ويوم وجهتم الى دعوتكم الكريمة لزيارة بلادكم العزيزة كنت على ثقة اننى سألتقى هنا بأهلى

صورة اخرى للقاء

ومنذ اللحظة الاولى التى وصلت فيها الى هذه الارض الطيبة ألمس فى كل لحظة مشاعر الأخوة تغمرنى وابناء الجمهورية العربية المتحدة معى فى صور زاهية ستبقى ماثلة بالاعتزاز فى وجدانى . وأود هنا ان أشيد فى عبارة سريعة بالسياسة التى نبعت من ضمير هذا الشعب وطبيعته والتزمت بها سياسته الواعية الحكيمة حتى استطاعت مالى ان تحقق الحرية السياسية وتدعمها بالحرية الاقتصادية وتلك صورة أخرى من صور اللقاء بين كفاح شعبينا على طريق الحرية والاشتراكية .

واسمحوا لى أن اضم صوتى وايمانى وجهدى الى رأيكم حيال اجتماعنا الاخير فى اكرا . آن الفترة التى تمر بها قارتنا تضعنا على طريق المصير . ان الاستعمار الذى نهب خيرات هذه القارة لم يكتف ولم يشبع ولئن كانت أغلب شعوبنا بالكفاح المستميت قد استطاعت أن تنتزع منه حريتها واستقلالها فانه اليوم يحاول ان يجعل من اعلام الاستقلال التى ارتفعت شعارا دون مضمون ولقد اثبت مؤتمر القمة الافريقى أن وعى الشعوب أقوى من ارادة الاستعمار وان ما يخططه الاستعمار لاينال منا مادامت الوحدة تجمعنا .

اختبار للوحدة

وان واجبنا ايها الاخوة ان نبقى على التضامن وان نعمل بكل طاقاتنا لكى يصبح هذا التضامن وحدة حقيقية .. وحدة فى العمل ، وحدة حقيقية .. وحدة فى العمل ووحدة فى الارادة ووحدة فى المضمون .. واننا نمر الآن بعد قرارات مؤتمرنا الاخير امام اختبار لهذه الوحدة ان مستقبل قارتنا كله يتوقف على اصرارنا فى خلق الفعالية لمنظمتنا الافريقية ودفع الروح الى قراراتها ، وستجابهنا صعاب كثيرة وتضحيات أكثر ولكن الانتصار فى صراع الزمن اليوم سيكون لمن يريد البقاء . اننا نريد البقاء . البقاء لشعوبنا . لمبادئنا للحرية الحقيقية فى كل ارجاء القارة لكى تصبح كلها قوة فعالة من أجل تطوير الحضارة وتحقيق رسالة البشرية . كما اراد الله لها ان تكون وانى اعتقد ان امكانيات العمل المشترك بين البلدين فى جميع المجالات وفيرة ومتعددة كما اننا فى مسعانا المشترك على الصعيد الافريقى والعالمى سنتمكن بعملنا من تحقيق أمل لشعبنا وشعوب قارتنا والمتطلعين الى وحدة افريقيا وتحقيق السلام العالمى وبالمحبة والاعتزاز اوجه تحيتى لشعبكم الصديق البطل على حفاوته الاخوية البالغة وبالتقدير اقدم لكم ايها الأخ العزيز امتنانى على كلمتكم البليغة وعباراتكم الرقيقة . واعبر لكم ايها الاخوة من اعضاء حكومة مالى وقادتها عن شكرى .

واحييكم ايها السادة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الرئيس أحمد سيكوتورى يرحب بالرئيس جمال عبد الناصر لدى وصوله الى كوناكرى

خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى غينيا

سنسير يدا بيد مع غينيا الشقيقة من أجل المبادئ السامية

ألقى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا هاما فى جماهير شعب غينيا التى احتشدت فى الاستاد الكبير بكوناكرى .. أكد الرئيس ان الجمهورية العربية ستسير يدا بيد مع غينيا الشقيقة من أجل تحقيق المبادىء السليمة فى الحرية والاستقلال والوحدة الافريقية ..

رد الرئيس احمد سيكوتورى بخطاب حماسى قال فيه ان الرئيس جمال عبد الناصر

هو رمز للجهاد فى افريقيا وهو لا يعمل من أجل الامة العربية وحدها أو افريقيا فقط ، ولكن من أجل صالح الانسانية جمعاء .

وقد استهل الرئيس جمال عبد الناصر خطابه فى آلاف الجموع من شعب غينيا قائلا :

اخى العزيز الرئيس سيكوتورى :

ايها الاخوة والاصدقاء :

فى الحقيقة منذ وصلت الى عاصمتكم الجميلة وانا لم أشعر بأننى غريب ابدا عن بلدى . ان المشاعر التى لمستها منذ ساعة وصولى حتى الآن هى مشاعر الاهل والاخوة . لقد تتبع شعب الجمهورية العربية المتحدة نضال شعب غينيا من أجل الحرية والاستقلال وكان الاستعمار يفصل دائما بيننا ولكن الاستعمار لم يستطع ان يفصل ابدا بين قلوبنا رغم بعد المسافة ، فاننا كنا دائما نشعر بوجودكم وحينما حضر الاخ سيكوتورى الى مصر شعر كيف يقدر شعب الجمهورية العربية المتحدة شعب غينيا البطل تقديرا كاملا للثورة التى نتجت عنها الحرية والاستقلال . وحيا شعب الجمهورية العربية المتحدة الرئيس البطل احمد سيكوتورى تحية من قلبه باعتباره قائدا لهذه الثورة وهذا النضال وباعتباره ممثلا لشعب غينيا البطل القائد .

اللقاء الاول

اننا تتبعنا فى سنة ١٩٥٨ كيف صممتم على الاستقلال وكيف حصلتم على الاستقلال والتقيت للمرة الاولى مع الاخ سيكوتورى سنة ١٩٦١ فى الدار البيضاء وكنت اقدر من كل قلبى كل التقدير يشاركنى فى ذلك شعب مصر شجاعة الرئيس سيكوتورى وبطولته ، وفى سنة ١٩٦١ التقيت بالثائر سيكوتورى فى الدار البيضاء واستطعنا ان نتفاهم من اول دقيقة التقينا فيها لانى لمست فيه الثائر القائد البطل الامين وقلت له فى هذه الايام اننى انتظرت طويلا حتى التقى بك ، كنا نسمع عنك وعن نضالكم من أجل الحرية والاستقلال ولم نكن نستطيع ابدا ان نتصل بكم ، ان الاستعمار هو الذى قسم أفريقيا ، وبمجرد انتهاء الاستعمار فاننا التقينا من جديد التقاء الاخوة والاحبة والاصدقاء ، وانا أقول ، واكرر ما قاله اخى الرئيس سيكوتورى ليست هناك الا افريقية واحدة .. افريقيا استقل جزء منها وافريقيا تناضل ضد الاستعمار وعلى افريقيا التى استقلت ان تساعد افريقيا التى تناضل من أجل الاستقلال

مناضل
من أجل الوحدة

لقد رأيت الرئيس سيكوتورى مناضلا من اجل الوحدة الافريقية ومناضلا من أجل استقلال افريقيا ، ورايته بهذا يمثلكم انتم شعب غينيا الثائر وسرنا نحن وغينيا على طريق واحد للتخلص من الاستعمار والقضاء على الاستعمار القديم والجديد ولا بديل للحرية ، كانت هذه صيحتكم سنة ١٩٥٨ حينما حصلتم على الاستقلال وكنا نسمعها هناك من الشمال الشرقى للقارة الافريقية ورايتها فى عين كل منكم وانا اتحرك من المطار الى قصر الضيافة .

لقد شعرت اليوم بمعنى الحرية وهى تتجلى فيكم وانتم فى استقبالى تعبرون عن محبتكم وعن ثقتكم واعتزازكم بحريتكم واستقلالكم .

مع غينيا

ان الجمهورية العربية المتحدة ستسير يدا بيد مع غينيا الشقيقة من أجل تحقيق المبادىء السليمة فى الحرية والاستقلال والوحدة الافريقية من أجل السلام العالمى ومن أجل العدالة الاجتماعية ومن أجل التقدم ومن أجل الرفاهية .

عاشت جمهورية غينيا « عاش الحزب الديمقراطى الغينى » عاش الرئيس احمد سيكوتورى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

زعماء العالم الاسلامى

الدكتور عبد الرحمن البزاز رئيس وزراء العراق

تأكيدا للروابط العميقة بين الدولتين الشقيقتين جمهورية العراق والجمهورية العربية المتحدة وتنفيذا لما اتفق عليه الرئيسان عبد السلام محمد عارف وجمال عبد الناصر من أهمية الاتصالات الشخصية التى تساهم فى خلق الوحدة الفكرية وتدعيم الالتقاء على وحدة الهدف ووحدة النضال على طريق الحرية والاشتراكية . فقد قام السيد عبد الرحمن البزاز رئيس وزراء العراق بزيارة الجمهورية العربية المتحدة فى الفترة بين ١٩ و ٢١ اكتوبر تشرين الأول سنة ١٩٦٥ وقد تمت فى هذه الفترة عدة اجتماعات بين رئيس وزراء العراق السيد عبد الرحمن البزاز والسيد زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة ورئيس الوزراء سادتها روح الأخوة والصراحة التامة .

وتم فى هذه الاجتماعات استعراض الأمور التى تهم الأمة العربية والمسائل التى تهم الدولتين الشقيقتين . وأعرب رئيسا الحكومتين عن ارتياحهما لنمو العلاقات بين البلدين نموا ناجحا من الثقة المتبادلة ومن توافق وجهات النظر . ويشعران ان الوحدة الوطنية هى الاساس الطبيعى للوحدة القومية الشاملة وان العمل على استكمال الوحدة الوطنية هو التمهيد الحتمى لبلوغ الغاية القومية العليا . ولذلك تساند الجمهورية

فى القاهرة

العربية المتحدة شقيقتها الجمهورية العراقية فى مسعاها للحفاظ على وحدة أراضيهـــا والقضاء على جميع المحاولات التى ترمى الى المساس باستقلال العراق وحريته ووحـدة أراضيه وهى المحاولات التى لا تهـدف الى الانتقاص من كيان العراق فحسب بل من امن الامة العربية بأكملها ٠

كما يتعاون القطران الشقيقان بكم طاقاتهما وبخاصة فى مجالات التعليم والثقافة والاعلام لتدعيم القومية العربية وتأكيد مبادئهـــا ومفاهيمها ومقوماتها على أسس علمية وواقعية جلية نابعة من تاريخ الامة العربية وترابها ونضالها متعاونين على حمايتها من أى محاولة ـ داخلية او خارجية ـ للنيل منها أو تشـويه حقيقة أهدافها السامية ٠

كما أعرب الجانبان عن ايمانهما بالتضامن العربى الذى تجلى بصورة فعالة فى مؤتمر القمة العربى الثالث فى الدار البيضاء وعن عزمها بالتمسك بقرارات هذا المؤتمر وخاصة تلك التى اكدت حق شعب فلسطين العرب فى استرداد حقوقه كاملة غير منقوصة ويؤكدان تصميمهما على مساندة الجامعة العربيـــة وتطويرها لتمكينها من القيام بدورها البنـاء لتحقيق متطلبات الأمة العربية فى الظروف الدقيقة الراهنة ٠

كما يسجلان اغتباطهمـــا بالنتائج التى حققتها المباحثات المشتركة المتواصـلة بين الدولتين ويؤكدان العزم على متابعة تلك الجهود فى الاتحاد الاشتراكى فى كل من القطرين وفى اللجان التى عينتها اتفاقية القيادة السياسية الموحدة بغية تحقيق الهدف المنشود ٠ »

انه البيان المشترك عن المباحثات التى جرت بين الدكتور عبد الرحمن البزاز رئيس وزراء العراق والسيد زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة ورئيس الوزراء فى القاهرة فى الفترة ما بين ١٩ و ٢١ اكتوبر الماضى

وفيه اعلنت الجمهورية العربية المتحـــدة مساندتها للعراق فى الحفاظ على وحـدة أراضيه والقضاء على جميع المحاولات التى ترمى الى المساس باستقلال العراق وحريته ٠

كما أكد البيان دعم القومية والوحـــدة العربية والتعاون بين مصر والعراق بكـل الطاقات وخاصة فى التعليم والثقافة والاعلام

من هو عبد الرحمن البزاز ؟

والدكتور عبد الرحمن البزاز تخرج من كلية الحقوق العراقية ثم حصل على الماجستير فى القانون من جامعة لندن ثم الدكتـوراه وعمـل حاكما (قاضيا) فى العراق ـ وقد اعتقل بعد ثورة العراق عام ١٩٤١ وقضى فى المعتقل فترة طويلة ٠

تولى منصب عميد كلية الحقوق ببغداد ثم عين حاكما دائما فى محكمة تميز العراق ٠

وقد اعتقل فى عهد عبد الكريم قاسم وعذب فى المعتقل ثم جاء الى القاهرة ٠ لاجئا سياسيا وفى القاهرة عين مديرا لمعهد الدراسات العربية العالية واستاذا فيه ٠ كما عمل محاضرا فى جامعات القاهرة وعين شمس وجامعة الازهر

عين سفيرا للعراق فى القاهرة ثم سفيرا فى لندن ٠ بعد ذلك اختير نائبا لرئيس الوزراء فى وزارة عارف عبد الرازق الذى قام بمحاولة الانقلاب بالعراق ٠ بعد فشل محاولة الانقلاب عين رئيسا للوزراء ٠

والدكتور عبد الرحمن البزاز من غـلاة المؤمنين بالوحدة العربية ومن دعاة القـومية العربية المعدودين فى العالم العـــربى وله مؤلفات كثيرة عن القومية العربية وقد ترجم الى الانجليزية آخر كتبه المعنون (هذه قوميتنا)

حديث مع سفير باكستان بالقاهرة

السيد سجاد حيدر

قضيت مع السيد سجاد حيدر سفير باكستان بالجمهورية العربية المتحدة قرابة الساعتين انصت فيهما الى حديث ممتع أنشر هنا بعضا منه مما يهم شعوب العالم الاسلامى والعربى

وليست القاهرة هى البلد العربى الاول الذى يتولى فيه سفير باكستان مهام منصبه كسفير لدولة اسلامية كبيرة ، بل انه خدم فى بغداد لمدة اربع سنين أمكنه ان يتعرف خلالها على كثير من أوضاع العالم العربى وبخاصة منطقة الشرق الاوسط

وسفير باكستان بمصر حين يتكلم ، لايتكلم بوصفه دبلوماسيا وحسب بل بوصفه جنديا وبوصفه مسلما شديد الايمان بدينه قوى العقيدة بما يتضمنه من مثل عليا

وكان مما قاله لى السفير ردا على سؤال لى عن موقف باكستان تجاه مايواجهها من مشكلات ، بل ومصادمات مسلحة ، قال ان كل مايحدث لباكستان الآن سببه مطالبتها بمنح الشعوب المغلوبة على أمرها حق تقرير مصيرها بنفسها هذا الحق اعترفت به جميع الشعوب وتضمنه ميثاق الامم المتحدة . وقد زال الاستعمار عن كثير من بقاع اسيا وافريقيا وأصبح حتما عليه ان « يأخذ عصاه ويرحل » عن بقية الجيوب التى يمارس فيها أعماله . ان باكستان الآن تنتهج نهجا مستقلا عن أى ضغط وهى على استعداد للتعاون مع جميع بلاد العالم ، الغربية والشرقية ـ لتعزيز السلام ، لافى هذه المنطقة وحسب ، بل وفى العالم أجمع .

وقال السفير ان باكستان تأسست على أساس دينى من المناطق التى كان يكثر فيها المسلمون بشبه القارة الهندية الباكستانية وذلك لكى تتيح الفرصة لمائة مليون مسلم ان يعيشوا فى دولة خاصة بهم حسب معتقداتهم وحسب ما تمليه عليهم طريقتهم فى الحياة . وقال سيادته ان الاقليات بباكستان ـ شأنها شأن جميع بلاد العالم الاسلامى ـ تلقى الرعاية الطيبة والمعاملة

الحسنة التى يقضى بها الاسلام الذى لايميز بين الاديان ولا الجنس ولا اللون ولا الطائفة ولم يحدث مطلقا ان سمعنا أن بلدا اسلاميا اساء معاملة رعاياه من طوائف الاقلية ، لأن الاسلام دين العزة لبنى الانسان ـ مهما كان لونه ـ ودين المساواة بين الناس ـ مهما كانت طوائفهم .

وقال السفير ان باكستان قاست كثيرا ايام الاستعمار ولذلك فقد جعلت نصب اعينها من أول ساعة استقلت فيها ان تساعد جميع الشعوب المضطهدة للتخلص من براثن الاستعمار قديمه وحديثه وفى حين كانت باكستان فى بداية عهدها فى الاستقلال وفى بناء كيانها كدولة قامت من العدم لم تنس واجبها ازاء غيرها من الدول العربية والاسلامية التى كانت تجاهد مثلها لاستخلاص حقها فى الحرية .

ففى هذا الشهر مثلا ـ ولنبدأ من نهاية القصة أولا ـ وقف مندوب باكستان فى اللجنة الرابعة للجمعية العامة بالأمم المتحدة يؤيد مطالب شعب عدن فى اجراء استفتاء تحت اشراف الامم المتحدة . وكان مما قاله مندوب باكستان فى اللجنة ان باكستان تستنكر الاستعمار وتعطف على مطالب شعب عدن الذى يجاهد من اجل حريته ببسالة . وطالب سيادته بمؤازرة رئيس وزراء عدن السابق فى مطالبه بتحرير الشعب من التعسف والافراج عن المعتقلين السياسيين والسماح للمنفيين السياسيين بالعودة الى وطنهم وبتنفيذ قرارات الامم المتحدة الخاصة بعدن . وقال ان حق تقرير المصير يجب ان يطبق فى قضية عدن كما يجب أن يطبق فى اى مكان يناضل اهله لاجل الحرية

وتحدث السفير عن علاقة باكستان بالعالم العربى والاسلامى قائلا ان لباكستان علاقات مع الدول الاسلامية ـ خاصة دول الشرق الاوسط ـ لاتنفصم عراها ابدا . وقد بدأت هذه العلاقات منذ ان دخل الاسلام شبه قارة الهند وباكستان .

وقد أيدت باكستان قضايا العرب بلا استثناء ، سواء داخل الامم المتحدة أو خارجها . وقد آزرت باكستان قضايا فلسطين وتونس ومراكش والجزائر وليبيا ومصر بصرف النظر عن تعارض هذه المؤازرة مع موقف الدول الكبرى . وقال السفير ان هذه السياسة تجلت اخيرا منذ شهرين عندما رفضت باكستان التوقيع على البلاغ المشترك الذى صدر عن حلف (السيتو) ـ مع انها عضو فيه ـ بسبب تعارض سياستها مع سياسة أمريكا فى فيتنام . وان ننس فلن ننسى ان وزير خارجية باكستان كان يستنكر ويندد بسياسة فرنسا ذات يوم بالأمم المتحدة الأمر الذى دعا وفد فرنسا لأن يغادر القاعة اثناء القاء الخطاب . وكما قلت سابقا فان قضية فلسطين ظهرت الى عالم السياسة فى نفس الوقت التى كانت باكستان تبنى نفسها فيه . ومع ان باكستان كانت فى ذاك الوقت بحاجة ماسة الى عطف العالم وعونه ـ سيما الدول الكبيرة ـ الا انها عارضت ـ وبشدة ـ اتجاه الدول الكبرى لتقسيم فلسطين وتأسيس اسرائيل فى قلب العالم العربى وكان لتأييد باكستان لقضية فلسطين مع شقيقاتها الدول العربية ان انتخب السيد محمد ظفر الله خان ـ كبير مندوبيها ـ رئيسا للجنة الخاصة التى تألفت لوضع مسودة الدستور المقترح لفلسطين دون تقسيمها .

وقال السفير ان العالم لايزال يذكر كلمات محمد ظفر الله خان حين حذر الدول الكبرى وهو يلقى كلمته بالأمم المتحدة يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٤٧ وقال فيها مشيرا الى العواقب التى ستنجم عن سياستهم الخاطئة لفلسطين . قال « انكم ستبذرون بذور الشك وعدم الثقة فيكم فى كل القلوب التى تنبض فى صدور شعوب كل الدول الممتدة من شاطىء المحيط الاطلنطى الشمالى الى مراعى (الاستبس) « وسط أسيا »

وقال السفير ردا على سؤال آخر بشأن اسرائيل ان باكستان تعتبر قيام هذه الدولة فى قلب الأمة العربية « خطأ دستوريا

وانحرافا عن قواعد الانصاف والعدالة والاخلاق » وقال ان قيام هذه الدولة أمر يتنافى مع مبدأ حق تقرير المصير . واضاف انه وان كانت قضية فلسطين قد خسرت فى الامم المتحدة الا ان باكستان واصلت الجهاد من اجلها فى غير ذلك من الميادين .

ولما سألت السفير عن علاقة بلاده بمصر قال ان هذا السؤال من تحصيل الحاصل اذ أن علاقة باكستان بمصر علاقة قديمة متينة وهى لاتصح ان تكون موضع تساؤل أونقاش

وقال السفير ان مما يدل على مشاعر شعب باكستان ازاء مصر انهم قاموا فى اكتوبر ١٩٥٦ – حين غزتها بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، قاموا قومة رجل واحد فى كل مدينة فى كل ربوع البلاد يستنكرون هذا العدوان ويطالبون باحترام سيادة مصر على أراضيها ، وراح الناس يشعلون النيران غضبا واحتجاجا بمكاتب الاستعلامات البريطانية بكراتشى ويحطمون نوافذ القنصلية الفرنسية بداكا . واذا اردنا وصف تلك الايام بباكستان فلا نجد اصدق مما قاله الرئيس جمال عبد الناصر بلاهور عند زيارته لها فى ١٤ابريل ١٩٦٠ فقد قال سيادته ما يلى : « انى لاشعر بالسعادة اذ ازور هذا المكان حيث قام الشعب عام ١٩٥٦ يهتف عاليا مؤيدا لنا . نحن لانستطيع أن ننسى كيف قابلت لاهور العدوان علينا عام ١٩٥٦ وكيف خرجت المظاهرات لتستنكر العدوان . حين واجهنا العدوان كنت اشعر ان شعب باكستان كان يؤمن بأن العدوان على حرية مصر واستقلالها انما هو عدوان على حرية باكستان واستقلالها لقد هببتم فى كل مدينة بباكستان وخاصة بلاهور – لتستنكروا هذا العدوان »

وقال السفير ان مواقف باكستان ضد اسرائيل لاتنتهى ، فهى عارضت عضويتها (للجات) عام ١٩٥٩ ، ومنعتها من الاشتراك فى عدد من المؤتمرات الدولية التى انعقدت بكراتشى ، بل ومنعت انعقاد بعض هذه المؤتمرات بالمرة بقصد عدم السماح لاسرائيلى بزيارة باكستان .

وقال السفير : واذا نسينا شيئا فيجب الا ننسى أن رئيسنا المشير محمد ايوب خان وقف بمؤتمر رؤساء وزراء دول الكومنولث الذى انعقد بلندن عام ١٩٦٠ ليطالب بشدة باحترام طبيعة القومية العربية الدامغة والاعتراف بها ، وقد نشرت صحف العالم – ومنها صحف مصر – هذا الخطاب فى وقته

وقال السفير : وقد حدث اخيرا – فى ١١ مارس ١٩٦٥ – ان صرح وزير خارجية باكستان بأن (خلق) اسرائيل انتهاك صارخ لحقوق الانسان ومخالفة تامة لميثاق الامم المتحدة وخيانة للشعوب العربية . وكان مما قاله الوزير ان باكستان لاتنظر الى قيام اسرائيل فى قلب العالم العربى على انه عمل يخالف شريعة العدل والانصاف وحسب ، بل ان قيامها هذا أمر يلحق الضرر بالملة الاسلامية بأسرها .

ولما سألت السفير عن موقف بلاده من المعونات الامريكية قال : ان باكستان لاتسمح تحت اى ظرف من الظروف باستخدام المعونات الاقتصادية كسلاح للضغط السياسى وأضاف أن باكستان ليست على استعداد لقبول أى حل وسط لمبادئها لان سيادتها وعزتها يجب ان يكونا فى المحل الاول قبل أى اعتبار آخر .

وقال السفير ان الدول الكبيرة حين تمنح معوناتها للدول النامية انما تريد تحقيق اغراض اخرى غير الاغراض الاقتصادية وقال ان بلاده صممت على المضى فى مشروعاتها الاقتصادية معتمدة فى ذلك على مواردها الخاصة .

وقال السفير ردا على سؤال عن موقف باكستان تجاه التضامن الافريقى الاسيوى ان باكستان تؤمن بأن روح التضامن الافريقى الاسيوى ستكون عاملا هاما فى قيام عالم جديد . وقال ان هذه الروح سوف تبنى العالم من جديد

وعلى سؤال آخر عما يحدث الآن فى افريقيا وآسيا قال السفير مجيبا : ما أن انتهت الحرب

العالمية الثانية حتى شاهدت تلك القارتان فورة بشرية كانت منغمسة فى نضال لتحرير نفسها من الاستعمار الأجنبى . ان افريقيا وأسيا اليوم يسودها من اقصاها لاقصاها حركات قومية وقد عولت شعوبها على مقاومة الخضوع ، وعلى الدول الاستعمارية ان تعرف هذا

وقال السفير ان الشعوب التى استطاعت أن تستخلف لنفسها حقها الموروث فى الحرية لاتزال تدفع ضريبة عالية خلفتها لها تلك الفترة الطويلة من العبودية . ولايزال امام هذه الشعوب ان تملأ الفراغ فى شتى ميادين الحياة .

واختتم السفير حديثه الطويل بقوله :»ان الفورة العاطفية التى تعتمل فى نفوس الامم الحديثة الاستقلال لتوطيد دعائم الحرية والاستقلال وايجاد مكان مناسب لها فى الحياة لا يمكن أن تنجح الا اذا كانت هناك فترة طويلة من السلام ، وذلك لأنه لايمكن لهذه الشعوب أن تسير مع الزمن الا اذا عاشت فى جو يسوده السلام والا اذا تحررت من الخوف والقلق والمنازعات«

وقال السفير انه يريد ان يذكر العالم دائما ان باكستان تحل علاقاتها مع الدول الاسلامية المحل الاول من سياستها الخارجية وهى تكون دعامة من دعاماتها الراسخة .

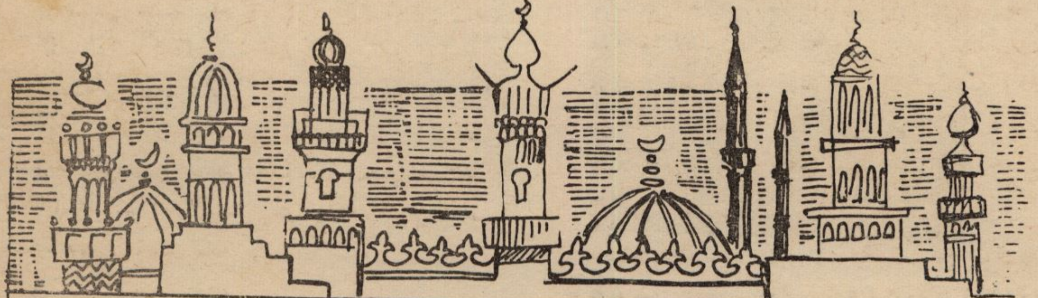

من قمة جبل النور

السيد حسين الشافعى
نائب رئيس الجمهورية

كان خاطرا دفعت به ظروف المكان والزمان .. وظل هذا الخاطر ينمو كما ينمو النبات كلما تغذى وارتوى .. وكان غذاء هذا الخاطر هو التأمل .. وكان ريه هو التدبر .. التأمل فى سر الوجود .. التأمل فى رسالة الانسان فى الارض .. التأمل والتدبر والتفكير فى رسالة الرحمة .. رسالة الاسلام .

المكان الذى بدأ فيه هذا الخاطر ، هو البقعة المباركة التى تقع بين جبل النور ، حيث غار حراء ، وجبل الرحمة عند سفح جبل عرفات .

وأما الزمان ، فكان موسم الحج لعام ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م ، أى بعد قيام ثورة مصر بعامين ..

لم يرتبط هذا الخاطر فقط بالمكان والزمان برباط العاطفة المتجددة ، التى تربط الانسان أحيانا بمكان وزمان .

ولكن هذا الخاطر كان ارتباطا بواقع الحياة .. كان صلة بالماضى .. كان أملا فى المستقبل .. مستقبل يربطنا بالمثل

والمبادىء الضاربة فى أعماق نفوسنا .. ضاربة أيضا فى أعماق تاريخ طويل عريض من القيم والشرف والأمجاد .

جبل النور ممنوع الصعود

وافسحت المجال لهذا الخاطر حتى يتغذى من طبيعة هذا المكان الطاهر .. حيث نزل الوحى على رسول الرحمة .. نورا وسلاما للناس كافة .

وكان جبل النور ، حيث غار حراء ، أحد الجبال المنتشرة فى شعاب مكة المكرمة ، ولكنه يتميز عنها بعلو شاهق ، ولون ناصع البياض له قمة مدببة ملساء ، كأنها قطب من أقطاب المغناطيسية ، يجذبنى اليه كلما مررت به .

كنت فى ذلك الحين ، رئيسا لبعثة الحج المصرية ، مرتبطا بوضع رسمى يقيدنى بالتزام خط السير فى الطريق العام .

كان جميع اعضاء بعثة الحج المصرية على شوق ولهفة الى مشاهدة الغار . ليروا فيه معنى من المعانى الضاربة فى اعماق نفوسهم .

أليس هذا المكان هو الذى نزل اليه جبريل ملك الوحى ، ليشد على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويقول له أول كلمة فى دستور الرحمة : ((اقرأ)) ؟ .

بين الصخر والشوك

وبدأنا الرحلة الى قمة الجبل بين الصخر والشوك .. حتى بلغ منا الجهد ونحن فى بداية الصعود .. فقد كان الجبل فى ذلك المكان ، يكاد ان يكون عموديا على الارض ، حتى تطرق اليأس الى نفوسنا من الصعود ، وتخلف معظم اعضاء البعثة ، فقد راوا انها مغامرة قد لاتبشر بنهاية سارة .

ولكن بعد ان تخلف منا من تخلف ، وكنا نصعد زحفا متعلقين بما يتخلل حجارة الجبل الملساء من ثقوب صغيرة ، او اشواك مبعثرة ، حتى اخذ منا التعب .

فجأة ، ظهرت لنا آثار أحجار مرصوصة توضح معالم الطريق الممهد الذى كان يجب ان نسلكه منذ البداية .

ورأينا غار حراء

ولكننا مع ذلك كله ، وصلنا قمة جبل النور فرأينا غرفة ذات اربع حوائط بلا سقف ، وفى جدارها الغربى المقابل للكعبة محراب .. تسلقنا مواطىء اقدام فى الحائط الشرقى ، حتى كنا على ارض تلك الغرفة ، وصلينا ركعتين لله ، صلاة كانت مزيجا من العاطفة الجياشة ، والاطمئنان العميق ..

وبعد الصلاة ، وبعد طول تأمل فى هذا المكان ، تبين لنا أنه ليس بغار حراء ،فجدرانه مبنية ، فيها آثار طلاء .. ولم يكن من السهل ان نتصور أن القمة المدببة الملساء ، تصلح مكانا للصعود ، فكيف يمكن أن تكون مكانا للاقامة ، والتأمل ، والتدبر ، والتفكير ؟.

ثم تركنا هذه الغرفة الى خارجها ، ولم نستطع الطواف بها ، ولكنا وجدنا بجانبها مسلكا ضيقا وسط شق الجبل ، فطرقناه الى مقربة من نهايته ، وفى اتجاه الشرق ، وجدنا غار حراء .. له فتحة صغيرة لاتسمح بدخوله الا زحفا .. لكن الجالس فيه يرى مكة كأنما يراها من طائرة .. ويستقبل أول شعاع للشمس .. أول الشروق ..

وجدنا جوارح الطير تحوم حول هذا المكان .. غار حراء .. فى قمة جبل النور .

من هذا المكان !.

وبدأت أسائل نفسى : من هذا المكان بدأت رسالة الانسانية .. من جبل النور بدأ يسطع اول شعاع للايمان .. بعد التأمل ، والتدبر، والتفكير ، والانقطاع لله تعالى .

هذه المراحل الطويلة الشاقة التى جعلت من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعاء شفافا ، وروحا قويا ، يطيل البقاء فى هذا الغار ، فوق هذه القمة ، ليكون على الموجة

المناسبة للاستقبال العظيم .. استقبال رسالة السماء من رب السماء والأرض ..

سبحانه وتعالت قدرته .. أراد أن ينبعث النور من جبل النور ، **ليقضى على ظلام العبودية وينشر اضواء الحرية ساطعة باهرة ، يهتدى بها الناس ... كل الناس فى كل زمان وفى كل مكان .**

الاستقبال العظيم ..

حقا ان الاستعداد الطويل ، ثم التأمل وعميق التفكير ، والانقطاع لله عز وجل فترة طويلة ، من روح الرسول الشفافة الوضاءة.. **هذا التدريب الشاق ، هو الذى هيأ رسول الرحمة ، ليكون على الموجة المنطلقة الى استقبال اشرف رسالة نزلت الى الارض من السماء .. ليبلغ الرسول ما أنزل اليه،وليلقى من أجل تبليغ هذه الامانة ما لقى من محن وعذاب .**

الرسالة .. مسئولية ممتدة ..

كذلك شأن كل من احس برسالته ومسئوليته من المصلحين الذين يخلفون الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – لابد لهم أن يتهيأوا لاستقبال أعباء الرسالة فى ايمان وصبر ، ثم يحماون أعباء هذه الرسالة مهما كلفهم الامر .. ويبلغونها كذلك فى ايمان وصبر .. بالاقناع والاقتناع ، من أجل **بناء الفكر المتحرر ، والقلب المتحرر ، والنفس المتحررة والعقل المتحرر . فهذه كلها أوعية الرسالة .. رسالة الرحمة .. الى الناس كل الناس ، فى كل زمان ومكان ..**

فهنا فى غار حراء ، نزل جبريل بامر السماء ، الى خاتم الأنبياء :

« وما ارسلناك الا رحمة للعالمين »

وانتقلنا الى جبل الرحمة فى عرفات .. والخاطر الذى دفعت به ظروف ذلك المكان ، يجد غذاءه وريه فيبدأ النمو ، ويزداد ارتباطا عاطفيا، بل انه ارتباط بواقع الحياة كذلك.. انه الصلة بالماضى .. **انه الامل فى مستقبل يربطنا بالمثل والمبادىء الضاربة فى أعماق نفوسنا .. ضاربة أيضا فى اعماق تاريخ طويل عريض من القيم والشرف والامجاد .. هذه الروابط الروحية الوثيقة التى تشد بعض المسلمين الى بعض .**

٥٢١٩٩٦

أزمة اقتصادية في عهد عمر بن الخطاب

فضيلة الشيخ محمد محمد المدني

أزمة اقتصادية وقعت بالحجاز على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – وعمت شعب الحجاز وما حوله من قرى العرب حتى أجهدتهم وحملتهم ما لا عهد لهم به ، على ما عرفوا به من الصبر على اللأواء ، واحتمال اخلاف الأنواء .

هذه الأزمة الاقتصادية حلت بهم فى العام المسمى بعام « الرمادة » وهو العام الثامن عشر من هجرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الى المدينة ، وهو يوافق السنة الخامسة من سنوات العهد العمرى ومكثت فيما يقول المؤرخون نحو تسعة أشهر من ذلك العام ، وقيل : لم يكن ذلك عاما واحدا بل أعواما تتابعت .

ويقول صاحب لسان العرب فى مادة « رمد » – مبينا سبب تسمية هذا العام بعام الرمادة :

« وعام الرمادة معروف ، سمى بذلك لان الناس والأموال هلكوا فيه كثيرا – والرمد والرمادة : الهلاك – وقيل هو لجدب تتابع فصير الأرض والشجر مثل الرماد ، والأول أجود ، وقيل : هى أعوام جدب تتابعت على الناس فى أيام عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – وقيل : سمى به لأنهم لما أجذبوا صارت ألوانهم كلون الرماد ، ويقال رمد عيشهم اذا هلكوا » .

والقائلون بأنها أعوام جدب وليست عاما واحدا ، يحمل قولهم على أن ذلك العام كان هو الأخير المتميز الذى بلغ به الأمر ذروة الشدة ، فالأعوام السابقة عليه كانت أعوام جدب وقحط أكلت المدخرات ، وأتت على الأقوات ، ثم جاء ذلك العام فى اثرها ، فاجتمعت فيه آثارها .

وقد تجلت فى هذا العام الشديد شخصية عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – بوصفه راعيا مسئولا حمله الله امانة رعيته ،وتجلى فيه فقهه الدينى والدنيوى ، وسياسته الشرعية التى رسمها وسار عليها فى معالجته لهذه الأزمة الخانقة حتى أذن الله بانفراجها .

فمن ذلك أنه كتب الى أهل الأمصار التابعة للاسلام طالبا منهم أن يغيثوا اخوانهم ، ويسهموا فى دره غائلة المجاعة عنهم .

فكتب الى عمرو بن العاص أميره على مصر، كتابا لا يزيد على ثلاثة أسطر ، ولكنه ينطوى على عزم وحزم واستغاثة ملحة مؤثرة ، كما ينطوى على أصل عظيم من أصول الاسلام العليا :

قال له فى كتابه :

« **بسم الله الرحمن الرحيم • من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، الى العاصى ابن العاصى • سلام عليك ، أما بعد • أفترانى هالكا ومن قبلى ، وتعيش أنت ومن قبلك ؟ فيا غوثاه ، يا غوثاه ، يا غوثاه ••** »

كتاب من شأنه أن يهز العواطف ولو كانت متحجرة ، وفيه دلالة على قوة احساس عمر بما فيه الناس من الضنك ، وعلى رغبته فى الاسراع بنجدتهم وغوثهم ، وفيه عزوف عن الاطناب واطالة الكلام ، نزولا على مقتضى الحال ، ومراعاة للمقام الذى يقتضى لونا من الايجاز المنبىء عن الصرامة والجد والمسارعة الى المطلوب ، وفيه اختيار لألفاظ شديدة فى أسلوب انكارى ، فهو يقول له : « **الى العاصى ابن العاصى** » وكانت هذه عادته معه اذا أحس شيئا من تباطئه ، أو قدر فيه جنوحه الى أساليب الدهاء المعروف عنه ، وكان عمر بن الخطاب يعرف ما له من دهاء ، وأنه ذو شخصية قوية ماهرة تمتاز بالحنكة والمهارة واللباقة ، فهو يخاطبه بمثل هذه الشدة ليمسك بزمامه ولا يترك له الفرصة للتراخى عن أمره ، والاعتداد بشخصيته ومكانته والاستبداد بسياسته وذلك من حذق عمر ومرونته فى السياسة الحكيمة ، فانه ربما لان لبعض الناس واشتد على آخرين ، وكان يقول : اللهم انى شديد فلينى لأهل طاعتك ، وليس معنى ذلك أنه كان يرى فى عمرو بن العاص رجل سوء ، والا لما استعمله وائتمنه على الرعية ، وهو بعد صحابى جليل القدر ، معروف المكانة ، ولكنه انما يريد أن يكفه ويخفف من غلوائه ، ويحتاط لنفسه وللمسلمين من عواقب دهائه ، وكذلك يفعل الرئيس الحازم حين يمسك بزمام الرجال فلا يترك لهم فرصة التفلت حماية لهم من انفسهم ، وحماية للشعب والمصالح من أسلوبهم ، وقد روى عنه ـ رضى الله عنه ـ أنه لما عزل زيادا ، سأله زياد فقال : أعن عجز عزلتنى يا أمير المؤمنين أم عن خيانه ؟ فقال له : لا عن واحدة منهما ولكنى كرهت أن أحمل الناس على فضل عقلك ـ أى رأيتك كثير الدهاء ، كبير العقل ، فخفت أن يجرك ذلك الى خطة من الشدة والصرامة لا تطيقها الرعية فكرهت ان أحمل الناس ذلك ، وأنه لا بد لهم من بعض الليونة والترخص وغض البصر تسامحا ورحمة ، وقد قيل فى تاريخ زياد والحجاج : « **تشبه زياد بعمر بن الخطاب ، ولكنه شدد على الناس، أراد الحجاج أن يتشبه بزياد فأهلك الناس** » •

وعمر بن الخطاب يقول لعمرو فى كتابه : « **أفترانى هالكا ومن قبلى ، وتعيش أنت ومن قبلك** ؟ » ، والعارفون بأسلوب الكلام يرون هنا حذفا بعد همزة الاستفهام تدل عليه فاء العطف فى قوله « أفترانى » وتقدير هذا المحذوف كما يقتضيه الكلام : « أتتباطأ عنى ، **فترانى هالكا** » فهو عتاب له أو تقريع على أنه لم يبادر بنجدة أمير المؤمنين ومن قبله من المسلمين وقد فشت أخبار حاجتهم ومجاعتهم ، ولا بد أن يكون قدعلمها ، وهو على ذلك يعيش هو ومن قبله فى خيرات مصر ونعيمها وكان حقا عليه أن يقف غير هذا الموقف السلبى من ضائقة أصابت فريقا من الأمة ، وطرفا من أطراف بلادها ، ولا سيما اذا كان هذا الطرف هو مدينة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفيها خيرة آله وصحبه ، وفيها أمير المؤمنين ، وهى مركز الدولة وعاصمتها •

فلهذا استحق عمرو فى نظر عمر أن يغلظ له فى القول ويعنف ، تارة بتلقيبه « **بالعاصى ابن العاصى** » وتارة باختيار أسلوب الاستنكار بسلبيته •

أما الأصل الاسلامى الذى يقوم عليه الأمر فى هذا الكتاب البارع ، فهو أن المسلمين جميعا متضامنون يجب أن يخف أقصاهم لمواساة أدناهم ولا سيما عند الشدائد ، ولا يجوز لأهل قطر منهم أن يتلبثوا عن هذا الواجب ، أو يتلكئوا فى أدائه ، وتلك هى سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتعاليم شريعته التى تلقاها عن ربه ، وفى مثل ذلك يقول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ

« ان الأشعريين اذا أرملوا فى الغزو - أى قل زادهم - أو قل طعام عيالهم بالمدينة ، جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم فى اناء واحد ، فهم منى وأنا منهم » .

وقد علق أبو اسحاق الشاطبى فى « **الموافقات** » على هذا الحديث فقال :

« ذلك أن مسقط الحظ هنا قد رأى غيره مثل نفسه وكأنه أخوه أو ابنه أو قريبه أو يتيمه أو غير ذلك ممن طلب بالقيام عليه ندبا أو وجوبا ، وأنه قائم فى خلق الله بالاصلاح والنظر والتسديد ، فهو على ذلك واحد منهم ، فاذا صار كذلك لم يقدر على الاحتجان لنفسه - أى الاختصاص - دون غيره ممن هو مثله ، بل ممن أمر بالقيام عليه كما أن الأب الشفيق لا يقدر على الانفراد بالقوت دون أولاده ، فعلى هذا التركيب كان « **الأشعريون** » رضى الله عنهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : « **فهم منى وأنا منهم** » لأنه - عليه الصلاة والسلام - كان فى هذا المعنى الامام الأعظم وفى الشفقة الأب الأكبر ، اذ كان لايستبد بشىء دون أمته .. وهو نظر من يعد المسلمين كلهم شيئا واحدا على مقتضى قوله - عليه الصلاة والسلام - : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** » ، وقوله « **المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » وقوله « **المؤمن يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه** » .

وسائر ما فى المعنى من الأحاديث ، اذ لا يكون شد المؤمن للمؤمن على التمام الا بهذا المعنى ، وكذلك لا يكونون كالجسد الواحد الا اذا كان النفع واردا عليهم على السواء كل احد بما يليق به ، كما ان كل عضو من الجسد يأخذ من الغذاء بمقداره قسمة عدل لا يزيد ولا ينقص ، فلو أخذ بعض الأعضاء أكثر مما يحتاج اليه أو أقل ، لخرج عن اعتداله وأصل هذا من الكتاب ما وصف الله به المؤمنين من أن بعضهم أولياء بعض ، وما أمروا به من اجتماع الكلمة والاخوة وترك الفرقة » .

وقد أجاب عمرو على كتاب عمر بكتاب يقول فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم - لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص ، سلام عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو . أما بعد : أتاك الغوث ، فلبث لبث ، لأبعثن اليك بعير أولها عندك وآخرها عندى ، مع أنى أرجو أن أجد سبيلا ان أحمل فى البحر » .

ويروون أنه بعث له فى البر بألف بعير تحمل الدقيق وبعث فى البحر بعشرين سفينة تحمل الدقيق والدهن ، وبعث اليه بخمسة آلاف كساء .

***

وكما كتب عمر بن الخطاب الى عمرو كتب الى معاوية :

« اذا جاءك كتابى هذا فابعث الينا من الطعام بما يصلح من قبلنا ، فانهم قد هلكوا الا أن يرحمهم الله » .

وكتب مثل ذلك الى سعد .

فأجابه كل منهم ، وأغاثه .

***

ومن ذلك أن عمر بن الخطاب وضع فى أثناء هذه المجاعة العامة نظاما يشبه نظام التموين الذى نعرفه وأقام على تنفيذه فى المدينة رجالا ، وكان يشرف عليهم بنفسه ، ويتلقى تقاريرهم يوما بيوم ويتابع احصاءهم وربما جمع أعدادا كبيرة من الناس على موائد يقيمها لهم فيعشيهم عنده .

وفى ذلك يقول « أسلم » تابعه :

« لما كان عام الرمادة تجلبت العرب - أى ترحلت - من كل ناحية فقدموا المدينة ، فكان عمر بن الخطاب قد أمر رجالا يقومون عليهم ، ويقسمون عليهم أطعمتهم وادامهم ، فكانوا اذا أمسوا اجتمعوا عند عمر ، فيخبرونه بكل ما كانوا فيه ، وكان كل رجل منهم على ناحية من المدينة ، وكان الأعراب حلولا - أى نازلين - فيما بين رأس الثنية الى

راتج – ناحية بالمدينة – الى بنى حارثة ، الى بنى عبد الأشهل ، الى البقيع · الى بنى قريظة ، ومنهم طائفة بناحية بنى سلمة وهم محدقون بالمدينة ، فسمعت عمر يقول ليلة وقد تعشى الناس عنده : « **احصوا من تعشوا عندنا** » فأحصوهم فوجدوهم سبعة آلاف رجل **وقال : « أحصوا العيالات الذين لا يأتون والمرضى والصبيان »** فاحصوا فوجدوهم أربعين ألفا ، ثم مكثنا ليالى فزاد الناس ، فأمر بهم فأحصوا فوجدوا من تعشى عنده عشرة آلاف والآخرين خمسين ألفا ··

وكانت قدور عمر يقوم اليها العمال فى السحر يعملون حتى يصبحوا ثم يطعمون المرضى منهم ، ويعملون العصائد ، وقال عمر : لقد هممت أن أجعل مع كل أهل بيت من المسلمين مثلهم ، فان الانسان لا يهلك على نصف شبعه » ·

ومن ذلك أن عمر حرم على نفسه السمن واللحم فى عام الرمادة ، وكان يأكل الزيت ، وربما تقرقر منه بطنه لأنه غير معتاد لديه ، فيضرب بطنه ويقول : « تقرقر ما شئت انه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس » – أى حتى يخصبوا – ·

وكان يقول : « كيف يعنينى شأن الرعية اذا لم يصبنى ما أصابهم · »

وما أكل عمر فى بيت أحد من ولده ، ولا بيت أحد من نسائه ذواقا زمن الرمادة الا ما يتعشى مع الناس ، حتى أخصب الناس ·

ومن ذلك أن عمر أخر الصدقة عام الرمادة ، فلم يبعث السعاة لأخذها ، وانه منع قطع السارق فى ذلك العام لأنه اعتبر أخذه للمال فيه عن الحاجة وشدة العوز ، أخذا لحقه الذى يحق له بمقتضى التضامن ووجوب المواساة بين الناس ، وقد بينا نظرته الفقهية لذلك فى موضع آخر أما تأخيره أخذ الصدقة وبعث السعاة ، فهو رفق ونظرة الى ميسرة ، لأنه أخذها فى قابل لما رفع الله ذلك الجدب عن الناس ، وقد يكون – رضى الله عنه – اكتفى زمن الرمادة بما كان يقدمه الناس بعضهم لبعض على سبيل المواساة والرعاية فوكلهم الى ضمائرهم وما يعلم فى أنفسهم من البر والايثار ·

ومن ذلك أن عمر – رضى الله عنه – لم يكتف بهذه التدابير المادية ، ولكنه لجأ الى الله تعالى داعيا راجيا مستغفرا ، ووجه الناس الى مثل ما توجه اليه ، ليربط بينهم وبين الله ويحيى بهذا الرباط قلوبهم وآمالهم ·

*

فكان عمر يخطب فى الناس قائلا :

« أيها الناس اتقوا الله فى أنفسكم ، وفيما غاب عن الناس من أمركم ، فقد ابتليت بكم وابتليتم بى ، فما أدرى السخطه على دونكم ، أم عليكم دونى ، أو قد عمتنى وعمتكم ، فهلموا فلندع الله يصلح قلوبنا ، وأن يرحمنا ، وأن يرفع عنا المحل » – أى الجدب – ·

واستسقى بالناس يوما – أى أدى الصلاة المعروفة بصلاة الاستسقاء – ثم خطب الناس وتضرع وجعل الناس يلحون ، وجعل هو يلح فى الاستغفار ، فقيل له : انك لم تستسق، فقال : « لقد استسقيت بمجاديح السماء » ·

وقد جاء فى « أخبار عمر » للطنطاوى عن الفائق أنه علق على ذلك فقال : « المجاديح : جمع مجدح ، وهو ثلاثة كواكب والمجدح فى زعم العرب من الأنواء والأمطار السماوية التى لا تكاد تخطىء ، والمعنى أن الاستغفار عندى بمنزلة الاستسقاء بالأنواء الصادقة عندكم ، لقوله تعالى « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا » ·

وروى البخارى عن أنس : أن عمر بن الخطاب ، كانوا اذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب – عم النبى صلى الله عليه وسلم – فقال : « اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا – صلى الله عليه وسلم – فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا » قال : فيسقون ··

وهكذا كان من فقه عمر وسياسته ودينه: أن يعالج هذا الأمر علاجا عمليا ، وعلاجا روحيا ، حتى أذن الله للسماء أن تمطر ، وللارض أن تخصب ، وللجدب أن يزول ·

عن كتاب معالم فى الطريق

وهو دستور الإخوان المفسدين

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

لأول نظرة فى الكتاب يدرك القارىء أن موضوعه دعوة الى الاسلام ، ولكن اسلوبه اسلوب استفزازى ، يفاجىء القارىء بما يهيج مشاعره الدينية وخاصة اذا كان من الشباب ، أو البسطاء الذين يندفعون فى غير روية الى دعوة الداعى باسم الدين ، ويتقبلون مايوحى اليهم به من أهداف . ويحسبون انها دعوة الحق الخالصة لوجه الله ، وأن الأخذ بها سبيل الى الجنة .

وأحب أن أذكر بعض نصوص من عبارات المؤلف لتكون أمامنا فى تصور موقفه الافسادى ،(١) فى صفحة ٦ يقول : «ووجود الأمة المسلمة يعتبر قد انقطع منذ قرون كثيرة ولا بد من اعادة وجود هذه الأمة لكى يؤدى الاسلام دوره المرتقب فى قيادة البشرية مرة أخرى .. لا بد من بعث لتلك الأمة التى واراها ركام الأجيال ، وركام التصورات ، وركام الأوضاع وركام الأنظمة التى لاصله لها بالاسلام ... الخ . »

ان المؤلف ينكر وجود أمة اسلامية منذ قرون كثيرة ، ومعنى هذا أن عهود الاسلام الزاهرة ، وأئمة الاسلام ، وأعلام العلم فى الدين ، فى التفسير والحديث والفقه وعموم الاجتهاد فى آفاق العالم الاسلامى معنى هذا أنهم جميعا كانوا فى تلك القرون الكثيرة السابقة يعيشون فى جاهلية ، وليسوا من الاسلام فى شىء .. حتى يجىء الى الدنيا سيد قطب » فينهض الى ما غفلوا عنه من احياء الاسلام وبعثه من جديد .

٢ ــ ص ٩ : « ان العالم يعيش اليوم كله فى جاهلية .. هذه الجاهلية تقوم على أساس الاعتداء على سلطان الله فى الأرض ، وعلى أخص خصائص الالوهية ، وهى الحاكمية ، انها تسند الحاكمية الى البشر .. » .

وفى هذا ينفرد المنهج الاسلامى ، فالناس فى كل نظام غير النظام الاسلامى يعبد بعضهم بعضا .

٣ ــ ص ١٠ : « وفى المنهج الاسلامى وحده يتحرر الناس جميعا من عبادة بعضهم بعضا ، وهذا هو المقصود الجديد الذى نملك اعطاءه للبشرية .. ولكن هذا الجديد لا بد أن يتمثل فى واقع عملى ، لا بد أن تعيش به أمة ، **وهذا يقتضى عملية بعث فى الرقعة الاسلامية ، فكيف تبدأ عملية البعث ؟ .. انه لابد من طليعة تعزم هذه العزمة وتمشى فى الطريق» .**

٤ ــ ص ١١ : ولابد لهذه الطليعة التى تعزم هذه العزمة من « معالم فى الطريق ٠٠ » ، ولهذه الطليعة المرجوة المرتقبة كتبت ، معالم فى الطريق » ٠٠ ذلك كلامه ٠

فهذه دعوة مكشوفة الى قيام طليعة من الناس ببعث جديد فى الرقعة الاسلامية ٠٠ وهذا البعث الجديد رسالة دينية تقوم بها طليعة تحتاج الى معالم تهتدى بها ٠

والمؤلف هو الذى تكفل بوضع المعالم لهذه الطليعة ، ولهذا البعث المرتقب ، وفى غضون كلامه الآتى تتبين المعالم التى تصدى لها فى البعث الجديد ٠

٥ ــ ص ١١ : « ونحن اليوم فى جاهلية كالجاهلية التى عاصرها الاسلام ، أو أظلم ، كل ما حولنا جاهلية » ٠

٦ ــ ص ٢٣ : « ان مهمتنا الأولى هى تغيير واقع هذا المجتمع ٠٠ مهمتنا هى تغيير هذا الوضع الجاهلى من أساسه » ٠ وهذا اعلان منه لما يدعو اليه من الثورة على المجتمع ٠

٧ ــ ص ٣١ : « وليس الطريق أن نخلص الأرض من يد طاغوت رومانى أو طاغوت فارسى الى يد طاغوت عربى ، فالطاغوت كله طاغوت ، ان الأرض لله ٠٠ وليس الطريق أن يتحرر الناس فى هذه الأرض من طاغوت الى طاغوت ٠٠ ان الناس عبيد الله وحده ٠٠ لا حاكمية الا لله ، لا شريعة الا من الله ٠٠ ولا سلطان لأحد على أحد ٠٠ وهذا هو الطريق ٠ » وهذا أسلوب المدلسين باسم الدين فى قوله « ان الأرض لله ، وان كلمة « الحاكمية لله ٠٠ ولا حاكمية الا لله » ٠

كلمة قالها الخوارج قديما ، وهى وسيلتهم الى ما كان منهم فى عهد الامام على ، من تشقيق الجماعة الاسلامية ، وتفريق الصفوف وهى الكلمة المغرضة الخبيثة التى قال عنها الامام على « انها كلمة حق أريد بها باطل » ٠

فالمؤلف يدعو مرة الى بعث جديد فى الرقعة الاسلامية ثم يتوسع فيجعلها دعوة فى الدنيا كلها ، وهى دعوة على يد الطليعة التى ينشدها والتى وضع كتابه هذا ليرشد بمعالمه هذه الطليعة ٠٠ كما يقرر ٠

وليس أغرب من هذه النزعة الخيالية ، وهى نزعة تخريبية ، يسميها طريق الاسلام ٠

والاسلام كما هو اسمه ومسماه يأبى الفتنة ولو فى أبسط صورة ، فكيف اذا كانت فتنة غاشمة ، جبارة كالتى يتخيلها المؤلف ٠

وما معنى الحاكمية لله وحده ؟

هل يسير الدين على قدمين بين الناس ليمنع الناس جميعا عن ولاية الحكم ؟ أو يكون الممثل لله فى الحكم هو شخصية هذا المؤلف الداعى والذى ينكر وجود الحكام من البشر ، ويضع المعالم فى الطريق للخروج على كل حاكم فى الدنيا ٠

أن القرآن نفسه يعترف بالحكام المسلمين ويفرض لهم حق الطاعة علينا ، كما يفرض عليهم العدل فينا ، ويوجه الرعية دائما الى التعاون معهم ٠

والاسلام نفسه لايعتبر الحكام رسلا معصومين من الخطأ كما يضللنا المؤلف ، بل فرض فيهم أخطاء تبدر من بعضهم ، **وناشدهم أن يصححوا أخطاءهم بالرجوع الى الله وسنة الرسول ، وبالتشاور فى الأمر مع أهل الرأى من المسلمين ٠ ولم يبح أبدا أن تكون ثورة كهذه ٠**

فغريب جدا أن يقوم واحد ، أو نفر من الناس ويرسموا طريقا معوجة يسموها طريق الاسلام لاغير ، ثم ينصبوا أنفسهم للهيمنة على هذا النظام الذى يزعمونه اسلاما ٠

لابد لاستقرار الحياة على أى وضع من أوضاعها من وجود حكام يتولون أمور الناس بالدين ، وبالقوانين العادلة التى تقتضيها الحياة ، كما يأذن القرآن ، وسنة الرسول ٠

ومن المقررات الاسلامية ــ أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ٠

فكيف يستقيم فى عقل انسان أن تقوم طليعة مزعومة لتجريد الحكام جميعا من

سلطانهم • ولتفتح الطريق أمام طغمة من الخبثاء ، يوهمون الناس أنها طليعة الايمان •

وبين الحكام كثيرون يسيرون على الجادة بقدر ما يتاح لهم من الوسائل ، فليسوا طواغيت أبدا •• ان هذا شطط فى الخيال يجمح بمؤلف الكتاب الى الشذوذ عن الأوضاع الصحيحة ، والتصورات المعقولة ، ويقذف به وبدعوته واتباعه الى احضان الشيطان بعيدين عن حوزة الاسلام •

٨ ــ ص ٤٣ : « فلا بد ــ أولا ــ أن يقوم المجتمع المسلم الذى يقر عقيدة لا اله الا الله، وأن الحاكمية ليست الا لله •• وحين يقوم هذا المجتمع فعلا تكون له حياة واقعية ، وعندئذ فقط يبدأ هذا الدين فى تقرير النظم والشرائع ••

فهذا هجوم من المؤلف على الواقع اذ ينكر وجود « مجتمع اسلامى » وينكر وجود نظام اسلامى ، ويدعو الى الانتظار فى التشريع الاسلامى حتى يوجد المجتمع المحتاج اليه •• ــ يريد المجتمع الذى سينشأ على يده ــ ويد الطليعة •• ويخيل الينا أن المؤلف شطح شطحة جديدة ، فزعم لنفسه الهيمنة العليا « الالهية » فى تنظيم الحياة الدنيا ، حيث يقترح أولا هدم النظم القائمة دون استثناء وطرد الحكام ، وايجاد مجتمع جديد ، ثم التشريع من جديد لهذا المجتمع الجديد •

٩ ــ ص ٤٥ : يكرر هذا الكلام •

١٠ ــ ص ٤٦ : يصرح به مرة ثالثة أو رابعة فيقول : ان دعاة الاسلام حين يدعون الناس لانشاء هذا الدين ــ كذا ــ يجب أولا أن يدعوهم الى اعتناق العقيدة حتى لو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين ، وتشهد لهم شهادات الميلاد بأنهم مسلمون ، ويعلموهم أن كلمة أن لا اله الا الله، مدلولها الحقيقى هو رد الحاكمية لله ، وطرد المعتدين على سلطان الله •

وهكذا من تبجحه فى وجه الواقع وسفاهته على مجموع المسلمين

وتلك نزعة المؤلف المتهوس ، يناقض بها الاسلام ، ويزعم أنه أغير الخلق على تعاليم الاسلام ••

أليست هذه هى الفتنة الجامحة ، بل الفتنة الجائحة •• من انسان يفرض نفسه على الدين ، وعلى المجتمع •

١١ ص ٥٠ ــ يعزز فكرته الفاتنة فيقول : « وهكذا ينبغى أن تكون كلما أريد اعادة البناء من جديد ــ يريد تجريد الثورة العامة كلما احتيج الى اصلاح فى المجتمع •

١٢ ــ ص ٨١ يقول : « ان اعلان ربوبية الله وحده للعالمين : معناها الثورة **الشاملة على حاكمية البشر فى كل صورها وأشكالها، وأنظمتها وأوضاعها والتمرد الكامل على كل وضع فى أرجاء الأرض ، الحكم فيها للبشر فى صورة من الصور •• الخ •**

وبهذا الكلام يلفظ المؤلف ما فى نفسه من الحقد المستعر أو من الجنون المستحكم •

١٣ ــ ص ٨٣ ــ يقول : « ان هذا الاعلان **العام لتحرير الانسان فى الأرض لم يكن اعلانا نظريا فلسفيا ، انما كان اعلانا حركيا ، واقعيا ايجابيا •• ثم لم يكن بد من أن يتخذ شكل الحركة الى جانب شكل البيان الخ »•**

ويسير المؤلف على هذا النحو من الاغراء للبسطاء والشباب باسم الجهاد للاسلام حتى يقرر ما يأتى :

١٤ ــ فى صفحة ٩٠ : « ان الجهاد ضرورة للدعوة اذا كانت أهدافها هى اعلان تحرير الانسان ، اعلانا جادا ، يواجه الواقع الفعلى •

•• سواء كان الوطن الاسلامى آمنا أم مهددا من جيرانه ، فالاسلام حين يسعى الى التسلم •• لايقصد تلك السلم الرخيصة وهى مجرد أن يؤمن الرقعة الخاصة التى يعتنق أهلها العقيدة الاسلامية •

فهذه دعوة الى اشعال الحروب مع الغير ولو كان الوطن الاسلامى آمنا •

مع أن نصوص القرآن والسنة، وتوجيهات الاسلام عامة لا تدعو الى مثل هذا الانفعال الغاشم ، وانما تعتبر الحرب وسيلة علاجية لاستقرار الحياة ، وقمع الفتن ، وشق طريق الدعوة اذا وقف فى سبيلها خصوم يعاندونها

والاسلام كله يدعو الى المسالمة مع من يسالمه ، ويترك الآخرين على عقائدهم الكتابية الأولى ، ويقبل منهم الجزية ، بل الاسلام

يحبب الينا ان نحسن الى المسالمين منهم ، والبر والعدل معهم ، وينهانا عن التودد الى المسيئين الينا منهم ، وهذه الملاطفة مع المسالمين ، والمقاطعة للمسيئين ، هى ظاهرة العزة الرحيمة الاسلامية ، وترفعها عن الجبروت أولا ، وعن المذلة ثانيا ٠

ولكن صاحب - معالم فى الطريق - يفهم غير ذلك ، ويعمد الى بعض الكتب وينقل منها كلاما عن ابن القيم ونحوه ، ثم يفهم كلامهم على ما يطابق نزعته ، ويتخذ من ذلك دليلا على أن الاسلام دين المهاجمات لكل طائفة وفى كل وطن وفى كل حين ٠٠

وليس أجهل ممن يفهم ذلك ، ولا أخبث قصدا ممن ينادى بذلك ، والقرآن نفسه يدعونا حتى فى حالة الحرب أن نقتصد فى العداوة « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » ، فكيف نشعلها حربا لا تخمد ٠

١٥ - وفى صفحة ١٠٥ - يقول : « وكما أسلفنا فان الانطلاق بالمذهب الالهى « يريد مذهبه فى الثورة والفتنة والتدمير ، تقوم فى وجهه عقبات مادية عن سلطة الدولة ، ونظام المجتمع ، وأوضاع البيئة ، وهذه كلها هى التى ينطلق الاسلام ليحطمها بالقوة ٠٠ وهنا يعاوده عقله المريض بأنه سيصادف عقبات وسيحطمها هو بوسائله التخريبية التى يسميها قوة الاسلام ٠

ولو حاولت أنا شخصيا أن أغالط فيما فهمته ، أو أحسن الظن بما يقوله مؤلف معالم فى الطريق لكنت فى نظر نفسى مدلسا فى الحقيقة السافرة ، ومبتعدا عن الصواب وعما يريده هو من كلامه من صدام وتخريب ، وشر مستطير لا يعلم مداه غير الله ٠

١٦ - وفى الصفحات ١١٠ الى ١٥٦ - وما يليها تشتعل الثورة الحانقة فى نفوس الكاتب فيلهب مشاعر القارىء البسيط ، ويدس فى الكلام توجيها معسولا رطبا جذابا نحو الأمل الذى يتخيله لنفسه ، ولمن ينصاع لفتنته ٠

١٧ - ويقول فى صفحة ١٥٦ - سطر ٩ ، ١٠ - « **المجتمع الاسلامى وليد الحركة ٠٠ والحركة هى التى تعين مقدار الأشخاص فيه ، وقيمتهم ، ومن ثم تحدد وظائفهم فيه ومراكزهم ، هكذا يقول ٠**

ويكرر ذلك الأمل فى صفحة ١٥٨ سطر ٨ وما بعده ٠

ثم يتابع هذه العبارات بعبارات مثلها أو أشد منها خداعا واغراء وتوريطا ، مما لايدع مجالا لحسن الظن بما يقوله الكاتب فى كتابه ٠

وهكذا يدور المؤلف فى الكتاب كله حول فكرته فى عبارات متشابهة ، أو بعضها أشد من بعض فى تحريضه ٠

وانى لأكتفى بما أنقله أخيرا من كلماته :

١٨ - ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ يقول : « وحين ندرك الاسلام على هذا النحو الذى فهمه هو فى ثورته - فان هذا الادراك بطبيعته سيجعلنا نخاطب الناس ، ونحن نقدم لهم الاسلام فى ثقة ، وفى عطف كذلك ورحمة ٠

ثقة الذى يستيقن أن ما معه هو الحق وأن ما عليه الناس هو الباطل ، وعطف الذى يرى شقوة البشر وهو يعرف كيف يسعدهم ٠٠ ورحمة الذى يرى ضلال الناس ، وهو يعرف أين الهدى الذى ليس بعده هدى ٠٠

وهذه كلمات يستبيحها لنفسه من يتطاول الى مقام الرسالة اذ يكون مطمئنا الى مايتلقاه

من الوحى ، ومستشعرا بعصمة نفسه بسبب عصمة الله له من الخطأ ، وأنه على الهدى الذى لا هدى بعده ..

عجيب ، وعجيب شأن هذا المتهور ..

ومن ذلك الذى بلغ هذا المبلغ بعد محمد بن عبد الله يا ترى ؟..

أهو سيد قطب الذى سول له شيطانه أن ينعق فى الناس بهذه المزاعم ويقتادهم وراءه الى المهالك ليظفر بأوهامه التى يحلم بها ..

١٩ - انه ليمعن فى غروره فيقول - نفس صفحة ٢٠٦ - لن نتدسس اليهم بالاسلام.. سنكون صرحاء معهم غاية الصراحة : **هذه الجاهلية التى أنتم فيها نجس والله يريد أن يطهركم ..**

هذه الأوضاع التى أنتم فيها خبث ، والله يريد أن يطيبكم ..

هذه الحياة التى تحيونها دون ، والله يريد أن يرفعكم ..

هذا الذى أنتم فيه شقوة وبؤس ونكد ، والله يريد أن يخفف عنكم ويرحمكم ويسعدكم .. الاسلام سيغير تصوراتكم وأوضاعكم وقيمكم ، وسيرفعكم الى حياة أخرى تنكرون معها هذه الحياة التى تعيشونها .. الخ » .

وذلك تكرار لما سبق مثله من التغرير بالآمال ، والأمانى ، واستدراج البسطاء الى المطامع والتهور .

٢٠ - ص ٢٠٩ - ولم تكن الدعوة فى أول عهدها فى وضع أقوى ولا أفضل منها الآن ، كانت مجهولة ، مستنكرة من الجاهلية ، وكانت محصورة فى شعاب مكة مطاردة من أصحاب الجاه والسلطان فيها .. الخ .

٢١ - ص ٢١٢ - « وحين نخاطب الناس بهذه الحقيقة ، ونقدم لهم القاعدة العقيدية للتصور الاسلامى الشامل يكون لديهم فى أعماق فطرتهم ما يبرر الانتقال من تصور الى تصور ، ومن وضع الى وضع .. الخ » .

وبهذا الذى نقلته من الكتاب صار واضحا من منطق الكاتب نفسه انها دعوة هدامة غير سلمية ، ولا هادفة الى اصلاح ، وان كانت مسماة عند صاحبها بذلك الاسم المصطنع .

ومهما يكن أسلوب الكاتب مزيجا بآيات قرآنية ، وذكريات تاريخية اسلامية فانه كأساليب الثائرين للافساد فى كل مجتمع فهم يخلطون بين حق وباطل ليموهوا على الناس .

والمجتمعات لاتخلو من اغرار بسطاء ، فيحسنون الظن بما لا يكون كله حقا ، ولا اخلاصا ، وقد يسيرون وراء كل ناعق ، وخاصة اذا كان يهدى الغير باسم الدين ، ووجدوا فى غضون هذه الدعوة تلميحا بالأمل فى المراكز ، والأوضاع والقيم الجديدة فى المجتمع الجديد .

وهذه الحيلة هى نفسها حيلة ابليس فيما صنعه مع آدم ، وحواء ، وفيما يدأب عليه دائما فى فتنة الناس عن دينهم ، وعن الخير فى دنياهم . ويزين لهم كل قبيح ، ويهون عليهم كل عسير ، حتى اذا ماتورطوا فى الفتنة تبرأ منهم ، وقال للانسان « انى برىء منك ، انى أخاف الله رب العالمين » ، ولكن بعد أن يكون ما يكون من الافساد الذى حذرنا الله منه ، ونهانا عنه فى كثير من الآيات ، وهددنا عليه بشر العقوبات والعذاب .

وبعد :

فقد انتهيت من كتاب « معالم فى الطريق » الى أمور :

١ - ان المؤلف انسان مسرف فى التشاؤم ينظر الى المجتمع الاسلامى ، بل ينظر الى الدنيا بمنظار أسود ، ويصورها للناس كما يراها هو أو أسود مما يراها ، ثم يتخيل بعد ذلك آمالا ويسبح فى خيال .

٢ - ان سيد قطب استباح باسم الدين أن يستفز البسطاء الى ما يأباه الدين من مطاردة الحكام ، مهما يكن فى ذلك عندى من اراقة الدماء والفتك بالأبرياء ، وتخريب العمران ، وترويع المجتمع ، وتصدع الأمن والهاب الفتن فى صور من الافساد لا يعلم مداها غير الله ،

وذلك هو معنى الثورة الحركية التى رددها كلامه ..

٣ ـ واذا ربطنا بين دعوة سيد قطب وبين الاحداث المعاصرة، ونظرنا الى ذلك الاتجاه فى ضوء الثورة المصرية وما ظفرت به من نجاح باهر فى كل مجال من مجالات الحياة .. وضح لنا أن الدعوة الاخوانية التخريبية دعو مدسوسة على ثورتنا باسم الغيرة على الدين، وأن الذين تزعموا هذه الدعوة أواستجابوا لها انما أرادوا بها النكاية للوطن، والرجوع به الى الخلف وتعريضه لويلات تدمى قلب الانسانية .. وتلك هى الفتنة الكبرى، لا قدر الله.

والله تعالى يقول: «واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة».

واتقاء الفتنة يكون ـ أولا ـ بالابتعاد عن اثارتها، أو الجنوح اليها من قريب أو من بعيد ..

ويكون ـ ثانيا ـ بمقاومتها من كل فرد أو جماعة واحباط تدبيرها، وتحذير الناس منها حتى تكبت فى جحرها، ويسلم الأفراد المجتمع من شرورها.

والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها» .. فأولئك الفاتنون ملعونون فى كتاب الله وعلى لسان رسول الله.

لمحات إلى جهود المسلمين العلمية -٢-

الدكتور أحمد الحوفي

عرضت فى المقال السابق بعض جهود المسلمين العلمية فى التشريع والجغرافية والفلك ، وهذه لمحة الى جهودهم فى ميادين علمية اخرى .

٤ ـ وللمسلمين الفضل فى اختراع علم الجبر والمقابلة وتطبيقه على الهندسة منذ ألف محمد بن موسى الخوارزمى كتابه ، ايام الخليفة المأمون ، وقد نقله الى اللاتينية جرارد الكرمونى فى القرن الثانى عشر ، فاعتمدت عليه جامعات أوروبا الى القرن السادس عشر ، ومنه عرفت مبادىء علم الجبر ، وسمته باسمه العربى ، كما عرفت الأرقام الهندية عن طريق العرب ، وسمتها الأرقام العربية والمسلمون اصحاب سبق مذكور فى علم الضوء والميكانيكا ، وحسبهم أن يباهوا بالحسن بن الهيثم أول من كتب فى الرؤية المستقيمة والمنعكسة والمنعطفة والمرايا المحرقة وغيرها ، وقد ترجم كتابه فى البصريات الى اللاتينية والايطالية .

وهم الذين طبقوا الرقاص على الساعة ، وهم الذين اخترعوا ساعة أهداها هارون الرشيد الى شارلمان ، وهى ساعة مائية دقاقة ، تسقط كراتها النحاسية على قرص معدنى فى كل ستين دقيقة ، فتحدث صوتا .

٥ ـ **أما فى ميدان الكيمياء فان المسلمين** كشفوا عن كثير من المواد المفردة والمركبات المهمة ، مثل الكحول وزيت الزاج (الحامض الكبريتى) وماء الفضة (الحامض النترى) وماء الذهب وملح النشادر وحجر جهنم (نترات الفضة) والسليمانى والراسب الاحمر . وعرفوا أهم أسس العمليات الكيمائية كالتقطير والتصعيد والتبلور ولولاهم ما استطاع لا فوازيه أن ينتهى الى ما انتهى اليه .

كذلك برعوا فى صناعة الدباغة والنسيج والأسلحة والورق ، واخترعوا البارود ، ويشهد العلماء المنصفون أن الفضل فى اختراعه للعرب لا الى روجر بيكون ولا الى أهل الصين ، وقد اعتمد بيكون (١٢١٤ـ١٢٩٢م) على مؤلفات ابن سينا فى الكيمياء

ومن اعلامهم فى الكيمياء جابر بن حيان الذى عاش فى أواخر القرن الثامن الميلادى ، وهو صاحب مؤلفات كثيرة بلغت نحو المائتين ترجم عدد منها الى اللاتينية منذ القرن الرابع عشر والى الفرنسية . وكان له معمل فى بغداد يجرى فيه بحوثه وتجاربه . ومازالت صورته بمكتبة آل مديسى بفلورنسا ، يشع منها نور الحكمة ، وقد نقلها (العلامةهلميارد استاذ الكيمياء بكلية كلفتون بانجلترا فى (مشاهير الكيميائيين)

وللرازى المتوفى سنة ٩٢٤ م كتاب فى الكيمياء اسمه الأسرار ، نقله الى اللاتينية جرارد الكرمونى ، وله كتاب كبير فى الكيمياء من عشرة أجزاء سماه الكتاب المنصورى ،نقل الى اللاتينية ، ونشر فى ميلانو آخر القرن الخامس عشر .

٦ ـ وحينمانعرض للطب يطول بناالحديث
فلنكتف بالاشارة الى الرازى المتوفى سنة « ٣٢٠ هـ ٩٣٢ م » فان له نحو مائة وثلاثة عشر كتابا ورسالة ، كان كثير منها مرجع الأوروبيين ، مند ترجمت كتبه الى اللاتينية وطبعت عدة مرات ، وأشهر كتبه (الحاوى) الذى تعلمه أوروبا وطبعته المرة الخامسة سنة ١٥٤٢ م وقد كتب عن بعض الحميات والحصبة والجدرى كتابة قيمة عول عليها الأطباء زمنا طويلا ، كما كتب فى التشريح ، وفى أمراض الأطفال ، وكتابه فى أمراضهم أول كتاب ظهر فى هذا الموضوع .

وان أوروبا لتعلم فضل ابن سينا عليها (٤٢٨ هـ ١٠٣٦ م) فقد ترجم كتابه القانون فى الطب الى اللاتينية فى القرن الثانى عشر فأغنى الغربيين عن كتب جالينوس ، ثم طبع خمس عشرة مرة باللغة اللاتينية فى أواخر القرن الخامس عشر ، وظهرت أول طبعة عربية له فى روما سنة ١٥٩٣ م ، وتوالت ترجمته الى عدة لغات ، ومازال يدرس فى جامعات فرنسا وايطاليا الى القرن الثامن عشر .

ولابن سينا غير كتاب القانون نحو مائتين وثمانين رسالة وكتابا ترجم كثير منها .

ومازالت صورة الرازى وصورة ابن سينا تزينان القاعة الكبرى فى كلية الطب بجامعة باريس .

وفى ختام الاشارة الى تفوق المسلمين فى الطب نشيد بالطبيب العظيم على بن أبى الحزم القرشى (نسبة الى بلدة قرش على وزن بحر من بلاد ما وراء النهر) علاء الدين الملقب بابن النفيس ، المولود بدمشق والمتوفى بمصر سنة ٦٨٧ هـ ١٢٨٨ م

فهو كما قال الدكتور أمين أسعد خير الله فى كتابه الطب العربى صفحة ٦٤ وكما قالت المستشرقة الالمانية سيجريد هونكه فى كتابها فضل العرب على أوروبا الذى ترجمه الدكتور فؤاد حسنين أول من كشف عن الدورة الدموية فى جسم الانسان فسبق هارفى بأربعة قرون ، وأول من فرق بين الأوردة والشرايين وقال ان جدران الشرايين أسمك من جدران الأوردة ، وأول من وصف جدران القلب وقال انه يتغذى من الدم الذى يجرى فى الأوعية وأول من تحدث عن الدورة التاجية للقلب ، وأول من قال ان الدم يندفع الى الرئتين ليتشبع بالهواء لا ليغذيهما ، وقال ان اوردة الرئتين ليست ملأى بالهواء . وقد استطاع الدكتور المصرى محيى الدين التطاوى ان يعثر فى مكتبة برلين على كتاب ابن النفيس الذى وصف فيه القلب والدم والرئتين والدورة الدموية وقدم رسالة الى جامعة فرايبورج سنة ١٩٢٤ نالت الاعجاب والتقدير .

ويذكر المترجمون لابن النفيس أنه كان طبيبا وذا ثقافات متعددة ، وانه كان يعتمد على تجاربه ومشاهداته ، وكان يشق فى مؤلفاته حتى أنه قال لولا اننى أعلم ان الذى أكتبه سيحيا بعدى ألف عام ما كتبته .

وقد خلف مالا كثيرا ، ووقف كتبه وأمواله على البيمارستان المنصورى بالقاهرة

بقية المقال ص ٣٢

الصوفية في العالم

- ٦ -

الأستاذ حسن كامل الملطاوي

« ان قلت أنا مشتاق ، والشوق شديد فليس هذا معنى ما تقاسيه الروح من الم ذلك الشوق ، انما أترك الارواح تتناجى ولها الله سبحانه وتعالى وهو الذى يعلم السر وأخفى » .

لم تقف هذه العبارة التى كتب لى بها ، أستاذى العارف بالله سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه ، عند بث الشوق لتلميذه ، بل تعدت هذا الافق الى آفاق ابعد واعمق ، ذلك بأنها دلت على تجاذب الارواح ، الذى يكون بين الشيخ وتلميذه ، ويكون للشيخ فيه سلطان الابوة ، وللتلميذ تلقى الابناء فى الله وهو سلطان قوى ، لا تدرك آفاقه الا بالتجربة العملية ، ويقرب لنا وصفه ، سيدى القطب ابن عطاء الله السكندرى فى قوله رضى الله عنه :

« وليس شيخك من سمعت منه ، انما شيخك من أخذت عنه ، وليس شيخك من واجهتك عبارته ، انما شيخك من سرت فيك اشارته ، وشيخك هو الذى يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك حتى وصلت اليه ، ولا زال محاذيا لك حتى القاك بين يديه ، فزج بك فى نور الحضرة ، وقال لك : ها أنت وربك » .

فالشيخ اذن هو النائب عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تهذيب الروح وصقلها ، ببث الآداب النبوية ظاهرها وباطنها فى قارة النفس ، حتى يعرج المريد « التلميذ » فى معارج الخواص ، المراعين انفاسهم مع الله سبحانه وتعالى ، فيكون ممن ينطبق عليهم قوله تعالى :

« رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » .

وقوله تعالى :

« والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » .

والأخذ عن شيخ عارف بالله ، أمر ضرورى فى التصوف لكسب اليقين ، وقد جاء فى الحديث الشريف «تعلموا اليقين» أى جالسوا أهل اليقين ، وكل بيعة حصلت بعد النبى صلى الله عليه وسلم هى تجديد لبيعته صلى الله عليه وسلم ، والعارفون بالله نواب عنه صلى الله عليه وسلم فى تعليم الناس آداب الدين الظاهرة والباطنة ، والآداب الباطنة اصعب منالا من الآداب الظاهرة ، لأنهما تحتاج لمعترك خفى بين المرء وهوى نفسه وشيطانه ، وغرور الدنيا الخداعة ، وآفاته القلبية من الحقد والحسد والعجب والرياء والنفاق .. الخ ومن طلب طريق القوم بغير اما معارف بالله ، تاه فى أول قدم ، وكفى شرفا لطريقهم النورانى ، ان سيدنا موسى عليه السلام وهو من المرسلين أولى العزم ،طلبه من الخضر عليه السلام وقال له :

« هل اتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا » .

وهذا اقوى دليل على وجوب طلب التصوف « وهو علم آداب القلوب » من أهله .

ويشير الى ذلك أستاذى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه فيقول:

اذا لم يكن للنفس شيخ له هدى
يؤدبها بالروح زاغت عن السير
ولا يعبر البحر الخضم ونوءه
سوى ماهر يدرى الملاحة فى البحر
ولولا اتصال الكهرباء بأصلها
على موجة التيار ما نورها يسرى

وقد كنت أجالس شيخى رضى الله عنه فلا يكلمنى لسانه، وانما يناجينى حاله، فكنت أحس باحساسه فى بعض الاحيان ، ومن أعجب ما وقع لى من ذلك انى جلست اليه مرة ، فأحسست برعب شديد كاد أن ينخلع له قلبى، والشيخ صامت ، وهو جالس على مقعد فى مقابلتى ، وخيل الى ان الدقائق صارت أياما، كما خيل الى ، أن رضوى على كتفى ، وما شعرت حتى اضطربت أعصابى ، وارتجت اركانى ، ولا أدرى من سر ذلك شيئا ، وبعد نحو ربع ساعة ، نطق الشيخ مخاطبا لى ، ولم يكن معنا أحد ، وقال لى : تدرى فيما اذا كنت أفكر ، وكأنما نفس عن كربتى فى التحدث الى، فقلت : لا يا سيدى - فقال : كنت أفكر فى أهوال يوم القيامة ، واتصور النار فى شهيقها وزفيرها ، وأراها كالبركان يرمى بالقذائف ذات الحميم ، فيقشعر جلدى ، وتكاد من خوفى تزهق روحى ، فقلت رحمنا الله واياك من شرها يا سيدى ، والله لقد كشفت عن سر ما كنت انا فيه من الهلع ، فقد احسست باضطراب هد كيانى ، وعرفت الآن السر الذى خفى على ، فانت كنت فى مقام الخوف ، وتعداك الى تلميذك، وما عهدتك فى ذلك المقام قبل اليوم ، بل كنت أرى فى مجالستك انسا وسرورا ينسينى أهلى وأعمالى ، ثم سكت وسكت ، ومن السكوت أحيانا خطاب وبيان .

وكذلك وقع لى من مثل هذا معه ، انى دعوته ليتناول عندى طعام الغداء مع بعض اخواننا ، فتفضل واجاب الدعوة ، وكنت معتادا أن أدعو معه شخصا بعينه كان يلازمه كثيرا ، فوجدتنى منصرفا عمدا عن دعوته معه هذه المرة ، بسبب خفى عنى ، واستغربت انصرافى هذا ، فكاشفت شيخى رضى الله عنه بما وقع لى ، فقال « عملت طيب ان فلانا هذا يظن الآن انى بغيره لا أستطيع أن أتحرك » فقلت لا حول ولا قوة الا بالله ، ورأيت من التجربة العجيبة التى كان سرها خافيا على حتى كشف غطاءه شيخى رضى الله عنه - مصداق قوله تعالى فى أوليائه « **لهم ما يشاءون عند ربهم** » . فقد صرفنى الله بدافع قلبى لا أدريه عن دعوة من لا يود شيخى أن يكون معه فى الدعوة ، ومن مثل تلك الوقائع فهمت معنى ما يقوله السادة الصوفية : حال واحد فى الف خير من كلام الف فى واحد .

ذلك جانب تناجى الارواح بين الشيخ والمريدين ، وبقى جانب آخر ، تضمنه عجز العبارة وهو الذى قال فيه رضى الله عنه : « ولها الله الذى يعلم السر واخفى » وهو توجيه صوفى ، يقوم عليه التصوف كله ،

فرقابة الله ، تقتضى أن يخشى المريد ربه فى سره كما يخشاه فى علانيته وزيادة، لان الخشية فى العلانية ،قد يكون مراعيا فيها جانب الناس، من الحكام وغيرهم ، أما السر ، فيكون بينه وبين ربه الذى لا يخفى عليه خافية .

وقد قالوا من رجع عن المخالفات خوفا من عذاب الله فهو تائب ، ومن رجع حياء من نظر الله فهو منيب ، ومن رجع تعظيما لجلال الله فهو أواب .

ويعجبنى فى هذا المقام قول المرحوم السيد/ اسماعيل صبرى ، وهو الهام صوفى جميل :

يا رب أهلنى لفضلك واكفنى
شطط العقول وفتنة الافكار
ومر الوجود يشف عنك لكى أرى
غضب الحليم ورحمة الجبار
يا عالم الاسرار حسبى محنة
علمى بانك عالم الاسرار

وها هو ذا شيخى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل يرينا كيف يطهر المريد قلبه، ويصحح باطنه ، ليكون مهبط أسرار الله تعالى فيقول رضى الله عنه :

يا أيها السارى لخلاق السما
وقفت جاهد فى فؤادك واختف
واذا اقتديت فبالكتاب لك الهدى
حافظ على آياته بتلهف
وانهض بروحك نهضة قدسية
ولسنة المختار فى السير اقتف
واحب ما فى هذه الدنيا التقى
من حاد عنيدا ليس بالمتعفف
ان المحب اذا صفت اخلاقه
مع ربه لمنامه لم يألف
لا تذكر البارى لقصد ولاية
او أن تكون على السما لا تنطفى
اذكر لوجه الله جل جلاله
من رام غير جنابه لم يشرف
من كان نور الله ملء فؤاده
عيب عليه النوم بعد تعرف
يا قلب كن مع ربك البارى على
ثقة وايمان وحسن تصرف

كما يقول ايضا فى العشق الخفى ، الذى يراه الله ولا يراه الناس :

ليس بالعاشق من فى
قومه بالعشق يفخر
انما العاشق من فى قلبه
للعشق أضمر
لا نريد الناس يوما
حبنا لله يؤثر
قد وزنا كل شىء
بقلوب تتذكر
فتركنا الخلق لله
ورب الخلق أكبر

ويصف لنا رضى الله عنه باطنه الذى يركن فيه الى الله وحده فى الشدة والرخاء فيقول :

فتشت كل الخلق عن علم فلم
أر لى سوى رب السما من وال
فتركت كل العالمين وجئته
وجعلت ذكرى ذاته منوالى
يا رب قلبى قد غسلت من الورى
اذ ليس غيرك ما ذكرت ببالى
ان مر بى عصف الزمان وقصفه
- والله - لست بما شهدت أبالى
أحبه وأخاف سطوة غيره
هذا وحقك لا تعيه خصالى
روض المحبة قد شهدت جلاله
وجماله فثبت فى أحوالى
يا نفس أنى لا أمالىء غيره
قومى الى حوض الكريم تعالى
ان الذى فهم المحبة قلبه
لم يتجه يوما لآل زوال
سلم لربك أمره واترك له
اقداره واحذر من الاقوال
وذر العباد وشأنهم وفعالهم
ان كنت مرتادا بلوغ كمال

ويقول مذكرا بأمر الآخرة ، وتحصيل الطاعات فى الدنيا قبل الرحيل منها ، ويحذر من اهمال جانب الآخرة ، بمظاهر الدنيا الفانية، مبينا ان المال الذى يحصله المرء فى الدنيا لخدمة الدنيا ذاهب لغيره لا محالة ، ومايحصله من مال فى الدنيا ليخدم آخرته ، يبقى له أنيسا فى قبره :

خل عنك الدنيا ان من خدموها
خدعتهم والذنب للخدمات

عبدوها بأنها خير جاه
بئس جاه نما على السيئات
وتنادى العباد فى كل يوم
احذرونى وجانبوا غدراتى
تترك المال للوريث ولكن
تؤنس القبر تركة الصالحات
ان من يفقه الحقيقة يدرى
انما كان كاسب الاوقات
كان فيها وقلبه ليس فيها
انما كان كاسب الاوقات
ذاكرا شاكرا مقدم بر
ساهرا جانحا عن الشهوات
مستدرا فيض الاله عليه
مستقيما ملازم الحسنات
قائما فى عبادة الله يقظان
قوى الفؤاد أهل الثبات
ذلك [illegible] عليه
يوم أن مات أعظم الرحمات

وما أروع التجاءه الى الله فى غفران ذنوبه مع خوفه الباطنى منه سبحانه :

لم يفتنى تذكر الذنب يوما
ان ذنبى يطيل من حسراتى
أنا والله لا أخاف سواه
كل من فى الوجود عبد الذات
لم أر العصمة التى زعموها
انما الذنب مظهرى وسماتى
دون ذنب ما كنت أدرك عفوا
ان عفو الاله أزكى صلاتى
رب هبنى رضاك سرا وجهرا
واعف عنا يا غافر الزلات

اللهم أرض عن مشايخنا فى الله ، والحقنا بهم فضلا وكرما ، فاننا مؤمنون بك وقد قلت وقولك الحق « **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شىء** » .. **آمين .**

بقية مقال « لمحات الى جهود المسلمين العلمية »

وله مؤلفات كثيرة منها (١) الموجز فى الطب (مطبوع) اختصر فيه قانون ابن سينا (٢) فاضل ابن ناطق (مخطوط) على نمط رسالة حى بن يقظان لابن الطفيل (٣) بغية الطالبين وحجة المتطببين (٤) شرح البداية لابن سينا فى المنطق (٥) المهذب فى الكحل (مخطوط) (٦) الشامل فى الطب ، قيل لو تم لكان ثلاثمائة مجلد ، وقد تم منه ثمانون

ومنه مجلد مخطوط فى دمشق (٧) شرح فصول أبقراط (مخطوط) (٨) الرسالة الكاملية فى السيرة النبوية وقالوا انه لم يكن على وجه الأرض مثله فى الطب ، ولم يجىء بعد ابن سينا مثله ، وكان فى العلاج اعظم من ابن سينا .

٧ ــ وانه لمن حق المسلمين ان يفاخروا بانتاجهم فى الفلسفة وعلم الاجتماع ، لأن علماءهم الكبار فى هذين المضمارين كثير . منهم الكندى صاحب المؤلفات المتنوعة التى تناهز المائتين والاربعين ، ومنهم ابن رشد الذى شرح فلسفته ارسطو ، وتفوق عليه فى بعض آرائه وعن طريقه عرفت أوروبا أرسطو وفلسفته .

ومنهم ابن خلدون منشىء علم الاجتماع وفلسفة التاريخ ، وقد سبق أوجست كنت وتفوق عليه فى كثير من نظرياته .

٨ ــ وهكذا يتشقق المقال ، ويطول البحث ويتكشف الحق ، ويتبين أن خصومنا لا يجنحون عن الهجوم ، واننا لهم بالمرصاد ، كلما صوبوا سهاما فللناها ، وكلما أوقدوا نارا أطفأناها .

من حضارة الإسلام

مواقع النجوم

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

رباط وثيق ـ اتجاه علمى ـ باطل النجوم ـ اختلاف المواقع ـ السماء الدنيا ـ العمد والتدبير

رباط وثيق :

ثلاثة نظائر جاء بهن القرآن يقسم بالنجوم: أحداهن فى سورة النجم اذ يقول « و لنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » والثانية فى سورة الواقعة اذ يقول : « فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لايمسه الا المطهرون ، تنزيل من رب العالمين » والثالثة فى سورة التكوير تقول : « فلا قسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وماصاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين » .

ومن القول الراجح ان تكون « الخنس الجوار الكنس » هى النجوم اذا النظيران اللذان سبقاها فى النجم والواقعة يروحان الى هذا المعنى بل ويؤكدانه دون أن يذهب معناهما الى البقر والظباء كما ذهب بعض المؤولين ، فان ذكر القرآن بعد القسم بها يجرى مع النظرين السابقين مجرى واحدا فيرجح المعنى ويؤكده كما جرت عادة النظائر فى القرآن واطردت حكمتها .

وهذه لنظائر يؤكد القسم فيها ان القرآن من عند الله ، وقد ارتبط فيها القسم بالمقسم به ارتباطا وثيقا ، وهو يبين ان القرآن لم يكن الا وحيا منزلا حمله رسول من الملائكة أمين كريم . ثم حملت النظائر مع ما حملته آدابا لتلقى القرآن ووجوب الاقرار برسالة الصادق الموحى اليه به ، وبيان ما جاء القرآن من أجله وانه جاء من وراء الغيب ليكون ذكرا للعالمين .

ومع ان النظائر قد سيقت مطالعها فى اسلوب واحد وهو القسم بالنجوم فانها

اختلفت فى المعانى لئلا يكون تكرارا يجل القرآن عنه فقد اضافت آية النجم الى القسم مساير النجوم واضواءها وربما اضافت مقاصدها وآثارها ، وأضافت آية الواقعة مواقع النجوم ودورانها فى أفلاكها وانقسامها الى ثابت ومتحير ، واضافت آية التكوير تغير مطالعها فى الليل والنهار وظهورها وخفاءها واستقامتها وميلها .

ولم يدع القرآن تلك الاقسام دون أن يبين مكانها من الصدق والحق فقرر مؤكدا أنها أقسام عظيمة وانه لا مفر من الاقرار بعظمتها والتصديق بالحق فيها ، ولا سيما لو قدر للراسخين فى العلم أن يصلوا الى بعض اسرارها ويعرفوا بعض أخطارها مهما طالت عليهم الدهور وتمادت بهم الازمان .

وقد أحاطت النظائر بمن ينكر هذه العظمة فيجحدها ويجحد معها بالقرآن ، اذ لا بد من التسليم بهما معا ، فان مواقع النجوم ونزول القرآن منظومان فى قضية واحدة مربوطان فى وثاق أكيد . وما النجوم على بعد مراميها والافلاك على اتساع أرجائها والقرآن على جليل خطره وعظيم أثره الا وحدة مترابطة الاجزاء متصلة الانحاء . وليست الاضواء التى تتساقط من النجوم بابهر ضوءا من القرآن ، ولا الافلاك التى لا تخطىء طريقها النجوم باهدى سبيلا من القرآن بل لم تكن الاضواء التى ترسلها النجوم الى الابصار غير قبس ضئيل مما ترسله هداية القرآن للبصائر والقلوب ، وكلاهما صنعة الله وكلامه وهديه ونظامه .

وكأنما اتخذ القرآن القسم بالضوء الظاهر للدلالة على النور الباطن ، وجاء بالمحكم الواضح ليكون سبيلا لتأكيد الخفى المتشابه . ولما لم يكن أوضح فى العيون من الضوء مع بعد مكانه وخفاء سره فقد كان القسم به دليل صدق الكتاب المسطور فى لوح الغيب المستور .

اتجاه علمي :

ولم يلق الاسلام بالا الا لما هو فى النجوم حق وعلم ، ولم ينظر القرآن اليها فى مواضع القسم أو فى غيرها من آياته الا بجريانها فى أفلاكها ومطالعها وتهورها وانصبابها وترفعها ، ولم يزل الصدق فيما مس القرآن والحديث به النجوم قائما مع تغير علم الهيئة عند الناس وانقلابه واختلافه عما كان عليه قديما واتساعه .

وقد جرى علم الفلك عند العرب وغيرهم مجارى طويلة وتبعه الادب العربى خاصة فى أشواطه فتحدثا معا عن النجوم واشكالها واجتماعها وتفرقها ومطالعها ومغاربها واضوائها ومنافعها ، وما صنعه علم الفلك قضايا اتخذه الأدب تشابيه وتخاييل ، وكأنما لم يترك العلم ولا الشعر نجما تراه العين الا رصداه ، ولم يدعا أرضا الا صورا سماءها واجريا عليها كل ما يمكن أن يطلع عليها من انواء وما يسيل فى مساربها من جدوب وغيوث . وكأنما استنفد الشعر العربى طاقته فى هذا المجال فلم يعد لشعراء العرب اليوم من قدرة على وصف منظر واحد من مناظر السماء .

ولم يأل القرآن نصحا فى أن يسوق الناس الى تتبع النجوم ومواقعها وحبك السماء وبروجها ومنازل القمر حتى يبلغ عرجونه وجريان الشمس حتى تستوى فى مستقرها . ولم يكن القسم العظيم بمواقع النجوم الا قضية جامعة خطيرة لا تطلب عين الغافل ولا تدق باب الجاهل وانما تنادى قلب العالم وتنبه عين الساهر . ومتى صار الى الراسخين فى العلم منهم علم الافلاك ومسالك النجوم تحقق الشرط الذى شرطه القرآن فى ادراك عظمة القسم والتحقق منه فى قوله سبحانه « وانه لقسم لو تعلمون عظيم » وكأنما لن يتم ذلك الا اذا صار العلم بالنجوم ومسالكها علما اكيدا وادراكا وثيقا .

ولقد كان وصف القرآن للدرارى السيارة بقوله « الخنس الجوار الكنس » تنبيها على ما يراد لها من الرجوع والاستقامة والاعتدال والميل والانصباب والتهور ، وكذلك كان تنبيها الى غيرها من النجوم الثابتة التى لا تتحير ولا تسير .

وادراك عظمة القسم فى آية الواقعة جاء معلقا على العلم فكان حثا من القرآن على علم النجوم والبحث عن مسالكها وافلاكها ، كما كان ادراكا من الغيب بأن هذا الزمن لا بد آت، فاذا آن أوانه وحل زمانه ادرك الناس قيمة العظمة التى أخبر بها القرآن واقسم بها الفرقان .

ولعل الناس فى زماننا يظنون أنهم وحدهم الذين اشتاقوا الى بلوغ النجوم وركوب متن الفضاء ، ولكن الانسان كان كلما ازداد علمه تاق الى بلوغها واشتاق الى ركوبها . ومن أعجب ما يصل القديم بالجديد ويعرض فكرة الانسان ولهفته التى لم تخمد فى الشوق الى الرحلة للفضاء قول أخوان الصفا قديما :

« ان العاقل اذا نظر فى علم النجوم وفكر فى سعة هذه الافلاك وسرعة دورانها وعظم هذه الكواكب وعجيب حركتها وأقسام هذه البروج وغرائب اوصافها تشوقت نفسه الى الصعود الى الفلك والنظر الى ما هناك معاينة » .

ولكن لما كان الانسان لم يصل بعد الى الآلة التى تحمله والوقود الذى يسلك به الفضاء والزمن الذى يقضيه فيه فقد يئس اخوان الصفا كما يئس الذين من قبلهم أن يبلغوا الى ما هنالك فقالوا « ولكن لا يمكن الصعود الى ما هناك بهذا الجسد الثقيل الكثيف» وحسبوا أن الصعود لا يكون الا بعد الموت بعد أن تخف الاجساد من سوء أفعالها وفساد آرائها وتراكم جهالاتها ورداءة أخلاقها .

فما لبث الزمن وما لبث الذكاء والعلم أن حققت كلها امنية الصعود أو أوائلها ، محاولة أن تصل بجسد الانسان الى النجم دون ترك الآثام وطرح الجهالات لان طريق الوصول أصبح آليا لا روحيا وبلوغ النجوم صار منطق علم لا منطق اخلاق ، وربما بطل ما زعمته الحكماء والصوفية معهم من أن الافلاك لها نفوس مضيئة لا توصف بالنقص ولا الزيادة وهى تتحرك عن شوق لطلب الكمال .

وربما استوى فى ادراك العظمة والاقرار بها الوصول الى معرفة آماد النجوم وحقائقها والعجز عن الوصول اليها ، ولقد بات بين الظهور — بعد المحاولات المضنية — ان الوصول يحتاج الى أزمنة مفرطة فى الطول بالغة فى المشقة ثم يصيبها العجز بعد العجز، ولا يدرى أحد — حتى علماء الفضاء انفسهم — متى يكون الوصول . غير انه لا بد من الوثوق بأنه لا حياة لنا الا على وجه الارض التى خلقنا منها مهما نفرت خيالاتنا من جاذبية الارض وحاولت العقول والعلوم أن تخرج منها وتبتعد عنها .

وفيما عدا النظائر الثلاثة التى وردت على اسلوب قسم فى القرآن وردت آيات أخر للبروج والمنازل والمنافع وانتصاب النجوم علامات للسير ودلالات للهداية كقوله — سبحانه — « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » وقوله « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر » . كما ان مطالع الدرارى فى البروج وتقلب القمر فى المنازل وجريان الشمس فى مستقرها — كل ذلك يقوم دلالات على أوقات الغرس والزرع والنماء والحصاد ونظم الادخار والاقتصاد ، وعلى حركات الفصول والرياح والبرد والحر .

ولم تكن الابرة المغنطة وحساب الاتجاهات التى تسير عليها السفن منذ كشوف الحضارة ، وتشق بها الطائرات عباب الجو فى زماننا الا اهتداء بالنجوم وتقلبا مع ترددها طالعة وغاربة ومقبلة ومدبرة ومشرقة ومغربة ومعتدلة ومائلة ، فهى أصل من أصول الحساب لاختراق العباب أو شق السحاب .

باطل النجوم :

ولقد تنزه القرآن أن يرتطم بباطل النجوم وافكها ارتطام بعض الفلسفات أو سائر الخرافات، بل أزرى بكل ذلك ولم يهتم الا بما هو حق وعلم . اما ما اتجه اليه العرب والمسلمون بعد من صلة الكواكب بمرام القدر ورمى القضاء فانه لم يكن قط تأثرا بمسلك القرآن واتجاه فكره ، اذ لم ير فيما يدعيه الناس من ذلك سوى تعلة مبطل وكذبة متخيل .

والحق أن العرب والمسلمين حين اتجهوا الى النظر فى النجوم سلكوا الى غرضين اثنين :

اما الى علم أحوال الكواكب فى اختلاف مسيرها ووقوفها وطلوعها وغروبها واقترانها وتباعدها ، وصار لهم فى هذا النظر ما يفتح القلوب ويشرح الصدور ويشوق النفوس ويبعث فيها قوة الايمان ويسوق اليها دليل التوحيد .

واما الى ما لم يرده القرآن ولم يهتم به من تقليد اليونان وغيرهم فى اقتباس الاحكام لما يستقبل من الحادثات بأسباب من نماذج صور الكواكب واختلاف اشكال الفلك وصلة ذلك بالقدر والقضاء ، وهو أمر شديد التعب قليل الدرك ، وخطؤه أكثر من اصابته ، واصابته اضر من الجهل به . وكان هذا الاول الذى اتصل به العلم — وهو ما قصد اليه القرآن — هو الذى أفاد التعجب واستكثر من العبرة ، كما كان ارخى للبال واحسن عند الاختيار .

وهكذا افترق الامر عند المسلمين ، فمهما كانوا قد انعطفوا على نبش الافكار اليونانية وتأثير الكواكب بطبائعها التى تخيلوها وغالوا فى الاستدلال بدوران الفلك — فى نظر القدماء — وطوالع البروج ، وفعلها فى الكائنات قبل وجودها تحت فلك القمر — كما كانوا يقولون — ومهما اتخذوا من علم احكامها التجديف بكمية أعمار المواليد والحدس بطول البقاء او قصره فى عالم الكون والفساد — مهما كانوا قد عادوا الى هذه الاباطيل فقد أبطل الاسلام اتخاذ الدلالات من الكواكب على اعداد معلومة من الساعات والايام والشهور والسنين ، أو على حظوظ مختلفة من السعود والنحوس او الموت والحياة .

وربما كان الذين أولوا قوله تعالى «فالمدبرات امرا» بالنجوم وآثارها فى الاعمار والحظوظ قد تجاوزوا فى التأويل أو انحرفوا عن الدليل فان القسم بمواقع النجوم كان اتجاها خالصا نحو العلم والحقائق ، ولم يكن اتجاها لخرافات التنجيم وصناعة ما يقال عن حركات الاشخاص العلوية وتأثيرها فى الاشخاص السفلية ، وهى كلها ضروب من الحدس والظن والاوهام والاباطيل .

وحتى اذا صدق تأويل الدرارى السيارة بتدبير الامور فان ذلك التدبير لا يعنى غير احداث النظام الرتيب من سير الزمن ومنافع الناس تبعا لاختلاف الفصول وتغير الجواء وتقدير التقاويم . ومن ثم لم يجز اتهام الفكر الاسلامى بالخوض فى باطل النجوم وقد برىء القرآن كله والحديث كله من هذا الخوض بل انكره وحطم أثره فى نفوس معتقديه ، ولقد كان وعظا صارخا ما نبه اليه الرسول الكريم يوم موت ابنه ابراهيم وكسفت الشمس فظنها الناس من أجل موته ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله — عز وجل — ولا ينكسفان لموت أحد فاذا رأيتموهما فعليكم بالدعاء حتى ينكشف » أو قال « ... ولا ينكسفان لموت احد ولا لحياة أحد فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى المساجد » .

فالعلم بالنجوم ومواقعها واقترانها وتفرقها ومعرفة مواضعها فى البروج والمنازل انما هو باب اكتساب من العلم للانسان وتكلف منه وجد واجتهاد ، وهو لا يمت فى شىء الى ما يقترفونه من الادعاء بمعرفة الغيب لان علم الغيب لا يكون باستدلال ولا علة ولا سبب من الاسباب ، وهذا لايعلمه منجم ولا كاهن ولا نبى ولا ملك ، الا الله وحده الذى احتفظ لنفسه بعلم الغيب فلا يطلع على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول .

وأبطل ما فى باطل المنجمين دعواهم بأن نظر الحكماء فى علم النجوم وبحثهم عن اسراره فيه ارضاء لنفوسهم واستعانة به على التوقى والحذر ، وهو احتجاج من اللغو وكلام من الباطل لا نفع فيه ولا ثمرة له ، لأن النجوم اذا كانت فاعلة فلا وقاية منها ولا خروج عليها لانها سائرة فى طريقها رضى الناس أم غضبوا ورجوا أم سكتوا .

وقد اجمع الفقهاء واصحاب الحديث على النهى عن النظر فى هذا النوع من علم النجوم ،

ولم تقم ضد هذا النهى حجـــة ولم ينهض للتهوين من شأنه دليل .

اختلاف المواقع :

وليس من شك فى ان ابعـــد النجوم المدمه - حتى للعقل والعلم - كانت احـد المرامى التى قصد اليها القرآن وبـه على شانها فى قسمه بمواقع النجوم، تلك الابعاد التى يحاول عصرنا - بما وصل اليه من ذكاء فى تسخير القوى واشعال الوقود - أن يصل الى اقربها ، وما زال يسعد ويجرب منفقـا كل ماله وذكائه وقواه حتى حرم الناس جميعا من حاجاتهم لكى يعرف بداية الابجدية عـن الفضاء الكونى ثم عن الكواكب والنجوم .

ولعل القرآن قد اضـــاف الى المراد من مواقعها اختلاف افلاك الكواكب المتحيرة منها على الراسب الثابت دون أن يزحـم كوكب كوكبا أو يصطدم به ، وانما هى تجرى فى خلاء ممتد الى ما لا يستطيع الحســـاب أو الخيال أن يدركه ، بل العـلم متردد فى أن يحسب له نهاية او يفترضه مستمرا فلا يقف به عند غاية .

ولعله اراد بمواقعها اوقات ظهورهـا من كل ليلة وكل سنة والازمنة القصيرة والطويلة حيث تقاس المسافات والازمنة بهـا ، ولولا تغيرها بين الظهور والغياب لما عرفت عندنا الازمان ولا رؤيت الالوان ولا قدرت الابعاد والاركان - مع أن احدا لم يشهـد الدرارى المتحيرة مجتمعة كلها قط لانها لا تجتمع الا فى الندرة وفى الازمنة الطوال التى تقدر بالملايين - واما فى اكثر الاوقات فهى متفرقة فى البروج سابحة فى الافلاك مختلفة بين الدرجات .

ثم لعله أريد بموقعها الحكمة من بعدهـا عن مراقب الاحداق وملامس الابدان ، فـان سرعة دورانها - دورانا ظاهريا لها من حيث قد ثبت بأن الارض هى التى تدور - لا يكاد يحس به الرائى المحدق ولا اللامس القريب لبعد النجوم عن العيون والجسوم بعدا سحيقا، ولو كانت قريبة لاختطفت لابصار بوهجهـا واشعتها ، وادارت الرءوس بسرعتها وشدتها، بل ما ثبت راء فى مكانه ولا استمر نجم فى دورانه .

ولما كان من النجوم ما يظهـر وما يختفى وما يسبق وما يلحق وما يسرع وما يبطىء وما يقف وما يتحير ، صار الاختـلاف امرا يجمع المصلحة ويقضى الارب اذ لم تصر كلها راتبه او كلها متنقله لئلا تبطل الدلالات على البروج والمنازل والفصول والسنين ، لانهـا انما تقاس بسير المتنقل ومروره على الراتب .

ومن ذلك كله تبلغ المعجزة الباهرة مكانهـا الذى عبر عنه القرآن بالمواقع واقسم بعظمته واشترط لادراك عظمة القسم أن يتعـرض له العلماء المؤمنون ، فاذا أدرك العلماء المواقع وعرفوها وأدركوا مباعدها وحسبوها كـان ذلك اقرارا بالحكم الذى أخبر الله به سبحانه فى قسمه بمواقع النجوم .

ولقد حاول القدماء ان يوجـدوا عللا من الحكمة لاعداد البروج والافـلاك والدرارى ، ولكنها كانت بداية محاولات لادراك الحكمة فى خلق السموات ومواقع النجـوم ، غير ان المسلمين زادوا برصد المواقع تقدير الجهات التى تحيط بالبيت الحـرام حتى يتسنى للناس من ارجاء الارض ان يستقبلوه عند كل صلاة ، فقدروا اتجاهات القبلة فى كـل وبر ومدر وبر وبحر . الا انه بات على المسلمين ان يفكروا كيف يكون الاتجاه لو دار المسلم فى الفضاء او سكن السماء ؟.

السماء الدنيا :

وقد ذكر القرآن السماء الدنيا فى عـــدد من آياته عارضا زينتها وبروجها وطرائقهـــا بقوله ((ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح)) وقوله ((ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين)) وقوله ((والسماء ذات الحبك)) فربما كانت السماء الدنيا هى كل هذه الصفحة المشاهدة بالعيون المجردة أو المرئية بالمناظر.

ومن الحق - كما قال بعض العلماء - انه لم يثبت مدلول ينتهى عنده تحديد السماء الدنيا، فما زال الناس فيه على خلاف ، وربما اثبته العلم وغزو الفضاء بعد ، أما الآن فلا هو

محدود بمجموع كواكب الشمس ولا بنات المجرة ، فما زال أمر السماء الدنيا وأمر السموات السبع من المتشابه ذى الاحتمالات، وربما رده العلم الى المحكم غدا فاستقر بيانه اذا ثبت برهانه .

والمتشابه لا يعلم المراد بظاهره ولا يتعين تأويله حتى يقترن به ما يدل على المراد منه بقاطع الدليل ، وذلك لاشتباه معانيه واحتماله فيها وجوها ، وقد ابتلى الله العباد بالمتشابه فلا يجوزون به عن الحق الى الباطل ، كما ابتلاهم فى الحلال والحرام . والمتشابهات لا يتضح مقصودها الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على أن يجتهدوا فى تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد منها فينالوا بها وباتعاب القرائح فى استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالى الدرجات .

ويقول البيضاوى فى تفسيره « وذلك لايكون الا برد الوجوه الى وجه واحد وابطال الباقى فيصير المتشابه محكما ، وبه يظهر فضل العلماء لانه لو كان واضحا لم يظهر فضل بعضهم على بعض . وهكذا من يصنف تصنيفا يجعل بعضه واضحا وبعضه مشكلا ويترك للجماعة موضعا ، لأن ما هان وجوده قل بهاؤه » .

ولم يعد غائبا عن أحد أنه قد ثبت — من الجهود المضنية المبهظة التى تبذلها البشرية اليوم لقياسات مباعد الفضاء ومعرفة كنهه قبل الوصول الى أقرب كوكب — أن الزمن المحسوب على الارض ان هو الا جزء متناه فى الصغر لازمنة طويلة أو لغير ما يسمى بغير الازمنة لانه لا نهاية لاطوالها ولا أواخر لاوائلها .

ومن قبل هذه الكشوف لم يهمل القرآن ولا اللغة الدلالة على مصطلح اليوم الذى قيس فى اللغة مرة بعهد من التاريخ ربما انتظم مئات السنين ، وقيس فى القرآن مرة بانه كألف سنة او خمسين الفا مما نستطيع أن نعد أو نعرج ونرقى . فهو هناك لا يقاس بيومنا ولا دورة أرضنا ولا تحير النجوم من حولنا .

وثبوت هذه الحقائق بتقدم العلوم الحاضرة جدير أن يجبر العلماء فى كل مدنيات الارض على الاعتراف بصدق أحكام القرآن — مهما كانت مجملة موجزة — وبدلا من أن يكون علم النجوم مدعاة للالحاد وجب أن يكون مدعاة للايمان ، وبه قد صار للقرآن اعجاز دائم التجدد مستمر القوة رائع الدليل .

وقديما قال اخوان الصفا :

ان أكثر أهل زماننا الناظرين فى علم النجوم شاكون فى أمر الآخرة متحيرون فى أحكام الدين جاهلون بأسرار النبوات منكرون البعث والحساب ، فدللناهم على صحة أمور الدين من صناعتهم واحتججنا عليهم من علمهم ليكون أقرب من فهمهم وأوضح لتبيانهم .

ولهذا زجروا عن باطل النجوم ، وقد أورد التوحيدى فى مقابساته علة الزجر عن النظر فيه فقال « لئلا يكون هذا الانسان مع ضعف مخيلته واضطراب غريزته ظانا بأنه ما يأتى فى شأنه قائم بجده وقدرته وحوله وقوته ، فان هذا النمط يحجز الانسان عن الخشوع لخالقه والاذعان لربه ويبعده عن التسليم لمدبره ويحول بينه وبين طرح أمره بين يدى من هو أملك له وأولى به » .

ولكن عقلاء العلماء قد اتخذوا سبح الكواكب فى الافلاك والقمر فى المنازل والشمس فى البروج ، والسرعة فى السير والبطء فى الحركة ، والوقوف والاستقامة والرجوع ، وكل الاتصالات والاقترانات والانصرافات والاحترافات — اتخذوا من ذلك كله — ومعهم الفكر الاسلامى — قواعد لانشاء التقاويم واستخراج التواريخ ثم كان هذا كله قاعدة بنى عليها الناس علم النجوم ثم زادوه قوة وسعة بما حصلوا عليه من نمو الذكاء وافتنان العلم ففاق عرفانهم كل ما سبق عرفانه ومات زمانه .

العمد والتدبير :

وكما أن الله ـ جل شانه ـ لم يترك الانسان دون أمر ونهى يبدبر امره ويعظم ملكه فانزل القرآن من لدنه بهذا التدبير والتنظيم ، فكذلك لم يدع الله النجوم مهملة فتسير لها أو تثبت كنها ، بل سير منها ماسير وأوقف ما أوقف ، ليدل ذلك على عمده وتدبيره فى كل اطراف ملكه وارجاء محتوياته

والذين قالوا ـ أو يقولون ـ ان اختلاف مواقع النجوم كان امرا مهملا من غير عمد ولا تدبير وانما هو طبيعة تسير لم يكونوا الا غافلين ، اذ ليس الاهمال ـ كما قال المعتزلة وشيخهم الجاحظ ـ الا معنى واحدا ، فكيف يصير بحركات مختلفةوتقادير متباينة وأوزان متفاوتة ، مع حكمة بالغة فى نظامه ودقة فائقة فى اتساقه وانسياقه !؟

وقد قال بالاهمال جماعة من المبتدعة القدماء ، ومما لا شك فيه ان مبتدعة عصرنا سيقولون به ، بل هم قد قالوه ، وقد قال العابثون منهم ان مراكب الفضاء لم تجد الله فى الفضاء الذى اجتازوه ، وسيقولون أكثر مما قالوا عند كل كوكب يلجون بابه أو يسلكون أسرابه ، وكأنما وكل الى علم النجوم ان يأخذ بأهله الى الانحراف ويذهب بهم مذاهب الالحاد، وليس لذلك من سبب الا اغترار علماء الهيئة بما يصلون اليه من ادراك ما لم يدركه غيرهم ، أو لما يدعيه اهل باطل النجوم من انهم وصلوا الى أبواب الغيوب .

وأول ما يجب أن يعرف أن الاينية منفية عن الذات ، وهى من قضايا الاسلام الكبرى ، وقد وكل اليها أن تبعد العقول وتطرد الظنون عن أن تدرك هذه الذات مهما بلغ الانسان اقصى السموات وأبعد المجرات ، فالله ـ سبحانه ـ يجل عن الاين والمكان ، وكل ما يقع تحت ادراك الانسان وعلمه أو حدسه وظنه فانما هو من مخلوقاته وبعض ممكناته .

بل ان فى اختلاف النجوم بين راتب ومتحير ومستقيم ومائل مع اتفاق اجتماعها وافتراقها فى الافلاك المتباعدة بحيث لا تنحرف ولا تصطدم لدلالة أكيدة على أنها كون واحد لخالق واحد « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » ولو لم يدركها تدبيره وحده وحسابه بمفرده لفسدت الاحكام وانهدم النظام .

ولقد كان فى الارتباط الملموس فى آيات النظائر بين النجوم والقرآن وهدايتهما للابصار والبصائر اكمل دليل على أن خالق النورين واحد ، بل هو خالق الظلمة والنور وحيرة الكواكب ووقوفها ، وتحول الزمن على الارض وانعدامه على النيرات .

ثم هو خالق القلوب وتقلبهـا ، ومبدع حيرتها وثبوتها وكفرها وايمانها ،ولم يكن هذا الابداع فى الخلق الا باعثا على وجوب طاعته والاقبال على عبادته لصدق ما دل به على العمد الذى أراده والتدبير الذى شاءه ليتم صلاح الكون وتستقيم حياة الكائنات .

وكأنما أقسم الله بمواقع النجوم على أن القرآن من عنده لما بين النجوم والقرآن من شبه وقربى ، فكلاهما ـ مع انه يهدى ـ يطرح شعاعاته الى جميع درجات الفلك ونواحى اتجاهاته فيضيئها يملؤها نورا . على أن القرآن اتم من النجوم هداية وأقوى نورا ، اذ تتفاوت أضواء النجوم على مناسبات الارض بقدر طلوعها ومرورها ، أما القرآن فلماكان كله قريبا مقيما كان أعم هداية وأغمر نورا .

ولما كانت حقيقة النور غير مدركة فربما كان الاتصال بين القسم والمقسم به لهذا الامر الروحانى الذى هو النور المنبعث بارادة الله وصنعه فيعم الابدان والارواح والكواكب والآيات ، وليس النور ـ مهما اختلفت ألوانه وافترقت آثاره ـ الا أصلا واحدا ومنبعا فاردا .

خاتمة تناول موجز بحث

مالا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

الآن وبعد أن عرضت مجلة منبر الاسلام على قرائها هذا البحث فى أعداد بلغت أربعة عشر شهرا رأيت أن أعرضته موجزا عرضا يلم بأطرافه ، خشية أن يكون بعض السادة من قراء المجلة لم يتيسر له الاطلاع على كل فصوله ، وهى فصول آخذ بعضها برقاب بعض ، فيشكل عليه المراد من هذا البحث ، أو يظن كما ظن بعضهم أن فيه ما يمس الاسلام ... والاسلام برىء من كل عيب .

فنقول : جماع هذا البحث يتركز فى أن الاسلام جاء نقيا صافيا ، فاعتنقه المسلمون الأوائل ، وكانوا اخوانا متحابين ، يجمعهم ما أجمع عليه المسلمون ، وما جاء نصا فى كتابهم الكريم فهو لايحتمل التأويل واذا اختلفوا فيما وراء ذلك عذر بعضهم بعضا .

ولم يعب أحد على أحد رأيه حسب اجتهاده بل بلغ من أدب بعضهم مع بعض أنه كان ينهى أتباعه عن أن يأخذوا برأيه دينا يلزمون به أنفسهم ، على انه دين الله لا غير .

قال الامام المزنى صاحب الامام الشافعى فى أول مختصره المشهور مانصه : اختصرت هذا الكتاب من علم (محمد بن ادريس) رحمه الله تعالى (الامام الشافعى) ومن معنى قوله : لأقربه على من أراده مع اعلامى له بنهيه عن تقليده وتقليد غيره ، لينظر فيه لدينه ، ويحتاط لنفسه ، وبالله التوفيق .

ولم يرض الامام مالك رحمه الله تعالى لهرون الرشيد أن يجبر جميع المسلمين على العمل بكتابه (الموطأ) مع شدة تحرى الامام مالك فى روايته له ، وموافقة علماء المدينة عليه ، وعلل الامام مالك رفضه هذا بقوله : ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا فى البلاد ، وقد يكون عند بعضهم من الأحاديث ما لم يبلغنى ، ولو بلغنى لغيرت شيئا مما دونته .

ولهذا كان الامام المجتهد ينهى من يستفتونه أن يتخذوا فتواه دينا يقلدونه ، أو ان يجعلوه سببا للتفرقة ، وعلى هذا كان بعضهم يعمل باجتهاد غيره ترخصا ، أو موافقة لجماعة المسلمين .

ومن هذا ما روى عن الامام احمد رضى الله عنه أنه كان يرى أن الحجامة ، أو الفصد تنقض الوضوء ، فسئل عمن رأى الامام احتجم ، وقام الى الصلاة ، ولم يتوضأ ، هل يصلى الامام احمد خلفه ؟ فقال : كيف لا اصلى خلف مالك ، وسعيد بن المسيب ؟ وذلك لأنهما يريان ان الحجامة والفصد لاينقضان الوضوء .

وكان أبو حنيفة رحمه الله وأصحابه يرون الوضوء من خروج الدم ، ولكن أبا يوسف (صاحب أبى حنيفة) رأى هرون الرشيد احتجم ، وصلى ، ولم يتوضأ .

وكان مالك أفتى هرون بأنه لا وضوء عليه اذا هو احتجم ، فصلى أبو يوسف خلفه ، ولم يعد الصلاة .

وروى ان الشافعى رحمه الله ترك القنوت فى الصبح لما صلى مع جماعة الحنفية ، فى مسجد امامهم بضواحى بغداد ، وذلك أنه لم يرد أن يخالف جماعة من المسلمين مخالفة عملية ، فى مسأله اجتهادية غير قطعية ، فان اختلاف الظواهر من أسباب اختلاف البواطن .

وسئل الشافعى من أحد اتباعه ، اذا رأيت حنفيا توضأ ، ثم مس عورته ، ثم قام ليؤم الناس : هل أصلى وراءه ؟ فقال : نعم ، صل ، فقال ولو كنت أنت ، هل تصلى وراءه ؟ فقال : نعم ، وكيف لا أصلى وراء أبى حنيفة ؟

وجاء فى هذا المعنى قول ابن عباس رضى الله عنه : ما من عالم الا يؤخذ من علمه ، ويترك ، الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان ابن عباس تعلم الفقه من زيد بن ثابت ، وقرأ على أبى بن كعب ، ومع ذلك خالفهما فى كثير من مسائل الفقه ، وقال بعض السلف ما جاءنا من رسول الله قبلناه على العين والرأس ، وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال ، واذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرض ، فالاعتماد على الكتب أبعد .

كان هذا هو مسلك السلف يحذرون التفرق ، ويبتعدون عن أسبابه خضوعا لقول الله تعالى : « ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » : ١٠٥ من سورة آل عمران . وقوله « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » ١٥٠ ن سورة الانعام . وخضوعا لقول رسولهم صلى الله عليه وسلم : روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يأيها الناس ، ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : أفى كل عام يارسول الله ؟ فسكت صلى الله عليه وسلم ولم يجبه ، حتى كررها الرجل ثلاثا ، فقال صلى الله عليه وسلم : لو قلت نعم ، لوجبت ، ولو وجبت لما استطعتم ، فيا ايها الناس ، دعونى ما تركتكم فانما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فاذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه ، واذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم » وقوله صلى الله عليه وسلم فيما صححه الحاكم من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ما أحل الله فى كتابه فهو حلال ، وما حرمه فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو ، فاقبلوا من الله عافيته ، فان الله لم ينس شيئا ، ثم تلا صلى الله عليه وسلم « وما كان ربك نسيا » .

وأخرج الدار قطنى من حديث أبى ثعلبة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم فلا تبحثوا عنها » .

وفى هذا المعنى ما ورد عن الصحابة والتابعين ، رضى الله عنهم فعن عبد الله بن عمر أنه قال : لاتسألوا عما لم يكن ، فانى سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يلعن

السائل عما لم يقع ، ويقـول : أحرم عليكم أن تسألوا عما لم يقع ، فان لنـا فيما وقع شغلا . وعن زيد بن ثابت ، وأبى بن كعب، وعمار بن ياسر ، رحمهم الله ، انهم كانوا اذا سئلوا عن شيء يقولون : هل حصـل هذا ؟ فان قيل : لا ، قالوا دعوه ، حتى يقـع .

قال الغزالى : انه يجب على المفتى أن يكون اعتماده على بصيرته ، وادراكه بصفاء قلبه ، لا على الكتب ، ولا على تقليد مايسمعه من غيره ولا يقلد الا صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم ، فيما أمر به ، أو قاله ، ويقلد الصحابة من حيث أن فعلهم يدل على سماعهم من النبى صلى الله عليه وسـلم ، بشرط أن يكون حريصـا على فهم أسرار مابلغـه عن الرسول ، صلوات الله عليه ، وعن أصحابه رحمهم الله لأنه اذا اكتفى بحفظ مايقال كان مجرد وعاء للعلم ، ولا يكون عالما ، ولذا كان يقال : فلان من أوعية العلم ، لا من العلماء ، فلا يسمى عالما من كان همه الحفظ ، من غير نظر الى أسرار الحكم .

وهكذا كان حال السلف الصالح ، فهـل سار الخلف على طريقتهم ، وسلكوا سلوكهم ؟ نقول : كلا ، والأسف يمزق قلوبنا ، فهل كان من سلوك السلف أن يقول بعض أتبـاع أبى حنيفة مثلا : لايجوز لحنفى أن يتزوج بشافعية لأنها تشك فى دينها ، أو يمتنع شـافعى من الصلاة خلف حنفى ، لأنه يشك فى أنه قد يكون مس عورته بعد الوضوء ، الى غير ذلك من الصـور المحزنة التى تفيض بها كتب المتأخرين .

فينبغى عدم السير وراء متعصبى المذاهب، لأن منهم من عمدته العمـل الذى وجده فى بلده ، فجعل ذلك هو السنة ، دون ما خالفه مهما كان دليله ، مع العلم بأن النبى صـلى الله عليه وسلم قد وسع فى ذلك ، فكل سنة.

وقصـارى القـول : ان الذى يجب على المسلمين اتباعه ، ليجتنبوا أسباب التفرق الذى مزق كلمتهم ، وفرق وحدتهم ولم يغشهم دخانه الكثيف الا بعد القرن الخامس الهجرى ، أن يعلموا أن دين الله يسر ، وأن الله لم يجعـل عليهم فى دينهم حرجا ، وأنه لايجوز لمؤمن بهذا الدين أن يهمل واجبـا أوجبه الله بنص قاطع ، أو يرتكب جرما نهى الله عنه بنص قاطع أيضا ، وأنه لايجوز لمسلم أن يخاصم مسلما فيما وراء ذلك ، واذا رأى اختلاف العلماء فى مسائل اجتهادية ، فانه يجوز له أن يفعل ما تميل اليه نفسه ، من غير أن ينكر على غيره ، وأن كل مسلم عليه أن يعطى كل ذى حق حقه ، وأن يوسـع ما وسـع الله ورسوله ، ومن هذا اليسر ماجاء عن السلف الصالح أنهم كانوا يصلون على الجنازة بقراءة الفاتحة ، وبغير قراءتها كما كانوا يصلون تارة بالجهر بالبسـملة ، وتارة بغير جهر ، وتارة باسـتفتاح ، وتارة بغير اسـتفتاح ، وتارة برفع اليدين فى المواطن الثلاثة (عند الركوع ، والرفع منه وعند السجود) وتارة بغير رفع ، وتارة يسلمون بتسليمتين وتـارة بتسليمة واحدة وتارة يقرءون خلف الامام سرا وتارة لايقرءون ، وتارة يكبرون على الجنازة سبعا ، وتارة خمسا ، وتارة أربعا ، وكل هذا ثابت عن الصحابة ، كما ثبت عنهم أن فيهم من كان يرجع فى الأذان ، وفيهم من لايرجع وفيهم من يوتر بالاقامة ، وفيهـم من كان يشفعها ، وهذا كله ثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم .

فهذه الأمور ، وان كان بعضها أرجح من بعض ، فمن فعـل المرجوح لم يفعل حراما على أنه قد يكون فعـل المرجوح فى بعض الأحيان أرجح ، اذا كان فى مصلحة راجحة ، كما فعل الشافعى ، والامام احمد ، وأبو يوسف صاحب أبى حنيفة ممن تقدم ذكرهم فى هذا المقال .

ويجب أن يعلم أن خير الكلام هو كلام الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الله بعثـه رحمة للعالمين ، فلا يكون فى دين من بعثـه الله رحمـة للعـالمين عسر ولا حرج .

هدانا الله تعالى سواء السبيل ، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

ايلاف قريش

الأستاذ مصطفى السقا

فى القرآن الكريم سورة ترجمتها « سورة قريش » ، ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

(لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)

وهذا المقال لتفسير معنى (الايلاف) الذى اختص الله به قريشا ، وامتن عليهم فى كتابه بأنه هداهم اليه ، وطالبهم من أجله بعبادة رب البيت ، اعترافا منهم بنعمه المتتالية عليهم ، وأخصها : الغنى بعد الفقر ، والأمن بعد الخوف ٠

أما الغنى بعد الفقر فبما صار اليهم من مكاسب التجارة التى آلفهم اياها ، فواظبوا على رحلتى الشتاء والصيف ، الى الجنوب تارة ، والى الشمال أخرى ٠

وأما الأمن بعد الخوف فبما وقر لقريش فى نفوس العرب من تقدير وحرمة ، لأنهم أهل الله ، وجيران حرمه ٠ فسهل عليهم المرور بمتاجرهم فى أنحاء الجزيرة : شرقها الى فارس ، وجنوبها الى اليمن ، وشمالها الى الشام ، لاتتعرض لهم القبائل فى مسيرهم ، ولا تتقاضاهم رسوما ولا مكوسا ، بل كانوا يخفرونهم حتى يبلغوا مأمنهم ، أنى ذهبوا ، وحيثما ارادوا ٠ وتفسير الأمن بعد الخوف

على هذا الوجه ، هو مذهب الكثرة الغالبة من المفسرين للكتاب العزيز .

وترى قلة منهم أن الأمن من الخوف مرتبط بالسورة التى قبل سورة قريش وهى « سورة الفيل » ، وأن الله قد عصم قريشا وأهل مكة ، من غارة أهل الحبشة حين أرادوا دخول مكة ، وهدم الكعبة ليأخذوا حجارتها ، ويبنوا بها كعبة أخرى فى أرض اليمن . يحج أهل الجزيرة وغيرهم اليها . وذلك فى العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين كان سيد البطحاء عبد المطلب بن هاشم قيما بأمر الكعبة .

قال الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم . (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، الم يجعل كيدهم فى تضليل ، وارسل عليهم طيرا ابابيل . ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول) .

وقد زعم بعض المفسرين أن السورتين كانتا سورة واحدة .

قال الزجاج : والمعنى فجعلهم كعصف مأكول ، لايلاف قريش ، أى أهلك الله أصحاب الفيل ، لتبقى قريش وما قد ألفوا من رحلتى الشتاء والصيف . وظاهر - على هذا الرأى أن اللام فى « لايلاف قريش » متعلقة بجعلهم كعصف .

وقالت طائفة أخرى من المفسرين ، وهم الاكثرون : انهما سورتان ، مستقلة احداهما عن الأخرى . قالوا : واللام فى (لايلاف) متعلقة بقوله تعالى : « فليعبدوا » وتقدير المعنى عندهم : ان لم يعبدوه لسائر نعمه ، فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة . وممن أيد هذا المعنى : الخليل والزمخشرى .

وقالت طائفة منهم الكسائى والأخفش : اللام فى (لايلاف) لام التعجب ، أى : أعجبوا لايلاف قريش ، كأن المعنى : اعجبوا لهذا الأمر الجليل الذى اختصت به قريش .

أما لفظ (الايلاف) فهو مصدر من الالفة، بمعنى لزوم الشىء والتعلق به . وقد جاء على السنة القراء بصور مختلفة ، وكلها صحيح :

١ - قرأ عامة أهل الأمصار - كما يقول الطبرى فى تفسيره - « لايلاف قريش ايلافهم، بياء بعد همز ، سوى أبى جعفر يزيد بن القعقاع قارىء أهل المدينة ، فانه وافق غيره فى « لايلاف قريش » فقرأه بياء بعد همزة .

٢ - واختلف عنه فى قوله (ايلافهم) فروى عنه أنه كان يقرؤه : الفهم ، على أنه مصدر من ألف يألف الفا .

٣ - وحكى بعضهم عنه أنه كان يقرؤه (الافهم) بغير ياء .

قال الطبرى : والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأه : (لايلاف قريش ايلافهم) . وعلله باجماع من يحتج بقراءته عليه .

ثم قال فى بيان ذلك من ناحية اللغة :

وللعرب فى ذلك لغتان : آلفت ، وألفت . أى على فاعلت ، وفعلت . ومن قال : (آلفت) بمد الألف قال : فأنا أؤلف ايلافا ، ومن قال (ألفت) بقصر الألف ، قال فأنا آلف الفا .

٤ - وحكى عن عكرمة (تلميذ الحبر ابن عباس) أنه كان يقرأ ذلك / (لتألف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف ، وفى حديث أسماء بنت يزيد ما يشهد لهذه القراءة ، قالت سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ : (الفهم رحلة الشتاء والصيف) .

وقول الطبرى : ان للعرب فى ذلك لغتين الصواب : أن لهم فيه ثلاث لغات ، حكاها صاحب اللسان عن أبى اسحاق الزجاج . من كبار اللغويين فى القرن الرابع : قال الزجاج :

فى (لايلاف قريش) ثلاثة أوجه : (لايلاف) و (لالاف) ، ووجه ثالث (لالف قريش) وتفصيل المجمل من قول الزجاج :

١ - أن من قرأ : « لالف قريش » فهو مصدر ألف الشىء يألفه الفا ، بمعنى اعتاده، وأنس به .

٢ - ومن قرأ : (لايلاف قريش) فهو مصدر للفعل آلفت الشىء أولفه ايلافا مثل آمنت أومن ايمانا على وزن أفعلت أفعل افعالا،

واصلهما : (آلفت أؤلف ائلافا ، مثل آمنت أؤمن ايمانا ، أبدلت الهمزة الثانيـــة فى الفعلين ومصـدريهما لينـا من جنس حركة ما قبلها ، لثقـل الهمزتين فى أول الكلمة . ومعنى آلفه الشيء يؤلفـه ايلافا : قال جعله يألفه ويأنس به . فكأن معنى الآية : لتعبد قريش رب هذا البيت الذى جعلهم يألفـون رحلة الشتاء والصيف (وقال فى اللسان : قال ابن الانبارى : من قرأ (لايلاف قريش) فهو من آلف يؤلف . ومعنى يؤلفـون : يهيئـون ويجهزون . وقال ابن الاعرابى : يجيرون .

٣ ـ ومن قرأ (الافهم) بدون ياء بعـد الهمز ، فهومصدر آلفت أؤالف الافا ومؤالفة، على (فاعلته فعالا ومفاعلة) ، كخاصـمته خصاما ومخاصمة ، ومعنى الالاف على هذا ما كانت قريش تعاهد عليه القبائل فى طريقها الى اليمن والى الشـام ، من عدم التعرض لتجارتها ، كما سيأتى بيانه بعد .

وفى عبارة الأنبارى تفسير لمعنى الـف قريش لرحلتى الشتاء والصيف ، بتهيئـة وسائلها ، واعداد ما يلزم لها من عدة وعتاد ، ورجال وسلاح ، واعداد الأسطول التجارى الذى يحمل عروض التجارة مع مايلزم لذلك من عبيد ورعيان .

وفى عبارة ابن الأعرابى تطوير آخر للمعنى يشير الى (معاهدة) القبائل الضـاربة على الطريق بين الشام ومكة ، ثم بين مكة واليمن حتى لايتعرضوا بالشر لغيرهم . وهو معنى (الاجارة) الذى ورد آنفا فى عبـارة ابن الأنبارى ، مصدر أجار التجارة يجيرها اجارة، أى امن طريقها بالمعاهدات .

وقد نجح القرشيون فى ذلك نجاحا باهرا، فامنوا طريق تجارتهم من الشام الى اليمن بعقد صلات المودة بينهم وبين أشراف القبائل التى كانوا يمرون بها . وسموا تلك العقود وان كانت غير مكتوبة (ايلافا) ، وكان لها قوة العقود المكتوبة ونفاذها، وكان العرب يعظمون أمر العقـود بينهم ويشـددون النكير على من يخالفها .

وقد ترقى الوعى القرشى الى توثيق العقود بالكتابة ، حين يكون التعـاقد بينهم وبين الأمم المتحضرة فى خارج جزيرتهم ، كما فعل بنو عبد مناف حين وفدوا على ملوك البـلاد المحيطة بجزيرتهم ، وعقدوا معهم معاهدات تجارية مكتوبة كان لها أكبر الأثر فى حياة قريش ، اذ انتقلت الى أيديها أزمة التجارة العالمية بين الشرق كله والمغرب كله . وهاكم النبأ اليقين عن ذلك فى خبر نقله أبو على القالى مفصلا فى ذيل أماليـــه : قال فى صفحتى (١٩٩ ـ ٢٠٠) :

وحدثنا أبو بكر بن دريد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، قال : حدثنـا العتبى ومحمد بن سلام ، كلاهما قال : كانت قريش تجارا ، وكانت تجارتهم لاتعدو مكة ، انما تقـدم عليهم الأعاجم بالسلع ، فيشترونها منهـم ، ثم يتبايعونهـا بينهم ، ويبيعونهـا على من حولهم من العـرب ، فكانوا كذلك حتى ركب هاشم بن عبد مناف الى الشام ، فنزل بقيصر، فكان يذبح كل يوم شـاة ويصنع جفنة ثريد ويجمع من حوله فيأكلون .

وكان هاشم بن عبد مناف من أجمل الناس وأتمهم ، فذكر ذلك لقيصر فقيل له : هاهنا رجل من قريش ، يهشم الخبز ثم يصب عليه المرق ، ويفرغ عليه اللحم ، وانما كانت العجم تصب المرق فى الصحاف ثم تأتدم بالخبز .

فدعا به قيصر ، فلما رآه وكلمة أعجب به، فكان يبعث اليه كل يوم ، ليـدخل عليـه ويحادثه ، فلما رأى نفسه تمكن عنده ، قال له : أيها الملك ، ان قومى تجار العرب ، فان رأيت أن تكتب لى كتـابا تؤمن تجارتهم . فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز ، فهو ارخص عليكم .

فكتب له كتاب أمان ، لمن يقـدم منهم . فاقبل هاشم بذلك الكتاب ، فجعل كلمـا مر بحى من العرب بطريق الشـام أخذ من أشرافهم (ايلافا) .

والايلافَ : أن يأمنوا عندهم فى أرضهم بغير حلف ، انما هو أمان الطريق ، وعلى أن قريشا تحمل اليهم بضائع . فيكفونهم حملانها ، ويؤدون اليهم رؤوس أموالهم وربحهم - فأصلح هاشم ذلك الايلاف بينهم وبين اهل الشام ، حتى قدم مكة فأتاهم بأعظم شئ أتوا به بركة ، فخرجوا بتجارة عظيمة ، وخرج هاشم معهم يجوزهم ، يوفيهم ايلافهم الذى أخذ لهم من العرب ، حتى أوردهم الشام ، وأحلهم قراها ، ومات فى ذلك السفر بغزة .

وخرج المطلب بن عبد مناف الى اليمن . فاخذ من ملوكهم عهدا لمن تجر اليهم من قريش ، وأخذ الايلاف كفعل هاشم ، وكان المطلب أكبر ولد عبد مناف وكان يسمى الفيض ، وهلك بردمان من اليمن .

وخرج عبد شمس بن عبد مناف الى الحبشة ، فأخذ ايلافا ، كفعل هاشم والمطلب . وهلك عبد شمس بمكة ، فقبره بالحجون .

وخرج نوفل بن عبد مناف - وكان أصغر ولد أبيه - فأخذ عهدا من كسرى لتجار قريش ، وايلافا ممن مر به من العرب ، ثم قدم مكة ورجع الى العراق ، فمات بسلمان .
واتسعت قريش فى التجارة فى الجاهلية وكثرت اموالها .

فبنو عبد مناف أعظم قريش على قريش منة فى الجاهلية والاسلام .

فأما قريش التى نزلت فيها هذه السورة من القرآن ، وخصها الله بالايلاف ، فقبيلة كبيرة من كنانة بن النضر بن الحارث ، ينتهى نسبهم الى معد بن عدنان من سلالة اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام . واسماعيل أبو العرب المستعربة كما قال النسابون .

وكان مقر اسمعيل وأولاده أولا فى مكة منذ بنى هو وأبوه ابراهيم الكعبة البيت الحرام ، وجعله مثابة للناس وأمنا ، ومرجعا لدين التوحيد الذى فشا فى الأرض بعد عبادة الأوثان « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه أيات بينات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » .
ولما كثر أولاد اسماعيل بمكة وما حولها نزح بعضهم الى خارج مكة، وملأوا أوديتها وجبالها ثم كثروا فنزحوا الى نواحى الحجاز ، ثم ارتفعوا الى أرض نجد ، وانساحوا فيها ، الى أن بلغوا شواطئ الخليج العربى وسواحل الفرات ، يتتبعون مساقط المياه ، ومنابت العشب واستقر بعضهم فى قرى مبنية بالحجارة أو اللبن ، واستمر بعضهم على حياته الأولى فى البوادى ، دأبهم الحل والترحال بين المصايف والمرابع ولا يزال كثير منهم على ذلك حتى الآن .

وقريش هم ولد النضر بن كنانة ، وهو الجد الثانى عشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو المختار عند علماء الأنساب ، فكل من ولده النضر فهو قرشى ، ولا ينسب الى قريش من كان فوق النضر من اجداد النبى صلى الله عليه وسلم وفروعهم .

وقيل ان قريشا لقب لفهر بن مالك ، الجد العاشر للنبى ، والأول أشهر . أما سبب تلقيب ولد النضر أو ولد فهر بقريش فهو لقب مشتق من مهنتهم ، وهى التجارة ، اذ لم يكونوا اصحاب زرع ولا ضرع ، لجدب أرضهم فاشتغلوا بالتجارة فى أرضهم وفى خارجها . وكانوا يسكنون أول أمرهم فى خارج مكة لا فى داخلها ، ويخرجون الى الأسواق التى تعقد بمكة فى موسم الحج : عكاظ ومجنة ، وذى المجاز . وكان للعرب أسواق أخرى كبيرة : فى دومة الجندل بأرض كلب بين الشام والعراق ، ولهم المشقر سوق هجر ، وفى (دبى) قصبة عمان سابقا ، وفى صحار على بحر عمان ، وفى عدن أبين ، وفى الرابية من بلاد حضرموت ، وفى صنعاء ، وفى نطاة خيبر (شمالى المدينة) وفى بصرى وغزة . وكانوا يذهبون الى بعض هذه الأسواق ، وأحيانا تأتيهم الأعاجم بالبضائع لمعرفتهم بمكانهم فى التجارة .

كانت قريش تجلب التجارة من هذه الأسواق الكبيرة ، ثم تعرضها على العرب فى موسم الحج فى مكة ، وتذهب بما بقى منها بعد الحج الى عكاظ ومجنة وذى المجاز ، فتبيع وتشترى ، وتجمع مايلزم لرحلة الصيف فى قرى الروم كبصرى وغزة ودمشق أحيانا ، ثم تعود ببضائع الروم وطرائف الشام الى مكة فتبيع ما أحضرت . ومن أجل اشتغال قريش بجمع المال والتجارة وتحصيل مكاسبها ومن هنا وهاهنا سميت قريش قريشا .

وهذا اللفظ تصغير لكلمة القرش ، بالفتح أى الجمع من هنا ومن هنا ، قال صاحب اللسان :

« القرش : الجمع والكسب والضم من ها هنا وها هنا ، بضم بعضه الى بعض . » وقال ابن سيده فى المحكم : قرش قرشا : جمع وضم من هنا وهنا ، قرش يقرش ويقرش وبه سميت قريش .

هذا هو التفسير الفنى اللغوى للقب (قريش) وقد جاءت تعليلات وتفسيرات أخرى أضربت عنها صفحا ، لأنى لم أقتنع بها .

وقد لزم هذا اللقب قريشا منذ أطلق على جدها النضر بن كنانة ، وذلك قبل الاسلام بدهر طويل ، فلما آنست قريش من نفسها التفوق المالى والتجارى فى بلاد الحجاز ، وكانت قد اكتسبت مع ذلك تفوقا عقليا بسبب ممارسة التجارة ، والاختلاط بأمم الحضرة ، أجمعت على دخول مكة ، وتنحية خزاعة عنها ، وكانت خزاعة قد نحت من قبل قبيلة جرهم التى كانت تلى أمر البيت ، اذ كانوا أصهار اسماعيل وأخوال أولاده ، وحلت محلهم فى حكم مكة ، وولاية أمر البيت .

وتحقق دخول قريش مكة فى عهد قصى ، الجد الرابع للنبى صلى الله عليه وسلم ومنذ ذلك الحين أحست قريش بعلو منزلتها فى العرب ، فكانوا يلقبونهم أهل الله وجيران حرمه ، وأمنوا تجارتهم وتبركوا بمرورهم فى أرضهم ، ومنذ عهد قصى اتسعت تجارة قريش ، وعظمت أموالها ، اذ كانوا الأداة الفعالة الوحيدة لتوصيل متاجر الشرق كله ، لاجزيرة العرب وحدها ، من اليمن الى الشام ، كما كانوا الأداة الفعالة فى توصيل تجارة الغرب كله من الشام الى اليمن .

وتلك خصيصة من خصائص قريش ، كرمهم الله بها ، وحفظ خيرها موجزا فى تلك السورة الكريمة ، وامتن الله عليهم فيها بالشبع بعد الجوع ، والأمن بعد الخوف ، وطالبهم بأن يعبدوا رب هذا البيت وحده ، لاشريك له ، شكرا على ما آتاهم من (الايلاف) الذى حسنت آثاره فيهم ، وازداد به شرفهم فى نظر العرب أجمعين .

وقد أراد الله لقريش الزيادة فى علو المنزلة والكرامة ، فساق اليهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، فصاروا سادة الدنيا ، وأكبر حكام الأرض ، فى حقبة طويلة من الزمان .

كلمات قرآنية

التوكل ليس تواكلا وتكاسلا وسلبية

فضيلة الشيخ عبد الرحيم فودة

التوكل على الله مظهر من مظاهر الايمان به، والاعتماد عليه، والثقة بأنه – جل شأنه – بيده الخير وهو على كل شىء قدير، وبأنه كما يقول سبحانه « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده » .

فمعنى التوكل أن تجعل الله وكيلك وكفيلك فيما تقدر عليه وفيما تعجز عنه، لأنه لا حول ولا قوة الا به، ولأنه الذى يتولاك ويرعاك، ولأن من أسمائه تعالى الوكيل بمعنى الكفيل بأرزاق العباد، والحافظ لهم . فالاعتماد عليه حق . والأمل فى عونه ونصره حق، وهذه المعانى وما يتصل بها تنبع من شعور الانسان بضعفه أمام الله وقوته أمام ما عداه، ومن ثم كان موقف النبى – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين من الذين خوفوهم بالحرب، وحاولوا أن يثبطوهم عن مواجهة المشركين بدعوى أنهم جمعوا لهم جموعهم وأعدوا لقتالهم عدتهم .. ما يصفه القرآن حيث يقول الله فيه : « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

فليس فى التوكل على الله احساس بالخوف أو الضعف من غيره، وليس فيه التماس النتائج من غير أسبابها، ودخول البيوت من غير ابوابها، وانما يكون التوكل عليه مع استخدام القوى التى زود الله الانسان بها، وبذل الجهد فى عمل ما يؤدى الى الخير، ويحقق النفع والمصلحة .. ولهذا يجب أن يقترن التوكل بالعزم المصمم على العمل .. والهمة الماضية فيه، كما يفهم من قوله تعالى : « **فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين** »، فان معناه أو بعض ما يفهم من معناه اذا عزمت على الأمر بعد الاستشارة فيه والتأهب له فامض عزمك عليه، واجعل الله وكيلك وكفيلك، فانه هو الذى يوفقك ويحفظك ويتولاك ويرعاك ويسدد خطاك .

والتوكل على الله – بهذا الوضع السليم – هو مقتضى الايمان بالله، واليقين بأنه كما يقول سبحانه : « ألا له الخلق والأمر » وذلك ما نستشفه من قوله تعالى « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » وقوله « فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت »، وقوله « ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره » .

وكيف يعقل التوكل مع اهمال العمل واغفال الواجب، والحياة فرصة يجب أن يحرص الانسان على العمل فيها وأن يتزود منها لحياة أعظم وأكرم، بل هى كما يرشدنا القرآن فترة امتحان واختبار . يظهر بها المحسن والمسىء، والبر والفاجر، والمؤمن والكافر، ثم يثاب كل على ما قدم من خير أو شر .

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »، وذلك بعض ما نفهم من قوله تعالى « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا »،

وقوله سبحانه « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين »

ان التوكل على الله مع الاخذ بالأسباب والعمل الصالح هو قمة الشعور بالقوة ، وقمة النشاط فى السعى ، أما الاحساس بالضعف او الشعور بالعجز، ثم تمنى الأمانى على الله فهو من التواكل او التكاسل او السلبية التى لا يعرفها الاسلام ، وقد بين النبى - صلى الله عليه وسلم - ذلك حيث قال : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله فهو من التواكل أو التكاسل أو مظهر من مظاهر الشعور بالضعف والعجز وعدم الثقة بالنفس ، وقد كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يستعيذ بالله من العجز والكسل، ويقول : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله . ولا تعجز » .

ويقول - عليه الصلاة والسلام - « اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك . وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك » .. ومعنى هذا الحديث أن على الانسان أن يملأ حياته كلها بالعمل ما دام قادرا عليه .

فالشباب وهو زمن القوة والفتوة والحيوية والنشاط يجب أن يغتنم الانسان فرصته بالعمل المثمر والانتاج الكثير لينتفع بما يدخره من ذلك حين يدركه الهرم ويقعد به الضعف فى الشيخوخة عن العمل والانتاج .

والصحة كذلك فرصة يجب استغلالها قبل ان يتحول ظلها .

والغنى كذلك يجب ان يرى فيه الانسان فرصة ادخار واستثمار لينتفع بما يدخره ويستثمره فى مواجهة الفقر اذا عرض له الفقر .

وكذلك الفراغ يستغل بالعمل والحياة كلها يجب أن تغتنم لما بعدها ، لأنها الفرصة الوحيدة التى يمكن ان يتزود منها الانسان لحياة أخرى أكرم وأعظم من هذه الحياة .. وقد أكد النبى هذه المعانى كلها فى خطبه وقال فيها : فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت ، فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب .. ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار

فأين يقع التواكل والتكاسل والشعور بالضعف او العجز ، من التوكل بمعناه العظيم الذى ينم عن الشعور بالقوة ، والثقة ، والرغبة فى العمل والمثابرة عليه والجهاد فيه ، والأمل بعد ذلك فى عون الله وفضله .

ان الدعوة الى العمل والاخلاص فيه نجدها حيثما نجد الدعوة الى الايمان فى القرآن وفى كلام النبى عليه السلام .

وقد كان - صلى الله عليه وسلم - يعمل ويقول لابنته فاطمة - رضى الله عنها - اعملى يا فاطمة فلن أغنى عنك من الله شيئا ، ويطلب الى كل من يباشر عملا أن يحسنه ويتقنه ، بل لقد كان عليه السلام يؤثر أن يقوم بنصيبه فى العمل كأى واحد من أصحابه مع مكانته الكريمة العظيمة التى لا ترقى اليها مكانة انسان .

وقد بين بقوله وفعله وتقريره ان الدين : ليس كما يتوهم الواهمون تواكلا وتكاسلا وسلبية ، وانما هو ايمان راسخ ، يعمر القلب . وعمل صالح يعمر الحياة ، وثقة كاملة بأن الله كما يقول « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » .

عن الميثاق -٢-

الأستاذ محمود كمال

في العدد السابق من مجلة منبر الاسلام الغراء تناولت الكلام على الميثاق ، مقتصرا على بعض ما ورد فيه من ناحية التمسك بأهداب الدين ، والايمان بالله ، والرسالات السماوية ، ايمانا عميقا ، يؤكد أنه اتخذ من الروحانيات اساسا من الأسس التي يقوم عليها ، بل قد يكون هذا الأساس هو الركيزة الأهم التي تستند عليها المبادىء الأخرى التي اعتنقها ، ونوه بها في ابوابه ، وفصوله ، وفقراته المتعددة .

وقد وجدت أن الاقتصار على الكلام على هذه الناحية دون غيرها غير مؤد الى الغرض الذي تقصد اليه من تبصير المواطنين ، والعرب عامة ، والناس في مختلف الأنحاء ، بما اشتمل عليه من المبادىء التي وصلت الى درجة رفيعة من السمو والتي ربما لم يسبق أن اشتمل عليها كلها سجل آخر او كتاب آخر يكون قد صدر في أعقاب ثورة من الثورات الهامة على مدى التاريخ الحديث فلقد جمع بين طياته وفيما بين سطوره وصفحاته ، مبادىء الوطنية الخالدة ، والفضيلة في أبهى صورها ، وأنبل معانيها ، ومبادىء الحرية والمساواة ، وتكافؤ الفرص ، على قواعد من العدالة المطلقة ، والمحبة والوئام بين الناس ، وعلى هدى من الأمن ، والاستقرار والسلام بين الأمم في انحاء المعمورة .

وتمجيد تلك المبادىء ، والاشادة بها وتردادها ، بين آونة وأخرى ، فيه حض على الاستمساك بها ، والأخذ بأسباب العمل على تعميقها في القلوب والأفئدة ، حتى يمكن أن تثمر ثمرها وتأتي أكلها ، في القريب العاجل ان شاء الله ، فتكون بذلك قد ساعدت أجل مساعدة على رفع المستويات ، وتدعيم الأخلاق الفاضلة ، وتأكيد أواصر الخير في النفوس ، وذلك كله فيه صلاح للأمة ، ومعاونة جدية أصيلة على التطلع الى أهدافها في أن تحل بين الأمم مكانا عليا .

والميثاق لم يتوخ الاجمال أو الاختصار ، بل على العكس من ذلك توخى الايضاح والتفصيل لأنه قصة شعب ، وكفاح أمة ، مرت في خلاله بمراحل :

فذاقت الامرين ، حينـــا من الزمـــان طويلا .

ثم تنسمت نسيم الحرية ، فى آخر المطاف بعـد صبر وجهاد عنيف ، وقضت على الظلم والظالمين ، وأضاءت بيدها ، حاضرها .

ثم أخذت ، بعد ، بما لديها من أسـباب نحو مستقبل مرجو مأمول .

والميثاق ، اذ يقدم المرحلة الأولى من ذلك التاريخ ، انما يقدمها على سـبيل الذكرى ، والتذكرة بما أصـاب الأمة من عنت ، وما قاسته من آلام تحت وطأة القوى الغاشمة فى مختلف العهود والأزمان ، والذكرى تنفع المؤمنين .

ثم على سبيل العبرة والعظة ، حتى يختط الشعب لنفسه خطة مثلى ، فلا يكون ، بعد ، افراط ، ولا يكون تفـريط فى حق من الحقوق أو واجب من الواجبات .

فالميثاق يقول :

« ان طاقة التغيير الثورى .. تتجلى بكل القوى العظيمة الكامنة فيها اذا ما عـادت الى الذاكـرة كل جحـافل الشر والظـلام التى كانت تتربص بكل عـود أخضر للأمل ينبت على وادى النيل العظيم »

و « لقـد كان الغزاة الأجانب يمثلون على أرضه وبالقرب منها القواعد المدججة بالسلاح، ترهب الوطن المصرى ، وتحطم مقاومته »

و « ان الشعب المصرى .... أدار ظهره نهائيا لكل الاعتبارات البالـية التى كانت تبدد قواه الايجابيـة ، وداس بأقدامه على الرواسب المتخلفة من بقايا قرون الاستبداد والظلم » .

و « ان ملايين الفلاحين حتى ملاك الأرض الصغار طحنتهم الاقطاعيات الكبيرة لسـادة الأرض المتحكمين فى مصيرها ..

« كذلك فان العمال الزاعيين عاشوا فى ظروف أقرب ماتكون الى السـخرة تحت مستوى من الأجور يهبط كثيرا ليقرب من حد الجوع ، كما أن عملهم كان يجرى من غير أى ضمان للمستقبل ولم يكن فى طاقتهم الا أن يعيشوا سنى حياتهم خلال بؤس الساعات وقسوتها الرهيبة) .

و « لقد عاشت مصر .... تجربة مروعة أستنزفت فيها كل امكانيات الثروة الوطنية لصـالح القوى الأجنبية ، ومصلحة عدد من المغامرين من الأجانب ..

« على ان روح هذا الشعـب لم تستسلم وانما استطاعت تحت المحن العصيبة .... أن تختزن طاقات تحفزت لاطلاقها فى اللحظة المناسبة » .

ويقدم الميثاق فى المرحلة الثانيـة تكريما للنهضة المباركة .. والأمة الحية الناهضـة تمجد أيامها الغر ، الميامين ، ولا تنساها ، بل تعتبرها أياما سعيدة مباركة ، تعظم فيها رجالها وزعماءها الذين حطمـوا الأغلال ، وهدموا الأسوار ، ومهدوا لها طريق الخلاص والنجاة ، من براثن الظلمة والطغاة ، ثم قادوا جحافلها الى حيث يرتفع البناء ، شامخـا ، مهيبـا ، قويا ، لاتتزعزع أركانه ، ولا ينهد بنيانه .

ويتمثل ذلك كله فى قوله :

« ان يوم ٢٣ يوليه سـنة ٥٢ كان بداية مرحلة جديدة ومجيدة فى تاريخ النضـال المتواصل للشعب العربى فى مصر .... ان هذا الشعب فى ذلك اليوم المجيد بدأ تجربة ثورية .... فتمكن .... أن يغير حياته تغييرا أساسـيا وعميقـا ، فى اتجاه آماله الانسانية الواسعة » .

و « ان اخلاص الشعب المصرى لقضية الثورة .... قد مكنـه .... من تحقيق نموذج رائع للثورة الوطنية ، وهى الاستمرار المعاصر لنضال الانسان الحر عبر التاريخ من اجل حياة أفضـل طليقة من قيود الاستغلال والتخلف فى جميع صورها المادية والمعنوية »

و « ان هذا الشـعب المعلم راح أولا .. يطور المبـادىء الستة .... نحو برنامج تفصيلى يفتح طريق الثـورة الى اهدافها اللامتناهية .. »

« ويلقن طلائعه الثورية أسرارآماله الكبرى ... ويوسع دائرتها بأن يمنحها كل يوم عناصر جديدة قادرة على المشاركة فى صنع مستقبله »

ويقدم الميثاق ، بعد ذلك ، المرحلة الثالثة على أنها تخطيط واسع النطاق ، لحاضر الامة المصرية ومستقبلها ، وحاضر العرب ومستقبلهم ، فى اطار مضىء تنعكس أشعته على كل ركن من أركانه فتستبين فيه كل خطة من الخطط ، واضحة جلية ، فى سهولة وبساطة .

وهذه المرحلة هى أطول المراحل وأجدرها بأن نحفل بها ونأخذ عنها ، ذلك لأن الميثاق قد ذكر أن الشعب المصرى طور المبادىء الستة التى قامت عليها ثورة سنة ١٩٥٢ ، وهى المبادىء التى تتضمن البرنامج التفصيلى العملى للمخططات العامة للسياسة الداخلية ، والخارجية ، بما يؤدى الى تدعيم الأهداف الوطنية ، المادية والمعنوية ، والاجتماعية ، وبلورتها فى قواعد واصول من شأنها محو رواسب الماضى بما فيه من أوزار ، واضاءة الحاضر بنور الأمل ، وتحقيق الأهداف المستقبلة ، بما يكفل لها الصمود للأحداث فى صلابة لا تلين .

وعلينا ، استكمالا لهذا البحث ، أن نمر على أوزار الماضى ورواسبه مرورا سريعا اشادة بمجهودات الثورة ، التى أطاحت بها الى غير رجعة .

فالثورة قد اطاحت بالاستعمار وطردته خارج الديار ، وكان ذلك مطلبا طال انتظاره ، وعز مناله ، ولم تغفل ، فى الوقت نفسه ، عن مطاردته فى كل البقاع العربية ، تطهيرا لها منه ، بل وفى كل بقعة من بقاع الارض ، لأن الثورة المصرية قامت على مبادىء معينة ، كما تستهدف صالح الوطن ، وتستهدف صالح العرب ، تستهدف سيادة السلام ، فى ربوع العالم والسلام لايسود الا فى جو من الحريات الوطنية ، على أساس من حق تقرير المصير .

ثم أطاحت بالاقطاع ، وحطمت رأس المال المستغل ، واصلت جذور الاصلاح الزراعى ، وأقامت دعائم للتعاون بين الطبقات والأفراد على مختلف المستويات ، والأمل معقود على أن يستقيم كل أمر من هذه الأمور الى غايته القصوى .

ثم بدأت الثورة برنامج التصنيع ، وماتزال الصناعة الثقيلة هدفا عزيزا ، من اهداف هذه المرحلة الثالثة ، تحقيقا للاكتفاء الذاتى فى الصناعة ، فى الحدود الممكنة .

***

هذا ، وقد اعتنق الميثاق الاشتراكية ، والديمقراطية .

أما الاشتراكية فهى ليست شيئا سوى اذابة الفوارق بين الطبقات ، وملكية الشعب لوسائل الانتاج ، واشرافه على الثورة القومية واستمتاعه بخيرات بلاده على أسس وطيدة من العدالة الاجتماعية التى تعنى توزيع الانتاج توزيعا عادلا ، وزيادة الدخل العام ، ورفع مستوى المعيشة ، وسد احتياجات الأفراد .

والاشتراكية القائمة على هذه الدعائم انما تقصد الى بناء المجتمع من جديد ، خاليا من المثالب والشوائب ، التى هدت كيانه تحت أساليب الحكم البالية كما تعنى ، فى الوقت نفسه ،بالمحبة ، والتعاون ، بين الناس ، من أجل انصاف هؤلاء الذين حرموا متعة الحياة حرمانا يكاد يكون تاما ، ومن أجل توفير العمل لكل عامل لقاء اجر مجز ومن أجل توفير لقمة العيش لكل جائع ومن أجل تمهيد سبيل العلم لكل طالب .

وليس يعنينى ، هنا ، الكلام ، ولو فى اشارات عابرة ، على النظريات الاشتراكية السائدة فى القطاعات المختلفة من العالم ، وانما يعنينى أن أبين فى اصرار ، أن اشتراكيتنا نابعة من أرضنا ، مؤسسة على أوضاعنا الاجتماعية ، مؤمنة ، ايمانا عميقا بالدين ، والرسالات السماوية ، متفقة مع الأخلاق والمثل العليا .

وهذا كله لاينفى أننا قد استفدنا من « الدراسات العلمية » للنظريات الاشتراكية المختلفة ، وطورنا بعضها تطويرا صالحابحيث تتفق ، تمام الاتفاق ، مع الأسس المشار اليها التى أقمنا عليها بناء اشتراكيتنا وأغفلنا بعضها الآخر ، وامثال ذلك أن بعض هذه النظريات يجحد الملكية الفردية ، ونظام الميراث ، أما اشتراكيتنا فتعترف بهما معا ، كما أنها تتوسع فى نظام الملكية الفردية باباحتها لأكبر عدد من المعدمين .

وفى رأيى أنه ليس مايمنع من أن نتواضع على تسمية هذه الاشتراكية ، اشتراكية وطنية عربية .

بل ولماذا لانسميها اشتراكية اسلامية ؟

والجواب على ذلك أنه يمكن أن نسميها بهذا الاسم طالما أنها تستهدف اصلاحات معينة لصالح المجتمع تتفق كلياتها ، بصفة عامة مع الاصلاحات التى تستهدفها الاشتراكية الاسلامية لهذا الغرض ، فالاسلام ـ كما يقول المرحوم الشيخ محمود أبوالعيون فى مقال له منشور سنة ١٩٥١ ـ « دين له منهج ثابت هو تطهير المجتمع منعوامل الفساد ويمتاز بطابعه الذى يقرن الأعمال بالخاق والعقيدة . فلا ضرر ولا ضرار ، وهو يناهض تكديس الثروات ، وجمعها فى يد فئة قليلة ، وحرمان الأكثرية من ضرورات العيش ، ورتق الحياة، وما كانت الناحية الروحية فى القرآن الكريم الا تهذيبا للامم ليعيش الناس فى خلال الأخوة ، والمساواة ، والمودة ، والأمن ، والاطمئنان ، ويكون التعاون بينهم على الجد والتعاون فى الصالح العام » . وكما يقول أن النظام الأرتى فى الاسلام « يحطم الثروة ويفتتها تفتيتا لامثيل له فى أى قانون آخر » و « هذا كله محافظة على التوازن الاقتصادى ، ويقول الله تعالى فى سورة الحشر «كيلايكون دولة بين الأغنياء منكم » .

وانى اذ أنقل هذه العبارات من هذا المقال انما أقصد أن اقول ان النفوس فى ذلك الحين ، الذى لم تكن المسافة بعيدة بينه وبين ثورة ١٩٥٢ ، كانت فى ضيق شديد مما تعانيه من ظروف اقتصادية واجتماعية ، وأنها كانت تتوق وتتمنى أن تنقشع تلك الغمة ، فتحول امورهم الى اشتراكية قويمة سليمة .

ولقد عبر المرحوم الاستاذ العقاد عن تلك التمنيات بقوله ، فى مقال له منشور سنة ١٩٥٢ ايضا « وتجاربنا .... تنتهى بنا الى اختيارالخطط المناسبةلنا ولتقاليدنا ومصالحنا القومية والفردية ، وهى خطوط الاشتراكية الوسطى أو الاشتراكية المعتدلة بينالطرفين .. طرف السيطرةالحكومية الشاملة ، وطرف الفوضى التى تبيح لكل فرد أن يفعل مايشاء فى أمور لها مساس بسلامة المجتمع ووسائل المعيشة فيه » .

وبقوله فى مقال آخر منشور بعد ذلك فى مايو سنة ١٩٥٢ ، قبل قيام ثورتنا بنحو شهرين اثنين « ان أول ما أعنى به تحديد الكسب السنوى لكل فرد من الأفراد ، فلا يجوز أن يزيد الكسب على ..... فى السنة مهما يكن رأس المال ، ومما أعنى به بعد التقدير والاحصاء ، تحديد أجرة الفدان على حسب الضريبة ، أو على حسب الغلة ، فلا تزيد الأجرة على المقدار المناسب لغلة الفدان كائنا ما كان المحصول » ، وأنه من الواجب أن يكون للدولة بنك .... تكون له ميزانية شعبية .... فيشترى المزارع والعقارات التى يتخلى عنها أصحابها من فيض ثروتهم بعد تحديد مواردهم ، ويوزع هذه المزارع والعقارات بين طلابها على آجال وأقساط » .

ولعل القارىء يلحظ ان المرحوم العقاد كان كأنما يقرأ من الغيب ، اذ لم يطل بنا الزمان ، بعد هذه المقالات ، حتى قامت الثورة فحققت تلك الآمال والتمنيات برمتها فى صور مدروسة دراسة عميقة مجدية

وأما الديمقراطية فهى عبارة عن الحرية السياسية ، وقد جمع الميثاق ، فى بعض بنوده مقومات هذه الحرية ، التى يمكن اجمالها فى أنها هى (١) وضع السلطة كلها فى يد الشعب باعتبار أنه هو مصدرالسلطات

(ب) تكريس هـذه السلطة لتحقيق أهدافه .

ويدخل في هذا النطاق حرية الملك ، وحرية العمل ، وحرية لقمة العيش ، وحرية الرأى والنقد ، والحرية الدينية .

والحرية السياسية تقتضى اعطاء الشعب حق التصويت فى الانتخابات ، وهذا الحق يجب أن يكون مصحوبا بحرية لقمة العيش .

والمقصود بحريه لقمة العيش هو أن تكون ارادة الشعب حرة مطلقة ، عند مزاولته حقه فى الانتخابات ، بمعنى أنه يجب أن يرفع عن كاهله عبء الخوف من تسلط رأس المال المستغل أو تسلط الاقطاع عليه ، حتى اذا ما رفع هذا العبء عن كاهله ، أمكنه أن يدلى بكلمتـه بملء ارادته الحرة وبذلك تجىء الهيئات النيـابية ممثلة لتلك الارادة تمام التمثيل .

وقد ادت حكومة الثورة دورها ، فى هذا الصدد كاملا ، فلم يعدعندنا رأسمال مستغل أو اقطاع .

ومما يتصل بهذا الأمر تحديد نسبة معينة للاعضاء الذين ينتخبون من العمال والفلاحين اذ يجب على « التنظيمات الشعبية السياسية التى تقوم بالانتخاب المباشر » - كما يقول الميثاق « أن تمثل بحق وبعدل القوى المكونة للأغلبية » .

وتمثيل هؤلاء فى الهيئات النيابية يؤدى الى ايجاد توازن ملحوظ بين الطبقات ، والى تعاونها ، بعضـها مع بعض ، تعاونا مثمرا لمصلحة الوطن .

ولقد توفرت هذه الميزة فى المجلس النيابى القائم كما لم تتوفر لمجلس نيابى من قبل .

والمقصود بتكريس سلطة الشعب لتحقيق أهدافه هو أن عليه أن يقوم بتوجيه السلطتين التشريعية والتنفيـذية الى النهوض بما هو ملقى على عاتقهما من واجبات وأعباء على الوجه الذى يحقق مصالحه ، وأن يقوم ، فى الوقت نفسه ، بالاشراف عليهما اشرافا يقظا يضمن قيامهما بهذه الواجبـات بالكيفية المثلى التى ترضى هذه المصالح .

وقد كفل الدستور ، وكفلت القوانين ، للشعب ، وسـائل هذا التوجيه وذلك الاشراف .

هذا الى جانب ان قوة الرأى العام ، فى حد ذاتها قوة جارفة لايمكن مقاومتهـا ، متى كانت الظروف مواتية له .

وأما حرية الملك فقد كفلها القانون فى حدود مرسومة حتمتها مصـلحة الشـعب حتى لاتتضخم الملكيات وتزيد عن حدها ، فتنقلب بذلك الأمور الى ضدهـا ، ونعـود من حيث بدأنا .

وقد قلنـا أن الملكيـة وان كان قد قل مقدارها ، غير أنه قد اتسع نطاقها بتمليك كثيرين ممن كانوا ، قبلا ، معدمين .

وحرية العمل كانت محل عناية خاصة من جانب حكومة الثورة تطبيقا للميثاق اذ انها حاربت البطالة ، ومنحت العمال حقوقا متعددة بقرارات يوليه سنة ١٩٦١ ، من شأنها رفع مستواهم ، والحفاظ على مستقبلهم ومستقبل عيالهم ، كما منحتهم ضمانات كثيرة عند التقاعد عن العمل .

وحرية الراى ، وحرية النقـد تكفلان للشعب حق ابداء مالديهما من آراء واذاعتها بمختلف وسائل الاعلام ، وقد استدعى ذلك جعل الصحافة ملكا له حتى لا تكـون رقابة عليها الا رقابة الضمـائر والمصلحة العامة .

وقد كانت الصحافة ، قبلا ، ملكا لأفراد معدودين ، تتحكم فيهم أحيـانا ، قوة المال وسلطة الحكم ، وهى أمور تتنافى مع مصلحة الشعب على خط مستقيم لمـا للصحـافة من أهمية مرموقة واعتبار ملحوظ .

وأما باقى الحريات فأمرها معلوم . وقد كفلها الميثاق كفالة تامة وأحاطها بسياج متين

وقد تكون لنا جولة اخرى مع الميثاق اذا أراد الله ذلك .

دعائم الأسرة من بيت الرسول

فضيلة الشيخ عبد الله المشد

الأسرة هى اللبنة الأولى فى بناء المجتمع ، والوحدة الأساسية التى تتكون منها الأمة ، وقد عنيت الشرائع كلها باعداد هذه اللبنات وتنظيم هذه الوحدات لتؤدى وظيفتها على الوجه الأكمل فى تكوين شخصية الفرد وتكييفه ليستطيع مواجهة المجتمع بمطالبه وتبعاته . وفى تنظيم الحياة الاجتماعية على أساس من الاستقرار ورعاية الحقوق ، وأداء الواجبات .

وكان للاسلام الفضل الأول فى ميدان تنظيم الأسرة ، فتناولت تشريعاته جميع نواحيها ، ووضعت الحلول لكل مشاكلها ، وخير ما يفيدنا فى بيان ذلك أن نتلمسه من حياة النبى - صلى الله عليه وسلم - فى بيته والله - سبحانه وتعالى - قد أمرنا أن نتخذ منه أسوة حسنة فى كل ما تنتظم به شئون الحياة ، قال تعالى : « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة** » .

وكانت سيرته - صلى الله عليه وسلم - فى بيته أصفى معين تؤخذ منه الهداية ، وخير نظام تقام على أسسه دعائم البيت السعيد فقد كانت حياته الزوجية تقوم على أساس من الخبرة والدراية بطبيعة النفس البشرية ، وغرائز المرأة وخصائصها المميزة وأثر البيئة والوسط والعادات والتقاليد ، والفهم الواعى الصحيح لمهمة الأسرة وأثرها فى المجتمع . وبين لنا أن النجاح فى سياسة الأسرة هو عنوان النجاح فى الحياة العامة ، ففى الحديث الشريف الذى رواه ابن حبان وابن ماجه والحاكم أنه قال « **خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى** » .

لقد كانت بشرية النبى - صلى الله عليه وسلم - وانسانيته تبدوان بشكل واضح عند ما يخلو بأهله ، فكان ألين الناس بساما ضاحكا ، وكان يتبسط مع زوجاته ويدخل السرور على قلوبهن بما تقتضيه الطبيعة البشرية . فكان يدخل بنات الأنصار الى عائشة ليلعبن معها ، مراعاة لصغر سنها وادناسها فى عشها الجديد ، الذى انتقلت فيه الى مرحلة الجد بعد مرحلة الطفولة ، ...

عهد المسئوليات بعد عهد الانطلاق والمرح وروى مسلم عن عائشة انه - صلى الله عليه وسلم - كان يطلعها على العاب الحبشة التى يقدمونها فى المسجد وكانت متكئة على كتفه، وورد فى روايات أخرى انه كان لا يقطع عليها متعتها الا بعد استشارتها والاطمئنان الى أن نفسها راضية •

وكان يدخل معها فى سباق بالعدو ، فمرة تسبقه ومرة يسبقها ، كما رواه أحمد وابو داود والنسائى وابن ماجه ، وذلك كنوع من الترفيه يسرى به عن قلوب زوجاته اللاتى فرض عليهن الاستقرار فى البيوت والتوفر لمعاونة الرسول فى أداء مهمته الجسيمة •

كان صلى الله عليه وسلم وفيا الى أبعد الوفاء ، لم ينس قط اياما سعيدة قضاها مع السيدة خديجة - رضى الله عنها - قبل بعثته وبعد بعثته ، فكان يذكرها بعد وفاتها دائما بالخير ويكرم أهلها وصديقاتها ، ولم تستطع عائشة - على ما لها من منزلة فى قلبه - أن تنسيه ذكراها ، فهى التى آمنت به حين كفر الناس ، وصدقته حين كذبه الناس ، وواسته بمالها حين حرمه الناس •• وكان له منها أولاد حين حرم منهم من جميع زوجاته ما عدا مارية •

وكان - صلى الله عليه وسلم - حكيما فى سياسته لزوجاته ، يعدل بينهن بالسوية ، ولا يحمله حب احداهن على غمط حق الأخرى •• ولا يترك مظلومة حتى ينتصف لها من ضرتها ، ذلك ان العدل يجب أن يسود فى الأسرة حتى تستقيم الأمور ويهدأ البيت وتنشأ الذرية على مثال كريم •

كان - صلى الله عليه وسلم - يتحمل ماقد يكون من مضايقات تفرضها طبيعة المرأة خصوصا اذا كانت تعيش مع ضرة أو ضرائر، ويساعده على هذا التحمل ما اختاره لنفسه من العيش المتواضع ، وما مرن عليه من الحلم والصفح الجميل، فكان يعالج الأمور بالحسنى ويحل المشاكل بالكياسة والسياسة ، لا يغضب الا لله ، ولا ينتقم الا أن تنتهك حرمات الله • لقد كانت الواحدة من زوجاته تهجره اليوم والليلة ، وكن يراجعنه فى الكلام ويكثرن من المطالب عندما يرين الخير وافدا عليه من كل جانب ومع ذلك لم يرفع يدا ليضرب بها ، ولم يطلق لسانه بعيب يجرح شعور واحدة منهن ، ولما ألححن عليه فى طلب التمتع بما تتمتع به نساء كسرى وقيصر لم يزد على أن خيرهن بين المقام معه على حالته الرقيقة المتواضعة وبين امتاعهن وتطليقهن ، واعتزلهن شهرا كان لهن أدبا عظيما •

كان - صلى الله عليه وسلم - يخيط ثوبه، ويخصف نعله ، ويرقع دلوه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه • وهو بهذا يضرب المثل الكامل فى التيسير وعدم التعقيد ، وفى التعاون الذى يجب أن يسود جو الأسرة ، فهى شركة لا ينبغى أن يجد أحد أعضائها غضاضة أو حرجا فى عمل ما يساعدها على الوصول الى غايتها من الاستقرار والسعادة •

وكان - عليه الصلاة والسلام - يزاول هذه الأعمال بنفسه بالرغم من وجود الخدم الذين يكفونه ذلك ، لأنه يريد أن يضرب المثل فى التواضع والاحساس بالمعنى الحقيقى للاسرة •

كان النبى رحيم القلب ، لين الجانب خافض الجناح فى معاملة الأولاد بنوع خاص وهذا شأنه مع كل ضعيف كالنساء واليتامى والفقراء • وحسبك ما تعلم من تبسطه مع أولاد بناته ، الذين كان يحملهم ويداعبهم ويقبلهم ، وكان الحسن يركب ظهره وهو ساجد فى الصلاة فيطيل السجود ، واذا سأله الصحابة عن هذا التطويل ، يقول : **ان ابنى قد ارتحلنى فأحببت ألا أزعجه عن راحلته** ، هذا التعبير بالارتحال الذى اختاره النبى من بين التعبيرات الأخرى يرينا الى أى حد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى تواضعه وفى التنزل والتبسط مع أفراد الأسرة ومع الصغار بنوع خاص ليدخل السرور على أنفسهم يؤلف قلوبهم ويشعرهم بدفء الحنان الذى هم فى أشد الحاجة اليه فى هذه السن •

كان - صلى الله عليه وسلم - رحيمـا بالخدم ، يعاملهم كبشر لهم شعورهم واحساسهم ، فما نهر خادما قط ولا ضربه ، وقد خدمه أنس عشر سنين ، فما قال له أف قط ، وما قال له لشيء صنعه لم صنعته .. ولا لشيء تركه لم تركته .

هذه نظرة عابرة على بعض الصـور التى تمثل حياة النبى - صلى الله عليه وسلم - فى أسرته ، نرى من خلالها ما كان يتحلى به من أخلاق عالية وبصيرة نافذة وسـياسة رشيدة تمثلت فيه كقائد يدير مملكة تحتاج الى العدل والمساواة والى الحزم والعزم ، والى اللباقة والكياسة وحسن التـدبير ، تمثلت فيه كمرب يصنع جيلا وينشىء أمة ، يحتاج الى دربة وخبرة ، وبعد نظر ، والى صبر وجلد وتحمل ، والى عطف وحنـان ورحمة وتمثلت فيه كعضو فى شركة اختير لادارتها ، لا بد له من الشعور بالمسئولية ، ومن التعاون التام والاخلاص للواجب ، ومن الوفاء والتفـانى وحسن التصرف فى حل الأزمات وفض المشاكل ، ومن العمل على تجميع القوى التى تحقق للبيت سعادته ، وتساعده على أداء رسالته .

وقد كانت زوجاته - رضى الله عنهـن - يقدرن فيه هذه الصفات البشرية العالية ، الى جانب ما امتاز به من شرف الرسـالة ، فكن المثل الأعلى فى حسن السمع والطاعة والقناعة بالوضع المادى المتواضع ، فى مقابل المعـانى الأدبية السامية التى تمتعن بها ، واجتهدن فى توفير الجو الملائم للرسول ليبلغ رسالته على الوجه الأكمل ، فكان بيته الأنموذج العـالى الذى يجب أن يكون دستور كل أسرة لتسعد ويسعد بها المجتمع كله .

التكافل الاجتماعي في الإسلام

-٤-

في محيط العمل والعاملين

الدكتور محمد سلام مدكور

بينا قبل أن مظهر التكافل الاجتماعى فى الاسلام لم يقف عند المال فقط وانه تناول كل النواحى والصلات ، وأفردنا مقالا خاصا عن مظهر التكافل فى محيط الأسرة بينا فيه التكافل بين الزوجين وبين الاقارب ، كما خصصنا المقال السابق لبيان مظهر التكافل الاجتماعى فى محيط العلم والمعرفة ، بينا فيه منزلة العلم فى الاسلام وبدءه بالدعوة اليه وأن معجزة الرسول الكبرى كانت من جنس العلم والمعرفة ، ولذا فإن الاسلام رفع من شأن العلماء وألزمهم بنشر العلم ولعن كاتمه ، انه كان من أثر ذلك أن العلماء من الصحابة والتابعين ، انساحوا فى مختلف المدن الاسلامية مع كثرتها وتعددها منهم من ينشر العلم ومنهم من يطلبه من المهد الى اللحد .

وسنتكلم اليوم ـ كما وعدنا ـ عن مظهر التكافل الاجتماعى فى الاسلام فى محيط العمل والعاملين .

منزلة العمل والعاملين فى الاسلام :

ان العمل فى الاسلام دعامة كبرى من دعائمه ، فليس على دين الاسلام حقا من تهاون فيه أو استهان بأمره تواكلا مقصودا أو توكيلا مزعوما . وان من عناية الاسلام بالعمل أن جعله الله كفارة لبعض الذنوب يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام : **ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا السعى فى طلب العيش** ، وكان النبى يسمى العمل الجهاد الاكبر ، ويقول : **ان الله يحب المؤمن المحترف**

وقد كان أصحاب رسول الله على مكانتهم وكرامتهم الرفيعة يمثلون هذا الجانب الكريم أصدق تمثيل ، فكان منهم الصانع والتاجر والعامل والزارع ، وقد كان سلمان الفارسى على جلالة قدره يصنع الخوص ويقتات من ذلك العمل وكان لأبى بكر عمله الذى يتعيش منه حتى فى صدر خلافته ولم يتركه الا عندما

رأى المسلمون أن أعباء الخلافة تتطلب أن يفرغ لها كل وقته وجهده وفرضوا له من مال المسلمين راتبا يقوم بحاجته وحاجة أهل بيته ٠

فالاسلام برىء من كل ما يتصل بالكسل والبطالة ، اذ السعى والعمل من شرائع الاسلام الأصيلة البارزة التى يمتاز بها وتحتل الكثير من توجيهاته وقضاياه ، يقول انس رضى الله عنه ان رجلا من الانصار أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله ما يقتات منه ٠ فقال : **أما فى بيتك شىء ؟ : فقال : بلى ـ حلس ـ أى كساء ـ غليظ نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب ـ أى قدح ـ نشرب فيه ٠ فقال: ائتنى بهما . فأتاه بهما فأخذهما الرسول وقال لمن معه : من يشترى هذين ؟ قال رجل، انا آخذهما بدرهم ٠ فقال الرسول ، من يزيد على درهم ؟ فقال آخر : أنا آخذهما بدرهمين ٠ فأعطاهما اياه واعطى الدرهمين للرجل ٠ وقال : اشتر بأحدهما طعاما فادفعه لأهلك واشتر بالآخر قدوما فائتنى به ٠ فأتاه به ٠ فشد فيه الرسول بيده عودا وقال للرجل : اذهب به فاحتطب وبع فهو خير لك من السؤال ٠**

فكان هذا توجيها من الرسول صلوات الله عليه للرجل وللناس جميعا الى الكفاح والعمل فى سبيل الحصول على الرزق كما كان عمله توجيها للناس بالتكافل والتعاون فى تيسير العمل للعاملين ٠

وان حرص الدين على العمل لمن أهم مايتجلى فى توجيهاته الرشيدة وتشريعاته الحكيمة ، فقد كلفنا الله تعالى بالعمل والسعى والضرب فى الارض فى آيات عدة يقول جل شأنه « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** »٠٠ومن تأمل قوله تعالى: **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض ،وقوله للرسول صلوات الله عليه « فاذا فرغت فانصب » ادرك مدى حرص الاسلام على أن يعمل كل فرد فيه وان ينتشروا فى الارض ويبتغوا من فضل الله يلتمسون الرزق الحلال بمختلف وسائل العمل النافع**

ويقول الله تعالى فى هذا المعنى « ٠ **هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور** » فقد ربط الله سبحانه الأكل من رزقه بالعمل، والمشى فى مناكب الأرض والسعى فى جوانبها والانتفاع بما خلق الله فيها على الوجه المشروع اذ فى هذا تحقيق لعمارة الارض واصلاح شئون الناس ٠

ويروى ان النبى عليه السلام دخل المسجد ذات يوم فوجد رجلا يتعبد الى سارية فيه ٠ فنوه له أصحابه بما يقوم به من وظائف العبادة والانقطاع والتبتل ، فأراد النبى بحكمته ان يبين لأصحابه وللناس جميعا من بعدهم أن الاسلام دين عمل وكفاح ، وانه يدفع معتنقيه الى العمل والكدح فى سبيل رقى المجتمع واسعاد البشرية ، فسأل عمن ينفق عليه ؟ فقالوا : أخوه ٠ فرد عليهم بكلمته الخالدة التى كانت منهاجا واضحا للتنويه بالعمل فى مقابلة تنويههم بالعبادة اذ يقول صلوات الله عليه : **اخوه أعبد منه** ٠ فالعمل اذن جزء من العبادة والأخذ به أفضل فى تحقيق معانيها والاتصاف بحقيقتها ولذا فان الرسول يقول : **ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده**

ولم يقتصر الرسول فى هذا المعنى على توجيه الرجال فقط ٠ بل انه يوجه المرأة أيضا الى أن تباشر مهنتها وتقوم من العمل بما يناسبها ويكره أن تنام عن واجبها وان تكل أمرا مما عليها الى غيرها من غير ضرورة قالت السيدة فاطمة بنت الرسول رضى الله عنها : دخل على رسول الله بعد أن صلى الصبح وانا نائمة فأيقظنى وقال : يا بنية ٠٠ قومى اشهدى رزق ربك ولا تكونى من الغافلين ، فان الله يقسم الأرزاق فى هذا الوقت ،ومعنى ذلك أنه يعطى العاملين فى وقت نشاطهم واكتمال قوتهم حين يبكرون الى طلب ارزاقهم ما هو مقسوم لهم من الرزق

وكان عمر بن الخطاب يقول : من له مال فليصلحه ، ومن كانت له أرض فليعمرها ، ولا تؤخروا عمل اليوم الى غد ٠ ومر ذات يوم

فرأى قوما جلوسا ناكسى رءوسهم فقال : من هؤلاء ؟ فقالوا له هم المتوكلون . فقال كذبوا انما المتوكل من القى حبه فى التراب وتوكل على رب الأرباب ثم قال : يامعشر الغراء ارفعوا رءوسكم واكتسبوا لأنفسكم ، وقال : لأن أموت وأنا أضرب فى الارض ابتغى من فضل الله احب الى من أن اقتل مجاهدا فى سبيل الله . وقرأ قول الله تعالى « **وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله** »

وانا لنرى أن كل أمة تتذرع بالعمل هى الأمة التى تصنع لنفسها مكانة تصون كرامتها وتجعلها مرفوعة الرأس موفورة الكرامة عزيزة الجانب ، كما أن كل فرد يعمل بجد ونشاط يكون نصيبه فى الحياة أوفر من نصيب ذلك المتكاسل . ويحظى بتقدير مواطنيه والتفاف قلوبهم حوله ، ويعيش قرير العين مغتبطا لأنه مكافح يؤدى رسالته فى الحياة

التعاون والتكافل فى العمل والعاملين :

ذكرنا لك ماكان الرسول صلوات الله عليه حينما قدم اليه من يسأله الزاد فانه لم يصده ولم ينهره ولم يشجعه على التسول ومسألة الناس وانما عاونه ووجهه وأرشده الى الطريق السوى الذى ينبغى أن يتبع فى الحياة وهذا تكافل وتعاون فى الارشاد والتوجيه للعمل ، كما انه لم يقف منه موقف الموجه والمرشد فقط بل شاركه العمل فأعدله بيده الشريفة آلة الاحتطاب ، ليدفعنا صنيعه فى الناحيتين الى بذل النصح وتوجيه اخواننا الى طريق العمل النافع ومعاونتهم فى البحث عن العمل الذى يناسب كل واحد منهم وفتح باب التكسب أمامهم كى لا يكونوا عالة على المجتمع ولاناقمين عليه ، كما يدفعنا الى المعاونة الفعلية والمشاركة المادية كل بقدر مكنته وخبرته فلا يترفع احد عن معاونة العاملين بما يستطيع ان يعاونهم به عندما تقتضى دوافع العمل طلب المعونة حتى قال صلوات الله عليه : « **الرجل يعين الرجل على دابته فيحملها صدقة** »

وانظر الى ما ترويه لنا كتب السنة من أن الرسول صلوات الله عليه كان مسافرا مع بعض أصحابه فأتوا بذبيحة ليأكلوها وقال أحدهم : على ذبحها ، وقال آخر : على سلخها وقال ثالث : على طبخها فقال النبى : وعلى جمع الحطب وقام بجمعه فعلا مع أن جمعه من الصحراء يحتاج الى مجهود شاق وحركات متفرقة الى جهات مختلفة

ولما بنى مسجد المدينة كان الرسول أول العاملين فى بنائه ، فكان يحمل مع اصحابه الحجارة بمجهود واضح حتى انكشف رداؤه عن ظهره .

ولاشك ان رعايه العامل والعناية به والسهر على توفير الراحه له والتكافل معه بكل الطرق التى تجعله يؤدى عمله على خير وجه وأحسنه باخلاص ودقة لمن أهم ما عنى به الاسلام وحث عليه فى صور كثيرة منها توفير الطمأنينة له على أجره فيقول الرسول « **أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه** » ولقد لعن النبى عليه السلام ثلاثة ذكر من بينهم رجلا استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يعطه الأجر ثم ضرب مثلا لاكرام العامل والاحسان اليه برجل ممن كان قبلنا استأجر أجيرا لعمل عنده فترك هذا الرجل أجره عند صاحب العمل حتى يعود اليه فيتقاضاه منه ولما عاد بعد طوال عهد قدم له صاحب العمل شيئا كثيرا من المال فبهت العامل وظن انه يسخر منه وقال : اتق الله ولا تسخر منى فما جئت الا لأطلب مالى عندك من اجر . فقال له : « والله ما أسخر منك وانما استثمرت حقك حتى بلغ ماترى فخذه كله فهو ثمرة حقك !

فانظر كيف يحكى لنا الرسول هذه القصة فى مقابلة صاحب العمل الذى يأكل حق العامل ، والذى وصفه النبى بانه ملعون ، فيصور لنا النفس الكريمة وما يجب أن يكون عليه المسلمون حيال العمال والأجراء حتى لو كان الاجير متنقلا غير مستقر ، كل هذا ليغرس فى نفوسنا الاحسان فى معاملاتهم والتلطف معهم وتطييب خاطرهم حتى تهدأ نفوسهم ويشعروا بأنهم محل الرعاية والعناية .

ولقد وضع الرسول صلوات الله عليه دستورا عادلا كريما ، بين روح الاسلام فى معاملة العاملين والتعاون معهم ومساعدتهم فيما يشق عليهم بقدر المستطاع أيا كانت منزلتهم فى مختلف طبقاتهم دون استعلاء ولا تعاظم • اذ يقول : اخوانكم خولكم - أى العاملون تحت أيديكم - جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فاعينوهم ، أوليس هذا مما يربى روح التواضع والتعاون فى نفوس العمال ومن يستعملونهم حتى يجعل منهم وحدة متساندة متكافلة تعمل على اسعاد المجتمع •

هذه نظرة الاسلام الى العمل والعاملين ، ولقد عنى مجتمعنا الجديد بهذا المعنى الانسانى الكبير فنظر الى العامل نظرة تتفق مع تلك الروح ، وانا نلمس جميعا ما نظمته الدولة من انشاء مرافق عديدة تنهض بشأن العاملين تملأ نفوسهم غبطة وانشراحا لتطمئن قلوبهم ويتضاعف انتاجهم ويشعروا بان المجتمع يقدرهم ويعتز بهم ماداموا يتحلون بالخلق الكريم ويقومون بأداء الواجب عليهم هذا الى ما تقدمه المصالح والمؤسسات بتوجيه والزام من الدولة من خدمات اجتماعية كثيرة توفر لهم السعادة والاطمئنان فانشأت لهم مساكن صحية ، وقدمت لهم الطعام ووفرت لهم العلاج ودور العلم المزودة بمختلف الكتب والثقافات ، والتى أعدت فيها الفصول للتعليم والتثقيف ايضا ، كما انشأت لهم الاندية الرياضية التى تحتوى على مختلف الرياضات المشروعة التى تكسب الجسم صلابة وقوة وتهذب النفس وتروضها • بل قد اصبح العمال فى مجتمعنا شركاء فى ادارة المصانع والشركات والمؤسسات كما اصبحوا شركاء فى ادارة أمور الدولة وأصبح للعمل وزارة خاصة ترعى شئون العمال وتنهض بهموتتعاون معهم فى كل مايكفل لهم حقوقهم ويحقق للوطن الخير والفلاح ، ولم يقف التكافل الاجتماعى فى محيط العمل فى مجتمعنا عند هذا الحد بل وضع لهم نظام التأمينات التى بها يطمئن العامل على مستقبله ومستقبل أسرته حتى مع العجز والشيخوخة ووضعت القوانين والنظم التى تحميه من الفصل التعسفى •

هذه نظرة الاسلام الى العمل ودعوته الى التعاون والتكافل مع العاملين ، وهذا هو منهجنا فى مجتمعنا الجديد معهم • فلم يبق الا أن نقول : ان من حق المجتمع على العاملين أن يقدروا هذه الرعاية والعناية قدرها فيعطوا العمل حقه ويكون أسلوبهم فى التفاهم مع رؤسائهم طابعه الوداعة والخلق الكريم

والى لقاء قريب ان شاء الله حيث نتكلم عن التكافل فى الاسلام فى محيط التعامل

شخصيات اسلامية

عبد الله بن الزبير

الدكتور سعد الدين الجيزاوى

انطلقت الزغاريد صباح يوم فى احد المنازل بالمدينة المنورة ، بعد أن هاجر اليها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بقليل ، وعندما استوضح المسلمون الخبر علموا أن مولودا قد ولد لاحد المهاجرين الابرار ، ففرحوا بذلك فرحا عظيما ، وكبروا لهذا النبأ الذى غمرهم بالسرور .

والسبب فى هذه الفرحة ، أن اليهود المقيمين بالدينة كانوا قد اشاعوا انهم قد صنعوا سحرا للذين هاجروا مع النبى من مكة الى المدينة حتى لايولد لهم بالمدينة اولاد .

كان هذا المولود المبارك هو عبد الله بن الزبير بن العوام .

ابوه : هو الزبير بن العوام صاحب الرسول الكريم . ورفيقه فى جهاده ، ومن أقرب - المقربين اليه حتى لقب بحوارى الرسول ، وهو أحد الذين بشرهم النبى بالجنة .

وأمه : هى أسماء بنت أبى بكر الصديق ، صاحب رسول الله ، ورفيقه فى هجرته وأول الخلفاء الراشدين وقد لقبت أسماء بذات النطاقين لأنها كانت قد خرجت وراء النبى وأبيها ليلة الهجرة لتعرف طريق سيرهما واخذت ترعى غنيمات تضلل بها المشركين ، ثم تاخذ الماء والزاد الى غار ثور ، حيث اختبأ الرسول وصاحبه من أعين المشركين ، وقد اضطرت لأن تشق حزامها الذى كانت تتمنطق به وتجعل نصفه على وسطها ، وتربط فى النصف الآخر ما تحمل من طعام ، فسميت بذات النطاقين .

نشأ هذا المولود المبارك بالمدينة المنورة فى ظلال ثورة الدعوة الاسلامية ، وفتح عينيه على أصوات قعقعة السلاح والصراع بين الاسلام الذى يدعو الى توحيد الله واقامة العدل ، وبين الشرك الذى كانت تقدس فى ظلاله الاوثان وتؤد البنات ، وتشيع المفاسد ، ويسجد الانسان لحجر صنعه بيديه ، غافلا عن أسرار التوحيد ، بعيدا عن النور ، غارقا فى الضلال المبين .

ورأى فى صباه الغزاة الابطال رائحين غادين ،مهللين مكبرين بانتصاراتهم فى المعارك ، وبينهم ابوه الزبير بن العوام وغيره من أهله وعشيرته ، تلبى جموعهم نداء الرسول الكريم وتأتمر بأمره ، وسمع من أبيه ماكان يحفظه من القرآن الكريم ومن حديث الرسول الكريم فتشبع بالمبادىء الاسلامية منذ نعومة أظفاره ، وتعلم الفروسية فى محيط من الحماسة ، وشهد يوم انتقال الرسول الكريم الى الرفيق الاعلى وهو فى العاشرة من عمره ، ثم عاصر الخلفاء الراشدين الأربعة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، واكتملت رجولته عندما آل الامر الى بنى أمية حيث كان له معهم شأن ، ونازعهم السلطان عندما رأى فى بعضهم انحرافا كما سنرى .

ومنذ أن قويت ساعداه ، أخذ يشترك فى المعارك التى دارت أثناء الفتوحات الاسلامية منذ أيام الخلفاء الراشدين . وعندما آلت الخلافة الى عثمان بن عفان كانت الفتوحات الاسلامية فى شمال افريقية قد وصلت

الى برقة منذ أيام عمر بن الخطاب ، فامر عثمــان باستمرار الفتوح غربا وارسل جيشا كبيرا بقيادة بطل يسمى عبد الله بن ابى سرح وسار هذا القائد بجنده حتى وصلوا الى طرابلس ، وراى أن يستولى على الجزء الباقى من شمال افريقية الممتد بين طرابلس وطنجة ، وهذه المنطقة كان يحكمها ملك من البربر يسمى «جرجير» وقد اكتمل من جيش المسلمين عشرون الفا ، وكان جيش البربر عشرين ومائة الف ، وقد ارسل قائد المسلمين الى الملك « جرجير » يدعوه الى الاسلام فابى واستكبر ، ونشب القتال عنيفا وقاسيا بين الفريقين ، وفى وسط هذه المعركة الحامية ظهرت براعة عبد الله بن الزبير وشجاعته النادرة وسعة حيلته ، التى ادت الى قتل الملك واندحار جنده على كثرتهم ، وانتصار المسلمين على قلتهم :

فقد راى ابن الزبير ان ملك البربر يخرج احيانا منفردا ويسير خلف فرق جيشه ، وتسير حوله الجوارى تظلله بريش النعام ، وهو يريد بذلك أن يظهر الأبهة امام العرب .

انتهز ابن الزبير هذه الفرصة ، ولكن فى اقدام ما بعده اقدام ، اذ اختار ثلاثين فارسا ، وتقدمهم ، وساروا نحو موكب الملك دون ان يبرزوا سيوفهم ، حتى لقد ظن كل من رآهم من الفريقين أنهم ذاهبون برسالة الى الملك .

سار ابن الزبير وراء الملك بضع خطوات ، فلما تنبه الملك ، والقى عليه نظرة فاحصة ادرك أنه يريد به شرا وقبل ان يستنجد او يصيح عاجله ابن الزبير بضربة حاسمة فقطع رأسه ، وتولى فرسانه الفتك بالحاشية ، ثم اسرعوا عائدين الى معسكرهم بين التهليل والتكبير وهنا تنبه جيش البربر الى قتل ملكهم وسمعوا تهليل المسلمين وتكبيرهم ، ففزعوا وتفرقوا وضعفت مقاومتهم وفتح الله على المسلمين ونصرهم نصرا مبينا .

وعاد عبد الله الى المدينة فحمل البشرى بنفسه الى الخليفة عثمان ، ولقد كبر عثمان وفرح بهذا النصر وقال لعبد الله : الافضل أن تزف هذه البشرى الى المسلمين من فوق المنبر ، فاطاع عبد الله الأمر .

ولقد كان هذا الفتح خيرا وبركة على أهل شمال افريقية ، فقد أشرق نور الهداية ، الاسلام ، ورفعت عنهم المظالم التى كانوا يقاسونها من سيطرة الملوك المتغطرسين ، وزال عنهم نظام الطبقات ، واصبحوا بنعمة الله ـ بعد أن شملهم الاسلام ـ اخوانا متحابين .

فى العام الحادى والأربعين من الهجرة ، انتقلت أمور المسلمين من عهد الخلفاء الراشدين الى عهد دولة بنى امية ، عندما تنازل الحسن بن على الى معاوية بن ابى سفيان عن الخلافة واجتمعت كلمة المسلمين فى الحجاز والشام والعراق على معاوية ، وكان ذلك بعد صراع طويل بين على بن ابى طالب ومن كانوا فى جانبه ، ومعاوية ومن كانوا بجانبه ، كل يرى أنه أحق بتولى شئون المسلمين .

وقد شهد عبد الله بن الزبير كل ذلك الصراع ، ولم يرض عنه فى قرارة نفسه ، وصبر على مضض ، غير أن ماكان يراه من استبداد بعض الحكام الامويين ، وانفرادهم بالسلطان ، واهمالهم غيرهم من الجيل الذى تربى فى عهد الرسول الكريم ، وشهد المعارك ، وجاهد فى اقامة الدعوة الاسلامية .. ثم ما ادى اليه الصراع الذى جرى بين يزيد بن معاوية والحسين بن على وانتهى بقتل الحسين رضى الله عنه ، كل ذلك قد زاد فى سخط عبد الله بن الزبير ، وجعله ينازع بنى امية الامر ، ويستميل الناس اليه حتى نودى به خليفة فى عام ٦٤ هجرية ، وبايعه أهل الحجاز، وبقيت الشام مقر الامويين لا تدين لهم بالولاء .

كان ابن الزبير شجاعا فى الحق ، لايخشى لومة لائم ، وكثيرا ما كان ينتقد سياسة معاوية . ومن ذلك أنه عندما راى استبداد مروان والى المدينة ، ذهب الى معاوية وقال :

« يا امير المؤمنين : لا تدعن مروان يرمى جماهير قريش بمشاقصه (١) ، ويضرب صفاتهم (٢) بمعوله ، أما والله لولا مكانك لكان أخف على رقابنا من فراشه ، واقل فى انفسنا من خشاشة » (٣) .

وكان ابن الزبير مرة فى مجلس معاوية فسأله ماذا تريد يا عبد الله ؟ فقال ابن الزبير : « المهاجرون والانصار ترد عليهم فيئهم ، (٤) وتحفظ وصية رسول الله فيهم تقبل من محسنهم ، وتتجاوز عن مسيئهم » .

وصبر ابن الزبير ، وفى عام ٦٤ مات يزيد بن معاوية وكان أميرا للمؤمنين ، وخلفه ابنه معاوية الثانى ولكن لم تدم خلافته الا اربعين يوما، وهنا راى انصار عبدالله ابن الزبير ، وعارفى فضله انه الشخصية المنتظرة لتولى أمور المسلمين ، لما عرفوه من زهده ، وشجاعته وتدينه كما وصفه ابن عباس حين سئل عنه . قال : « كان قارئا لكتاب الله ، متبعا لسنة نبيه ، وامه بنت الصديق وخالته عائشة ، حبيبة حبيب الله وزوج رسول الله ، فلا يجهل حقه الا من اعماه الله »

انتهز ابن الزبير فرصة قتل الحسين رضى الله عنه ، اذ كانت جريمة بشعة أن يقتل حفيد الرسول وابن الامام على ، فراح يعيب أهل الكوفة لمعاونتهم يزيد بن معاوية فى قتل الحسين ، ويظهر فضل الحسين ، ويذيع ماكان معروفا عن يزيد من الاستهتار ، فاستمال القلوب اليه ، وجمع حوله كثيرا من الانصار ثم اعلن خروجه عن طاعة يزيد واعلان نفسه خليفة ، فبايعه أهل مكة ، غير ان يزيد حاول ان يرده وهدده ، واقسم أن يحضر الى مجلسه مكبلا بالسلاسل ، ولكن لما عرف يزيد أن ذلك مستحيل لمكانة ابن الزبير ، اراد أن يحتال عليه فارسل سلسلة من فضة ليربط ابن الزبير فيها ومعها ثوب من حرير يغطيها حتى لا يراه الناس مسلسلا وذلك ليبر يزيد بقسمه ولكن ابن الزبير أبى وامتنع ، ودارت معارك بين انصاره وانصار بنى امية مات فى اثنائها يزيد ثم ترك خليفته معاوية الثانى ، واستتب الأمر لابن الزبير ، وبايعه أهل المدينة والحجاز والعراق ، وبقيت الشام

---

١ ـ جميع مشقص : وهوالنصل الطويل . أى حديدة الرمح .

٢ ـ والصفا : الصخرة والمعول الفاس .

٣ ـ والخشاشة : جمعها خشاش ، وهى حشرات الأرض .

٤ ـ والفىء : العطاء . ويريد نصيبهم فى بيت المال. والعبارات السابقة كنايات عن سوء المعاملة والتفرقة بين ناس وناس ..

خارجة عن طاعته ولا سيما بعد أن رحل اليها بقايا الامويين الذين كانوا بالمدينة وعلى راسهم مروان بن الحكم الذى بايعه أهل الشام خليفة عليهم دون ابن الزبير .

ظل عبد الله بن الزبير اميرا للمؤمنين وخليفة للمسلمين حوالى تسع سنوات ويناظره بالشام مروان ابن الحكم الذى اخذ يحيز الفرص ويستعد حتى قتل مصعب ابن الزبير اخو عبد الله فى العراق ، واعد جيشا لمحاربة ابن الزبير بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفى المعروف بقسوته ودارت بينهما معارك دامية انتهت بقتل بن الزبير وعودة الامر الى حكومة الشام وانتقال الحكم الى البيت المروانى ، اذ بويع مروان بن الحكم خليفة على الشام والحجاز والعراق .

بقى عبد الله بن الزبير مدة خلافته بالمدينة ، وقد كان حسن السيرة ، اشاع العدالة بين الناس ، ورد الحقوق الى اهلها ، واعاد بناء الكعبة على الاوصاف التى كان سمعها من الرسول صلى الله عليه وسلم وكان اول من كساها بالحرير .

وقد كان ابن الزبير سياسيا ماهرا ، شجاعا فارسا ، تقيا ورعا ، عالما بأصول الاسلام وتشريعاته . يخشى الله ويحاسب نفسه ، وعندما طلب الامارة فانه طلبها ليضمن تطبيق العدالة بين الرعية ولا سيما بعد أن شاع عن يزيد ما شاع من استهتاره وعدم تمسكه بأمور دينه وهو الحاكم المسئول ، ثم ما كان من قتل الحسين بن على رضى الله عنهما .

وفوق ذلك فقد كان عبد الله خطيبا مفوها ، فصيحا بليغا ، طالما حضر مجالس معاوية وحاوره .. وافحمه ومن خطبه :

لما بلغه قتل أخيه مصعب خطب الناس وقال : «الحمد لله ، ملك الدنيا والآخرة ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شئ قدير . الا انه لن يذل من كان الحق معه ، ولن يعز من كان أولياء الشيطان حزبه ، انه اتانا خبر من العراق احزننا وأفرحنا : قتل مصعب فاما الذى أحزننا من ذلك ، فانه لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصاب ، ثم يرعوى من بعد ذلك الى كريم الصبر ، وجميل العزاء وأما الذى فرحنا ، فان القتل له شهادة ، ويجعل الله له ولنا فى ذلك الخيرة » .

وتتجلى بطولة ابن الزبير ، وشجاعة أمه أسماء ، فى ذلك الحوار الذى دار بينهما عندما اشتد عليه الحصار بمكة بجند الحجاج وأيقن انه لا محالة من الهالكين .

ذهب الى امه فى تلك الساعات الحرجة والخطوب تنزل به من كل جانب ، وقد تخلى عنه كثيرا ممن كانوا معه وطلبوا الامان لأنفسهم من الحجاج ، فقال : يا أمة : خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى ، فلم يبق معى الا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من ساعة والقوم - يقصد الحجاج ومروان - يعطوننى ما أريد من الدنيا ، فما رايك ؟ فقالت : أنت والله يابنى أعلم بنفسك ان كنت تعلم انك على حق ، واليه تدعو فامض له ، فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بنى امية ، وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد أنت ، اهلكت نفسك ، وأهلكت من كان معك ، وان قلت كنت على حق فلما وهن أصحابى ضعفت فهذا ليس فعل الاحرار ، ولا اهل الدين . والله لضربة بالسيف فى عز احب الى « من ضربه بسوط فى ذل » قال : انى اخاف ان قتلونى أن يمثلوا بى . فقالت : يابنى : ان الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها .

وهنا دنا من أمه وقبل راسها وقال : هذا والله رأيى . والذى قمت به داعيا الى يومى هذا ماركنت الى دنيا ، ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعانى الى الخروج الا الغضب لله أن تستحل حرمه . ولكننى أردت أن اعلم رأيك ، فزدتنى بصيرة الى بصيرتى ، فانظرى يا أمه ، فانى مقتول من يومى هذا ، فلا يشتد حزنك ، وسلمى لأمر الله فان ابنك لم يتعمد باتيان منكر ، ولا عملا بفاحشة ، ولم يجر فى حكم الله ، ولم يغدر فى امان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ولم يبلغنى ظلم من عمالى فرضيت به ، بل أنكرته ، فقالت : أمه : انى لارجو من الله أن يكون عزائى فيك حسنا ، ان تقدمتنى وأن تقدمتك ، ففى نفسى حرج حتى انظر الام يصير امرك . قال : ياأمة : فلاتدعى الدعاء قبل وبعد ، فقالت : لا ادعه ابدا فمن قتل على باطل ، فقد قتلت على حق ، ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام فى الليل الطويل ، وذلك النحيب والظمأ فى هواجر المدينة ومكة ، وبره بأبيه وبى ، اللهم قد سلمته لأمرك فيه ، ورضيت بما قضيت ، فأثبنى فى عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين ..

ومن هذا الحوار تتبين لنا صفات ذلك البطل الشجاع، المؤمن الكريم ، الذى عاش حياته مكافحا من أجل الحق حتى قتل فى سبيله .

لقد مضى عبد الله بعد ذلك الحوار وهو ما يشك فى قتاله ، ولكنه جالد المعتدين عليه مجالدة عظيمة حتى أحاطوا به ولم ينفع مع القدر المحتوم أية حيلة .

وفى المعركة الأخيرة نظر الى أصحابه وقال : يا آل الزبير : لا يرعكم وقع السيوف ، فانى لم أحضر موطنا قط الا ارتثت (١) فيه من القتل . وما أجد من الم جراحها اشد مما أجد من ألم حرها ، صونوا سيوفكم كما تصونوا وجوهكم لا أعلم امرا كسر سيفه واستبقى نفسه ، فان الرجل اذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل . غضوا أبصاركم عن البارقة ، وليشغل كل امرئ قرنه ولا يلهينكم السؤال عنى ، ولا تقولن أين عبد الله بن الزبير ؟

الا من كان سائلا عنى فانى فى الرعيل الأول :

أبى لابن سلمى أنه غير خالد
ملاقى المنايا أى صرف تيمما

فلست بمبتاع الحياة بسبة
ولا مرتق من خشية الموت سلما

احملوا على بركة الله .

ثم أصابه سهم فحمل مقتولا رحمه الله ورضى عنه . وكان ذلك عام ٧٣هـ .

وعندما بلغ عبد الله بن عمر نبأ قتله ، وما كان من تكبير جند الحجاج المعتدين ، قال : والله ان قوما كبروا يوم مولدك بالمدينة يا عبد الله ، قد كانوا خيرا من الذين كبروا يوم مقتلك يرحمك الله ياأخى » .

١- ارتث : حمل جرحا من المعركة .

٢ - الرعيل : الجماعة القليلة من الخيل ، أو مقدمة الخيل .

شهر شعبان

فضيلة الشيخ عطية صقر

يمر بالمسلمين موكب الشهور العربية فيجدب انظارهم بعضها ، وتشد انتباههم اليها نقط بارزة فيها يركزون عليها الأضواء، ويولونها عناية خاصة يمجدون فيها ذكريات عزيزة ، أو يتقربون فيها الى الله بعمل يزداد ثوابه ويعظم أجره لهذه المناسبة •

وقد يحدث أن يمر شهر من الشهور بين شهرين لكل منهما جاذبية قوية تصرف الى حد كبير انتباه الشخص الى هذا الشهر الذى توسطهما ، مع أنه قد يكون له من المزية ما لو علمه لوضعه فى قائمة الشهور المفضلة •

ومن هذه الشهور شهر شعبان • فهو يقع بين شهرين عظيمين هما رجب ورمضان ، ورجب أحد الأشهر الحرم التى عظمها العرب من قديم التاريخ وجعل لها الاسلام مزية فى التقرب الى الله بصيامها وعمل الخير فيها ، كما أن المسلمين ربطوا به حادث الأسراء والمعراج ، ذلك الحادث الغريب الذى يشد انتباه جميع الناس اليه فى كل عام سواء منهم المؤمنون وغير المؤمنين •

ورمضان على رأس القائمة فى مواسم الفضل والشرف ينتظره المسلمون بفارغ الصبر ويحتفلون فيه بذكريات جميلة ذات آثار عظيمة فى الدعوة الاسلامية •

وقد أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يبين للمسلمين أن شهر شعبان له من المزايا مايدفع المسلم الى الاهتمام به والحرص على الافادة منه ، وكان بيانه للناس بعمله وسلوكه قبل ان يكون بقوله وارشاده، فقد ثبت عنه انه عليه الصلاة والسلام كان يصومه كله أو يصوم أكثره ، وقد روى ذلك البخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة • ولما رأى المسلمون حرصه على الصيام فيه سألوه عن العلة فى ذلك ، ومن حقهم أن يسألوا ويتبينوا أحكام دينهم ونظام سلوكهم حتى لا تكون لهم حجة ، وتقدم اسامة بن زيد الى رسول الله بالسؤال ، فقد

أخرج النسائي وأبو داود وابن خزيمة عنه أنه قال : قلت يا رسول الله ، لم ارك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ، قال : ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال الى رب العالمين ، فأحب أن يرفع عملي وانا صائم

وقد علل العلماء فضل الصيام فيه بأن غفلة الناس من الشهر تعين على سريه الصوم وتبعث على الاخلاص فيه ، كما أن الصائم الذى لايشاركه الناس الصيام يشعر بوحشة لايجدها مثلا فى شهر رمضان الذى يسليه احساسه بأن الناس يعانون مثله مشقة الجوع والعطش ، وهذه الوحشة تحمل المؤمن الصادق على جهادنفسه وقهرهاعلى اداءالطاعة ومقاومة الاغراءات ، وهذه المعالجة النفسية تجعل للعمل قيمة عظيمة ، وتنزل الانسان منزلا كريما بين المجاهدين المخلصين .

وقال العلماء ان رفع الاعمال الى الله فى شعبان هو رفع خاص غير الذى يكون فى كل يوم وليلة ، وهو بمثابة التقرير السنوى الذى ترفعه الملائكة الى الله عن أعمال العباد ، والنبى صلى الله عليه وسلم حرص على الصيام عند تقديم التقرير السنوى عنه فى شعبان ليكون الصيام خاتمة التقرير ، كما يكون صيام رمضان فاتحة التقرير الجديد ، واذا بدىء التقرير بالصيام وختم بالصيام كان البدء والختام بأعظم الطاعات ثوابا ، فان جزاءها لايجرى على القانون العام للجزاء الذى بينه الله فى قوله ((**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها**)) ولكن جزاءه يكون لله وحده كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ((كل عمل ابن آدم يضاعف **الحسنة بعشر أمثالها**)) .

وفى الحديث القدسى ((ألا الصوم فانه لى وأنا أجزى به))

وصوم النبى صلى الله عليه وسلم شعبان يبين فضل جميع أيامه لا يخص بذلك يوما معينا ، ولا يدل على فضل جزء منه ، غير أن المسلمين جميعا أو أكثرهم لا يرون لهذا الشهر فضلا الا من أجل ليلة النصف منه ، وهم لذلك يخصونها بالاقبال على الطاعة وينتهزون فرصتها القصيرة فى كسب أكبر قدر ممكن من الثواب وتحقيق المراد .

وقد ورد فى فضل هذه الليلة أحاديث كثيرة غير أن أكثر المحدثين ضعفها . وصحح ابن حبان بعضها وخرجه فى صحيحه . ومن أمثلها ، كما نبه عليه الحافظ ابن رجب ، حديث عائشة رضى الله عنها ، قالت : فقدت النبى صلى الله عليه وسلم فخرجت فاذا هو بالبقيع رافع رأسه الى السماء ، فقال : أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ فقلت يارسول الله قد ظننت أنك أتيت بعض نسائك فقال : ان الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم بنى كلب . وهذا الحديث رواه أحمد غير ان الترمذى قال ان البخارى ضعفه وروى ابن ماجه بسند ضعيف عن على بن أبى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ((**اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فأن الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا فيقول : ألا من مستغفر فأغفر له، ألا من مسترزق فأرزقه ألا من مبتلى فأعافيه ، الا كذا الا كذا حتى مطلع الفجر .**

وكان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان ومكحول الدمشقى يجتهدون فى العبادة فى هذه الليلة وأخذ الناس عنهم تعظيمها ،وقد انكر ذلك اكثر العلماء من اهل الحجاز وقالوا انه بدعة . وكان بعض علماء الشام يستحب احياءها جماعة فى المسجد ووافقهم أسحاق ابن راهويه وقال فى قيامها بالمساجد جماعة : انه ليس ببدعة ، كما نقله عنه حرب الكرمانى فى مسائله . والبعض الآخر كره الاجتماع لها فى المساجد ، ولم يكرهوا ان يصلى الرجل فيها لخاصة نفسه ، وهذا قول الاوزاعى امام أهل الشام وفقيههم ..

وأحب أن أعرض رأيى على الناس فى الاحتفال بها الآن فأقول : ان الاختلاف فى كونه بدعة ايام التابعين وتابعيهم حيث كان التدين فيه بالغا أشده ويراد من المسلمين أن يجعلوا

تدينهم خالصا نقيا من كل ما يشوبه حتى مما لم يتفق على عدم شرعيته ، لا ينبغى أن يشار الآن فى الزمن الذى انصرف فيه الناس عن العبادة ونظرا لكثير منهم الى التدين نظرة التأخر والرجعية . ولا شك أن أصل اجتماع الناس على الخير ، وأصل الصلاة والدعاء والصيام مشروع . واذا كان هناك تعليق على بعض المظاهر فليكن بالتوجيه والارشاد والحكمة والموعظة الحسنة ، فان الشدة والقسوة تحمل إما على العناد وإما على الانصراف عن الدين بالمرة ، ونحن الآن فى حاجة الى جذب انتباه الناس الى التدين ، وربط الشبان بنوع خاص بالمساجد واحياء الذكريات الاسلامية المجيدة ليكون نهوضنا بالوطن وتربيتنا للجيل الصاعد على أساس من القيم الروحية والمثل الانسانية العليا النابعة من الأديان .

وبعد . فاذا كان هذا هو شعبان وهذه هى ليلة نصفه بما ورد فيهما من صلاة ودعاء وصيام فانى أحب أن أقول : ان لنا ذكريات اسلامية مجيدة وحوادث تاريخية هامة حدثت فى هذا الشهر ، لا يجوز أن تصرفنا الصلاة والصيام عن اجتلاء العبرة منها . والافادة من تجاربها التى تهذب النفوس وتقوم السلوك وتبعث فينا روح القوة والنشاط والنهوض .

فقد كانت غزوة بدر الآخرة فى شعبان من السنة الثالثة الهجرية، وتجلت فيها شجاعة النبى وصحابته وحرصهم على الوفاء بالوعد حتى فى مظان الخطورة والشدة ، فعندما قال أبو سفيان فى غزوة أحد : الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل ، قال النبى لرجل من اصحابه : قل نعم ، هو بيننا وبينكم موعد ومع أن المسلمين تعبوا كثيرا فى احد الا انهم خرجوا لهذا الموعد فى ايمان وشجاعة ، فأكرمهم الله بأن تخاذل العدو ولم يجرؤ أن يلتحم معهم فى معركة فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء .

وكانت غزوة بنى المصطلق فى شعبان من السنة الرابعة أو الخامسة أو السادسة ،وكان فيها الامتحان الخطير بحادث الأفك الذى رميت به أطهر النساء ، وكانت حكمة النبى وسياسته فى معالجة الامور والابقاء على وحدة الجماعة بسبب هذا الحادث وغيره ، وأظهر الله فيها نفاق المنافقين الذين قالوا : لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ، كما روت ذلك كتب السيرة .

وكانت غير ذلك سرية لعبد الرحمن بن عوف فى السنة السادسة ووصية النبى بالاخلاص فى الجهاد والعدل والرحمة فى معاملة المقاتلين وسرية لعلى بن أبى طالب فى السنة نفسها يقطع بها مددا عن يهود خيبر جاءهم من بنى بكر ، وسرية لعمر بن الخطاب الى هوازن وبشير بن سعد الانصارى فى السنة السابعة .

كما كان حادث تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة فى شهر شعبان وفى منتصفه على بعض الروايات ، وقد تحدث العلماء قديما وحديثا عن حكمة ذلك واثره فى النفوس ، وتميز المؤمنين الصادقين من غيرهم وتحديد موقف المسلمين من اليهود ، كما يحكى ذلك قول الله تعالى « **وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله ، وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم** » وقال النبى صلى الله عليه وسلم ، كما رواه أحمد عن عائشة رضى الله عنها « **ان اليهود لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التى هدانا الله اليها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التى هدانا الله اليها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الامام آمين** »

لقد قال اليهود عند تحويل القبلة : اشتاق محمد الى بلد أبيه وهو يريد ان يرضى قومه، ولو ثبت على قبلتنا لرجونا أن نكون هو النبى الذى ننتظر أن يأتى ، فأنزل الله تعالى :

« **وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون** »

ليلة نصف شعبان
تحت أضواء العقل والنقل

الدكتور أبو بكر محمد ذكرى

مضت أجيال طويلة والمسلمون فى جمهرتهم يعتبرون ليلة نصف شعبان موسما للاحتفالات الدينية والتجليات السماوية والنفحات الربانية .. ويندر أن نجد بين عامة المسلمين من لايهتم بمقدمها ، اما لأنه من المستوى الذى يربط مشاعره وعواطفه وانفعالاته بما يجده حوله من عادات المجتمع وتقاليده وعقائده واما لانه من المستوى الواعى المثقف الذى يترصد المواسم ويتحين الفرص لبث اصلاحاته وبذل جهوده فى التوجيه والنصح والارشاد ، حسب قواعد الدين وتعاليمه الصحيحة .

وها نحن أولاء قد اصبحنا على خطوات من مقدمها جعلها الله موسم بركة وخير على العالم العربى وكافة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

ولما كان الخاصة من المثقفين والعلماء فى الأمة الاسلامية يميلون دائما الى تمحيص الحقائق واقرار العبادات فى ميزانها الصحيح ، لشدة حاجة الاكثرية الكاثرة الى نصائحهم وتوجيهاتهم والانتفاع بها فى تصحيح عباداتهم ومعتقداتهم ، فانهم يجدون أنفسهم الآن مأخوذين بهذا الواجب على قدر طاقته . وانه ليسرنا الآن أن نلبى دعوة منبر الاسلام الغراء اسهاما منا فى هذه الجهود ، ومن الله نستمد العون والتوفيق .

أما ان لهذه الليلة مزية على غيرها من الليالى فان العلماء يختلفون فى ذلك اختلافا كثيرا :

فاما القائلون بانها موسم للعبادة والذكر والتهجد على صورة خاصة فيحتجون بأحاديث كثيرة منها :

١ ـ ما ورد عن اسامة بن زيد قال : قلت : يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ماتصوم من شعبان. قال : ذاك شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان . وهو شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين واحب أن يرفع عملى وأنا صائم ـ رواه النسائى .

٢ ـ ومنها ما ورد عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصوم حتى نقول : لا يفطر ويفطر حتى نقول : لا يصوم . وما رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا شهر رمضان وما رأيته أكثر صياما منه فى شعبان ـ رواه البخارى .

٣ ـ وروى البيهقى من حديث عائشة رضى الله عنها : ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : أتانى جبريل عليه السلام فقال : هذه ليلة النصف من شعبان ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم بنى كلب . ولا ينظر الله فيها الى مشرك ولا الى مشاحن ولا الى قاطع رحم ولا الى مسبل ولا الى مدمن خمر ـ ومعنى المسبل هنا من يسبل رداءه حتى يغطى عقبيه كبرا وخيلاء .

٤ ـ وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننته قد قبض فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت اصبعه فتحرك فرجعت فسمعته يقول فى سجوده : أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك اليك لا أحصى ثناء عليك انت كما أثنيت على نفسك. فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال : يا عائشة ، أو يا حميراء . ظننت ان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد خاس بك . قلت : لا والله يا رسول الله ولكنى ظننت انك قبضت لطول سجودك فقال : أتدرين أى ليلة هذه ؟ قالت : الله ورسوله أعلم . قال هذه ليلة النصف من شعبان . ان الله يطلع على عباده فى ليلة

النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم ـ رواه البيهقي .

٥ ـ وعن علي رضي الله عنه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا يومها . فان الله تبارك وتعالى ينزل فيها لغروب الشمس الى السماء الدنيا فيقول : ألا من مستغفر فاغفر له ألا من مسترزق فارزقه ألا من مبتلى فأعافيه ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر ـ رواه ابن ماجة .

وفي هذا الحديث ما يحتمل الاعتقاد بأن الله مقيم في سموات أعلى من سماء الدنيا وأن يتركها في هذه الليلة ليقترب من عباده فهو ينتقل تبعا للمقاصد ما بين أمكنة مختلفة فيترك بعضها ويحل في الأخرى وهـذا القول لا يجوز عليه تعالى ولا يصح أن يعتقده مسلم .. واذن فعلى فرض صحة الحديث لابد من تأويل هذا النص الى المعنى الذى لا يتفق وما لله من تنزيه عن كل مشابهة للحوادث فيكون المعنى : تفيض تجلياته ورحماته وهباته ومنحه ونفحاته بأن يقـول بلا لفظ ولا كيف : ألا من مستغفر ؟ الخ انظر « الترغيب والترهيب ». و « الدر المنثور » للسيوطى .

وأما القائلون بأن ليلة نصف شعبان لا تعتبر موسما خاصا للعبادة فيحتجون بأن هذه الأحاديث التى وردت فى ليلة نصف شعبان بالذات لم يصح منها حديث واحد ، ولم يخل منها حديث واحد من الضعف .

أما شعبان نفسه وكون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان فيه أكثر صياما منه فى كل الشهور ، غير رمضان ، فهذا حديث صحيح كما ورد فى البخـارى الحديث رقم ٢ من هذه الأحاديث الخمسة المذكورة . ثم ان غاية ما يفهم من حديث البخارى من أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يكثر من صيام شعبان قد لا يكون له سبب أكثر من أن شعبان شهر قريب من رمضان وتجلياته فلا غرابة فى أن تتفتح فيه النفـوس الى النشاط فى العبادات ، واستشعار الروح فيضامن النفحات الإلهية ، والرغبة فى الثواب ورضوان الله . والحديث لم يشر الينا أية اشارة الى أن لشعبان أو ليلة نصفه نوعا من التعبدات الخاصة ومن المعلوم أن العبادات الخاصة لابد من أن يثبت فيها نص قاطع من الكتاب أو من السنة . ولم يعرف أن شيئا من ذلك أو قريبا منه قد حدث فى الاسلام باستثناء قيام رمضان الذى كان مشروعا بأصله ومن عمل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وكل ما حدث فيه من جديد هو جعله جماعة بعد أن كان الصحابة رضوان الله عليهم يصلونه فرادى كما كان فى عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد تم اجماعهم على استحسان رأى عمر رضى الله عنه فى هذا التغيير الشكلى الذى لم يمس الأصل فى شىء ولم يعارضه أحد منهم .

أما ان تستحدث فى ليلة القدر تعبدات خاصة من صلاة ودعاء وتلاوات وغير ذلك مما لم يكن له أى أصل فهـذا نوع من الابتـداع الذى لا يوافق الدين ولا يتمشى مع أصوله فى شىء .

ولننقل هنا رأى العلامة المرحوم الشيخ على محفـوظ شيخ الوعاظ والمرشدين رحمه الله فى كتابه « الابداع فى مضار الابتداع » .

يقول رحمه الله فى ص ٢٧٥ من الكتاب المذكور ما نصه :

ومن البدع الفاشية فى الناس احتفـال المسلمين فى المساجد باحياء ليلة النصف من شعبان بالصلاة والدعاء عقب صلاة المغرب يقرأون باصوات مرتفعة بتلقين الامام . فان احياءها بذلك على الهيئة المعروفة لم يكن فى عهـد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولا فى عهـد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . وانما اشتهر عن خالد بن معدان ومكحول الشامى من التابعين أنهما كانا يجتهدان فى العبادة ليلة النصف من شـعبان فاختلف الناس بعدهما فى فضل هذه الليلة واحيائها بالعبادة . فمنهم من أقره ومنهم من أنكره . والمقرون له فريقـان فريق ذهب الى احيائها جماعة فى المسجد وفريق يكره الاجتماع لها فى المسجد ولا يكره للرجل احياءها بالصلاة وحده واختاره الاوزاعى امام اهل الشام .

وانا لنعجب أشد العجب لمحدثات لم تكن فى عهـد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا عهد أصحابه ولا فى عهد التابعين ، غير رجلين منهم خالد بن معـدان ومكحول الشامى المتقدمى الذكر وهما لم يسـتحدثا لا الجماعة لهذه الصلوات ولا دعوة الناس لها فى المساجد وانما كان قصارى أمرهما أنهما كانا يجتهدان فى العبادة فى ليلة النصف من شعبان اجتهادا شخصيا لعلهما سيقا اليه انخداعا بخبر من الأخبار التى رويت فى فضلها وطلب العبادة فيها . وقد قدمنا أن هذه الأخبار كلها اما ضعيفة واما غير صحيحة واما موضوعة . وقد نقل عن أبى بكر ابن العربى انه قال فى كتاب «العارضة» : ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يساوى سماعه وقال فى كتاب الاحكام : ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يعـول عليه لا فى فضلها ولا فى نسخ الآجال فيهـا فلا تلتفتوا اليه .

ويقول المرحوم الشيخ على محفوظ : وأما الصـلاة المخصوصة التى يفعلها بعض الناس فى هذه الليلة فقـد ذكر حديثها فى كتاب الاحياء وقوت القلوب للامام الغزالى ولكن قد صرح جماعة من الحفاظ بانه موضوع . قـال الحافظ بن الجزرى فى « الحصن » : وأما صلاة الرغائب أول خميس من رجب وصلاة ليـلة النصف من شعبان وصلاة ليلة القدر من رمضان فلا تصح وسندها موضوع باطل وقال الامام النووى فى كتاب المجموع : الصـلاة المعروفة بصلاة الرغائب وهى اثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة من رجب ، وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة . وهاتان الصلاتان بدعتان منكرتان . ولا يغتر بذكرهما فى كتاب قوت القلوب واحياء علوم الدين ولا بالحديث المذكور فيهما فان كل ذلك باطل ولا يغتـر ببعض من اشتبه عليه حكمهما من الائمة فصنف ورقات فى استحبابهما فانه غالط فى ذلك وقد صـنف الشيخ الامام ابو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى كتابا نفيسا فى ابطالهما فأحسن وأجاد .

ولعل من أعمق العبر وأولاها بالانتباه أن تعتبر من الآن فصاعدا بهذا الفساد الكبير الذى تفشى عصورا طويلة فى المجتمع الاسلامى بسبب التسرع الى التقليد وتفشى الجهالات واتخاذ الناس لهم قادة ممن لا تثبت عندهم من أصول الدين وقواعده وعلى الخصوص العـلم بطرق الأحاديث ورجالها والتدقيق فى معرفة الصحيح والحسن والضعيف والمنكر والموضوع وغيرها فان الجهل بذلك فى طائفة العلماء والقادة من رجال الدين ورجال الطرق بلاء عظيم . وكم يكون الخطب جسيما والخطر عظيما عندما

يتصدى لذلك رجل خطير القدر كالامام الغزالى فيأخذ من أدلة العبادات الخاصة فى ليلة النصف من شعبان حديثا غير صحيح ثم يحتج به لترغيب العامة فى أعمال الصلاح والتقوى . لقد كان الغزالى رحمه الله يحب مظاهر العبادة والطاعة والتقرب الى الله من أى طريق . ولذا كان سريع التصديق حسن النية بازاء هذه الأحاديث الضعيفة ، بل لعله كان من الذين لا بأس عندهم بالعمل بها فى فضائل الاعمال . وفاته رحمه الله أن الزمان منذ القرن الثالث الهجرى كان قد بدأ يكشف للعلماء والمحققين عن فساد كبير وتطور خطير أقل ما يوصف به أنه كان صورة من التساهل والاستهتار وعدم المبالاة وتقليد كل من يتصدى للقيادة دون تحر وتثبت من حاله . ولو علم الغزالى رحمه الله ومن سار على طريقته فى حسن النية ماذا سيكون من نتائج هذه التساهلات من جراة على التغيير والتبديل والاختراع فى الدين لتروى طويلا فى تحرى صحة الأحاديث ووقف سدا هائلا بين أهل البدع وبين أصول الدين محاذرة من ان يشوهوها أو يهدموها بكثرة البناء على غير أساس فان من يبنى على غير أساس يتجرأ كذلك على الهدم وفقا لهواه دون انتظار دليل أو سند لكى يصبح وفقا للاهواء والاغراض .

وهل لذلك من حجة أقوى مما ذكره أهل التاريخ من أن المجتمع فى زمن البرامكة قد بدأ يتعفن ويدب اليه فساد المنفعية فيقلد الأقوياء ويؤيدهم ويجرى وراءهم فى كل ما استحدثوه فى الدين حتى انه أصبح يتأثر بمجوسية الفرس التى بدأت تغزو المجتمع فكانت النيران توقد ليلة نصف شعبان فتحتدم هنا وهناك ليصلى اليها المتعبدون فى تلك الليلة فيكون البرامكة قد داوسرا جهالة الناس بالدين واسراعهم الى نيران الفرس يحتفون بهاويحتشدون حولها والمصلون فى كل مكان لا يدرون أن هذه النيران الخبيثة قد أصبحت قبلتهم ومتجه جباههم .. والبرامكة أصحاب النفوذ فى الدولة يضحكون سرورا وسرا فى قرارة أنفسهم لأن المسلمين يسجدون قبل نارهم وهم لايشعرون.

هذا من ناحية الابتداع فى العبادة أما مسألة الدعاء فهى أيضا موضع نظر ويقول العلامة المرحوم الشيخ على محفوظ فى كتابه « الابداع » واما الدعاء الذى تجتمع له الناس فى المساجد هذه الليلة فلم يثبت عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ولاعن أصحابه ولاعن السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين انهم اجتمعوا فى المساجد من أجله فى تلك الليلة . ونسبة هذا الدعاء الى الصحابة قد شك فيها الامام أبو حيان وغيره من المحققين كالاستاذ شيخنا الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه . واصل هذه البدعة ما نقل عن اليافعى أنه قال : أولى ما يدعى به فى ليلة نصف شعبان اللهم ياذا المن ولا يمن عليه الخ وعن بعض الصالحين من أولى ما يدعى به فيها : الهى بالتجلى الأعظم فى ليلة النصف من شهر شعبان المعظم الخ فجمع الناس بين الدعاءين وروجته المطابع .

وربما اشترطوا لقبول هذا الدعاء قراءة يس وصلاة ركعتين قبله يفعلون القراءة والدعاء والصلاة ثلاث مرات يصلون المرة الاولى بنية طول العمر . والمرة الثانية بنية دفع البلايا والثالثة بنية الاستغناء عن الناس . واعتقدوا أن هذا العمل من الشعائر الدينية ومزايا هذه الليلة وخصائصها حتى اهتموا به أكثر من اهتمامهم بالواجبات والسنن فتراهم يسارعون الى المسجد قبل الغروب من هذه الليلة ، وفيهم تاركو الصلاة ، معتقدين أنه يجبر كل تقصير سابق عليه وانه يطيل العمر ويتشاءمون من فوته . لهذا ينبغى تركه وعدم الاهتمام به كما مر فى بدع المواسم التى نسبوها الى الشرع وليست منه .

ونحب قبل ختم هذه الكلمة أن نسأل جمهور المسلمين هل هذه الأدعية التى ينطقونها وراء الملقن مقلدين ومحاكين يمكن أن تكون دعاء حقيقيا صادرا من قلب خاشع متجه الى الله ؟ وهل هذه الدعوات يمكن أن تكون موضع اجابة وقبول ؟ وهل الاسراع بهذه السرعة وهذه اللهفة الى المساجد بقصد العبادة الحقة ؟ أم هل هو اسراع تفور به الغرائز الانانية من أجل طول العمر ودفع البلايا والغنى الخ ؟ ان الجواب أظهر من أن يختلف فيه. ان من يمضى عامه كله لا يذكر الله مرة ولا يصلى له ركعة ويعيش عامه كله وهو شبه حيوان أعجم ، ثم يسرع مذعورا الى المسجد ليلة النصف من شعبان ليحصل على هذه الحصيلة الهائلة لقاء ركعات يقلد فيها تقليد القرود، ودعوات يقلد فيها تقليد الببغاء ، انما هو رجل أطماع أولا ومحتال على الله ثانيا . فانى يستجاب له ؟ بل انى يستجاب لجماعة يكثر فيها أمثاله ؟

نعم ان العبادة بالسنن والنوافل مستحبة فى كل وقت وهى سمة من سمات المؤمن الصالح وكذا الدعاء فى اخلاص وخشوع لأنه ينير النفس بشعاع الأمل ويشد العزم ويقوى الثقة والرجاء فى الله لكن ليس بالصورة التى تمثل الحرص والجشع والاحتيال السريع كما يفعل الجهلة والمنافقون يخادعون الله وهو خادعهم ومحبط أعمالهم .

ومما أذكره وأنا أضحك من نفسى انى كنت ، وانا لا أزال صبيا ، أسرع فى غمار الناس الى هذه المغانم لكى أظفر منها بنصيب كبير فكنت أسمعهم يقولون فى الدعاء اللهم ان كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقيا أو مطرودا أو محروما فامح اللهم بكرمك شقاوتى وطردى وحرمانى لأنك قلت وقولك الحق « يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » الخ وانى لأعجب وأسأل : كيف يمحو الله ما خطه فى أم الكتاب على أنه واقع بالفعل من أجل أنانيين يتحايلون عليه ؟

ان تفسير الآية على ما قاله المحققون : أن نقول ان المراد بالمحو والاثبات انما هو نسخ أحكام شرعية واثبات أحكام غيرها لحكم يعلمها سبحانه كأن تكون الاحكام تدريجية وتابعة لسنن التطور والصلاحية لأحوال العباد ومراعاة طاقاتهم وقواهم .

ثم نقول أخيرا لجماهير المسلمين فى كل مكان راجين لهم الهدى والتوفيق : ان المراد بقوله تعالى « فيها يفرق كل أمر حكيم » انما هى ليلة القدر لا ليلة نصف شعبان لأنها بالاجماع فى رمضان الذى أنزل فيه القرآن . وهى التى وردت فيها آيتا سورة الدخان : « انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم » والتفسير بأنها ليلة نصف شعبان غلط كبير وقلب للحقائق وحب للتبديل فى الدين والتغيير . وقانا الله شر الاسراف والانحراف انه نعم المولى ونعم النصير .

شهر شعبان و ليلة النصف

الدكتور محمد كامل الفقى

ليست الشهور العربية متماثلة القدر ، ولا هى على درجة سواء فى الفضل ، فلبعضها من الخصائص والمزايا ما ليس لغيره . وقد امتاز شهر شعبان باقبال الرسول الاعظم على العبادة فيه اقبالا ينم عن شرفه وجلالة شانه .ولم يصم صلوات الله عليه فى غير رمضان قدر ما صامه فى شعبان . فقد روى عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أن النبى لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصل به رمضان . وروى البخارى عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يصوم شهرا اكثر من شعبان فانه كان يصوم شعبان كله . وفى لفظ آخر « ما كان يصوم فى شهر ما كان يصوم فى شعبان . كان يصومه الا قليلا . بل كان يصومه كله » وفى لفظ « ما رأيت رسول الله صلى اللهعليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا رمضان . وما رأيته فى شهر أكثر منه صياما فى شعبان » .

ولما اختلفت الروايات جمع « الشوكانى » بينها بأن المراد بالكل التمام والاكثر . وقد نقل « الترمذى » عن « ابن المبارك » أنه قال جائز فى كلام العرب اذا صام انسان أكثر الشهر أن يقال صام الشهر كله . ويقال قام فلان ليلته أجمع ولعله قد تعشى واشتغل ببعض أمره . يقول « الترمذى » كان « ابن المبارك » جمع بين الحديثين بذلك . وحاصله أن رواية الكل والتمام مفسرة برواية الاكثر ، ومخصصة بها . وان المراد بالكل الاكثر .

وقبل أن يسأل أحدنا عن سر اقباله صلى الله عليه وسلم على هذا الشهر . وعن الحكمة فى اختصاصه له بهذا المزيد من العبادة . سأل « اسامة بن زيد » اذ قال : قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان. فقال صلى الله عليه وسلم ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم اخرج ذلك النسائى وأبو داود وصححه خزيمة .

٢٢٧ ٩٢

اذا عرف المسلمون أن شعبان هو الفترة التى يرفع فيها الله سجل أعمالهم . جدوا فى الطاعة واقتدوا بالرسول فى احتفاله بهذا الموسم الجليل ليكون الصوم والعبادة خاتمة رصيدهم فى كل عام .

وكان شأن المسلمين الاولين كما روى عن أنس رضى الله عنه أنهم كانوا اذا دخل شعبان انكبوا على المصاحف فقراوها واخرجوا زكاة أموالهم تقوية للضعيف والمسكين على صيام رمضان .

وفى فضل شعبان روى عن النبى صلى الله عليه وسلم بسند صحيح « رجب شهر الله، وشعبان شهرى ، ورمضان شهر أمتى » .

على أن الاقبال على العبادة فى شهر شعبان يهيىء النفس للعبادة فى شهر رمضان فهو مسلك يتسق مع السلوك التربوى الرقيع، واذا صام المرء فى شعبان ، هان عليه صوم رمضان ، ولم يجد فى احتماله رهقا ، بل كان راحة ورضا ، وروحا وريحانا ، والخير يوصل الى الخير دائما ..

وشهر شعبان يثير فى نفوس المسلمين ذكرى حادث عظيم سيبقى بقاء الدهر ، ذلكم هو تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة ، كان ذلك فى نصف شعبان من السنة الثانية من الهجرة كما قاله «محمد بن حبيب» وجزم به فى الروضة مع ترجيحه فى شرح مسلم .

فقد ظل النبى صلى الله عليه وسلم ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا يستقبل بيت المقدس ليستألف قلوب اليهود ، ويستدينهم من دينه ، ويكونوا مع من اسلم من العرب على هدى من ربهم ، لكنهم عموا وصموا ، وآذوا وكابروا ، ومضوا فى الباطل وقالوا : يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا ، وقد ضاق بهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وقلب وجهه فى السماء مستشرقا لتحويل القبلة الى الكعبة « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

كان النبى صلى الله عليه وسلم يتوقع من مولاه جل وعلا أن يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابراهيم ، وهى أدعى للعرب أن يؤمنوا ، فهى مفخرتهم ومطافهم ومزارهم ، واذا كانت الكعبة قبلة أبى الانبياء فان دعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم احياء لدعوته .

لقد كان أمل اليهود ان يفتنوا المسلمين ، وأن يحدثوا الوقيعة بينهم ، وكانوا يزعمون انهم قادرون على استمالة المسلمين اليهم ، والاعتضاد بهم على المشركين من العرب حتى تصير الجزيرة العربية مجالا لنفوذهم ، وميدانا لبغيهم ، لكن تحول القبلة الى الكعبة خذلهم وخيب أمانيهم . وعلى رغم ما أصابهم فانهم تمادوا فى الضلال وغرس الفتن ، وعيروا المسلمين بالرجوع عن بيت المقدس الى الكعبة، وقالوا ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم ..

فشهر شعبان الذى سجل حادث تحويل القبلة يرمز دائما الى نصرة المسلمين على اليهود ، واستعلاء الفكرة الاسلامية على ضلال هؤلاء ومزاعمهم ..

هذه كلمات عن شهر شعبان تفصح عن عظمة شانه وكريم الذكريات فيه ، وليلة النصف منه تشغل بال المسلمين وتنزل من نفوسهم منزلا كريما ، ويطول الجدال فيها بين العلماء وتقوم فى الحديث عنها حجج متضاربة .

ولا بد أن يتبادر الى الذهن أن يسال ما سر احتفال المسمين بهذه الليلة ، وما هو الاساس الذى يعتمدون عليه فى اختصاصها من ليالى شعبان بهذا التكريم ؟

والى أى مدى فى التاريخ كان الاحتفال بهذه الليلة ؟

ويرجح كثير من المؤرخين ان تحويل القبلة كان فى ليلة النصف من شعبان ، ومتى صح ذلك وكانت هذه الليلة بداية هذا التحول العظيم ، واستجابة أمل النبى صلى الله عليه وسلم بتوليته القبلة التى يفرح بها ويرضاها، والمسلمون يفرحون ويرضون اقتداء بهاديهم وسراجهم ، فهى من غير شك تثير فى خواطر

الأمة الاسلامية هذه المعانى التى تقر بهـا عيونهم ، فيجعلون تكريم هذه الليلة شكرا لله ، وصلوات على نبيـه الذى استشرف للسماء فكانت آثار التحـويل الجليلة كما عرفنا ..

وقد قرر بعض علماء المسلمين ان المسلمين فى عصور مختلفة كانوا يتجملون فى هـذه الليلة ، ويتطيبون بالطيب ، ويضرعون الى الله بالدعاء والابتهال ، شأنهم فى ذلك شأنهم فى الاعياد .

وقيل أن التابعين من أهـل الشام كانوا يعظمون هذه الليلة وعنهم اخذ الناس بتعظيمها وفضلها . كما قيل انه بلغهم فى ذلك آثار اسرائيلية ولما اشتهر ذلك عنهم اختلف الناس فيه ، وانكره اكثر علماء الحجاز وقالوا انه بدعة .

واختلف علماء الشام فى صفة احيائهـا ، فاستحب قوم احياءها فى المساجد ، وكانوا يلبسون فيها احسن ما يلبسون ويكتحلون ويقـومون ليلتهـم فى المساجد ، وكـره قوم أن يجتمع الناس من اجلها فى المساجد للصلاة أو الوعظ والدعاء ، وقالوا عن الامام احمد انه لا يعرف عنه كلام فى ليلة النصف من شعبان لانه لم يثبت فيها شىء عن النبى صلى الله عليـه وسلم ولا عن أصحابه رضى الله عنهم .

والحق أن أهل الفن فى الحديث أجمعوا على أن كل الاحاديث الواردة فى ليلة النصف من شعبان لم ترد عن الثقات وقد ضعفوهـا رغم كثرتها ..

فلعل فضلها واستحقاقها للتكريم والاحتفال بها انها من الشهر الذى اقبل عليه محمـد صلى الله عليه وسلم بمزيد من العبـادة والصوم ،وانها كانت الليلة التى تم فيهـا تحويل القبلة .

وقد ورد فى الدعاء روايات كثيرة بنصوص مختلفة . وربما كان اقربهـا الى الصواب ما اخرجه « ابن شيبة » و « ابن ابى الدنيا » عن «عبد الله بن مسعود الهزلى » رضى الله عنه وقال : ما دعا عبد قط بهذه الدعوات الا وسع الله فى معيشته « ياذا المن ولا يمن عليه، ياذا الجلال والاكرام ، ياذا الطول والانعام ، لا اله الا انت ظهر اللاجين ، وجار المستجيرين، ومأمن الخائفين ، ان كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقيا فامح عنى اسم الشقاء ، وان كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب محـروما مقترا على فى الرزق فامح حـرمانى ويسر رزقى ، واثبتنى عندك سعيدا موفقا للخير ، فانك تقول فى كتابك الذى انزلت : يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » .

واذا كان بعض الصحابة قد دعا بهذا الدعاء ليلة النصف من شعبان ، وتبعه بعض المسلمين فى مختلف العصور ، فان الذى يبـدو أن الدعاء ليس خاصا بليلة النصف . فقد روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقـول عند طوافه بالبيت « اللهم ان كنت كتبت على شقوة او ذنبا فامحه فانك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك أم الكتاب فاجعله سعادة ومغفرة » .

واما ما يقال فى الدعاء الذى جاء فيه «الهى بالتجلى الاعظم فى ليلة النصف من شـهر شعبان المكرم التى يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم ، ان تكشف عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به اعلم » فهو دعاء لم يثبت قوله عن احد من الصحابة والتابعين والثقات من الرواة ..

والخطب فى هذا هين ، فان أبواب السماء مفتحة فى كل حين ، والله يحث عباده على أن يدعوه ليجيب دعاءهم . فليدعو بمـا يشاءون فى كل وقت وحين ، لكن تخصيص هذه الليلة بدعاء على أنه معتمد على سـند صحيح فقول لا يستند الى أساس علمى . وابعد شىء عن الصواب أن يظن ظان أن هـذه الليلة هى التى يفرق فيها كل أمر ويبرم فان تلك هى ليلة القدر ، والله تعالى يقول « انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيهـا يفرق كل أمر حكيم » . فالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى « انا انزلناه فى ليلة القدر» ولمطابقة قوله تعالى «فيها يفرق كل أمر حكيم» لقوله تعالى « تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر » ، وقوله تعالى « شـهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » .

سبحان في شهر شعبان
أو
تحقيق الدعاء ليلة النصف

فضيلة الشيخ سليمان حسن عبد الوهاب

هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأول فى اليوم الرابع عشر منه وفى أسطع الليالى المقمرة، فاستطاع الرسول أن يقطع الصحراء ليلا ، وقد تبين له الطريق الى يثرب ، فلما كان شهر شعبان من السنة الثانية جاشت فى نفس الرسول ذكريات مكة ، واشتاق لقبلة آبائه واجداده ، وأخذ يقلب وجهه نحو السماء ، ويلتفت الى المسجد الحرام ، ويرغب فى الصلاة الى الكعبة المكرمة ، وأخذت تلك الذكريات تأخذ من مشاعره، وتمتزج بدمه ، وتهتز هزا عنيفا الى مكة ، ذلك لأن الرسول حين هاجر الى المدينة وجد بها قوما من اليهود قد استعمروا المدينة واتخذوها دارا لهم فاراد أن يجذبهم الى الاسلام ، وأن يؤلف بين قلوبهم بالصلاة الى قبلتهم، فمكث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ستة عشر شهرا يتوجه فيها الى بيت المقدس عسى أن يجد منهم تقربا لدينه ، ولكن اليهود ازدادوا تباعدا ، وتظاهروا بالعداوة . أو بالتالى لم يحفلوا بصلاة الرسول الى مسجدهم ، ولم يلتفتوا الى تلك اللفتة النبوية الكريمة من رسول الله وتلك المجاملة الصادقة التى صدرت من سيد الخلق . .

فلما وجد الرسول أن تلك المجاملة لم تغن شيئا ولم تقرب بينهم وبينه أخذ الرسول يناجى ربه ، ويلح عليه فى الدعاء ، ويقلب وجهه نحو السماء ، ويقوم فى الليل يصلى ويطيل الصلاة ، ويركع ويسجد ويطيل السجود ، ويسبح طويلا ، عسى أن يتفضل الله عليه ، وارتفع الرجاء، وأخذ منه الوجد كل ماخذ ، واصبح قلبه يحن الى مسقط راسه ، ويئن من الابتعاد عنه ، وقد ناله من الكرب ما ناله ، واشتد به الأمر حتى شغله ذلك شغلا ملأ سمعه وبصره وقلبه وبينما هو يصلى صلاة الظهر فى ساحة جبل احد ، اذ جاءه الاذن من الله بالتحول الى الكعبة فتحول فى ركوع الركعة الثالثة وتحول المسلمون معه فى أثناء الصلاة وقد سميت تلك الصلاة (ذات القبلتين) .

وفى بيان ذلك وتوضيحه يقول الله تعالى فى سورة البقرة آية رقم ١٤٤ (قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) وشاع خبر التحول بين أوساط المسلمين ، وسرى الى المدينة ، وهنأ المسلمون بعضهم بعضا بالتوجه الى قبلتهم العربية ، وقبلة آبائهم ، وأخذ اليهود ينددون ويذيعون حول الرسول شائعات مفرضة ، ويقولون (نبى لا يثبت على مبدأ) فتارة يصلى الى قبلتنا ، وتارة الى قبلة آبائه وأجداده ، وليس هذا من البر ، فنزل قول الله تعالى : دفاعا عن نبيه ، وتثبيتا للحق (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين الخ الآية) ـ

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبال بتلك الشائعات لأن قلبه مطمئن الى ربه ، ومتعلق بخالقه بل قد سر بذلك التحول سرورا شاملا ، واخذ يزداد دعاء ورجاء ومناجاة وتوجها الى الله جل شانه فى كل أحواله ، وفى جميع لحظاته ووجد الرسول من تلك المناجاة لذة كبرى ، وراحة لقلبه ، واستقرارا لضميره ، فتمسك

الرسول بطاقة الرجاء واستقبل قبلة السماء ، وتمسح باركان الدعاء ، وأخذ يلوذ بساحته وكلما حزبه أمر فزع اليه ، وتوسل به ، روى الحاكم فى صحيحه من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكرم وجهه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات والأرض » . قال العلماء : « ان تحول القبلة كان ليلة النصف من شهر شعبان من السنة الثانية من الهجرة على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة ، فلذلك كان هناك ارتباط بين التوجه الى الله فى تلك الليلة وبين اتخاذ المسلمين تلك الليلة ساحة للدعاء لأن شهر شعبان كان مليئا بالسبحات ، والتوجيهات منذ هاجر الرسول الى المدينة ، فأخذ الرسول يضفى على شهر شعبان فضلا وبركة ، ولقد سألت السيدة عائشة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن كثرة صيامه فى شهر شعبان فقال يا عائشة : « ذاك شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان » أو قال : « انه تقدمة لشهر رمضان » وروى البخارى فى صحيحه : (ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما كان يصوم شهرا كاملا سوى رمضان وكان يصوم أحيانا شهر شعبان كاملا) .

ومما يدل على أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يتعلق باهداب الدعاء فى ليالى شهر شعبان ما رواه الحافظ المنذرى فى كتابه : « الترغيب الترهيب » ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (أخذه الأرق ليلا فاخذ طريقه الى البقيع فوقف بين القبور وأخذ يناجى ربه ، ويسبحه تحت أشعة القمر ونوره الساطع ، وكان السماء تفتحت له فاخذت عائشة تتحسس مكانه فلم تجده فأخذتها الغيرة التى تأخذ النساء ، وذهبت تسأل عنه فى بيوت أزواجه فلم تعثر عليه فعادت أدراجها الى البيت واذا بها تسمع صوت الرسول يسبح فى جوف الليل وهو آت من البقيع فأسرعت الى مخدعها ، ودخلت فى فراشها ، وقد علم الرسول بامرها ، فدخل بيته ، وقام الى القربة فتوضأ وأحسن الوضوء ثم قام الى الصلاة فأطال القراءة ما شاء الله أن يطيل وأحسن الركوع ما شاء الله أن يحسن ، وأطال السجود .. ثم صمت طويلا ، فظنت عائشة أن الرسول قد قبض وأمسكت بأصبع رجله فتحرك ، وسمعته يقول فى سجوده : « سجد لك سوادى ، وآمن بك فؤادى هذه يدى التى جنيت بها على نفسى ، ياعظيم ، اغفر الذنب العظيم ، فانه لايغفر الذنب العظيم الا الرب العظيم ، أقول كما قال أخى داود ، أعفر وجهى بالتراب لسيدى ، اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك ، وبعفوك من عقابك وأعوذ بك منك سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، ثم صحا واستغرق فى السبحات والسجدات وجلس وتشهد ، وانصرف من الصلاة ، والتفت الى عائشة وقال يا ابنة الصديق : لعلك ظننت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد خاس بعهدك هذه الليلة يا عائشة ، لقد نزل على الليلة آيات وتلا قوله تعالى : « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » . يا عائشة ، ويل لمن قرأها ولم يتفكر ، يا عائشة ، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، وما تلذذتم بالفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون وتدعون حتى تلقوا ربكم ، يا عائشة ، أما تدرين ما هذه الليلة ؟ قالت الله ورسوله أعلم ، قال « هذه ليلة النصف من شعبان ، يغفر الله فيها للمستغفرين ، ويرحم المسترحمين ويدع أهل الحقد كما هم ؟ » .

وفى رواية أخرى أن الله عز وجل يتجلى ليلة النصف من شعبان على خلقه فيغفر لهم الا تارك صلاة ، أو مانع زكاة ، أو عاق والديه ، أو شاهد زور أو شارب خمر أو حاقدا أو حاسدا ولذلك ورد عن بعض الصالحين أنهم كانوا يخصون ليلة النصف من شهر شعبان كل عام بمزيد من الطاعة فيقومون الليل الا قليلا ويقرءون القرآن أو يعتكفون فى المسجد ويظلون على تلك السبحات حتى مطلع الفجر ، وقد ورد عن الامامين : اليافعى والأوزاعى أنهما كان يخصان تلك الليلة بالقيام والتهجد والدعاء ، وقد شاع بين الناس الاهتمام بالدعاء فى تلك الليلة وان كانوا قد انحرفوا عن الصراط المستقيم ، فأخذوا يتجمعون فى المسجد بين المغرب والعشاء بدعاء مخصوص وبطريقة لم تؤثر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وبحالة اجماعية لا توافق شروط الدعاء ، فالدعاء فى تلك الليلة لا بأس به وان كان الدعاء مطلوبا من المؤمن فى كل وقت وكلما حزبه أمر لأن الدعاء عبادة ، بل هو مخ العبادة قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

« الدعاء مخ العبادة » وعن أنس عن النبى - صلى الله عليه وسلم - : (لا تجزعوا فى الدعاء فانه لا يهلك مع الدعاء أحد) وذكر الزهيرى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ان الله يحب الملحين فى الدعاء »

فالدعاء فى الواقع لا وقت له وانما هو شائع فى جميع الأوقات ، نعم لكل عبادة من العبادات الاسلامية وقت محدود وزمن معين ، بينه الرسول - صلى الله عليه وسلم - كالصلاة والصوم والحج عدا الدعاء فانه غير مؤقت بوقت فايما امرىء اصابته شدة أو نزلت به حاجة أو اعتراه كرب فما عليه الا أن يتوجه الى ربه ويبسط كفه نحو السماء ، ويلح فى الدعاء ، ويتمسح بخالقه ويسأل الله فى الحال ولا يؤجل دعاءه الى وقت مخصوص، وانما يرفعها وشيكا الى من يجيب المضطر اذا دعاه، ويزجيها عاجلا الى من يحقق رجاء السائلين . لأن الدعاء هو رفع الشكوى الى عالم السر والنجوى ، وتوجيه الحاجة الى الكريم المنان الذى يقول فى كتابه :

(واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) .

ورد أن سيدنا موسى عليه السلام قال يا رب : « قد نكون على حالة لا يصح أن نسألك فيها فقال يا موسى ، سلنى على أى حال يا موسى ، سلنى فى كل شىء سلنى فى ملح قدرك وفى علف شاتك وفى شراك نعلك »

وروى البخارى فى الأدب والحاكم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه « ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلاث . اما أن تعجل له دعوته ، واما أن تدخر له فى الآخرة ، وأما ان يدفع عنه من السوء مثلها ، ومن الانصاف ، أن نذكر للقارىء الكريم بعض الأوقات الفاضلة التى تفيض بالرحمة وتسيل بالخير ، وتسح بالفيض ، لو أن الانسان قصد الدعاء فيها ورفع حاجته كانت أرجى للقبول وأدعى للاجابة ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(ان لله فى أيام دهركم نفحات الا فتعرضوا لنفحات ربكم فانه لا يحرم منها الا محروم) وهذه الأوقات هى :

١ - الثلث الاخير من كل ليلة فى سائر العام . روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : اذا كان الثلث الأخير من الليل

فان ربكم ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا ويقول : الا من مستغفر فاغفر له ، الا من تائب فاتوب عليه الا من سائل فاعطيه الا من داع فاستجيب له الا من كذا الا من كذا حتى يطلع الفجر .

٢ ـ ليلة النصف من شعبان وهذه الليلة يتجلى الله فيها على عباده من غروب الشمس حتى مطلع الفجر فقد ورد أن الرسول عليه السلام قال : اذا كانت ليلة النصف من شعبان فان الله يتجلى فيها على خلقه وينزل الى سماء الدنيا ويقول « هل من مستغفر » الخ .

٣ ـ عند الاذان والاقامة .

٤ ـ عند السجود يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء) .

٥ ـ عقب الصلوات المفروضات .
٦ ـ عقب تكبيرة الاحرام فى افتتاح الصلاة .
٧ ـ فى آخر التشهد وقبل السلام .
٨ ـ عصر كل يوم جمعة .
٩ ـ وقت الزلزلة .
١٠ ـ عند نزول المطر
١١ ـ الصائم حتى يفطر .
١٢ ـ المجاهد حتى يرجع .
١٣ ـ جميع ليالى رمضان .
١٤ ـ ليلة القدر
١٥ ـ ليالى العشر الأخير من رمضان .
١٦ ـ ليالى العشر الأولى من ذى الحجة .
١٧ ـ يوم عرفه لمن كان بعرفه .
١٨ ـ ليلتى العيدين .
١٩ ـ ليالى منى لمن يكون بمنى .
٢٠ ـ فى الطواف حول الكعبة .
٢١ ـ وقت السعى بين الصفا والمروة .
٢٢ فى الروضة الشريفة على ساكنها افضل الصلاة والتسليم .

٢٣ ـ عند اشتداد الكرب ، والدليل على فضل هذه الأوقات مذكور فى كتب السنة الصحيحة فلا نطيل بذكر اسانيدها لانها مشهورة بين العلماء .

والدعاء سبب من الأسباب التى قدرها الله للاجابة ورتب عليها قضاء الحاجة ، فهو سبب شرعى رتبه المولى عز وجل لاستجابة الدعاء كما جعل الدواء سببا فى الشفاء وجعله سببا عاديا فى التداوى ، وكما أن الاكل والشرب سبب عادى لحفظ الجسم ونمائه ، وكذلك الدعاء سبب للاجابة قال تعالى : « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم » فهذا أمر من الله بالدعاء تمهيدا للاجابة .

والدعاء خاضع للامور الكونية ، والمشيئة الربانية ، وله شرائط وحدود يجب مراعاتها عند الدعاء فان الدعاء كمثل نمو النبات فى الأرض فلا ينبت الا اذا أخصبت الأرض وكانت صالحة للزرع ومهياة للسقى وتوفر لها الغذاء أما اذا كانت الأرض غير صالحة للغرس وغير مهياة للبذر ، ولا تقبل الماء كان الحرث عبثا كذلك الدعاء لابد له من مراعاة السنن الكونى الذى سنه الله تعالى فى خلقه عادة . فالمريض اذا دعا الله بالشفاء يجب أن ياخذ فى أسباب التداوى وأن يعرض نفسه على الطبيب ثم يتوكل على الله بعد الاخذ فى الأسباب ، ومن كان جاهلا ويريد أن يكون عالما يجب أن يقرأ ويدرس ويتعلم ، ويتخذ المدرس والمرشد ، ومن تعطل ويريد أن يرزق عن طريق العمل فعليه أن يسعى ويجد ويرتحل والله يرزقه ، ولا ينبغى أن يعتمد على الدعاء بدون عمل والا كان متواكلا يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لاتمطر ذهبا ولا فضة » فالدعاء بدون عمل كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ـ والدعاء بدون سعى كحاطب ليل ، ونافخ فى رماد فالله جعل لكل شىء سببا ، والدعاء عبادة متصلة بالعمل ، ومنفعلة مع السعى فلا بد مع الدعاء من مباشرة الاسباب التى جعلها الله تمهيدا لتحقيق الآمال ، وفوز المطالب ، ومن أهم شرائط الدعاء : أكل الحلال ، وترك الغيبة والنميمة والشحناء . فقد روى عبدالله بن احمد فى كتابه « الزهد » لابيه « أصاب بنى اسرائيل بلاء فخرجوا الى الخلاء يرجون الله كشف الضر عنهم فأوحى الله الى نبيهم ان قل لهم انكم تخرجون الى الدعاء بابدان نجسة ، وترفعون الى أكفا قد سفكتم بها الدماء وملاتم بها بيوتكم من الحرام لقد اشتد غضبى عليكم ولن تزدادوا منى الا بعدا » وخرج موسى عليه السلام للسقيا فلم يغثه الله بالمطر فسأل الله فى المناجاة : رب قد عودتنى اذا دعوتك فى السقيا أن تسقينى فلم لم تستجب دعائى ؟ قال الله له يا موسى : ان فى قومك رجلا نماما حالت نميمته بين قبول الدعاء فقال يا رب من هو : حتى اخرجه من قومى فقال الله له يا موسى ، كيف انهاك عن النميمة وادعو اليها ؟ مرهم فليتوبوا الى الله فسقاهم الله

ومن أهم شروط الدعاء : ألا يرفع الداعى صوته عند الدعاء بل يستحب أن يخفض من صوته لأن الله تعالى يقول : « ادعو ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين » ويقول الرسول عليه السلام « اشفقوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا وانما تدعون سميعا قريبا » وان تدعو الله بما تريد من حاجتك ، وأن يكون الدعاء بلغتك ، فاهما لكلمات الدعاء فلا ينبغى أن تدعو بدعاء غير مفهوم لك كالدعاء بالالفاظ السريانية والأعجمية كلفظ : جلجلوت هلهوت اطماطميسا ، احما حميسا ، ما دامت ليست لغة لك ، وان يبتعد فى دعائه عن الاغراب والتشبيهات البعيدة والسجع قال البخارى « على الداعى أن يتجنب السجع فى الدعاء فقد قال عبدالله بن عباس » رضى الله عنهما « وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فانى عهدت النبى وأصحابه لا يفعلون ذلك » وليعلم الداعى أن الدعاء بمنزلة السلاح ، والسلاح لا يؤثر الا بقوة من ضاربه ، فمتى كان السلاح حادا والساعد قويا ولم يكن هناك مانع أثر وأصاب الهدف ، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة (السلاح الحاد ، والساعد القوى ، وعدم المانع) تخلف التاثير ، ولم يصب الهدف ، وكذلك الداعى اذا أجمع قلبه ولسانه وأقبل بكليته على الله أصاب الداعى حاجته ان شاء الله . أما اذا تخلف شرط من شروط الدعاء التى ذكرناها آنفا تخلف أثر الدعاء .

نعم هناك نداءات صادقة ، ودعوات مخلصة ، واضطرار الى الله ، وتفاعل فى الدعاء نرى الله يستجيب لعبده ، ويصدق معه فى الاجابة ، واذا قرأنا القرآن وجدنا من ذلك أمثلة شاهدة يقول تعالى :

(أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض) وقد روى ابن أبى الدنيا عن الحسن بن على رضى الله عنهما ان صحابيا من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسمى أبا مغلق خرج للتجارة فامسى عليه الليل عند عودته فوضع أحماله عند شجرة وأراد أن يستريح الى الصباح فاذا بفارس جاء اليه وقال له انى قاتلك ، فقال له : ان كنت تريد مالى فهذا مالى ودعنى لأهلى ـ فقال : أما المال فهو لى ولابد من قتلك فاخذ يرجوه فلم يقبل الرجاء فقال له : ان كنت

قاتل فدعنى اتوضأ واصلى وعقب السلام فلك ان تقتلنى فقال لك هذا فتوضأ الرجل ودخل فى الصلاة وصدق مع مولاه واخذ يدعو ربه بالنجاة من هذا القاتل فلما كان فى سجود الركعة الثانية قال : يا ودود ياذا العرش المجيد يا فعال لما تريد اسالك بنور وجهك الذى ملأ الاركان وبعزك الذى لا يرام وبعرشك الذى لا يضام ان تنقذنى من شر هذا اللص يا مغيث اغثنى يا مغيث اغثنى يا مغيث اغثنى . فلما انتهى من سلامه وجد رأس القاتل أمامه ووجد فارسا بجواره فساله الصحابى من انت الذى اغاثنى الله بك قال انا ملك من السماء الرابعة لما دعوت اهتزت السماء وسمع لأهلها قعقعة وقيل مكروب فاغيثوه فسألت ربى أن يرسلنى لاغاثتك وما من مؤمن يكرب كربك ويدعو بدعوتك الا استجاب الله له » .

وقريب من هذا دعوة المظلوم فان دعوة المظلوم مستجابة وتفتح لها ابواب السماء يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ترفع دعوة المظلوم فوق السحاب وتفتح لها أبواب السماء ويقول الله تعالى : « لاستجيبن لك » فى رواية : تستجاب دعوة المظلوم ولو كانت على لسان كافر . ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « اتقوا سهام الليل قالوا وما سهام الليل يا رسول الله ؟ قال دعوة المظلوم فى جوف الليل » وما لنا نذهب بعيدا وعندنا القرآن الكريم يحدثنا عن بعض الأنبياء الذين نادوا ربهم ودعوا خالقهم فى أمور يراها الانسان فى سلك المستحيل ولكن رب العالمين قد استجاب لهؤلاء الأنبياء وكانت الاجابة معجزة كبرى ودليلا على قبول الدعاء متى صدر الدعاء من قلوب نقية وصدور صفية ، وصدق واخلاص .

فهذا زكريا عليه السلام بعد أن بلغ به اليأس وبلغت امراته الياس وكانت عقيما ، دعا ربه فاستجاب له يقول تعالى :

« وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ».

وهذا ايوب عليه السلام لما ابتلاه الله بفقد ولده وضياع ماله ومسه الضر توجه الى ربه فاستجاب الله له ورد اليه اهله ومثلهم معهم واعاد اليه امواله قال تعالى : « وايوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين » .

وفى ضوء ذلك نستطيع أن نقول : ان الدعاء فى ليلة النصف من شهر شعبان مطلوب ، وعمل المسلمين فى تلك الليلة عمل حسن لانه اجتماع على طاعة الله ، وغاية الأمر أن المسالة تحتاج من حضرات الوعاظ والأئمة والدعاة أن يوجهوا الشعب الى الفرض المقصود من الدعاء ، وأن يشرحوا لهم آدابه وشروطه ولا ينبغى أن يتجاوبوا مع العامة فيما يفعلون ، فالواجب ان نذكر لهم ان تلك الليلة ذات فضل وان الله يتجلى على عباده فى الثلث الاخير من الليل ، ويجمل بالمسلم أن يعزم على قيام الليل فى الثلث الأخير منه فيصلى ما شاء الله أن يصلى وليذكر ويسبح ويهلل ويكبر وليقرأ من القرآن ما يستطيع قراءته ثم يعاهد الله على التوبة ويدعو بما شاء من حاجات الدنيا وحاجات الاخرة وأن يقول لهم : ادعوا ربكم بما تعرفون وبما تعلمون وبما ترجون ، ولا تتخذوا دعاء معينا لايعرف معناه ولا يقف على مغزاه ، فالمريض يطلب الشفاء والمعسر يسال الله اليسر ، والمكروب يرجو من ربه الفرج ومن ساءت أولاده يدعو الله لهم بحسن سيرتهم ، وهكذا يكون الداعى كالطبيب يضع لكل داء دواء كما ينبغى أن يقول لهم ان الدعاء المعروف للعامة الذى أوله :

« اللهم ياذا المن ولا يمن عليه .. » الخ دعاء يحتاج الى فهم وأن يكون الانسان هو الناطق به بنفسه ليكون صادرا من قلبه واحساسه وذات نفسه لا أن يكون مرددا للدعاء فيكون مثله كمثل الببغاء . وفوق ذلك يبين لهم أن هناك فى هذا الدعاء بعض أخطاء واردة فيه ، قال العلماء عنها ، انها تحتاج الى تصحيح كعبارة : « اللهم ان كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقيا أو محروما.. الخ » فانهم قالوا « ان المحو والاثبات لا يتوجهان الى أم الكتاب لان أم الكتاب هى علم الله القديم الذى لا تغيير فيه ولا تبديل وانما ينبغى أن نقول بدلا من ذلك » ، « اللهم ان كنت كتبتنا اشقياء فاكتبنا سعداء »

وينبغى أن يعلمهم كيفية الدعاء من صدق التوجه وحضور القلب ، وتطهير الصدر ، ورفع الكفين نحو السماء ، وأن يحمد الله ويصلى ويسلم على رسول الله ، ويتوسل الى الله باسمائه وصفاته ، وأن يدعو ربه خوفا وطمعا وتضرعا وخفية وان يثق بصدق الاجابة والا يتعجل الاجابة ولا يستبطئها ويقول دعوت كثيرا فلم يستجب لى فقد روى البخارى عن أبى هريرة ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قال : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ».

ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ادعو الله وأنتم موقنون بالاجابة) والله الموفق .

١

ليلة النصف من شعبان وتسمى ليلة البراءة

سماحة بشر الطرازى الحسينى

*** ليلة مباركة لا يجوز انكارها ، وينبغى اغتنامها بعبادة الله ، وطلب مغفرته ورحمته.**

*** ليلة النصف من شعبان ليلة لها فضل على سائر ليالى السنة « الا ليلة القدر » .**

ويفهم من كتب التفاسير أن بعض المفسرين أراد استنباط هذا الفضل من قوله تعالى : **« حم والكتاب المبين ، انا أنزلناه فى ليلة مباركة ، انا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم ، أمرا من عندنا ، انا كنا مرسلين ، رحمة من ربك ، انه هو السميع العليم »** ..

أول سورة الدخان .

فقد ظن البعض أن المراد من **((ليلة مباركة))** ليلة النصف من شعبان ، وليس كذلك ، وانما المراد منها « **ليلة القدر** » كما هو عند جمهور المفسرين ، بدليل قوله تعالى : « **انا أنزلناه** » والضمير راجع الى الكتاب المبين ، ويؤيده قوله تعالى « **انا أنزلناه فى ليلة القدر**» وهى فى شهر رمضان بدليل قوله تعالى : « **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن** » .. كما يدل عليه ـ أى على أن ليلة القدر فى شهر رمضان ـ الأحاديث الصحيحة المروية فى كتب الصحاح منها ما رواه ابن ماجة عن أنس ـ رضى الله عنهما ـ قال : **دخل رمضان ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ((ان هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من الف شهر ، من حرمها فقد حرم** الخير كله » .. مع ما تواتر عن السلف والخلف من القول بأن ليلة القدر فى رمضان واغتنام هذه الليلة « **وهى ليلة السابع والعشرين من رمضان عند جمهور الفقهاء** » ، بعبادة الله وذكره والتضرع اليه بالدعاء والتسبيح والتحميد والتكبير ، والمسابقة نحو خيرها والحذر من الحرمان ، وذلك لما فى هذه الليلة من الفضل على سائر الليالى ، فقد قال الله ـ عز وجل ـ « **ليلة القدر خير من ألف شهر** » مع ما ورد فيه من الأحاديث الصحيحة .. هذا .

أما فضل ليلة النصف من شعبان فانما يستنبط من الأحاديث النبوية فقط .

روى الترمذى وابن ماجه عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت : فقدت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة فاذا هو بالبقيع، فقال أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ قلت يا رسول الله انى ظننت انك أتيت بعض نسائك ، فقال : « ان الله ينزل ليلة النصف من شعبان الى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب »

شرح ما فى هذا الحديث بعضا

قولها « فقدت رسول الله » أى فى نوبتها حيث خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من حجرتها بدون علم منها ، وقوله « أكنت تخافين الخ » يعنى ظننت انى ظلمتك بأن جعلت من نوبتك لغيرك .. وقوله « ان الله ينزل ليلة النصف من شعبان الخ » .. أى من الصفات الجلالية الى النعوت الجمالية، زيادة ظهور فى هذا التجلى كما قال على القارى .

وهذا بيان لسبب خروجه من حجرة عائشة الى البقيع ، وكان للتخلى بعبادة الله ومناجاته فى مكان بعيد عن الأهل . وذلك اغتناما لهذه الليلة المباركة ، وقوله « فيغفر لأكثر .. الخ » بشارة عن شمول مغفرة الله تعالى على المستغفرين فى تلك اللية . وقوله « غنم كلب » أى غنم قبيلة بنى كلب وانما خصها بالذكر لكونها معروفة بكثرة غنمها . هذا شرح بعض ما فى هذا الحديث .. ويستنبط من الحديث ما يلى :

اولا - من حق المرأة ان تتفقد زوجها اذا غاب عنها فى نوبتها .

ثانيا - ان الغياب عن نوبة الزوجة بالذهاب الى زوجة أخرى ظلم ، الا اذا كان باذنها او لعذر شرعى .

ثالثا - على الزوجة أن تعترف أدبيا اذا اخطأت فى ظنها شأن زوجها وذلك حفظا على صفاء حياة الزوجية .

رابعا - ان ليلة النصف من شعبان ليلة مباركة ينبغى على كل مسلم اغتنامها بالتخلى لعبادة الله تعالى وطلب المغفرة والرحمة .

الحديث الثانى

روى ابن ماجه فى صحيحه عن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « ان الله تعالى ليطلع فى ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لجميع خلقه الا مشرك أو مشاحن » ، رواه الامام أحمد فى مسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - وفى روايته « الا اثنين : مشاحن وقاتل نفس ».

قوله « ليطلع » أى يتجلى على خلقه بمظهر الرحمة العامة، وقوله «الا مشرك أو مشاحن» يفيد أنهما محرومان من المغفرة ، مع أن المشاحن موحد مؤمن ، والمراد منه المباغض لأخيه المسلم لأمر دنيوى كما أن قاتل نفس « تعمدا بغير حق » محروم أيضا ، على ما يفهم من رواية الامام احمد - رضى الله عنه - .

ويستنبط من الحديث ما يلى :

اولا - فضل ليلة النصف من شعبان ، لما فيها من تجلى الرب - سبحانه - على خلقه بمظهر الرحمة العامة .

ثانيا - غضب الله على المشرك والمشاحن ، وعلى قاتل نفس تعمدا بغير حق .

ثالثا - خطورة ذنب المشاحن وقاتل النفس بغير الحق ، فى تعاليم الدين الاسلامى .

الحديث الثالث

وروى الامام البيهقى فى الدعوات الكبير عن عائشة - رضى الله عنها أنها قالت : ان النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « هل تدرين ما فى هذه الليلة - يعنى ليلة النصف من شعبان - ؟ قلت : ما فيها يا رسول الله؟ فقال : فيها أن يكتب كل مولود من بنى آدم فى هذه السنة ، وفيها أن يكتب كل هالك من بنى آدم فى هذه السنة ، وفيها ترفع اعمالهم وفيها تنزل أرزاقهم »

شرح بعض ما فى هذا الحديث

قوله « ما فى هذه الليلة » أى ما يقع فيها وقوله « فيها أن يكتب .. الخ » أى

كتابة ثانية بعد الكتابة فى اللوح المحفوظ ، وقوله « فى هذه السنة » أى المقبلة الى مثل هذه الليلة ، وقوله « كل هالك » أى ميت ، وقوله « وفيها ترفع أعمـالهم » أى تكتب الأعمـال الصالحة التى ترفـع فى هـذه السنة يوما فيوما الى الملأ الأعلى - كمـا فى بعض الشروح - وقـولـه « وفيهـا تنزل أرزاقهم » أى أسباب أرزاقهم أو تقديرهـا ، وهو يشمل حسيها ومعنويها فى هذه السنة.

ويستنبط من هذا الحـديث خطورة ليلة النصف من شعبان لما فيها من وقوع هـذه الامور ، مما يقتضى اغتنامها والتيقظ فيهـا بعبادة الله سبحانه .

الحديث الرابع

وروى ابن ماجه فى صحيحه عن عـلى - كرم الله وجهه - انه قال ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلهـا وصوموا يومها ، فان الله تعالى ينزل فيهـا لغروب الشمس الى السماء الدنيا فيقـول : ألا من مستغفر فاغفر له ، ألا من مسترزق فارزقه، ألا من مبتلى فأعافيه ، ألا كذا .. ألا كذا .. حتى يطلع الفجر » .

شرح بعض ما فى هذا الحديث

قوله « فان الله تعالى ينزل » اى يتجـلى بصفة الرحمة تجليا عاما ، وقوله « لغـروب الشمس » أى من أول وقت غروبها ، وقوله « الى السماء الدنيا » يعنى ناظرا الرحمة الى جهة السماء الدنيا التى هى مشتملة عـلى أبواب فتوحات أرباب الدنيا ، وقبلة دعائهم ومصعد أعمالهم ، ومرتقى أرواحهم ، كما قال على القارى . وقوله « ألا من مسـتغفر » أى طالب مغفرة لذنوبه ، وقوله «الا من مسترزق» اى طالب رزق ، وقوله « الامن مبتلى »اى بغم أو هم أو مرض فأعافيه .

وهنا قال على القارى ما نصه : ولا يشكل وجود كثير من المبتلين يسألون العافية ولا يجابون ، لعدم استجماعهم لشروط الدعاء . وقوله « ألا كذا » مثلا الا من طالب عطـاء فأعطيه وعلى هذا القياس .

ويستنبط من هذا الحديث ما يلى :

أولا - ان هذه الليلة ليلة التجليـات الرحمانية، والتنزلات الصمدانية، والتقربات السبحانية ، الشاملة للعام والخاص ،وان كان الحظ الأوفى لأرباب الاختصاص . فالمناسب الاستيقاظ فى هذه الليلة من نوم الغفلة .. والتعرض لنفحات الرحمة ، « كما فسرها على القارى » .

ثانيا - استحباب - أو سنية - القيـام بالعبادة فى هذه الليلة .

ثالثا - استحباب الصيام فى يومها وهو اليوم الخامس عشر من شعبان ، على اساس أن الليلة تسبق اليوم .

رابعا - ترتب هذه الاجابات (من المغفرة والتوسعة فى الرزق والمعافاة وغيرها) عـلى الطلب كما لا يخفى ذلك على المتـأمل فى سياق الحديث .

هذا ما ورد من الأحاديث الصحيحة بشأن ليلة النصف من شعبان بحيث يثبت فضلها على سائر الليالى فى السنة ، باستثناء ليلة القدر التى هى خير من الف شهر ، كما يدل عليه نص الآية فى سورة القدر ، بل السورة من أولها الى آخرها . ولو لم يكن لليلة القدر فضل الا انزال القرآن - أى البدء بانزاله فيها - لكفى لها فضلا يفضلها عـلى جميـع ليالى السنة .

وتلك هى مسائل فروعية التى تستنبط من نصوص هذه الأحاديث ، ومن خـلال رموزها ، والتى تتعلق بهذه الليلة المباركة .

وفى هذه الاحاديث وما يستنبط منها رد صريح على زعم بعض الخطباء - فى هـذه المناسبة - بأن ليلة النصـف من شعبـان لا أصل لها فى الاسلام .

وفى الختام - نسأل الله تعالى أن يوفقنا واخواننا المسلمين أجمعين ، بطاعته وعبادته، ولا سيما باغتنام هذه الليلة المبـاركة ، حتى لا نحرم مما فيها من مغفرة الله ورحمتـه ورزقه وتوسعته ومعافاته وعطيته .

آمين آمين لا أرضى بواحـــدة
حتى اضم اليها الف آمينا

شعبان وذكرياته

الدكتور محمود صبحي

شعبان أحد الاشهر العربية ، وينطق به بدون اضافة، أما الأشهر التى لا تكاد تنطق بها الا مضافة فهى : شهرا ربيع وشهر رجب وشهر رمضان .

وال من سمى الاشهر العربية باسمائها الحالية كلاب ابن مرة ، وهو الجد الخامس لرسول اللهصلىالله عليه وسلم ، وكانت العرب العاربة تسميها من قبل : مؤتمر ناجر ، خوان صوان (أو بصان) ، رنى ، أيدة ، الأصم ، عادل ، ناطل ، واغل ، ورنة ، برك ، ويدل على ذلك قول الشاعر :

بمؤتمر وناجر ابتدأنا
وبالخوان يتبعه البصان
ورنى ثم أيدة تليه
تعود أصم صم به السنان
وعادله وناطله جميعا
وواغله فهم غرر حسان
وورنته بعدها برك فتمت
شهور الحول يعقدها البنان

وسمى شعبان بهذا الاسم ، لانه فى هذا الشهر يتشعب العود ، بعد أن يكون قد خرج فى شهر رجب ، ولهذا يقال : ان العود رجب النبات فيه أى أخرجه ، وقيل : سمى بذلك لتشعبهم فيه للغارات ، بعد انتهاء شهر رجب وهو أحد الاشهر الحرم التى يحرم فيها القتال ، وهذه الأشهر أربعة ، منها ثلاثة متتالية وهى : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وواحد فرد ، وهو رجب ، وفى هذه الأشهر .

يقول جل شانه : ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السماوات والارض منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم .. (٩ : ٣٦)

ومن أشهر الحوادث التاريخية التى يذكرنا بها شعبان « غزوة بنى المصطلق » أو « المريسيع » التى وقعت فى سنة خمس فى هذا الشهر ، وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الغزوة لليلتين خلتا منه ، وغاب فى غزواته هذه ثمانية وعشرين يوما ، وقدم المدينة لهلال شهر رمضان .

وكان سبب خروج النبى لغزو بنى المصطلق ، ما علمه من تهيئهم للمسير اليه ، للفتك بالمسلمين وللقضاء على دعوة الاسلام ، وكان رأسهم وسيدهم الحارث بن ابى ضرار ، وقد انتصر عليهم المسلمون فى موقعة واحدة حاسمة ، ولم يقتل من المسلمين سوى رجل واحد ، وقتل من الأعداء عشرة ، وأسر سائرهم ، وسبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال والنساء والذرية والنعم والشاء ، وكانت الابل ألفى بعير ، والشاه خمسة آلاف شاة ، وكان السبى مائتى أهل بيت .

وكان من جملة السبى جويرة بنت الحارث ، وقعت فى سهم ثابت بن قيس، فكاتبها فادى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتزوجها ، فأعتق المسلمون بسبب هذا التزويج جميع السبى ، وقالوا أصهار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يسبون ، وترتب على هذا اسلام بنى المصطلق ، اذ تبينت لهم سماحة الاسلام ، وما طبع عليه المسلمون من كرم النفس ، وكرم الأخلاق ، وفى هذا كذلك دليل على بعد نظر الرسول الكريم وحسن سياسته بتزوجه جويرة .

ونزلت آية التيمم فى هذه الغزوة ، حيث سقط عقد لعائشة أم المؤمنين فاحتسبوا على طلبه .

وكانت حادثة الافك فى شعبان كذلك ، تلك الحادثة التى نزل فيها قرآن ببراءة عائشة ، وقد روى عن عروة أنه قال « ولو لم يكن لعائشة من الفضائل الا قصة الافك لكفى بها فضلا وعلو مجد ، فانها نزل فيها من القرآن ما يتلى الى اليوم » ويضاف الى هذا أن تلك الحادثة كانت من أسباب نزول أحكام خطيرة من أحكام الدين ، لحفظ كرامة الاسرة والحياة الزوجية وقداستها

وفى شعبان سنة ثمان من مهاجر رسول الله ، ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، كانت سرية أبى قتادة بن ربعى الانصارى الى خضرة ، وهى أرض محارب بنجد ، وكانت هذه السرية من أهم السرايا التى بعثها الرسول الكريم، لكسر شوكة المشركين الحاقدين على الاسلام والذين كانوا يتجمعون من حين الى آخر للقضاء على المسلمين ، وقد غابت هذه السرية عن المدينة خمس عشرة ليلة .

ورويت فى شعبان احاديث كثيرة ينحصر اهمها فيما يلى :

١ ـ منها أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن يصوم شهرا أكثر من شعبان ، فقد روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت « لم يكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصوم شهرا أكثر من شعبان ، فانه كان يصوم شعبان كله » وفى رواية أخرى « فما رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر الا رمضان ، وما رأيته أكثر صياما منه فى شعبان » ولم يرد البخارى فى هذا المعنى الا هذين الحديثين ،ولكن جاء مثل هذا فى مسلم وفى السنن وغيرها

٢ ـ وروى ابو داود وابن ماجه والدرامى أنه اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى يجىء رمضان ، منذلك ما رواه ابو داود عن أبى هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال « اذا انتصف شعبان فلا تصوموا »

٣ ـ أما صوم يوم النصف من شعبان فلم يأت فيه قول يعتمد عليه ، ويراجع فى ذلك كتاب سنن ابن ماجة الكتاب الخامس فى الباب ١٨٨ ، وليس يدل على ذلك الحديث السابق الذى فيه كراهية الصوم فى النصف الثانى من شعبان .

ولا تجد فى الكتب المعتمدة شيئا عن شعبان غير ما قدمنا ، فليكن اعتمادنا على حقائق ديننا ، ولندع التأويلات الباطلة التى يذهبأليها ذوو الأغراض الشخصية، والأوهام التى لا تمت الى ديننا الحنيف بصلة من الصلات، قال تعالى : ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا (١٨ : ٢٨) هدانا الله ما فيه خير الامة وسعادتها .

شعبان بين شهور العام

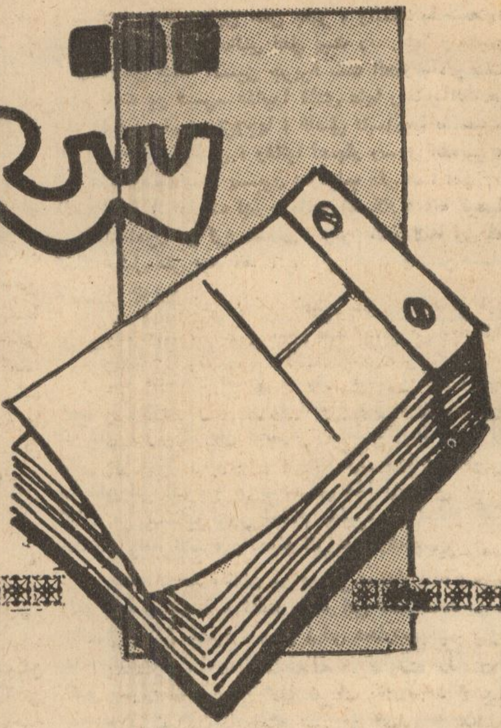

فضيلة الشيخ ابو الوفا المراغى

ان الله سبحانه وتعالى يحب لعبده أن يكون دائم الصلة به ، شديد المراقبة له ليكون سلوكه فى الحياة مستقيما ويكون بين الجماعات عنصرا نافعا خيرا تفيد الجماعة منه ويفيد منها . واذ كان كذلك كان حبيبا الى الله قريبا منه يمنحه من عونه ويفيض عليه من رحمته ، ولكى يكون العبد دائم الصلة بالله شرع الله له من الوسائل ما يزلفه اليه ويقربه منه ، ولم يترك له فرصة للغفلة عنه فشرع كل يوم وليلة خمس صلوات قوامها الحمد الخالص لله والتنزيه له عما سواه ، والاعتراف له بالقدرة القاهرة والحجة الظاهرة فهو رب العالمين مالك يوم الدين وهو لهذا نعبده وبه نستعين ، وشرع الصوم فى رمضان وغيره فريضة ونافلة لتكبح شهواتنا ونصفى قلوبنا ونفقه شيئا من اسرار الوجود يشعرنا بذلة العابد وعظمة المعبود ، وفى الحج مفزع الى الله فى بيته وحرمه وفرار من الذنوب اليه فى ساحة كرمه طمعا فى عفوه ورضاه .

ومن يتتبع العام كله يلاحظ أن الاسلام حاول أن يجعل فى كثير من الأوقات فرصا للمؤمن تجعله على صلة بالله دائم التودد اليه ليكون فى حماه ورعايته ولا يحرمه من عونه ورحمته ، والله يحب من عبده أن يعترف بربوبيته ويشكره على نعمته « فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون » .

ففضلا عما فرضه الله من الصلوات والصيام والحج فى الاوقات المعلومة سن سننا اخرى يكثر فيها المؤمن من الذكر والشكر ليكون دائم الالحاح والتضرع الى ربه ولم يكتف المؤمنون الخائفون من عواقب الغفلة والتفريط بما ثبت من المفروض والمسنون من العبادات بل حاولوا ان يستزيدوا من الفضل فتقربوا بشىء من العبادات لم تثبت دلائلها بالطرق القوية وحاولوا أن يجعلوا لكل شهر رسوما من العبادات ليجعلوا الأشهر كلها مواسم للخيرات والمبرات ، وقد صنف بعض العلماء كتبا فى فضائل الشهور وما تميز به كل شهر من العبادات والقربات .

وهناك ثلاثة أشهر ظفرت من المسلمين بالتقدير والتكريم واستقر فضلها فى أذهانهم حتى عرفت بالثلاثة أشهر وهى رجب وشعبان ورمضان وحرص كثير منهم على صيامها متتابعة مهما بلغ بهم الجهد والمشقة وشهر شعبان احد هذه الشهور الفاضلة ولا شك وفيه من العبادات والرسوم ما لا شك فى ثبوته ، فالصيام فيه بل والاكثار من الصيام فيه ثبت بطرق صحيحة وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يصوم فيه ما لا يصوم فى غيره من الشهور وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا رمضان وما رأيته فى شهر أكثر صياما منه فى شعبان ، وزاد البخارى فى رواية كان يصوم شعبان كله ولمسلم فى رواية : كان يصوم شعبان كله كان يصوم شعبان الا قليلا ، وفى رواية للنسائى عن عائشة : قالت : كان أحب الشهور الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يصوم شعبان كان يصومه كله الا قليلا بل كان يصومه كله . وقد جمع العلماء بين روايات الحديث بان ما جاء فى بعض الروايات من أنه صام شعبان كله فمحمول على أنه صام معظمه جمعا بين الروايات ، وقد نقل الترمذى عن ابن المبارك انه قال :

جائز فى كلام العرب اذا صام أكثر الشهر أن يقال : صام الشهر كله ويقال : قام فلان ليله اجمع ولعله قد تعشى واشتغل ببعض أمره ، وقد علل النبى صل الله عليه وسلم كثرة صيامه فى شعبان بما جاء فى حديث اسامة قال : قلت : يارسول الله لم أرك تصوم شهرا من الشهور ما تصوم من شعبان قال : ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم ..

يشير بذلك الى انه لما اكتنفه شهران عظيمان،الشهر الحرام ، وشهر الصيام اشتغل الناس بهما عنه فصار مغفولا عنه ، وزاد بعض العلماء فى التعليل فقال : ان أفضل التطوع ما كان قريبا من رمضان قبله وبعده ، وذلك يلتحق بصيام رمضان لقربه منه وتكون منزلته من الصيام بمنزلة السنن الرواتب من الفرائض قبلها وبعدها فتلتحق بالفرائض فى الفضل وهى تكملة لنقص الفرائض ، وكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده ، فكما أن السنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالصلاة فكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده أفضل من صيام ما بعد منه ، وقال بعض العلماء : ان فى صوم شعبان معنى آخر وهو ان صيامه كالتمرين على صيام رمضان لئلا يدخل فى صوم رمضان على مشقة وكلفة بل يكون قد تمرن على الصيام واعتاده ووجد بصيام شعبان قبله حلاوة الصيام ولذته فيدخل فى صوم رمضان بقوة ونشاط ولما كان شعبان كالمقدمة لرمضان شرع فيه مايشرع فى رمضان من الصيام وقراءة القرآن فيحصل التأهب لتلقى رمضان وترتاض النفوس بذلك على طاعة الرحمن وأما صيام يوم النصف من شعبان فهو مندوب اليه لا لانه يوم نصف شعبان خاصة ولكن لأنه من الأيام البيض التي ندب صومها من كل شهر ، والحديث الوارد بصيام يوم النصف بخصوصه وقيام ليلته بخصوصها ضعيف . قال العلامة ابن رجب وقد ورد الأمر بصيامه من شعبان بخصوصه ففى سنن ابن ماجه باسناد ضعيف عن على عن النبى صلى الله عليه وسلم : اذا كان ليلة نصف شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا فيقول الا من مستغفر فاغفر له ، الا من مسترزق فأرزقه الا من مبتلي فأعافيه، الا كذا، الا كذا حتى يطلع الفجر .

وفى فضل ليلة نصف شعبان أحاديث اخر متعددة ، وقد اختلف العلماء فيها فضعفها الاكثرون وصحح ابن حبان بعضها وخرجه فى صحيحه ثم قال ابن رجب : وكان التابعون من أهل الشام يعظمونها ويجتهدون فيها فى العبادة ، وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها ووافقهم على تعظيمها طائفة من عباد البصرة ، وانكر ذلك أكثر علماء الحجاز ، واختلف القائلون باحيائها فى طريقة احيائها فمنهم من رأى استحباب احيائها جماعة فى المساجد بالصلاة والدعاء والوعظ والقصص ومنهم من رأى كراهة الاجتماع فى المساجد لذلك وممن وافق على احيائها من الائمة الامام ابو حنيفة الا انه كره أن يجتمع لاحيائها فى المساجد ورأى انه بدعة لانه لم يفعله النبى صلي الله عليه وسلم .

ومعنى احيائها ، القيام بعمل الطاعات فيها ويكون ذلك بالصلاة بغير تعيين عدد مخصوص وبقراءة القرآن وتفسيره وتدارس الحديث وتفهمه وبذكر الله والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ومدارسة العلوم والعمل فى المصانع لسد حاجات المستهلكين واعداد وسائل الدفاع للمجاهدين ونحو ذلك من كل عمل نافع يعود على جماعة المسلمين ، والدعاء المعروف بدعاء نصف شعبان الذى اعتاد بعض المسلمين الدعاء به فى المساجد لم يصح سنده بل قال بعض العلماء انه موضوع .

وليس فى احياء ليلة النصف صلاة مخصوصة بها وما يفعله بعض الناس من احيائها بصلاة مخصوصة فهو بدعة مذمومة كما قال بعض العلماء

هذا ما ورد من الأعمال والقربات فى يوم نصف شعبان وليلته ومنه ما ثبت بأدلة قوية ومنه ما ثبت بأدلة فى بعضها مقال وهى كلها قربات بالعبادات لا بالمطعومات والمستلذات فما يفعله كثير من الناس فى مناسبة يوم النصف واتخاذه مناسبة للتوسع فى الأطعمة والاسراف فيها والافتنان فى اعدادها فهو من قبيل العادات التى يبعث عليها الشره والشهوة وليس لها سند من الاسلام وما كانت شهوات النفوس واتخام البطون فى الاسلام ولا فى غيره من الأديان وسائل قربى الى الله وانما كانت التضحية بالنفوس وبذل الاموال والحرمان فى سبيل الصالح العام هى الوسائل التى يستجيب الله لها ويرضى عنها .

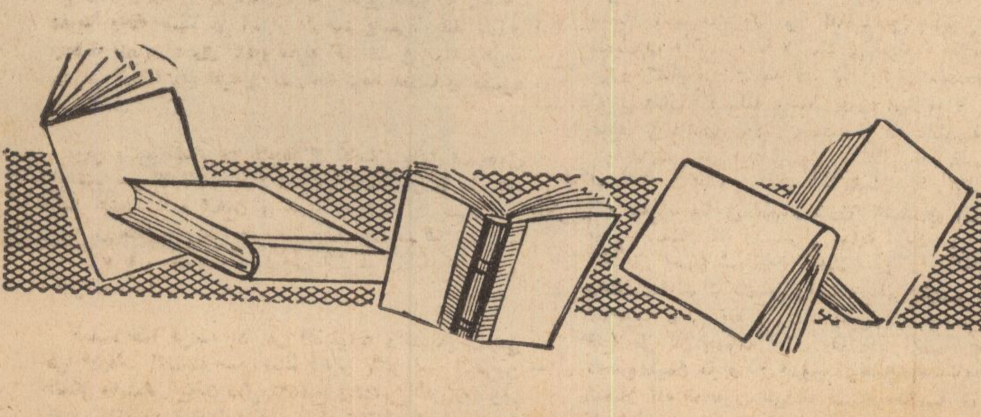

الليلة المباركة

للأستاذ محمد أنيس عبادة

قال تعالى « حم • والكتاب المبين • انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين » والليلة المباركة ، ليلة القدر •

روى عن قتادة عن واثلة أن النبى – صلى الله عليه وسلم قال « أنزلت صحف ابراهيم فى أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان وأنزل الزبور لاثنتى عشرة من رمضان • وأنزل الانجيل لثمان عشرة خلت من رمضان • وأنزل القرآن لأربع وعشرين مضت من رمضان » •

وجاء فى كيفية نزول القرآن فى تلك الليلة، أن القرآن كله أنزل الى السماء الدنيا فيها ، ثم أنزل منجما فى سائر الأيام على حسب اتفاق الأسباب ، وقيل كان ينزل فى كل « ليلة القدر » ما نزل فى سائر السنة • وقيل كان ابتداء الانزال فى هذة الليلة ، والمعلوم أنه أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فى الليالى والأيام فى ثلاث وعشرين سنة •

« فيها يفرق كل أمر حكيم » • قال ابن عباس يحكم الله أمر الدنيا الى قابل فى ليلة القدر ما كان من حياة أو موت أو رزق ، الا الشقاء والسعادة فانهما لا يتغيران ، ومعنى هذا ا لقول: أمر الله – عز وجل – الملائكة بما يكون فى ذلك العام ولم يزل ذلك فى علمه عز وجل • قال ابن عباس « يكتب من أم الكتاب فى « ليلة القدر » ما يكون فى السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحج يقال يحج فلان • ويحج فلان وقال فى هذه الآية انك لترى الرجل يمشى فى الأسواق وقد وقع اسمه فى الموتى • وهى الابانة لأحكام السنة، انما هى للملائكة الموكلين بأسباب الخلق •

وعلى هذا المعنى تنتظم آيات انزال القرآن الكريم • ففى قوله تعالى « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » نص على أن ميقات نزوله شهر رمضان ، ولم يتعين زمنه، فلم يظهر أن النزول كان بليل، أو نهار فبان ذلك بقوله تعالى « فى ليلة مباركة » ولم يظهر بذلك أى

ليلة فقال تعالى « انا انزلنـــاه في ليلـة القدر » .

وقال عكرمة فى قوله تعالى « فيها يفرق كل أمر حكيم » هى ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وينسخ الأحياء من الأموات ، ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم أحد ، ولا ينقص منهم أحد .

وروى عثمان بن المغيرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تقطع الآجـال من شعبان الى شعبان حتى أن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه فى الموتى » .

وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **« اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلتها وصوموا نهارها ، فان الله ينزل لغروب الشمس الى سماء الدنيـا يقول ألا مستغفر فاغفر له، الا من مبتلى فاعافيه ، الا مسترزق فأرزقه ، ألا كـذا ، ألا كـذا ، حتى يطلـع الفجر »** .

وبناء على هذا تكون الليلة المباركة ليلـة النصف من شعبان . ووصفها بالبركة لما ينزل الله فيها من البركات والخيرات والثواب .

وهذه البركات والخيرات تظهر فى نزول الملائكة الى سماء الدنيا من غروب الشمس الى طلوع الفجر تنادى عن الله عز وجل ألا مستغفر فأغفر له ، الا من مبتلى فأعافيه الا مسترزق فأرزقه ، ولكل صاحب حاجة يلجأ الى الله تعالى ليجيبه اليها وينعم عليه بها . وهو تعالى دائما اقرب الى العبد من نفسه ، يجيب الدعاء ويسمع النداء ، ويغفر الذنب ، ويغدق الرزق، الا انه فى تلك الليلة أقرب من كل ليلة غيرها الى كل عبد يلجأ الى مولاه بالاجابة ، والمغفرة ، والرزق ، والعافية .

لكن ذلك كله عن تنبه الى أبواب رحمتـه ليدخل فيها ، لمن يستغفر ، ويطلب الرزق ويرجو المعافاة . فالاجابة حاضرة لأصحاب القلوب المتنبهة الى ساحات رحمتـه ومغفرته وخيره ومعافاته . ولهذا أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم الى العمل الذى يحقق لصاحبه الاجابة بقوله اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلتها وصوموا نهارها . ومعنى هـذا أن يجعل الانسان عمله كلـه لمولاه فى هذه الليلة ، فقيام الليل معناه حضور القلب بذكر الله تعالى مع اداء ما عليه من واجبات على أكمل الوجوه ، وأدنى ذلك صلاة العشاء والفجر فى جماعة ، وصيام النهار يمحض النفس لمناجاة المولى عز وجل ، فتصفو نفس العبد ، وتخضع جوارحه بطاعة الله، فاذا فعل فهو مقبول الدعاء مامول الرجاء **« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعـوة الـداع اذا دعـان »** ، وفى صدر الحديث وآخره تعميم وارشـاد للعباد لكيفيـة الظفر بالمأمول ، والسـعادة بالمطلوب . فهو سبحانه لم يجعل هذه الخيرات والبركات لكل أحد . بل لمن يطلبها بالعمل ، ويسعى اليها بالتقرب الى مصدر الخير والنعم وهو ما تدل عليه العبارة « ألا مستغفر فاغفر له الخ » . فالغفران لمن عرف أن له ربا غفـارا للذنوب يتجه اليه بقلبه ويعبر بلسانه بعبارات الاستغفار والذكر وكذلك الرزق لمن يسترزق بالتوجه اليه سـبحانه بقلب خاشع ينطـق لسانه بالحـاجة الى مولاه . وليس ذلك لمن غفل عن الذكر ونسى . ولهذا أرشد صلوات الله عليه الى الوسيلة الموصلة الى ذلك بقوله: **« فقوموا ليلتها وصوموا نهارها »** .

وذلك فى مجموعه دليـل على أن الله تعالى يغدق على كل عبد متنبه النفس عامر القلب بالايمان بالله ، متقرب اليه بالطاعة ، ليقربه مولاه منه بالثواب والبر والمغفرة والعافية ، وتلك سنة الله فى خلقه ، فان السماء لا تمطر ذهبا ، ولا فضة ، ولكن الانسان بعمله يظفر بحاجته ، وحتى فيما بينه وبين خالقه ، فانه بعبادته وطاعته ينـال ما يريد ، وان كان ما يعطيه سبحانه من النعم والخيرات تفضـلا منه ورحمة .

وعلى أى من القولين سـواء أريد بالليلة المباركة ليلة القدر فى رمضان أو ليلة النصف من شعبان ، فكل من الليلتين تكون من مواسم

العبادة التى يجزل فيها العطاء ، ويعظم فيها الأجر والمثوبة .

فقد من الله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم فجعل لعباده نفحات عبادة ، ومواسم خير وبر وموائد رحمة ، دعا اليها الأخيار الذين يتسابقون الى طاعته ليسعدوا بجزيل المكافاة ، وواسع النعمة فجعل لهم مما خلق من الزمان والمكن هذه المواسم وتلك النفحات .

ففى ليلة النصف من شعبان ما قدمنا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من صوم شعبان ، حتى كان يظن انه فى رمضان كما ورد فى حديث عائشة المتفق عليه .

وقال صلى الله عليه وسلم : **« ان لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها) .**

ففى كل يوم من أيام الحياه وقت السحر من ساعات الليل لمناجاه الله - عز وجل - فقال تعالى «وبالاسحارهم يستغفرون» وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث ابى هريره المتفق عليه « ينزل الله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول - عز وجل - من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فاعطيه ، من يستغفرنى فاغفر له » .

ويرجع شرف الأوقات الى شرف الحالات اذ وقت السحر وقت صفاء القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات ووقت السجود فى الصلاة أقرب الى الاجابة لكمال الخضوع فيه له تعالى قال صلى الله عليه وسلم (**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء** » كما جاء فى حديث أبى هريرة .

كما أن يوم عرفة فى العام . ويوم الجمعة فى الاسبوع وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله تعالى ، وهذه أحد الاسباب علاوة على ما فيها من اسرار لا يطلع البشر عليها .

فيوم الجمعة فى عمومه ورد فيه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم عليه السلام ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه اهبط الى الأرض ، وفيه تيب عليه ، وفيه مات ، وفيه تقوم الساعة ، وهو عند الله يوم المزيد ، كذلك تسميه الملائكة فى السماء ، وهو يوم النظر الى الله تعالى فى الجنة » .

وفيه ساعة شريفة يجاب فيها الدعاء كما جاء فى الخبر (ان فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله عز وجل فيها شيئا الا أعطاه » . ويوم الجمعه من جمله الايام التى اشتملت على النفحات ، فينبغى أن يكون العبد فى جميع نهاره متعرضا لها باحضار القلب وملازمه الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشىء من تلك النفحات ، ويوم عرفة هو يوم التاسع من ذى الحجة يقف الحجاج فيه فى المكان المعروف بذلك ، وهو يوم عظيم الفضل جسيم الثواب ، يكفر الله فيه الذنوب العظام ويضاعف فيه الصالح من الأعمال ، قال صلى الله عليه وسلم « صوم يوم عرفة يكفر السنه الماضية والباقية » وقال : « افضل الدعاء دعاء يوم عرفه ، وافضل ما قلت انا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له » .

ولذلك ورد أنه صلى الله عليه وسلم « دعا لأمته عشيه عرفة بالمغفره والرحمه واكثر الدعاء فأجابه انى قد فعلت الا ظلم بعضهم بعضا فاما ذنوبهم فيما بينى وبينهم فقد غفرتها . قال : يارب انك قادر أن تثيب هذا المظلوم خيرا عن مظلمته وتغفر لهذا الظالم فلم يجبه تلك العشية . فلما كان الغداة غداة المزدلفة اجتهد فى الدعاء ، فأجابه انى قد غفرت لهم، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له : تبسمت يارسول الله فى ساعة لم تكن تتبسم فيها . فقال : تبسمت من عدو الله ابليس انه لما علم أن الله قد استجاب لى فى أمتى أهوى يدعو بالويل والثبور ويحثى التراب على وجهه ويفر » .

وقد استحب أهل العلم صوم يوم عرفة - يعنى لغير الحجاج - وذلك ليجتهد الحاج

فى الدعاء والعبادة • وقد أفطر صلى الله عليه وسلم بعرفة وارسلت اليه أم الفضل بلبن فشرب • وهكذا صنع خلفاؤه من بعده ، فلم يصمه أبو بكر وعمر •

وأما رمضان، فهو أفضل الشهور بما حصل فيه من المعجزة الكبرى ينزل القرآن الكريم فيه وهو خاتم الكتب السماوية على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو خاتم رسل الله الى عباده • وحسبنا بالقرآن الكريم ميزة وفضلا يميز بهما رمضان من بين سائر الشهور ، فهو حبل الله المتين ، شفاء ونور ، وهدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، ثم باشتماله على ليلة القدر التى هى خير من الف شهر ، ولهذا فانه – صلى الله عليه وسلم – كان يجد فى هذا الشهر المبارك بذلك وبما فرض الله فيه من الصيام الذى هو أحد أركان هذا الدين الحنيف أعظم مذكر له بربه. فكان يكثر فيه من العبادة ويحث المسلمين على اغتنام فرصته للتقرب الى الله – عز وجل – ولهذا كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود بالخير من الريح المرسلة ، كما ورد عنه قوله « رغم أنف رجل ادركه رمضان فلم يغفر له » •

ولا شك أن رمضان موسم من أعظم الأجر وجزيل الثواب ، وكما ورد عنه صلى الله عليه وسلم « **اذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد : يا باغى الخير هلم ويا باغى الشر أقصر** » •

وفيه ليلة القدر من قامها ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، وهذه الايام والليالى والشهور من نفحات ربنا لنا وموائد رحمته بخلقه بما اشتملت عليه من كريم المناسبات ، وبما يكون فيها من البر والبركة والنعمة أما فى المكان فقد شرف الله مكة والمدينة والكعبة ، واختصها جميعا بالبركة والرحمة لخير أمة أخرجت للناس •

ومع أن المساجد بيوت الله تشرفت بالنسبة اليه ، وروادها ضيوف الله فى بيوته فقد اختص منها ثلاثة مساجد بالتفضيل على سائرها • فكانت صلاة واحدة فى أحدها بمثابة صلوات كثيرة فى غيرها ، وهى المسجد الحرام فى مكة ، والمسجد النبوى فى المدينة والمسجد الأقصى ، قال صلى الله عليه وسلم « صلاة فى مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاه ، وصلاة فى المسجد الأقصى بألف صلاة ، وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة » كما قال « **لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد• المسجد الحرام ، ومسجدى هذا والمسجد الأقصى** » •

أما بعد : فان ليلة النصف من شعبان بما ورد فى فضلها من أحاديث تذكرنا بهذه النفحات التى جعلها الله تعالى لنا مواسم بر واعياد خير ، ومواقيت بركة ونعمة ورحمة تكثر فيها آلاء الله ، وتتضاعف فيها أعمال العباد ، فهى بذلك مواسم للروح تشرق فيها بطاعة الله والاقبال على عبادته ، لتستشعر نور الايمان يزداد فى القلوب فتتفتح بذلك أمام العبد آفاق الرحمة ، وتتعدد موارد النعمة ، وتكتسى بلباس التقوى فتتوالى الرحمة، وتدوم النعمة ، وتزيد البركات .

فما أحوجنا الى اغتنام ورودها • والسعادة بالاستزادة من تواليها ليزداد أمامنا الزاد لدار المعاد •

ولقد تعينت بأسمائها ، وأبهم الله تعالى زمان بعضها فى مثل ليلة القدر فى رمضان كله ، وساعة الاجابة فى يوم الجمعة كله ، كما لم يعين اسمه الأعظم من أسمائه الحسنى، ليترقب العباد هذا فى زمن أكثر وطاعة أزيد ليكثر صالح العمل ثم ليعظم عند الله الجزاء •

وفقنا الله تعالى الى مزيد طاعته لاستدامة نعمته سبحانه وتعالى وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى اله وأصحابه ومن اتبعهم باحسان الى يوم الدين •

حول دعاء شعبان

فضيلة الشيخ حسين هاشم

ان خير من يبين لنا مكانة الدعاء من العبادات هو رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم اذ يقول :« الدعاء مخ العبادة » •

فقد جعل الدعاء من الاهمية بحيث انه بمنزلة المخ من الانسان ، فكما ان الانسان بلا مخ لايستقيم امره فكذلك العبادة اذا خلت من الدعاء ـ الذى يجعل العبد مقر بالعبودية الحقة لخالقه عز وجل ، وانه هو المعطى وهو المانع وانه بيده مقاليد كل شىء ، وانه اذا اراد ان يقول لشىء كن فيكون ـ اذا خلت العبادة من الدعاء تكون كالهيكل الادمى الخالى من جهاز التفكير ولايخفى ان الانسان بلا مخ كائن لا غناء فيه ، ولا خير يرجى منه •

ولقد تعبدنا الله تبارك وتعالى بطلب الدعاء منه حيث يقول : « وقال ربكم ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » ويقول جل شانه : « واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون »

ويلتمس الدعاء فى كل زمان وفى كل مكان ، ولكنه يكون اقرب الى الاستجابة فى اماكن خاصة وفى اوقات معلومة ، فكما ان الله جلت قدرته فضل بعض الاماكن على بعض كذلك فضل بعض الازمنة على بعض لما وقع فيها من احداث كان لها اثر طيب على الاسلام والمسلمين•

ومن هذه الاوقات ليلة القدر ، وليلة الاسراء ، وليلة العيد ، ويوم عرفة ، ويوم عاشوراء ، وليلة النصف من شعبان •

ولقد اعتاد البعض الدعاء فى هذه الليلة « ليلة النصف من شعبان » وشاع بينهم تلاوة دعاء معين وهو « اللهم ياذا المن ولا يمن عليه » الى آخر هذا الدعاء الذى سنذكره فيما بعد •

ومع التسليم باستجباب الدعاء فى هذه الليلة ـ لانها زيادة على مافيها من الفضل والبركة فقد تحولت فيها القبلة من بيت المقدس الى المسجد الحرام ومنذ تلك الليلة ومكة هى القبلة الثابتة لجميع مسلمى العالم ـ مع التسليم باستحباب الدعاء فيها فانى ارى ان لا يتقيد المؤمن بدعاء بعينه مع انه لا مانع من تلاوة هذا الدعاء ولكن بشرط ان لا يفهم على انه فرض لايقوم مقامه دعاء آخر • والا فهذا مالا نقول به •

ولكى نقف على مدى صحة هذا الدعاء ومافيه من المحو والاثبات وتبديل الشقاوة بالسعادة وغير ذلك ، كان لزاما علينا ان نتعرض لتفسير آية « المحو والاثبات » حتى يتبين لنا مدى ماتحتمله هذه الاية من معان ، وهل المحو والاثبات فيها قاصران على الامور الواردة فى الدعاء فقط ؟ ام انها تشملها مع غيرها ؟ ام انها تتعداها كلية الى غيرها ؟ وهل هذا يكون فى ليلة النصف من شعبان ام فى غيرها ؟

يقول الله تعالى : « يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب »

جاءت هذه الاية ردا على الذين انكروا قول الله تعالى « لكل اجل كتاب » بمعنى ان لكل زمن من الازمان حكم معين للعباد حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة ، مثلما يضع الطبيب العلاجات المختلفة باختلاف احوال المرض ، فجاء قول الله تعالى « يمحو الله ما يشاء

ويثبت » بمعنى انه جلت قدرته احاط علمه بكل شيء وانه بيده الخلق والامر . ولذلك فهو ينسخ ما يشاء نسخه من الاحكام لان المصلحة تقتضيه ، ويثبت بدله ما تحصل به المصلحة .

ولقد تضاربت الاراء فى معنى المحو والاثبات فى الاية .

فمنها : ما قاله بن عباس وهو ان المراد بالمحو والاثبات ان يمحو الله من ديوان الحفظة ماليس بحسنة ولا بسيئة ويثبت ما هو حسنة او سيئة .

وما قاله فى رواية اخرى وهو : ان المعنى يمحو الله مايشاء من امور عباده الا السعادة والشقاوة والاجال فانها لا محو فيها .

ومنها ما قاله الحسن وجماعة من ان المحو والاثبات فى آجال الناس بحيث يثبت الله سبحانه اما فى ليلة القدر او فى ليلة النصف من شعبان من آجال الموتى فيمحو الله ناسا من ديوان الاحياء ويثبتهم فى عداد الاموات .

ومنها ما روى عن عكرمة من ان المقصود محصل التوبة فيمحو الله الذنوب ويثبت بدلها الحسنات واستشهد بقوله تعالى « الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات » .

ومنها ما اخرجه ابن جرير عن كعب انه قال لعمر رضى الله عنه ياامير المؤمنين : لولا آية فى كتاب الله تعالى لانباتك بما هو كائن الى يوم القيامة ! قال وماهى ؟ قال : قوله تعالى « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب » .

وروى عن عمر رضى الله عنه انه كان يطوف بالبيت ويقول :

« ان كنت كتبت على شقوة او ذنبا فامحه واجعله سعادة ومغفرة فانك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك ام الكتاب .

ويشبه هذا المعنى ماروى مرفوعا عن على كرم الله وجهه يقول الله تعالى فى حديث قدسى : وعزتى وجلالى وارتفاعى فوق عرشى مامن اهل قرية ، ولا اهل بيت ، ولا رجل ببادية كانوا على ماكرهت من معصيتى ثم تحولوا عنها الى ما احببت من طاعتى الا تحولت لهم عما يكرهون من عذابى الى مايحبون من رحمتى ، ولا من اهل قرية ، ولا اهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما احببت من طاعتى ثم تحولوا عنها الى ما كرهت من معصيتى الا تحولت لهم عما يحبون من رحمتى الى مايكرهون من عذابى .

ومنها ما اخرجه ابن ابى شيبة فى المصنف عن ابن مسعود قال : مادعا عبد قط بهذه الدعوات الا وسع الله عليه فى معيشته « اللهم ياذا المن ولا يمن عليه ياذا الجلال والاكرام ياذا الطول والانعام لا اله الا انت ظهر اللاجين وجار المستجيرين وامان الخائفين .. اللهم ان كنت كتبتنى عندك فى ام الكتاب شقيا او محروما او مطرودا او مقترا على فى الرزق فامح اللهم بفضلك شقاوتى وحرمانى وطردى واقتار رزقى واثبتنى عندك فى ام الكتاب سعيدا مرزوقا موفقا للخيرات .. فانك قلت وقولك الحق فى كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب .. الهى بالتجلى الاعظم فى ليلة النصف من شعبان المكرم التى يفرق فيها كل امر حكيم ويبرم نسالك اللهم ان تكشف عنا من البلاء والهم والغم والحزن ما نعلم ومالا نعلم وما انت به اعلم انك انت الله الاعز الاكرم . وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم » .

فقد نسب الى جماعة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم انهم كانوا يدعون ربهم بهذا الدعاء ليجعلهم سعداء .

من هذا نستشف ان هناك محوا واثباتا وتغييرا وتبديلا اما كونه فى شيء بعينه او انه يكون فى ليلة النصف من شعبان او فى غيرها ؟ فهو مالا يعرف بالتحديد ، وهذا واضح من تضارب الاراء وتباينها .

ومما استرعى نظرى فى هذا الدعاء جملة « الهى بالتجلى الاعظم فى ليلة النصف من شعبان المكرم التى يفرق فيها كل امر حكيم » فهل الليلة التى يفرق فيها كل امر حكيم هى ليلة النصف كما يقول الدعاء . ام هى ليلة اخرى ؟

وبالرجوع الى كتاب الله نرى ان الله جلت قدرته يقول فى اول سورة الدخان بسم الله الرحمن الرحيم « حم والكتاب المبين انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين . فيها يفرق كل امر حكيم » ونرى ان معنى يفرق كل امر حكيم يفصل ويكتب كل امر من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم فى هذه الليلة المباركة ، وحيثما نقرا راى المفسرين فى هذه الليلة المباركة فنجد ان منهم من قال انها ليلة النصف من شعبان وان القرآن الكريم نزل فيها جملة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل وقت الحاجة الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكان ابتداء ذلك ليلة القدر ، وهذا راى ضعيف لضعف ادلته .

وقيل هذه الليلة هى ليلة القدر وهو راى الجمهور وهو الصحيح بقوة ادلته التى منها قول الله تعالى « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن » وقوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم « انا انزلناه فى ليلة القدر » ومن المعروف ان ليله القدر فى رمضان .

وعلى هذا فاننا حينما نضع قول الله تعالى « انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين » بجانب قوله تعالى : انا انزلناه فى ليلة القدر » نتاكد لنا ان الليلة المباركة فى الاية الاولى هى هى ليلة القدر فى الاية الاخرى ويوضح لنا هذا قول الله تعالى « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن » وعلى هذا تكون تلك الليلة المباركة ليلة من ليالى شهر رمضان وعلى المشهور انها ليلة السابع والعشرين منه .

ومن هذا العرض يظهر لنا جليا ان الدعاء عبادة عظيمة ، وانه يلتمس فى كل زمان ومكان ، وان هناك ازمنة يكون الدعاء فيها اكثر استجابة وان من هذه الازمنة ليلة النصف من شعبان ولكن لا بشرط دعاء معين كدعاء شعبان . والله اعلم .

الليلة المباركة من

شهر شعبان المعظم

فضيلة الشيخ عبد العزيز قنديل

« الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس» والله الذى خلق الانسان وكرمه واصطفى من عباده من اصطفى ، خلق الزمان والمكان وفضل بعض الأمكنة على بعض . وميز من الأزمنة ما ميزه لحكمة يعلمها وسر أودعه فيها . قال تعالى : « وربك يخلق ما يشاء ويختار » .

ولن يغيب عنا فضل المسجد الحرام على غيره من المساجد ، وفضل مكة المكرمة ، والمدينة المنورة فقد اصطفى الله الأولى لتكون مقرا لأول بيت وضع للناس « **ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا** »

واختار الثانية من بين المدن العربية دارا للهجرة ومركزا للاشعاع الدينى على العالم كله ، وهذا هو بيت المقدس يبين القرآن الكريم ان الله تعالى بارك حوله حيث يقول : **« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ..**

ولذلك كان بيت المقدس أولى القبلتين وثانى الحرمين ومسرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة ومعراجه الى السموات العلا الى سدرة المنتهى الى الحضرة الالهية ، والفيوضات الربانية .

ومن الأزمنة التى فضلها الله على غيرها الأشهر الحرم ، ذو القعدة وذوالحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى الآخرة وشعبان .. فقد حرم الله فيها القتال وجعلها أشهر سلام ومحبة ووئام . ومن الأزمنة التى اختارها الله سبحانه « شهر رمضان » فقد انزل فيه القرآن وفرض فيه الصيام وجعل أوله رحمة ووسطه مغفرة وآخره عتقا من النار ، وفيه ليلة تزيد فى الفضل على الف شهر ، تلك هى ليلة القدر التى شرفها الله بنزول القرآن الكريم فيها ، قال تعالى :

« انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر

تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر » .

وبين يدى شهر رمضان المبارك الذى فرض الله علينا صيامه يتقدم شهر شعبان المعظم ، فقد جعل الله له منزلة خاصة بين شهور العام تعظيما لشهر رمضان ، وأكثر فيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الصيام وحبب الى المسلمين الصوم فيه تطوعا ليكون فى ذلك دربة لهم على الصوم المفروض فى رمضان .

ففى الصحيحين عن عائشة – رضى الله عنها – : « ما رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا شهر رمضان ، وما رأيته فى شهر أكثر صياما منه فى شعبان » ، وفى رواية أخرى لهما لم يكن يصوم شهرا أكثر من شعبان فانه كان يصومه ، وفى رواية لمسلم كان يصوم شعبان كله الا قليلا » .

وسئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم **« أى الصوم أفضل بعد رمضان ، قال شعبان لتعظم رمضان » وقد نوه الرسول – صلى الله عليه وسلم بشهر شعبان وعنى به لئلا يغفل الناس عنه لوقوعه بين شهر حرام هو رجب ، وشهر مبارك هو رمضان . فقد روى النسائى وأبو داود وصححه ابن خزيمة عن أسامة قال : قلت يا رسول الله لم أرك تصوم شهرا من الشهور ما تصوم من شعبان قال « ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال الى رب العالمين فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » .**

واذا كان لشهر شعبان بين شهور العام فضل فان لليلة النصف منه شأنا بين المسلمين – اى شأن – ومرجع حفاوة المسلمين بهذه الليلة ما ورد فى فضلها من الأخبار الكريمة ومن ذلك ما أخرجه ابن ماجه والبيهقى فى شعب الايمان عن على – كرم الله وجهه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس الى السماء الدنيا فيقول : ألا مستغفر فأغفر له، ألا مسترزق فأرزقه ، ألا مبتلى فأعافيه ، ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر .

واخبار أخرى كثيرة صحح بعضها ابن حبان ومن أمثلها ما أخرجه الترمذى وابن ابى شيبة والبيهقى وابن ماجة عن عائشة قالت : فقدت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذات ليلة فخرجت أطلبه فاذا هو بالبقيع رافعا رأسه الى السماء فقال ياعائشة أكنت تخافين أن يحيف الله تعالى عليك ورسوله قلت : ما بى من ذلك ولكنى ظننت أنك أتيت بعض نسائك فقال : ان الله تعالى – عز وجل – ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم بنى كلب » .

وأخرج احمد بن حنبل فى المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : يطلع الله تعالى الى خلقة ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده الا اثنين : « **مشاحن وقاتل نفس** »..

ويرى عكرمة وجماعة من المفسرين أن ليلة النصف من شعبان هى الليلة المباركة الواردة فى قوله تعالى من سورة الدخان « بسم الله الرحمن الرحيم – **حم والكتاب المبين ، انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين ، رحمة من ربك انه هو السميع العليم** » .

ومن توجيهات أصحاب هذا الرأى للآية الكريمة كما ورد فى تفسير روح المعانى للعلامة الألوسى أن انزال القرآن فى تلك الليلة هو انزاله فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح المحفوظ ، فالانزال المنجم فى ثلاث وعشرين سنة أو أقل كان من السماء الدنيا روى هذا عن ابن جبير وغيره ، وذكر أن المحل الذى أنزل فيه من تلك السماء البيت المعمور وهو مسامت للكعبة بحيث لو نزل لنزل عليها » .

ومن اجل ذلك سميت ليلة النصف من شعبان بالليلة المباركة ، وليلة القسمة والتقدير ، فقد روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه - عز وجل - يقضى الاقضية كلها ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى اربابها فى ليلة القدر .

ومن أسمائها ليلة التكفير - قال التقى السبكى لأنها تكفر ذنوب السنة ، وليلة الجمعة تكفر ذنوب الأسبوع ، وليلة القدر تكفر ذنوب العمر .

ومن أسمائها ليلة الاجابة لما روى عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : خمس ليال لا يرد فيهن الدعاء ، ليلة الجمعة وأول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلتا العيد .

وتسمى كذلك ليلة الافراغ لما روى أن عمر بن عبد العزيز كتب الى الحجاج بن أرطاه ، وهو على البصرة وقيل لعدى بن أرطاه .. عليك بأربع ليال فى السنة ، فان الله تعالى يفرغ فيها الرحمة افراغا وهى : أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان ، وليلة الفطر ، وليلة الأضحى .

ومن أسمائها كذلك ليلة الشفاعة وليلة الرجحان وليلة العتق ، وليلة الغفران .. الى غير ذلك مما أورده العجلوتى فى رسالته : نصيحة الاخوان فى صوم رجب وشعبان ورمضان .

وقد تعارف المسلمون على الاحتفال بليلة النصف من شهر شعبان بالاجتماع فى المساجد بين المغرب والعشاء وترديد دعاء معروف بدعاء نصف شعبان وقد أورد « الالوسى » هذا الدعاء وهو بصدد شرح الآية الكريمة « **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم لكتاب**» يقول الالوسى أخرج ابن أبى شيبة فى لمصنف وغيره عن ابن مسعود - رضى الله تعالى عنه - قال : ما دعا عبد قط بهذه الدعوات الا وسع عليه فى معيشته .. **« يا ذا المن ولا يمن عليه ، يا ذا الجلال والاكرام ، يا ذا الطول ، لا اله الا أنت ظهر اللاجئين وجار المستجيرين ومأمن الخائفين ان كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقيا فامح عنى اسم الشقاوة وأثبتنى عندك سعيدا ، وان كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب محروما مقترا على رزقى فامح حرمانى ويسر رزقى وأثبتنى عندك سعيدا موفقا للخير فانك تقول فى كتابك الذى أنزلته « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » ..**

وأخرج عبد بن حميد وغيره عن عمر - رضى الله عنه - أنه قال وهو يطوف بالبيت : اللهم ان كنت كتبت على شقوة أو ذنبا فامح واجعله سعادة ومغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب » .

ودعاء نصف شعبان المذكور تناولته أقلام العلماء بالطعن والتجريح ، بل أنكره بعضهم وأوجب على المسلمين تركه لما يشمله من مسألة المحو والاثبات ، وهى أمر خاض فيه العلماء واشتد اختلافهم وانكر بعضهم محو ما كتب على الانسان من رزق وسعادة وشقاء ، وقالوا ان المحو والاثبات فى الآية يراد بهما غير ذلك كنسخ بعض الاحكام واثبات غيرها على ما تقتضيه الحكمة الالهية أو محو الشرائع السابقة التى لا تلائم استعداد الأمم اللاحقة - وأم الكتاب هو العلم الالهى الذى لا محو فيه ولا تبديل او اصول الاديان التى لا تختلف باختلاف الامم فلا يرد عليها محو او تبديل - فمجال المحو والاثبات فى الآية لا يتلاقى مع دعاء نصف شعبان المعروف .

وقد أفاض الألوسى - رحمه الله - فى اثبات جواز المحو والاثبات على الوجه الوارد فى الدعاء ، ويقول : انه ما من شيء الا ويمكن تغييره وتبديله حتى القضاء الازلى ، واستدل لذلك بأمور منها : أنه قد صح من دعائه - صلى الله عليه وسلم - فى القنوت « وقنى شر ما قضيت » وفيه طلب الحفظ من شر القضاء الازلى ولو لم يمكن تغييره ما صح طلب الحفظ منه .

ومنها ما صح فى حديث التراويح من عذره - صلى الله عليه وسلم - عن الخروج اليها والناس مجتمعون ينتظرونه لمزيد رغبة

كل منهم فى صلاة التراويح بقوله : خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها - فانه لا معنى لهذه الخشية لو كان القضاء الازلى لا يقبل التغيير • فانه ان كان قد سبق القضاء بأنها ستفرض فلا بد أن تفرض وان سبق القضاء بأنها لا تفرض فمحال أن تفرض •

ومنها ما صح أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يضطرب حاله الشريف ليلة الهواء الشديد حتى أنه لا ينام وكان يقول فى ذلك أخشى أن تقوم الساعة ، فانه لا معنى لهذه الخشية مع اخبار الله تعالى أن بين يديها ما لم يوجد من علاماتها كظهور المهدى والدجال ونزول عيسى - عليه السلام - وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك مما يستدعى تحققه زمانا طويلا فلو لم يكن - عليه الصلاة والسلام - يعلم أن القضاء يمكن تغييره وان ما قضى من أشراطها يمكن تبديله ما خشى - صلى الله عليه وسلم - من ذلك •

ومنها أن المبشرين بالجنة كانوا من أشد الناس خوفا من النار حتى أن منهم من كان يقول ليت أمى لم تلدنى ، وكان عمر - رضى الله عنه - يقول : لو نادى مناد : كل الناس فى الجنة الا واحدا لظننت أنى ذلك الواحد- ولا معنى لهذا القول من عمر مع أخبار الصادق - صلى الله عليه وسلم - وتبشيره له بالجنة والعلم بأن القضاء لا يتغير - ولماذا طلب منا الدعاء اذا كان القضاء لا يتغير ، والله تعالى يقول « ادعونى أستجب لكم » وأخرج الحاكم وصححه ابن عباس قال : لا ينفع الحذر من القدر ، ولكن الله تعالى يمحو بالدعاء مايشاء من القدر •

وأخرج ابن مردويه وابن عساكر عن على - كرم الله تعالى وجهه - أنه سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن قوله تعالى « يمحو الله ما يشاء » الآية فقال له عليه الصلاة والسلام لأقرن عينك بتفسيرها ، ولأقرن عين أمتى بعدى بتفسيرها ، الصدقة على وجهها وبر الوالدين واصطناع المعروف محول الشقاء سعادة ويزيد فى العمر ويقى مصارع السوء • يقول الألوسى ، وهذا لا يكاد يعقل على تقدير ان القضاء لا يتغير •

وبعد : فانه مما لا ريب فيه أنه قد صحت الاحاديث بفضل شعبان وطلب الايثار فيه من الصوم تهيئة لاستقبال رمضان •

واحياء ليلة النصف مستحب ومندوب اليه لما ورد فيها من الأحاديث وهى وان كانت ضعيفة فان الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال •

واحياؤها يكون بالصلاة فرادى وتلاوة القرآن والذكر والتسبيح والدعاء الى الله - سبحانه - بالمأثور عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومما لا مطعن لأحد عليه • وقد أثر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قوله : **اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى • وروت عائشة من دعائه - صلى الله عليه وسلم - فى صلاته فى تلك الليلة وهو ساجد : يا عظيما يرجى لكل عظيم أغفر لى الذنب العظيم • وقوله - صلى الله عليه وسلم - أعوذ برضاك من سخطك ، وبعفوك من عقابك ، وبك منك ، لا أحصى ثناء عليك انت كما أثنيت على نفسك أقول كما قال أخى داود - عليه السلام - أعفر وجهى فى التراب لسيدى • وحق لوجهى سيدى أن يعفرا •**

حول ذكرى ليلة النصف من شعبان

فضيلة الشيخ
أحمد مسلم مصطفى

حقا ان رجب وشعبان ورمضان ثلاثة اشهر مشهورة بالفضل بين المسلمين ، حيث يروى أصحاب السير عن رسول الله صلى الله وسلم انه قال عن شهر شعبان : أتدرون لما سمى شعبان : قالوا الله ورسوله اعلم . قال : لانه يتشعب فيه خير كثير ولا عجب في ذلك فهو شهر رسول البشرية ، ونور الانسانية ، فلقد ورد عنه صلوات الله وسلامه عليه انه قال : رجب شهر اللهوشعبان شهرى ورمضان شهر امتى .

وليلة النصف من شهر شعبان ليلة مباركة يعوز فيها المسلم ـ السعيد بالاسلام ـ بنظر الله تعالى اليه ، فيالها من ليلة غراء ، توسطت هذهالاشهرالثلاثةالمفضلة وامتازت بالبركة والتكريم ومما يدل على عظيم قدرها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يحرص دائما على صيام نهارها ، وقيام ليلها ، ويوصى بالعمل على احيائها بالدعاء والضراعة الى الله العلى القدير كما ورد ذلك في احاديث كثيرة منها ما أخرجه ابن ماجه عن على كرم الله وجهه ((اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس فيقول : الا من مستغفر فاغفر له ، لا من مسترزق فارزقه . ألا من مبتلى فاعافيه ، الا كذا ... حتى مطلع الفجر ، وكذلك ما اخرجه الترمذى بسنده الى النبى صلى الله عليه وسلم ((ان الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من شعر غنم بنى كلب)) وما أخرجه ايضا احمد بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يطلع الله الى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده الا اثنين مشاحن وقاتل نفس ، وما اخرجه البيهقى عن عائشة رضى الله عنهاقالت ((كانت ليلة النصف من شهر شعبان ليلتى ، وكان رسول الله صلى الله وسلم عندي فلما كان في جوف الليل فقدته ،فاخذنى ما ياخذ النساء من الغيرة ، فتلفقت بمرطى فطلبته في حجر نسائه فلم اجده ، فانصرفت الى حجرتى فاذا انا به كالثوب الساقط وهو يقول في سجوده : سجد لك خيالي وسوادى ، وآمن بك فؤادى ، فهذه يدى ما جنيت بها على نفسي ، يا عظيم يرجى لكل عظيم يا عظيم اغفر الذنب العظيم ، سجد وجهى للذى خلقه ، وشق سمعه وبصره . ثم رفع رأسه . ثم عاد ساجدا . فقال : اعوذبرضاك من سخطك . واعوذ بعفوك من عقابك ، واعوذ بك منك ، أنت كما اثنيت على نفسك . ثم رفع رأسه فقال : اللهم ارزقنى قلبا نقيا من الشر نقيا ، لا جافيا ولا شقيا ، ثم انصرف فدخل معي الخميلة ولى نفس عال . فقال ما هذا يا حميراء فاخبرته ، فطفق يمسح بيديه على ركبتى ويقول : ويح هاتين الركبتين مالقيتا في هذه الليلة ، هذه ليلة النصف من شعبان ، ينزل الله فيها الى السماء الدنيا ، فيغفر لعباده الا المشرك والمشاحن .

والنبى صلى الله عليه وسلم كان يحيى ليلة النصف ن شهر شعبان ويمجدها هذا التمجيد لحدث هام ، رذكرى طيبة لها اثرها البالغ فى نفوس المسلمين . الا وهى تحويل قبلتهم فى الصلاة من بيت المقدس الى البيت الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وامنا حيث الكعبة المشرفة وقد نزل فى ذلك قول الله تبارك وتعالى لرسوله الكريم : ((قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره . وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما

يعملون ... الآيات » وذلك تشريف للمسلمين وتكريم ، اختصهم به الله عن سائر الأمم اذ ان هـذه القبلة هي الوحيدة التي اختارها الله لخلقه بخلاف بيت المقدس ــ قبلة اليهود والنصارى ــ ولهذا يقول النبي الكريم : « انهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة الذي هدانا الله له وضلوا عنه . وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الامام آمين » .

ولعل هذا هو السر في اجتماع المسلمين في المساجد ليلة النصف من شعبان للدعاء ، والدعاءفي حقيقته ركن من اركان الاسلام ، ودعامه من دعائم الايمان ، لانه مخ العبادة ، وراس الطاعة ، وتوجيه القلب الى علام الغيوب: وبسط الحاجة الى قاضي الحاجة ، وبث الشكوى الى عالم السر والنجوى . ولهذا فقد سأل احد الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أقريب ربنـــا فنناجيه . أم بعيد فنناديه فنزل قول الله تعالى « واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشـدون » ليوضح ان الله تعالى قريب من عباده ليس بينه وبينهم حجاب ، وهو أقرب اليهم من حبل الوريد ، يعلم حالهم، ويسمع نداءهم ، ومن أقبل عليه منهم تلقاه من بعيد ، ومن أعرض عنه ناداه من قريب ، ومن دعاه في خشوع واخلاص قضى حاجته ، ومن تضرع اليه في أدب وخوف فرج كربته .

فعلينا ان نجار الى الله بهذه الدعوات المأثورات التي هي خير ما يدعو به الانسان في هذه الليلة بل في كل الاوقات وهي :

اللهم اني اسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى وأسألك علما نافعا ورزقا طيبا ، وعملا متقبلا ، اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي اليها معادي ، واجعل اللهم الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر : يا حي يا قيوم بك استغيث فاصلح لي شاني كله ، ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ، ولا اقل من ذلك يا رب العالمين ، اللهم أنت ربي لا اله الا أنت خلقتني وانا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، ابوء لك بنعمتك عل ، وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لايغفر الذنوب الا انت ، ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنـا انك رءوف رحيم » .

فخليق بالمسلم الرشيد ، وحرى بالمؤمن السعيد ، أن يحرص على ماكان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة ، وان يغتنم أوقات العبادة ليتعرض لنفحات السماء ، ولكن ينبغي أن يعلم أن هناك فرقا بين اجابة الدعاء وبين قضاء حاجة الداعي ، فاجابة الدعاء محققة ، يقول السعيد : يا رب فيجيبه الله عز وجل : لبيك عبدي . وهـذا أمر محقق لكل مؤمن من الله سبحانه وتعالى . أما قضاء حاجة الداعي فالمراد منه اعطـاء المطلوب لمن استوفى شروط الدعاء التي أهمها : التزام الأدب ، وحضور القلب ، والبعد عن الحرام في المأكل والمشرب ، وعدم تعجل الاجابة ، والا يدعوا باثم أو قطيعة رحم ، واعطاء المطلوب قد يكون عاجلا وقد يكون بعد مدة، وقد لا يكون الا في الآخرة ، وقد تكون الخيرة في غير ما يطلب المرء فيصرف الله عن الداعي من السوء بقـدر ما طلب لنفسه من الخير والله وحده العليم بمصالح عباده .

ولو نظر الانسان العاقل بعين الاعتبار فيما يتقلب فيه من النعم لدفعه ذلك الى عرفان الجميل لمن أسدى اليه هذه النعم ، وهداه تفكيره الى البحث عن مصدرها فاذا عرفه آمن به ، وحمل نفسه على شكره مقابل تلك النعم ، بل واجهد نفسه في طاعته، وامتثال اوامره واجتناب نواهيه ، وتحلى بالصبر والشكر اللذان جعلهما الله للعبد جناحين يطير بهما الى سماء رضاه ، ويحيا بهما مستريح النفس ، هادىء البـال ، مستحقا ان يستجيب الله له الدعاء ، ويحقق له الرجاء .

واذا كان الكثير من المسلمين قـد تعودوا أن يحتفلوا بليلة النصف من شهر شعبان المكرم ، فان الذي لا شك فيه ان اى اجتماع في الله وعلى الله يرجى خيره ، ويعم نفعه ، سيما والمسلمون في هـذه الايام قـد تفرقت كلمتهم ، وانفرط عقدهم ، واصبحوا في أشـد الحاجة الى الى أن تتوحد كلمتهمويشد بعضهم أزر بعض ،ويقفوا صفا واحدا عن اخلاص لله ويقين صـادق به في وجوه الاعداء الذين يتربصون بالاسلام وأهله الدوائر . ويحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لينفثوا سمومهم في أرجاء الأمة الاسلامية ، وينشروا مبادئهم الهدامة ، ويكون لهم ما ارادوا من اسـتعباد الاتقيـاء واذلال الآمنين المصلحين الأوفياء .

ولكن يعوزنا ان نتذكر أننا حين نحتفل بهـذه الليلة المباركة ينبغي علينا أن نقتصر في احتفالنا على ما ورد في منهاج الكتاب والسنة ، ولا نحيد عما كان يتبعه سلفنا الصـالح رضوان الله عليهم أجمعين ونعلم ان لليلة النصف نفحات كثيرة ، وكرامات يجب أن نعمل في جد واخلاص لنحظى بنتائجها ، ونقبل على الله في كل وقت ، ونعد أنفسنا لاستقبال شهر رمضـان ونحن طاهري الجسد والروح ، مخلصين في عملنا ، ولا يضرنا ان نكون كذلك في كل أيام هذا الشهر الفضيل ، حيث قد روى عن يحيى بن معـاذ انه قال : ان في شعبان خمسة احرف يعطى بكل حرف هدية للمؤمنين ، بالشين الشرف والشفاعة ، وبالعين العزة والكرامة ، وبالبـاء البر ، وبالالف الالفة ،وبالنون النور »

ولقد طوى أصحاب السير الكثير عن فضـائل شهر شعبان وعن فضائل أيامه وذكرياته ، فلقد قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : أتاني جبريل ليلة النصف من شهر شعبان وقال يا محمد هذه ليلة تفتح فيها ابواب وابواب للرحمة فقم وصـل وارفع راسك ويديك الى السماء فقلت يا جبريل ما هذه الليلة قال هـذه ليلة يفتح فيها ثلثمائة باب من الرحمة فيغفر الله لجميع من لا يشرك بالله شيئا الا من كان ساحرا أو كاهنا أو مدمن خمر او مصرا على الزنا . او آكل الربا أو عاقا لوالديه و النمام او قاطع رحم ، فان هؤلاء لا يغفر الله لهم حتى يتوبوا ويتركوا ، فخرج النبي فصلى وبكى في سـجوده وهو يقول : اللهم اني أعوذ بك من عقابك وسخطك ، ولا احصى ثناء عليك انت كما أثنيت على نفسك فلك الحمد حتى ترضى .

فما علينا الا ان نجعل من ليلة النصف مرتعا للعبادة والتهليلوالتسبـيح ، فنقوم ليلها ، ونرتل فيها من القرآن الكريم ما نشاء فان القرآن ربيع القلوب ونورها ، وطريق

البشرية الى الجنة ، ونكثر من الصيام فى شعبان لان رسولنا صلى الله عليه وسلم قال : « من صام ثلاثة أيام فى أوله وثلاثة فى وسطه وثلاثة فى آخره كتب الله له ثوابسبعين نبيا وان مات فى هذه السنة مات شهيداً .

وان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يصوم فى هذا الشهر كثيرا حتى لفت نظر اسامة بن زيد فقال : يارسول الله . لم أرك تصوم فى شهر منالشهور ما تصوم من شعبان قال : ذاك شهر تغفل الناسفيه عنه بين رجب ورمضان . وهو شهر ترفع فيه الأعمال الى رب العالمين وأحب ان يرفع عملى وأنا صائم » .

لهذا فان طلاب المغفرة والرحمة يستقبلون ليلة النصف من هذا الشهر بالانابة الى الرحمن الرحيم وقلوبهم كأفئدة الطير رحمة وحنانا موقنين فى قرارة انفسهم أن الله سبحانه وتعالى يستجيب لهم دعاءهم ، ويؤتهم سؤلهم لانه هو السميع المجيب ذو الفضل العظيم ، أما الذين يضمرون السوء ، وتمتلىء قلوبهم بالحقد والحسد ، ويتحفزون للايذاء بالمسلمين فأولئك مطرودون من رحمة الله . ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم لأنهم بذلك يزعزعون أركان المجتمع الاسلامى بل والانسانى ويجترحون سيئات تأتى على البنيان من القواعد نتيجة لفساد طباعهم وانكارهم فضل الله الذى يعطى ويمنع . ويحيى ويميت .

فما أحوج هذه القلوب فى كل ساعة ، بل وفى كل لحظة أن تفتح نوافذها لكتاب الله وسنة رسوله وسيرة صحابته والتابعين ، وما أحوج هؤلاء أن يتدبروا قول الحق تبارك وتعالى : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهمالامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » وما أحوجنا جميعا اليوم قبل الغد وقد صدات قلوبنا من كثرة المعاصى ، وتحجرت أفئدتنا من تراكم الذنوب أن نرجع الى ربنا ونعود الى رشدنا ونصطلح مع خالقنا لنفوز بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

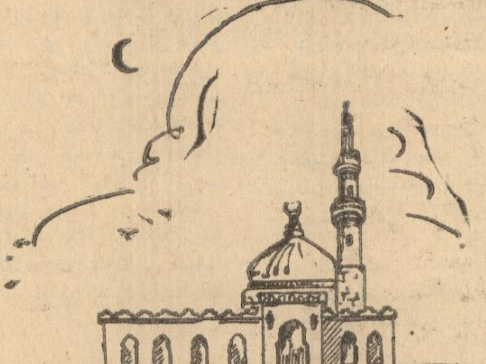

فضيلة الشيخ عبد الرحيم فرغلى البليفى

بسم الله الرحمن الرحيم - قال الله تعالى :

« حم • والكتاب المبين ، انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين ، فيها يفرق كل امر حكيم ، امرا من عندنا انا كنا مرسلين ، رحمة من ربك انه هو السميع العليم » - صدق الله العظيم •

(من نفحات ليلة النصف من شعبان)

أيها القارىء الكريم : وقع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حادث ذو أهمية بالغة فى ليلة النصف من شعبان •

وقد اعتبر المسلمون فى ذلك الحين من عوامل التشريف والتبجيل لتلك الليلة ، ومن بركاتها ويمن طالعها •

ومن الأمور المقررة أن الزمان لايتفاضل لذاته ، ولا يتفاوت فى نفسه ، ولكنه يتمايز بما يكون فيه من أحداث ، وبما يجد فيه من شئون لها أهمية فى تاريخ الانسانية ، ولها تاثير فى مجرى حياتها •

ومن أجل هذا كان العرب يؤرخون بالأيام والأعوام ذوات الحوادث الفريدة والوقائع الخطيرة ، فكانوا يقولون مثلا : ولد محمد عام الفيل ، وكان كذا عام الرمادة ، وحصل هذا عام الفجار • الى غير ذلك •

وان ذلك الحادث الذى وقع فى فجر الاسلام هو حادث تحويل القبلة فى ليلة النصف من شعبان من بيت المقدس قبلة اليهود ، الى المسجد الحرام قبلة ابراهيم واسماعيل •

قال القرطبى فى تفسيره ج ٢ ص ١٤٩ : قال أبو حاتم البستى : صلى المسلمون الى بيت المقدس سبعة عشر شهرا وثلاثة أيام سواء • وذلك أنه عليه الصلاة والسلام قدم المدينة فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، وقد أمره الله سبحانه وتعالى باستقبال الكعبة يوم الثلاثاء للنصف من شعبان •

واقول : ان ذلك التحويل كان له تاثير بالغ الأهمية ، فى نفوس اليهود قد أقض مضاجعهم ، وشغل أفكارهم ، وأطار الكرى من أعينهم • وكان له كذلك تاثير فى نفوس العرب ، شرح صدورهم ، وسر قلوبهم ، وأراح ضمائرهم •

وذلك أن اليهود رأوا فيه قطعا للوصلة ورفعا للأمنة ، وجفاء فى المجاورة ، وتغيرا فى المعاملة .. تلك الأمور التى كانوا يعيشون مع المسلمين فى ظلالها ، ويسرحون فى رياضها . – ومن أجل ذلك قد انخلعت قلوبهم ، ووجفت نفوسهم وأوجسوا الخيفة، وتوقعوا النقمة وترقبوا النازلة .

وما ذلك الا لانهم ضلوا الحكمة فى توجيه الرسول الى قبلتهم ، الذى أراد الشارع منه تألفهم للاسلام ، وجذبهم الى رحابه ، بالمشاركة فى قبلة الصلاة . فكانوا فى مدة المشاركة يحترفون التمرد والبغى والكيد والدس والدهاء والشر ، وكانوا يعدوون الملاينة ضعفا ، والتغاضى خورا ، والمصانعة ذلا . فلم تجد فيهم الحكمة والموعظة الحسنة ، ولم ينفع معهم التخاطب بلغة الحق والصدق . حتى أذن الله أن يخاطبوا بلغة السيف والمحق ، والافناء والبتر ، تلك اللغة التى محت آثارهم وأذهبت ظلالهم ، وجعلتهم أثرا بعد عين ، وتلك عاقبة أهل الشر فى كل زمان ومكان ، حينما ، يفدح خطبهم ، ويتفاقم شرهم ، ويشتد بأسهم . ورحم الله القائل :

والشر ان تلقه بالخير ضقت به

ذرعا وان تلقه بالشر ينحسم

واما العرب فقد رأوا فى القبلة الجديدة بعثا لقوميتهم ، واحياء لأمجادهم ، فشعروا بالعزة والكرامة ، ودخلوا فى دين الله أفواجا ، حتى ملأت تعاليم الاسلام الجزيرة العربية ، ورفرفت راياته فوق ربوعها وديارها .

ولقد اتخذ الاسلام من هذه الكثرة العربية الجديدة قوة ودرءا ، وازداد بها توسعا وانتشارا وصارت له دولة قوامها الحق والصدق ، والعدل والانصاف ، والالفة والاخاء، فجابت بقاع الأرض فى الوجيز من الزمان ، والقليل من الأعوام ،وأبادت الظلم والجور ، وأزالت الاثرة والأنانية ، ومحت الايثار والمحسوبية ، وجعلت الناس سواسية فى الحقوق والواجبات .

ومن أجل ذلك كله سارت الى الغاية غير متعثرة ومضت الى الهدف غير متزعزعة . ولا تزال كذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، مرفوعة الرأس ، موفورة الكرامة ، ما دام الحق رائدها ، والانصاف شعارها ، والقائمون عليها ذوى مواهب عالية ينزلون بها فى مطالع النجوم .

من هذا كله نعلم أن ليلة النصف من شعبان كان من يمنها التخلص من هؤلاء الأعداء ، والتوسع فى الملك الاسلامى وصيانة الوطن ممن يريد أن يجوس خلال دياره ، فما أبركها من ليلة ، وما أجدرها أن تسمى : (ليلة النصر) أو (ليلة الاعزاز).

بيان الليلة المباركة

لبيان تلك الليلة المذكورة فى قوله تعالى : « انا أنزلناه فى ليلة مباركة » ضمن الآيات التى صدرنا بها المقال ، نقول :

اختلف المفسرون فى تعيينها :

فقال ابن عباس وقتادة : هى ليلة القدر . وقال عكرمة وجماعته : هى ليلة النصف من شعبان . ونورد دليل كل ، ثم نذكر ما رجحه العلماء فنقول :

احتج الطرف الأول بوجوه :

(الأول) قوله تعالى : « انا أنزلناه فى ليلة القدر » الذى يوافق قوله تعالى : انا أنزلناه فى ليلة مباركة » ومن اجل هذه الموافقة يجب أن تكون الليلة المباركة هى ليلة القدر ، لئلا يلزم التناقض .

(الثانى) قوله تعالى : « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن » فهو يوجب بضميمة الوجه الأول أن تكون الليلة المباركة هى ليلة القدر لأنها فى رمضان .

(الثالث) قوله تعالى فى صفة ليلة القدر: « تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر » . وقال تعالى هنا : « فيها يفرق كل أمر حكيم » . وقال هنا « رحمة من ربك » – وقال فى سورة القدر : « سلام هى » –

وإذا تقاربت الصفات وجب أن تكون احدى الليلتين هى عين الأخرى .

(الرابع) أن ليلة القدر انما سميت بهذا الاسم ، لأن قدرها وشرفها عند الله عظيم . ومعلوم أن قدرها وشرفها ليس بسبب نفس الزمان ، فان الزمان شىء واحد فى الذات والصفات ، فيمتنع كون بعضه أشرف من بعض لذاته .

واحتج الطرف الثانى بوجوه :

(أولها) ما أخرجه ابن ماجه عن على كرم الله وجهه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها ، وصوموا نهارها ، فان الله ينزل فيها لغروب الشمس . (أى ينزل أمره) فيقول : ألا من مستغفر فأغفر له ، ألا من مسترزق فأرزقه ، ألا من مبتلى فأعافيه، ألا كذا .. حتى يطلع الفجر .

و (ثانيها) ما أخرجه الترمذى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان الى السماء الدنيا ، فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب .

و (ثالثها) ما أخرجه الامام احمد عن عبد الله بن عمرو قال : « يطلع الى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده الا اثنين : مشاحن وقاتل نفس »

قالوا : فثبت من هذه الأحاديث أن ليلة النصف ليلة مباركة ، لحصول المغفرة فيها ، فتكون هى المرادة فى قوله تعالى : « انا أنزلناه فى ليلة مباركة » .

(الترجيح)

لبيان الترجيح نقول : قال الآلوسى فى تفسيره : قد أطال الوعاظ الكلام فى هذه الليلة وذكر فضائلها وخواصها ، وذكروا عدة أخبار فى أن الآجال تزيد فيها ، ولكن الحافظ أبو بكر بن العربى قال فى كتابه العارضة شرح الترمذى : ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه ، لا فى فضلها ، ولا فى نسخ الآجال فيها ، فلا تلتفتوا اليه اهـ

وقال النووى فى باب الصوم من شرح مسلم : ان القول بأن المراد بالليلة المباركة فى الآية الكريمة ليلة النصف من شعبان قول خطأ . والصواب وبه قال العلماء أنها ليلة القدر . اهـ

والمراد بانزال القرآن فى الليلة المباركة ابتداء انزاله فيها على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان . ووصفت الليلة بالبركة ، لما ان انزال القرآن مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية بأجمعها ، أو لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وفضيلة العبادة ، وقبول الباقيات الصالحات .

ثم نتكلم على بقية الآيات المذكورة فى مطلع المقال فنقول :

قال تعالى : « انا كنا منذرين »

والمعنى : انا أنزلنا القرآن فى الليلة المباركة ، لننذر ونخوف به من حاد عن الطريق المستقيم . وصدف عن النهج القويم ، وسار فى سبيل الغى ومهيع الضلال ، لعله بالانذار والتدبر ، والتذكر فى الآيات والتأمل يفك نفسه من أغلال الهوى ، وينأى بها عن الردى ، ويكون فى عداد الأبرار .

ثم قال تعالى : « فيها يفرق كل أمر حكيم » والمعنى : انا أنزلنا القرآن فى ليلة يفصل فيها ، أى يبين ويظهر للملائكة الموكلين بالتصرف فى العالم كل أمر محكم ، أى مبرم لا يحصل فيه تغير ولا نقض ، بل لابد أن يقع فى تلك السنة كل ما قضاه الله وقدر وقوعه فيها : من الأرزاق والآجال ، والخصب والقحط والنصر والفوز .

ثم قال تعالى : « أمرا من عندنا انا كنا مرسلين » الخ . والمعنى : انا أنزلناه حال كونه مأمورا به على وفق حكمتنا وتدبيرنا ، وفرقناه وفصلناه لأن من عادتنا أن نرسل الرحمة لعبادنا ، ولا شك أن فى انزال القرآن مبينا فيه الأحكام ، وما يحتاج اليه البشر فى

دنياهم وأخراهم أجل نعمة ، وأفضل منة وأوفى أسعاد .

هذا . وقد اعتاد المسلمون ان يجتمعوا فى ليلة النصف من شهر شعبان بالمساجد ، ويرددون فيها الدعاء المشهور : « اللهم ياذا المن ولا يمن عليه ...... » الخ . ويبتهلون الى الله تعالى أن يطيل الأجل ويوسع الرزق، ويحقق السعادة ، ويمحو الشقاوة الخ .

واننا نقول : ان الدعاء مخ العبادة ، وانه مطلوب طلبا مطلقا غير مقيد بزمان ومكان ، كما يدل على هذا قول الله تعالى فى سورة الشورى :

« وقال ربكم ادعونى أستجب لكم » من غير تقييد .

وأما الدعاء الذى اعتاده المسلمون فى تلك الليلة فقد نسب بعض كلماته الى سيدنا عمر، ونسب بعضها الى سيدنا عبد الله بن مسعود، ولكن العلماء شكوا فى هذه النسبة ، ومنهم أبو حيان .

وقال أستاذنا المرحوم الشيخ على محفوظ فى كتاب الابداع فى مضار الابتداع : نسبة هذا الدعاء الى بعض الصحابة قد شك فيها الامام أبو حيان وغيره من المحققين .

ثم قال : وأصل هذه البدعة مانقل عن اليافعى أنه قال : ان أول مايدعى به فى ليلة النصف من شعبان : اللهم ياذا المن ولا يمن عليه ياذا الجلال والاكرام وياذا الطول والانعام .... الى : وعنده أم الكتاب »

وما نقل عن بعض الصالحين أنه قال : « ان أول مايدعى به فيها : « الهى بالتجلى الأعظم فى ليلة النصف من شهر شعبان التى يفرق فيها كل امر حكيم ويبرم . أن تكشف عنا من البلاء مانعلم ومالانعلم ، وما أنت به أعلم ، انك أنت الأعز الأكرم » . فجمع الناس بينهما وروجته المطابع . اهـ

على أن هذا الدعاء فيه خطأ واضح ، وذلك فى « الهى بالتجلى الأعظم .... الخ . وبيانه أن فرق كل أمر حكيم وتفصيله انما هو فى ليلة القدر ، كما بيناه ، لا فى ليلة النصف من شهر شعبان .

فمن أراد أن يدعو الله فيها منفردا ، لامجتمعا مع غيره فى المساجد فله ذلك ، ويكون دعاؤه بالمأثور وهو كثير ولا يخفى على من تتبع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ففى القرآن الكريم قول الله تعالى :

« ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا .. » من سورة البقرة . وقوله تعالى « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » من البقرة .

وقوله تعالى : « رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى .. » من سورة طه .

وقوله تعالى : رب اغفر لى ولوالدى .. » من سورة نوح .

وفى السنة كثير من الدعاء المبارك :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » . أو كما قال .

وفيها غير ذلك مما لانستطيع الآن احصاءه .

وبعد فان ليلة النصف من شهر شعبان ليلة ميمونة العزة ، مباركة الطلعة ، وهاهى تفد علينا فى هذا العام ونحن نجاهد الأعداء، ونكافح الاستعمار ، وندعم أركان الوطن ونشيد أسوار الحرية ، بفضل رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، ورجال الثورة المباركة . فنسأل الله الكريم أن يعيد علينا من بركة هذه الللة وأن ببارك سعينا وجهادنا ، ويحفظ رئيسنا ورجالنا والله ولى التوفيق .

فى ذكرى منتصف شعبان

استمرار اتجاه القبلة لبيت المقدس لم يكن له أدنى علاقة بمراضاة اليهود

الأستاذ عبد المنعم حسن الأدفوى

حشد سير توماس . و . أرنولد المستشرق الانجليزى فى كتابه « الدعوة الى الاسلام » كثيرا من الانحرافات التى يرفضها الاسلام ، والتى لا تتفق مع حقيقته ،وحقيقة الواقع والتاريخ ، ومنها أن استمرار اتجاه المسلمين فى صلواتهم الى بيت المقدس ، بعد وصول النبى الى المدينة ، انما كان استرضاء لليهود وكذلك الاستشهاد بكتبهم المقدسة ومنحهم الحرية التامة فى اقامة شعائردينهم ومساواتهم بالمسلمين فى الحقوق السياسية .

قال المستشرق فى مؤلفه « بحث فى تاريخ نشر العقيدة الاسلامية » ترجمة الدكتور حسن ابراهيم والدكتور عبد المجيد عابدين والاستاذ اسماعيل النحراوى .

« وكان أول ما عنى به محمد بعد أن دخل يثرب (المدينة) كما سميت منذ ذلك الحين - أى مدينة النبى - أن يبنى مسجدا ليكون مقاما للصلاة ومجمعا عاما لاصحابه الذين كانوا حتى ذلك الحين يجتمعون لهذا الغرض فى بيت واحد منهم ، وكان المصلون الأولون قد تعودوا فى العهد الأول أن يولوا وجوههم شطر بيت المقدس ، وربما كان المقصود من ذلك استمالة اليهود ، وقد حاول محمد استرضاءهم بوسائل أخرى كثيرة ، فداب على الاستشهاد بكتبهم المقدسة ومنحهم الحرية التامة فى اقامة شعائرهم الدينية ، وساوى بينهم وبين المسلمين فى الحقوق السياسية ، ولكنهم قابلوا صنيعه باستهزاء وسخرية ، فلما أخفقت آماله فى استمالتهم اليه ، واصبح من الواضح أن اليهود لا يقبلون محمدا نبيا لهم ، أمر أصحابه بأن يولوا وجوههم شطر الكعبة بمكة » .

وقبل أن نعرض لدحض هذه الانحرافات وأمثالها فى كلام المستشرق الانجليزى نؤكد أن المستشرقين جميعا حتى من يتظاهر أو يحاول منهم أن يلتزم الحق فى كلامه عن نبى الاسلام ، ليست لديهم الصلاحية لفهم حقيقة الاسلام ، لا من ناحية البيئة التى عاشوا فيها ، ولا من ناحية الدوافع التى توصلهم الى هذه الحقيقة ولا من ناحية التخلص من التعصب ولا من ناحية الادراك السليم لفهم القرآن والسنة وسلوك الرسول .

وانت اذا تتبعت آراء هؤلاء المستشرقين فى الاسلام ، تجدهم - وان مجدوا صاحب الرسالة - ينكرون أنه نبى، ولكنهم يمجدونه كبطل أو مصلح اجتماعى .

وكل ما ذكره سير توماس عن محاولة النبى - صلى الله عليه وسلم - استرضاء اليهود فيما تضمنته كلمته غير صحيح لسبب بسيط جدا ، وهو أن الرسول قد رفض ،وهو بمكة خلال ثلاثة عشر عاما ، كل ما عرضه عليه المشركون ، وكل ما عرضوه ، يشمل الملك والسلطان والمال .

وكان الرد عليهم حين جاءه وفد لكى يعرض عليه باسمهم ان يعبد الهتهم سنة ، وهم يعبدون الله سنة ، قول الله تعالى : « قل يايها الكافرون لا أعبد ماتعبدون ان الرسول عرف بالصدق والأمانة منذ فطره الله ، عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين »

حقيقة أن الرسول استشهد بكتب اليهود المقدسة ولكنه كان فى استشهاده يحتكم الى التوراة التى أنزلها الله على موسى ، لا التوراة التى بدلها اليهود .

وحقيقة أن الرسول منح اليهود الحرية التامة فى اقامة شعائرهم ولكن هذا هو مايدعو اليه الاسلام « لا اكراه فى الدين » وكذلك الشأن فى مساواتهم بالمسلمين فى الحقوق السياسية لان هذه الحقوق قد منحها الاسلام لكل من يعيش فى ظله ، سواء كان يهوديا أو مسيحيا أو وثنيا .

وحقيقة أن الرسول عقد معاهدات مع اليهود ليأمن غدرهم وخيانتهم ، وليتفرغ لمواجهة كفار قريش والعرب، ولكنهم حينما نقضوا المعاهدات حاربهم وتغلب عليهم .

وليس مقبولا بأى حال من الاحوال أن يقال ان بقاء الرسول ستة أو سبعة عشر شهرا منذ هاجر ، على التوجه فى صلاته الى بيت المقدس ، انما كان استرضاء لليهود ، وانه لما يئس منهم توجه الى مكة ـ ليس هذا القول مقبولا، لان أوامر ونواهى الاسلام انما تجىء من السماء « ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين » .

وتفصيل تحويل القبلة أن النبى كان يقلب وجهه فى السماء تطلبا للقبلة التى يرضاها ، وكان يحب أن تكون مكة مسقط راسه ومهوى فؤاده ومهبط الوحى ، وقبلة أبى الانبياء ابراهيم الخليل .

يقول الله سبحانه وتعالى ، « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها . قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم، وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا ، وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله، وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم .. قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ، ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما انت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين » .

فالآية الكريمة صادقة بواقع الحال والحقيقة ذلك أن اليهود لن يؤمنوا بالرسول لا بالاستمرار فى التوجه الى بيت المقدس ولا بأى آية يأتيهم بها ، ثم تحذره الآية من أن يتبع أهواءهم .

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد أمر رسوله منذ فرضت الصلاة بمكة أن يتوجه الى بيت المقدس ، فان تحويله الى مكة يعنى ابتلاء الناس ، ليعرف المطيع من العاصى ، وهو ما قد حدث فعلا .

ولو كان الرسول يحاول ، وحاشاه ، استرضاء اليهود باستمرار التوجه فى الصلاة الى بيت المقدس ، لحاول من قبل فى مكة أن يتجه اليها استرضاء لكفار قريش منذ فرضت الصلاة فى معجزة المعراج قبل الهجرة بثلاث سنوات وبعدها بسبعة عشر عاما ، ولكنه لم يفعل ولن يفعل ولن يملك الا أن يبلغ ما أنزل اليه من ربه

روى عن البراء بن عازب أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أول ما قدم المدينة .. نزل على أجداده أو أخواله من الانصار ، وانه صلى قبل بيت المقدس ستة أو سبعة عشر شهرا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وانه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال أشهد بالله : لقد صليت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل مكة قال : فداروا كما هم قبل البيت ، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعجبه أن يحول قبل البيت ، وكان اليهود قد أعجبهم اذ كان يصلى قبل بيت المقدس وأهل الكتاب ، فلما وجهه قبل البيت أنكروا ذلك ..

فالمؤمنون استجابوا وهم فى صلاتهم لأمر الله فى تحويل القبلة أما اليهود فقد أنكروه

ان الرسول عرف بالصدق والامانة منذ فطر الله ، فلم يعرف عنه قط أنه كذب على الناس ، فكيف يكذب على الله ، وقد شهد له بالصدق كل أعدائه من كفار قريش

بل ان الرسول كان يواجه فى مفتتح الدعوة عتاة قريش دون أن يخشى بأسهم وبطشهم ، ويقتص حق الغير منهم، ومن ذلك أن رجلا غريبا عن مكة ، كان له دين فى ذمة أبى جهل ورفض ان يعطيه اياه ، فجعل الرجل ينادى طالبا من يأخذ له دينه من أبى جهل ، ولا يوجد يومئذ من يرغم أبا جهل على سداد هذا الدين .

فأراد سفهاء قريش أن ينالوا من الرسول ، فقالوا للرجل الغريب اذا كنت تريد الحصول على دينك من أبى جهل ، فاذهب الى الجالس هناك « يعنون الرسول » فما عتم الرجل الغريب أن ذهب الى الرسول يطلب اليه نصرته من أبى جهل فتوجه الرسول من فوره الى أبى جهل وطالبه بسداد دين الرجل على ملأ من قريش فاستجاب عدو الله ودفع الدين وذهل السفهاء لخنوع أبى جهل

فالرسول صلوات الله وسلامه عليه مبعوث بالحق لا يجوز عليه ما يجوز على أهل الدنيا من الاستجابة الى أساليب السياسة فى أى أمر حدده الدين .

الشريعة الاسلامية

والقانون المدني

المستشار عبد الستار آدم

ذكرت فى مقالى السابق بهذه المجلة بالعدد الخامس من السنة الثالثة والعشرين أن القانون المدنى المصرى الحالى قد استمد من الشريعة الاسلامية الغراء كثيرا من نظرياتها العامة .. منها نظرية التعسف فى استعمال الحق .. كما أخذ بالمبدأ القاضى بالا تركه الا بعد سداد الدين .

أما عن نظرية التعسف فى استعمال الحق فهى نظرية تقررها الشريعة الاسلامية فى أوسع مدى ولا تقتصر فيها على المعيار النفسى الذى اقتصرت عليه بعض القوانين بل تضم اليه معيارا ماديا اذ تقيد كل حق بالاغراض الاجتماعية والاقتصادية التى قرر من أجلها فقد ذكر فضيلة العالم الجليل المرحوم الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت فى كتابه : المسئولية المدنية والجنائية فى الشريعة الاسلامية - أن من المسئولية الناشئة عن التسبب فى الاتلاف المسئولية المعروفة « بمسئولية سوء استعمال الحق » وأنه قد جاء فى قواعد الحنفية أن تصرف الانسان فى خالص حقه انما يصح اذا لم يتضرر به غيره وذلك عملا بالحديث « لا ضرر ولا ضرار » وقد أورد فضيلته بعض فروع هذه المسئولية فقال ان منها « ما لو سقى أرضه بما فوق المعتاد أو فى غير نوبتها فنزت أرض جاره او غرقت فانه يضمن » وأن من فروعها ايضا بناء التنور فى الدار للخبز وتثبيت رحا الطحن (تراجع ص ٢٣ من الكتاب المنوه عنه) .. كما جاء فى كتاب الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية للامام ابن قيم الجوزيه - تقديم السيد الاستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد . طبعه سنة ١٩٦١ - ان الشارع الحكيم يدفع أعظم الضررين بأيسرهما . وجاء فيه أيضا أن الانسان اذا احتاج الى اجراء مائة فى أرض غيره من غير ضرر لصاحب الارض فقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يجبر على ذلك (تراجع ص٢٠٦ ، ص ٢١٠ من الكتاب المذكور) .. وقد اورد العلامة ابن غانم فى كتابه : مجمع الضمانات فى مذهب أبى حنيفه . طبعه سنة ١٣٠٨ هـ بعض الامثلة على اساءة استعمال الحق فقد جاء فى الصحيفة رقم ١٥٠ منه « رجل دق فى داره شيئا فسقط من ذلك فى دار جاره شىء وتلف كان ضمان ذلك على الذى دق فى داره .. وفى الصحيفة رقم ١٥١ : قصار يدق الثياب فى حانوته فانهدم حائط الجار يضمن لانه مباشر .. وقد نصت المادة ٢٦ من مجلة الاحكام العدلية ان : الضرر الخاص يتحمل لدفع ضرر عام .. وهناك تطبيقات أخرى خاصة بنظرية التعسف فى استعمال الحق عند فقهاء المسلمين تتعلق بولاية الدولة فى تقييد حقوق الافراد صيانة للمصلحة العامه كمنع

اختزان السلع تجنبا لاستغلال حاجة الافراد اليهـا خلال الحروب (تراجع ص ٢٩٧ من كتـاب الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية سالف الذكر) .. وقد أخذ القانون المدنى الحالى بهذه النظرية فنص فى المادة ٤ على ان « من استعمل حقه استعمالا مشروعا لايكون مسئولا عما ينشأ عن ذلك من ضرر » ونص فى المادة ٥ على انه « يكون استعمال الحق غير مشروع فى الاحوال الآتيـة :

(أ) اذا لم يقصد به سوى الاضرار بالغير .

(ب) اذا كانت المصالح التى يرمى الى تحقيقهـا قليلة الاهميـة بحيث لا تتنـاسب البتة مع ما يصيب الغير من ضرر بسببها .

(جـ) اذاكانت المصالح التى يرمى الى تحقيقها غير مشروعة .

ثم نص فى المـادة ١٦٨ على ان « من سبب ضررا للغير ليتفـادى ضررا اكبر ، محدقا به أو بغيره ، لايكون ملزما الا بالتعويض الذى يراه القاضى مناسبا» وكذلك قفـز القانون المدنى الحالى قفزة واسعة فى جعـل الملكية وظيفة اجتماعية اكثر منها حقا فرديا مستهديا فى ذلك بمبادىء الشريعة الاسلامية فىنظرية التعسف فى استعمال الحق فنص فى المـادة ٨٠٧ فقرة (١) على أنه « على المالك الا يغلو فى استعمال حقه الى حد يضر بملك الجار » .. وفى المادة ٨٠٨ على أنه « ١ - من انشأ مسقاة او مصرفا خصوصيا طبقا للوائح الخاصة بذلك كانله وحده حقاستعمالها. ٢ - ومع ذلك يجوز للملاك المجـاورين أن يستعملوا المسقاة أو المصرف فيما تحتاجه اراضيهم من رى أو صرف ، بعد أن يكون مالك المسقاة او المصرف قد استوفى حاجته منها . وعلى الملاك المجاورين فى هذه الحالة ان يشتركوا فى نفقات انشاء المسقاة او المصرف وصيانتهما بنسبة مساحة اراضيهم التى تنتفع بها » وتكفلت المواد التالية بعد ذلك الى المادة ٨٢٤ بايراد سلسلة من القيود على حق الملكية فى الشرب والمجرى والمسيل وحق المرور والحائط المشترك والمطلاتوشرط عـدم التصرف وما الى ذلك من القيود القـانونية والاتفـاقية بمـا يغل يد المـالك فى استعمال ملكه لا لمصلحة العامة فحسب بل أيضا لمصلحة الجيران..

وقد كانت المادة ١١٦٢ من المشروع التمهيدى للقانون المدنى الحـالى تنص على أن « لمالك الشىء ، مادام ملتزما صدود القـانون ، أن يستعمله وأن ينتفع به وان يتصرف فيـه دون اى تدخل من جانب الغير ، بشرط ان يكون ذلك متفقا مع ماللحق الملكية من وظيفة اجتماعية » . وعند عرض المشروع على مجلسالشيوخ رأت لجنة القانون المدنى به حـذف عبارة (على أن يكون ذلك متفقا مع ما لحق الملكية من وظيفةاجتماعية) ووافق المجلس على المادة كما عدلتها اللجنة واصبح رقمها ٨٠٢ ونصها « لمالك الشىء وحده ، فى حدود القانون ، حق استعمالهواستغلاله والتصرف فيـه » ولم تحذف تلك العبارة المنوه عنها قصدا الى حذف حكمهـا بل لانها - كما جاء فى الاعمـال التحضيرية للقانون المذكور - « اشكل بالايضاحات الفقهية وان فى التطبيقات التى اوردها المشرع مايغنى عنهـا » . وهى تلك التطبيقات المنصوص عليها فى المواد من ٨٠٨ الى ٨٢٤ السابق الاشارة اليها .

أما المبدأ القاضى بان لا تركةالا بعد سداد الدينفهذا المبدأ مقرر فى الشريعة الاسلامية فقد جاء فىالحديث الشريف أن « الدين وان قل يمنـع ملك الورثة فى التركة بقدره كالـكفن » . وقد أخذ القانون المدنى الحالى بهذا المبدأ فقـرر فى المادة ٨٧٥ وجوب اتباع الشريعة الاسلامية والقوانين الصـادرة بشأنها فيمـا يتعلق بتعيين الورثة وتحديد انصبتهم فى تركةمورثهم وعلى ذلك فان الشريعة الاسلامية هى التى تعينالورثة وتقسمهم الى ذوى فروض وعصبات وذوى ارحام وهى التى تجرى أحكام الحجب والعول والرد وما الى ذلك من احكام الميـراث . وتحدد نصيب كل وارث وتبين كيف تنتقل ملكية هذا النصيب من المورث الى الوارث ومن هنا وجب تطبيق القـاعدة التى تقضى بالا تركـة الا بعد سداد الدين وقد نظم القانون المدنى هـذه القاعدة تنظيما عمليا فى المواد من ٨٨٦ الى ٩١٣ حيث أورد بيانا مفصلا لتصفية التركات المدينة وقسمتها . ثم نص فى المـادة ٩١٤ على أنه « اذا لم تـكن التركة قد صفيت وفقا لاحكام النصوص السابقة جاز لدائنى التركة العاديين ان ينفذوا بحقوقهم أو بما أوصى به لهم على عقارات التركة التى حصل التصرف فيهـا او التى رتبت عليهـا حقوق عينية لصالح الغير وفقا لاحكام القانون » وهذا كله تطبيقا لقاعدة : « لا تركة ألا بعد سداد الـدين » المعززة فى الشريعة الاسلامية على ماسبق بيانه .

الإسلام بين العقل والنقل

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي

٦ (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) .

انه بسبب التعارض بين المعتزلة وأهل الظاهر وجدت فرقة قصدها التوفيق وهم الاشاعرة ولم يكن الأشاعرة أصحاب فكرة جديدة ولا مذهب مبتكر بل كان جل همهم أن يقربوا الآراء المتقابلة بعضها الى البعض ، وأن يقفوا منها موقفا وسطا مهدئين حدة المعتزلة تارة ومكنكفين من غلواء أهل الظاهر من السلف تارة أخرى . وكان الجمهور الاسلامى أميل الى هذه الآراء المعتدلة والحلول الوسطى ، فصادفت رواجا لديه واعتنقها الى النهاية

وتنسب هذه المدرسة الى أبى الحسن الأشعرى أحد رجال التصوف الأولين فى القرن الرابع للهجرة ، وقد كان تلميذا للجبائى المعتزلى ، الا أنه انفصل عنه بسبب نقاش شبيه بذلك النقاش الذى اعتزل من أجله واصل ابن عطاء مجلس الحسن البصرى . ومنذ ذلك الحين أخذ أبو الحسن يكون لنفسه مدرسة مستقلة يعارض بها زملاءه وأساتذته من انصار الاعتزال ، ويأخذ علي أهل الظاهر استصغارهم لشأن العقل ، ولقد كانت الظروف كلها مواتية له لأنه هم بحركته على أثر الغلو الذى وقع فيه المعتزلة ، وكذلك خصومهم من أهل الظاهر ، ونشر فكرته بعد أن تحامل المتوكل وخلفاؤه على أصحاب مشكلة خاق القرآن ، ثم سار على نهجه بعض التلاميذ والاتباع الذين وضحوا آراءه وناصروا نظرياته وان كانوا قد توسعوا فيها حينا ، ونخص بالذكر منهم الباقلانى (١٠١٣ م) وأمام الحرمين الجوينى (١٠٨٥ م) وهو مثبت أركان منهج أبى الحسن الجدلى ، ثم جاء الغزالى والشهر ستانى حوالى سنة (١١٥٠) فأعانا الأشاعرة معونة كبيرة على كل من خالفهم من الشيعة والمعتزلة والفلاسفة .

ونستطيع أن نقول : انه منذ القرن السادس الهجرى أصبح المذهب الأشعرى شبه مذهب رسمي فى أغلب الديار الاسلامية والمقلدون بوجه خاص اتبعوه ووقفوا عنده وقوفا تاما ، ولم يكن لهم الا أن يرددوا أقوال أبى الحسن أو أحد أتباعه السابقين وتعاليمهم .

تعرض الأشاعرة لكل المشاكل التى أثارها المعتزلة من قبل ، فتحدثوا عن وحدة البارى وصفاته وعدله وعنايته بمخلوقاته ، وفصلوا القول فى تحديد قدرة المخلوقات واختيارهم وطاعتهم ومعصيتهم ، وبحثوا عن أصل المادة والعناصر المكونة لها ، وكانوا فى كل هذا متأثرين بآراء من سبقهم من السلف ومن المعتزلة فى وقت واحد ، فأحيانا يميلون الى أحد الفريقين وان كانوا فى الغالب الى السلف أميل وأقرب ، وأحيانا أخرى يقدمون حلا وسطا للخلاف القائم بينهما (السلفيين والمعتزلة) .

ولعل مشكلة الصفات بوجه خاص هى أهم المشاكل التى شغلتهم ودارت حولها معظم أبحاثهم ، وقد وقف الأشعرى فى بعض أجزائها موقف الربان الموفق الماهر ، وخانه التوفيق فى أجزاء أخرى ، فسلم بالصفات التى قال بها السلف الا أنه فسرها تفسيرا معنويا يقربه من المعتزلة ، فأثبت لله صفات وجودية كالعلم والقدرة والارادة على أنها معان أزلية قائمة بالذات ، ولم يستطع أن ينكر أن لله عرشا ووجها ويدا وغيرها مما ورد فى الكتاب والسنة الصحيحة ، ومما ينكره على ظاهره المعتزلة ، وقد يقبل الأشعرى هذه الأقوال المشبهة بالجسمية والمكانية من غير كيف ولا تشبيه كما صنع السلف ، وقد يجيز تأويلها على نحو ما فعله المعتزلة وهذا يدل على تعلقه بالجانبين ، وقد توسع كل التوسع فى ايراد الأدلة العقلية والنقلية المثبتة لامكان رؤية البارى فى الآخرة جل شأنه بحيث يخيل للقارىء أنه يخالف المعتزلة تمام المخالفة ، ولكنه لايلبث أن يقرر أن هذه الرؤية لا تستلزم جهة ولا مكانا ولا صورة من الصور المألوفة منا اليوم ، ولم يكن فى موقفه ازاء صفة الكلام بأقل توفيقا منه فى هذا الموقف ، فقد ذهب الي أن الكلام يطلق باطلاقين فيراد به أولا المعنى النفسى القائم بالذات ويقصد به ثانيا الأصوات والحروف التى تؤدى هذا المعنى ، فكلام الله قديم على الاطلاق الأول وحادث على الاطلاق الثانى ، ولعل فى هذا التفصيل ما

يحل مشكلة خلق القرآن التي قامت في جزء كبير منها على خلاف لفظي حلا وسطا سهلا .

ورأينا في هذه المسالة ان الكلام صفة قديمة من صفات الخالق عز وجل فهي معنوية لا تحس ولا تلمس ولا ترى ، واقرب الامثلة لها كلام الانسان الكامن في ذات نفسه كمون النار في الحجر قبل صدوره بالكلام اللساني المعروف ذي الصوت المتموج في الهواء الذي تطرق ذبذباته طبلة الاذن طرقا مستأذنه للدخول بعد اطراح الحروف والاصوات الي ذهن السامع ، والذهن شيء ذاتي معنوي ايضا ، وما الكلام المنطلق الفاظا او المكتوب احرفا الا معاني تغلفها الالفاظ وتكون الحروف كظروف حاملة تتخلف عنها اذا تداعت معانيها الي الذهن ويقول الشاعر العربي في مثل هذا المعنى .

ان الكلام لفي الفؤاد وانما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وليس المقصود بكلام الله تلك الحروف المخطوطة بالحبر في الورق ، والمنطوقة كالفاظ في الهواء ، انما الغرض من الكلام معانيه ولبه لاسيما الكلام الالهي المنزل بواسطة الروح الامين على فؤاد رسول الله الناطق به لسانه في حوامل وظروف هي الالفاظ القرآنية ، فان كل ما يجيء علي هذا النحو من الفاظ .. مسموعة تحمل معانيها المعقولة فهو من هذا القبيل .

وقد شاء أبو الحسن أن يحل موضوع خلق الافعال حلا وسطا كحلوله السابقة ، بيد أن الحلول الوسطى لا تنجح دائما . والمعتزلة كما قدمنا يصرحون بأن افعال العباد مخلوقة لهم ونتيجة لاختيارهم (فهم قدرية) في حين أن السلف يردون الافعال كلها لله (ولذا يعتبرون جبرية) ولكي يتوسط الاشعري الطرفين يرى أن للعبد قدرة واختيارا خاصين بدليل ان الافعال الاضطرارية كالرعدة والرعشة مميزة عن الافعال الارادية غير أنه يقيد هذه القدرة تقيدا تصبح معه وكأن لا وجود لها ، فانها في رايه لا تؤثر مطلقا في مقدورها ، وهي نفسها مخلوقة لله ، وكل ما في المسالة ان الله اجرى سنته بان يخلق القدرة على فعل الحادثة قبل حدوثها او معها بالفعل الحاصل من العبد اذا اراده واتجه نحوه بقدرة خلقها الله فيه .

وهنا نتساءل : علام يحاسب العبد وافعاله كلها صادرة عن الله ؟! أيحاسب لمجرد كسبه واختياره الذي هو خاضع أيضا لارادة الله ؟! وقد أحس تلاميذ الاشعري بما في رأى أستاذهم من ضعف واخذوا يعدلونه ويقومونه فذهب الباقلاني الى أن قدرتنا الحادثة مؤثرة من ناحية انها تحدث الاشياء على وجه خاص ، فحدوث الاشياء من عمل الله وتخصيص هذا الحدوث بجهة معينة من عملنا ومن كسبنا . ويقول امام الحرمين بهذا غير ملاحظ أن القدرة في العبد عاجزة الا أن يشاء الله ، والقدرة غير المؤثرة بذاتها بالفعل أولى ، على أن قصرها على اثر معين تخصيص لا يقوم علي اساس ولا يفهم سره ولهذا يجاهر بان فعل العبد نتيجة قدرته بوجه عام ، واسناد هذه القدرة الى سبب خارج آخر وهذا السبب الآخر يرجع الى سبب غيره داخل في سلسلة الاسباب العامة وليس هذا من موضوعنا بحال . وهنا يقترب أحد تلاميذ الاشعري من المعتزلة والفلاسفة اقترابا عظيما .

ورأينا في هذه المسالة أن الخير امر اساسي في الوجود والله خلق العباد للخير واما الشر فانه امر اعتباري نسبي مجازي ، وهو في غالب امره عدم الخير فهو سلبي واعتباري من هذه الجهة ، ومن جهة أخرى ان الاشياء كلها صالحة لتيسيرها للخير او للشر ، والعبرة كل العبرة بالنية والملابسة ، فلكي يقوم الله نوايا الانسان الخير خلق الخير كامر ايجابي وقدرة موجهة ، وخلق الشر كامر سلبي وقدره ، والسلب والايجاب من الصفات الضرورية للكائنات الوجودية فلا ايجاب الا وبجانبه ضرورة ولا سلب الا ناشيء عن وجود ايجاب .

ونحن مأمورون في الشرع باتباع ما أمر الله بفعله وهو الخير « الايجابي » واجتناب ما نهى الله عن فعله وهو الشر « السلبي » والخير كل الخير في اتباع ما امرنا به والشر كل الشر في اتباع ما نهينا عنه ، وقانون الترقي العام الشامل لجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها يقوم على الايجاب دون السلب ، وتعتبر السلبيات ومنها الشر والجهل والوهم حرمان مانعة للترقي أو مؤخرة عنه ، والله عز وجل بكل شيء عليم ، وحكمته دائما أرفع وأسمى وأوسع (باعتبار انه الخالق) أوسع من قوى عقولنا المحدودة بالنسبة لحكمته (باعتبار أننا أبعاض من مخلوقاته) ولو أردنا أن نجرد الكائنات من الخيرية والشرية فكأننا اردنا او نرجعهما الى بساطتها الى عالم القدرة الالهية المجرد ، واما اذا أردنا عالما مركبا من عناصر لينتظم أمره فلن يكون الا عالما مركبا عوامله وأعيانه صالحة لان تكون خيرا وشرا مختلطين متباينين ليدل وجود احدهما على الوجود الاخر كالظلام تعرف به النور والليل تعرف به النهار فان بحثت في حقيقة الظلام او الليل ترى أن الليل في الحقيقة أن هو الا عدم شروق شمس النهار وان الظلام الا عدم النور وهكذا يكون السلب والايجاب ، وأوضح مثال لك من العلم تيار الكهرباء المركب من سلب وايجاب ليتم الدائرة التي تحدث بها المنفعة من الضوء والحرارة وغير ذلك . ولست واجدا قط موجبا كهربائيا يكون له فاعلية واقعية دون أن يكون له سالب ينتج عنه . ولست بواجد سالبا كهربائيا الا تابعا لموجب ، فيكون السلب في الحقيقة هو الايجاب منطلقا ليعود الى نفسه فتتم الدائرة الكهربائية ، ومعنى هذا كله كائن في شطر من بيت من الشعر « وبضدها تعرف الاشيا » فاذا لم يكن في العالم شر وهو سلب الخير فهل كان يمكنك أن تحصل على خبرة عن مواقع الخير من مواقع الشر ، والحال ان الشر كله في معناه ومفهومه عدم ظهور الخير بارزا او عدم وجوده قاطبة فما عليك الا أن تتجه للخير الذي له خلقت وهو مراد الله في خليقته وان صادفك الشر الذي علمت أنه سلب الخير في طريقك فاعرض عنه ، فان قلت انك خلقت له ، فتقول : وكيف علمت ذلك ولم تنته حياتك .. ومن أين جاءك هذا العلم وانت لا تعلم تقدير الله في شخصك ؟! واذن فالخطة المثلى أن تعلم أن الله خلق الخير وقدره وأمر بفعله لأن غرضه الايجاب، وخلق الشر وقدره ليبعث به الخيرين علي الخير وهو ليس من غرضه ، ونحن ملزمون باتباع ما به امر واجتناب ما عنه نهى غير سائلين عن تقديره الذي لا يعلمه الا هو سبحانه .

والله خول الانسان حرية محدودة واختيارا محدودا لانه هو نفسه بالنسبة للكائنات التي خلقها الله أو بالنسبة للمعلومات التي يعلمها محدود ايضا ، واذا ضربنا مثلا لمقدار حرية الانسان بالساعة فانك ترى أن عقرب الثواني يكمل دائرة كاملة بحرية في دائرته النسبية وكل دائرته التي هو حر فيها محدودة بنقطة واحدة على المحيط هي نقطة الدقائق او نقطة الساعات ، والساعة أيضا مرتبطة بدورة الارض حول نفسها وحول الشمس وهكذا الى أن يعود الأمر كله الى الله في النهاية .

أمة قدسها القرآن :

رجال ونساء في مجال القدوة

فضيلة الشيخ معوض عوض ابراهيم

لم تجد المرأة مكانها الأمثل ـ لأول مرة منذ خلقها الله ـ الا فى الأمة التى قدسها القرآن .. فلم تكن كما كانت فى الأديان والحضارات القديمة موضع ريب فى انسانيتها ، وهل هى ذات روح أم لا ؟ ولم تعد هملا يملك الرجال دونها أمرهم ، ويبدون سواها ـ فى كل شىء رأيهم ، ليس لها فيما ترك الآباء والابناء ميراث ، وانما تورث مع ما يتركون من مال ومتاع .

ولا هى فى الأمة التى قدسها القرآن كما هى حتى اليوم فى بعض الحضارات المعاصرة تحظى بمظاهر من الحرية ، وتذهب بشىء من الاحترام ، وتيسر لها أسباب المهازل ، وتفتح لها أبواب المباذل ، ويريدها الرجال أداة لهو ، ووسيلة عبث وافساد دون أن يمنحها حق التصرف فى مالها الا بموافقته وتحت سمعه وبصره .

ولقد كان العرب فى الجاهلية اعرف الناس لقدر المرأة ، واحرصهم على اعزازها مع ما بقى فيهم من خلال الفطرة والطهور ، وظلال شريعة ابراهيم عليه السلام ، وهى المعالم التى نظر اليها الرسول وهو يقول : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وهى من اسرار اصطفاء الله هذه الأمة لتكون الوعاء الأول للرسالة العامة الخاتمة ، واصطفاء الرسول ـ والله اعلم حيث يجعل رسالته ـ الذى كان للبشرية بأسرها النعمة المسداة والرحمة المهداة .

« قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » .

« وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » ، « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » .

« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ، وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

« قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » .

وهذا مثل لاعتبار العرب لرأى المرأة قبل ان يبدد الله برسالة محمد سجف مظالم الجاهلية .

شاور عتبة بن ربيعة ابنته هند ـ زوج أبى سفيان ابن حرب ـ فى رجلين تقدما لخطبتها فسألته عنهما فقال :

أما أحدهما ففى ثروة واسعة من العيش ، ان تابعتيه تبعك ، وان ملت عنه خطر اليك ، تحكمين عليه فى أهله وماله .

وأما الآخر فموسع عليه ، منظور اليه ، فى الحسب الحسيب ، والرأى الأريب مدره أرومته ـ سيد قومه ـ وعز عشيرته ، شديد الغيرة ، لا ينام على ضعة ولا يرفع عصاه عن أهله .

فقالت : يا أبت ، الأول سيد مضيع للحرة ، فما عست ان تلين بعد ابائها ، وتضيع تحت جناحه اذا تابعها بعلها فأشرت ـ أطغتها النعمة فصرفتها فى غير وجهها ـ وخانها أهلها فأمنت ، ساء عند ذلك حالها ،

وقبح عند ذلك دلالها فاطو ذكر ذلك عنى ولا تسمه بعد ذلك على .

واما الآخر فبعل الفتاة الخريدة ـ البكر الحيية . الحرة العقيلة ـ الكريمة وانى لأخلاق هذا الموافقة فزوجنيه .

فلم يبهر هندا بريق الثروة والسعة والدعة فى بيت رجل لايعرف مكانه فى بيته ، وانما آثرت الرجل الذى تصنع له رجولته واخلاقه وسداد رايه وبصره بما يضطرب من حوله فى قومه واسرته وبيته مكانة واجلالا.

وبقيت مواقف لهند فيها مفتاح شخصيتها وبرهان اصالتها قبل اسلامها وبعد اسلامها سنذكرها فى مكانها ، دليلا على عاطفة المرأة التى تطغى كثيرا على دواعى العقل حين تبغض او تحب وحين تكره أو تريد .

وما كانت هند وحدها مضرب الأمثال فى بعض مواقف الشرف فى الجاهلية فمن بين يديها ومن خلفها كثيرات من المفيد أن نعطر بذكرهن وذكراهن جوانب الحياة، لتسأل كل واحدة من نسائنا اليوم نفسها : ماذا صنعت لدينها ووطنها وأمتها وللأجيال الوارثة ؟ وعسى ان ينفع الغافلات اللاهيات عبرة مثل آخر من عربية جاهلية .

كانت الهيسة بنت أوس بن حارثة عروسا تفيض طيوب الزفاف من اردانها فى أول عهدها بمنزل سيد العرب ـ يومئذ ـ الحارث بن عوف ، وكانت الحرب بين قيس وذبيان مشبوبة الاوار وازمعت العروس ان لا يضمها والحارث مكان حتى يحل الوئام بين القبيلتين محل الخصام ، ويكون زفافها لرجلها بشير صفو وسلام ، فلما انتهى الحارث مما اعتاده القوم من ولائم العرس ، واراد ان يدخل على عروسه ، استقبلته قائلة :

اتفرغ للزوج والعرب يقتل بعضها بعضا ؟ ؟ .

فاجاب : ماذا تقولين ؟ قالت : اخرج الى القوم فاصلح بينهم ثم ارجع الى أهلك .

فقال : والله انى لأرى عقلا ورأيا سديدا . وخرج الى القوم ، ومشى بينهم بالصلح فاصطلحوا على ان يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية ، وتحمل ابن عوف هذه الديات ، ومضى عنهم بأجمل ذكر ، لينعم بأيمن جواد .

من هذه البيئة التى اختلط فيها النبل والجهل ، وتداخل الخير فى الشر ، اصطفى الله رسوله فصدع بأمر ربه وغمر الدنيا من الاسلام نور ، والتمع فى رأس قائمة الذين سارعوا الى الاسلام خديجة بنت خويلد وام ايمن بركه الحبشية ، لا لمجرد ان خديجة الزوج التى اختارت رسول الله زوجا وشريك حياة ، ولا لان أم أيمن هى حاضنة النبى ومولاته التى ورثها عن أبيه مع دار وبعض شياه ولكن لما عرفن وعرف الذين خالطوا محمدا منذ كان واتصلت أسبابهم بأسبابه صلوات الله عليه من شرف نفس ورقه حس وصدق وأمانة ناداه بها الذين كاد يهلك بعضهم بعضا حرصا على ان لا تذهب قبيلة بشرف حمل الحجر الأسود ، ونقله الى مكانه الباقى ، حتى حكموا أول داخل ، فكان محمدا ، فقالوا بلسان واحد هذا هو محمد هذا هو الامين ، قد ارتضيناه حكما !

واتصلت قافلة الذين رضوا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلوات الله عليه نبيا ورسولا من الرجال والنساء ، ومن الاحرار والاماء ، ومن الفقراء والأغنياء ، وكان ايمان أوساط الناس دون العلية الذين اذهلهم ما يدعو اليه الاسلام من وحدانية وكرامة انسانية واخوة دينية ، عروة جديدة ، ووجه شبه يربط رسالة محمد برسالات السماء التى سارع اليها من قبل الاوساط ، لا السادة المشدودون الى جاههم الكاذب ، وسلطانهم الذاهب ، وتراثهم الحرام ، فصدق دائما وعد الله ومضت مشيئته :

« ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين ، ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون » .

كانت خديجة بنت خويلد ذات حسب ، ومال نام فى تجارة تديرها بذكاء بصير ، وقلب كبير ، وتجارب افادتها منذ أدركت حتى شارفت الأربعين عاما كانت فيها زوجا وأما وسيدة تعلو فوق الريب والشكوك والشبهات التى قد تعلق بأذيال اللواتى يداخلن الناس ، ويزاحمن فى معترك الحياة ، وكان جدها فى تجارتها يضاعف من اكبار عمالها لها ويزيد فى توفرهم على عمل يؤتون اجرهم فيه كاملا غير منقوص ، وتقدم اليها بعد زواجها الأول سادة مكة يطلبون زواجها فكانت تردهم عما يريدون ، وكأنها تشعر ان الله قد ادخرها لأمر عظيم ! !

وتتابعت الأيام مسرعة كأن بعضها يسوق بعضا ، وعمل محمد فى تجارة خديجة بعد ان استجابت سعيدة بذلك رجاء ابى طالب ، وكانت امانة الصادق الامين ومخايل كماله حديث ميسرة الى سيدته ، ومنحت كل اصغائها هذا الجانب من الحديث عن القافلة وما صادفت من نجاح) واصابت من ربح ، وتخلل كلام ميسره شعاب قلب خديجة ، وودت لو يكون هذا الامين رجلها وبعلها ، وان كانت تكبره بخمسة وعشرين عاما ، وجاوزت مواقف التمنى ، فدست اليه احدى صديقاتها فعرضت عليه المال والجمال والكمال ، وسدت بذلك كل ثغرة ينفذ منها عذر لمتعذر ، وبلغ الكتاب اجله فملأت خديجة فى نفس محمد فراغ أم واخت وزوجة ، كانتهن جميعا ، وكانت بهن وجها من وجوه ايواء الله الذى قال لمصطفاه « الم يجدك يتيما فآوى » .

وكان محمد يومئذ أسعد الناس بزوج ولود ودود ، ولكنه كان بقدر ذلك ثائر النفس مبهور الحس ، من وثنية المجتمع المكى وفساده وتفاوت الناس فيه شعوبا وقبائل لا للتعارف والتآلف ولكن للتناكر والتخالف ، ناسين وحدة المنشأ ووحدة المصير الى الله ، « ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى » .

فكان يفزع من شر لا يستطيع تغييره الى غار حراء يتحنث ـ يتعبد ـ الليالى ذوات العدد وتزوده الحفية به الوفية له بمالا بدله منه من زاد ومتاع ، وتفعل ذلك كلما عاد الى بيته وعاوده الحنين الى ذكر الله والانس به فى حراء ، حتى جاءه الحق وصنع به الملك ما صنع فيما رواه البخارى ومسلم وغيرهما ، ثم قال له : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

فرجع بذلك يرجف فؤاده الى خديجه ، فقال « زملونى زملونى » . وهنا يكشف القدر وجها لم تعرفه الدنيا لغير خديجة ، لقد رأت بعلها وأملها يعود ترتجف من حراء بوادره ، فلم تسأله ماذا كان ولم تبادئه بما

« البقية ص ١١٢ »

من إعجاز القرآن

الإعجاز البياني

الدكتور حفني شرف

تكلمت فى المقالة السابقة عن ألفاظ ، واختيارها ، وحسن وقعها وائتلافها مع جاراتها وانسجامها مع معانيها وتمكنها فى مكانها بحيث لا يؤدى غيرها ما أدته من المعنى والغريب منها والمعرب فى القرآن وصلة ذلك باعجاز القرآن .

وسوف أتكلم هنا عن بعض المعانى التى تضمنها القرآن ولا أقصد الاستيعاب لان هذا غير مستطاع فالقرآن بحر لا ساحل له ، ولم يترك شيئا الا أشار اليه أو تحدث عنه « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ولأن القرآن دستور الحياة وميثاق العمل فى الدنيا ، فذكر للمعانى والأفكار ان لم يكن تصريحا كان تلميحا .

فقد صور القرآن رب العالمين المثل الأعلى لجمعه صفات الكمال ، فهو الواحد القادر القوى الشديد السميع البصير العزيز الحكيم الغفور الرحيم الغنى الحميد : عالم الغيب والشهادة يسبح له ما فى السموات والأرض ، لأنه الأول والآخر ، الصمد الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد .

كما أبرز القرآن نعم الله وفضله على عباده ، فأنعم عليهم بالرزق والهدوء والسكينة ، وخلق لهم الشمس والقمر وسخرها لهم ، وجعل الأرض ذلولا يمشون فى مناكبها ويأكلون من رزقها ، وخلق لهم الليل للدعة والراحة ، والنهار للسعى والعمل « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » وغير ذلك من المعانى التى تحدث عنها القرآن من هذه الناحية ، وما كان احتفاء القرآن بذكر هذه المعانى الا لتوجيه الأنظار والتدليل على أن الخالق الذى له تلك الصفات وهذا شأنه جدير بالعبادة والتقديس ولا سيما اذا كانت هذه النعم ليست فى طاقة البشر ، فليس اذن له شريك ، وليس له ولد ، حتى أكد ذلك القرآن باثبات موقف الطبيعة الساخطة من نسبة الولد الى خالق البشر ، حتى تكاد لشدة غضبها أن تتفجر غيظا وتنشق ثورة ، وتخر الراسيات لهول هذا الافتراء ، وضخامة تلك الفرية ، فصور القرآن هذا المعنى تصويرا عجيبا بقوله : « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئا ادا . تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا » .

وعلى هذا المنوال وذلك التصوير رد على من زعم ألوهية عيسى عليه السلام ، حتى جعله هو نفسه يتبرأ من هذا بقوله : « واذ قال الله : ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ، قال : سبحانك ما يكون لي أن أقول ماليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمته » .

وكثيرا ما تعرض القرآن لهذه الدعوة وقوضها من أساسها ، وهاجم بكل قوة الاشراك بالله ، هاجم العقل والوجدان ببلاغته فى نقاش المشركين ، ليتدبروا ويصلوا بأنفسهم الى الحق ، ويلزمهم الحجة ، ويقودهم الى الصواب بترتيب معنوى ، فيسألهم عمن خلقهم ورزقهم وعمن يملك سمعهم وأبصارهم ، وعمن يخرج الحى من الميت والميت من الحى ، ومن يدير أمر هذا العالم ، ومن يبدأ الخلق ثم يعيده ، ومن يهدى الى الحق ؟ وبهذه الطريقة وبذلك الترتيب الفكرى يجعل المشركين يعترفون

بالحقيقة، ويقرون بأن ذلك انما هو من أفعال الله ، اذن فلا قيمة لهؤلاء الشركاء ، « قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أم من يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الامر فسيقولون : الله فقل أفلا تتقون ، فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون ؟! »

وكيثرا ما تعجب القرآن من شركهم وعبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويبعث فيهم الخوف من سوء المصير « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » فذلك تصوير رائع لقدرة الله الباهرة التى لا يعجزها شىء والتى يستجيب لأمرها كل شىء ، وبذلك التصوير وبهذه المعانى أثبت الألوهية والوحدانية لله سبحانه .

ولم ينس القرآن علم الله ما دام قد أثبت قدرته ووحدانيته ، فأورد كثيرا من الآيات التى تدل على علمه وانه لا تخفى عليه فى الأرض ولا فى السماء خافية كل ذلك لدعوة الانسان الى العمل والتفكير فيه، كي لا يغضبه لأنه أقرب اليه من حبل الوريد ، ولانه « يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » .

وبعد أن أثبت القرآن لله سبحانه تلك الصفات التى يتصف بها اله البشر كان لابد من رسول يبلغ أوامره ويحمل رسالته فرسم القرآن فى معانيه صورة لمحمد – صلى الله عليه وسلم – محببة للنفوس ، فيها رقة ولين وفيها خلق مثالى ، فيها قلب رحيم ، ونفس وادعة مطمئنة «وانك لعلى خلق عظيم» « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

لأنه لم يكن الا مبلغا ومرشدا وهاديا الى الله باذنه وسراجا منيرا «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين» بل أمره ربه بجعل الأمر شورى بينهم وخفض الجناح حتى لا ينفروا منه ويبتعدوا عنه ، ويعف عنهم ويستغفر لهم « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر » ويقول : « واخفض جناحك للمؤمنين ، وقل انى أنا النذير المبين »

ومع ما أسبغه على رسوله من الصفات لم يسلبه البشرية حتى لا يفر منه الناس فلو كان ملكا أو جنا ما ألفه ونفروا منه « قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد » وهو لهذا لا يملك لنفسه أمرا ، ولا يدرى من الغيب شيئا « قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » .

كما وصفه بجانب ذلك بالامية حتى لايتهموه باتهامات هو منها براء وعظم أمره ، وصلى الله عليه ، وأمر الملائكة والناس بالصلاة عليه ، وحث على مبايعته ، وما تخلى عنه ولذلك اوجب حرمته وعلو منزلته الاجتماعية ، واحترامه ومناقشة من انكر رسالته وانذر المكذبين له المستهزئين به .

هل القرآن بعد أن بين وحدانية الله ووجوب عبادته وصفات محمد صلي الله عليه وسلم ، وصدق رسالته نسى الناس – حاشالله – فقد دار كثير من معانيه حول هداية الناس الى الحق ، وطريق الصواب ، وتبشير المهتدى ، وانذار الضال ، « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ، وأن الذين لا يؤمنون بالاخرة أعتدنا لهم عذابا أليما » فكان القرآن شفاء ودواء لعلل النفوس « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » ، وكان نورا يخرج الناس من الظلمات الى النور لأنه من عند الله « وبالحق انزلناه وبالحق نزل » ولذلك عجزت الجن والانس عن أن تأتى بمثله معنى ونظما ، أو حتى بمثل أقصر سورة منه ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . كما بينت معانى القرآن أنه محفوظ لا يزيد فيه أحد أو ينقص بل توعد وهدد وأنذر بالجزاء الاوفى لمن أحدث ذلك « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين »

وما كان ذلك الا لأن محمدا – عليه السلام – رسول مبلغ ما عهد به اليه فى أمانة وصدق والمتأمل فى القرآن يحس احساسا كاملا أن معانيه متكاملة فى منهج متكامل يربط بين الأسس الاعتقادى ، والنظام الأخلاقي والاجتماعي ، وبينت معانى القرآن أن لأساس الاعتقادى يقوم على توحيد الله ، وافراده بالعبادة ، والايمان بالغيب الذى يجاوز نطاق الحس ، والايمان بيوم آخر تجد الناس فيه جزاء أعمالهم « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، وسماه مرة باليوم القرآن ، ومرة بالآخرة عند مقابلته للدنيا فآتاهم ثواب الدنيا والآخرة ، وسماه القرآن مرة ثالثة بيوم القيامة ، ليثير فى النفس هذه الحركة المائجة المضطربة التى ينبعث فيها الأموات من أجداثهم كالجراد المنتشر وكالجراد المبثوث. وسمى بيوم البعث لأنه يوم الحياة بعد الموت ، وسمى بالساعة ليلبسه عنصر المباغتة والمفاجأة ، وبالحاقه لتحقق وقوعه ، وبالقارعة لشدة هوله ، وما فيه من أهواله ، وبيوم الآزفة لشدة قربه ومفاجأته .

كما حذر القرآن كثيرا من عدم الايمان به ودلل بأدلة واضحة ، وبراهين ساطعة لأنه آت لا محالة ، ولا فرار منه ، وقربه الى نفوس الناس بتوجيه أنظارهم الى الأرض الميتة ينزل عليها الماء ، فتنبعث فيها الحياة ، وتنبت من كل زوج بهيج .

وحفل القرآن بكثير من صور هذا اليوم ، ففيه تميد تحت الأقدام ، وتنشق مخرجة أثقالها وقال الانسان : ما لها يومئذ تحدث أخبارها ، وتكون فيه الجبال كالعهن المنفوش وتنسف نسفا ، وتصبح مستوية لا عوج فيها ولا أمتا ، وتنفجر البحار ، وتبعثر القبور ، وتتبدل الأرض غير الأرض والسموات تطوى وتمور ، ويلف الكون ظلام دامس ، والكواكب تنثر ، والشمس تمحى ، ويخرج الناس فى هذه الظلمة سراعا وفرارا متهافتين ، كما يتهافت الفراش المبثوث .

ولذلك كان اهتمام القرآن بعبادة الله وتوحيده لكونه منقذا للانسان من الولاء المشتت ، ومن سلطان الخلق أجمعين ، « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » « فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » ومنجية من هول هذا اليوم لأن الله وحده هو الذى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، وهو الذى وحده يعلم وهم لا يعلمون فكانت الخطوة الأولى التى اهتم بها المنهج والفكر فى القرآن غرس عقيدة الايمان بالله وتوحيده لأنه بقدر استقرار العقيدة فى النفس يكون انطلاقها الى سائر الفضائل الخلقية ، ويكون استعدادها لاقامة سائر أحكام الاسلام ، ولهذا لم يكن غريبا أن يستمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – ثلاثة عشر عاما فى مكة يعلم الناس التوحيد دون أن تنزل آية واحدة من آيات التشريع حتى يستخلص مشاعر النفس وملكات العقل، ومحركات الجوارح فتسلم كلها لله .

ولكن هل معانى القرآن وقفت عند العبادة والتوحيد ؟

لا لم تقف المعاني في القرآن عند هذا الحد فاهتم بالفرد والجماعة والمعاملات والعلوم بمعنى أنه يشتمل على رءوس المواد العلمية أما الأشياء التفصيلية التي هي من خصائص الانسان فلا علاقة لها بالقرآن ولا يصح ربط معانيه بالعلم لأن العلم يتجدد ويتطور وتطوره وتجدده يثبت اعجاز القرآن ، ولنا في علم الأجنة خير مثال على ذلك فالعلم الحديث مهما تقدم لا يصل الى ما وصل اليه القرآن في هذا الموضوع وكل مافي الامر انه كلما تقدم أثبت صحة القرآن واعجازه .

أما المعاملات ففيه كثير من المعاني التي تتصل بالبيع والشراء والدين والربح والمنافسة فيه الاشتراكية السليمة فيه المساواة فيه حسن المعاملة للناس ونحن اذا عملنا بما فيه من هذه المعاني كلها نكون قد وصلنا الى قمة الاشتراكية الحقة . فيه النظرة الى الانسان فردا وجماعة التي ترتكز على طريقة التعامل بالقيم الاخلاقية علما بانه ليس ملاكا نورانيا متحررا من ضغط الحاجات المادية ، ودفعات القوى الحسية ، كما أنه ليس حيوانا خاضعا للبيئة ، محكوما بمؤثراتها وانما هو مزيج من هذين العنصرين ، فيه عناصر قوة من روح الله هي التي تفسر مطالبته بالنزوع والتصعيد « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » « واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة » وقوله : « انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فابين أن يحملنها ، وأشفقن منها وحملها الانسان » وهذه العناصر هي التي بوجودها صح تكليف الانسان وحده من بين المخلوقات ، وبجوار هذه العناصر عناصر ضعف ونقص وقصور ، ولذلك رأى الاسلام في منهجه ، والقرآن في معانيه الاقتصار على طبيعة الانسان « لايكلف الله نفسا الا وسعها » « لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها » .

كما أن القرآن أراد أن يفهم الناس أن الايمان ليس وقفا على العبادة والتهالك فيها والوقوف عليها وعلى الحياة الخشنة والبعد عن زينة الحياة وطيباتها ولذائذها بل بين القرآن ان الايمان فيه ايجابية والتقاء مع الحياة فلم يسرق الانسان من الدنيا ، ولم يسرق الدنيا منه ، ولم يضعه مع قواها في معركة خاسرة ، فالدنيا هي دنيا الانسان ، والحياة حياته ، ولم يحرم القرآن التمتع بها والزهد فيها « خلق لكم ما في الأرض جميعا » « وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا» فكانت اساءة كثير من الناس لأنفسهم ولقرآنهم حينما رأوا أن الانسان في دنياه قاصر علي العبادة المحضة التي تتضمنها أركان الاسلام ، والوقوف من ضروب النشاط الحيوي للفرد والمجتمع موقفا معاديا على أساس خروجها من نطاق العبادة ، واعتبارها لعبا ولهوا

فالقرآن في معانيه يبين أن العبادة فوق الاركان والشعائر ، لأنها تشمل كل عمل ينفع الناس ويبتغى فيه الخير ووجه الله .

فقد روى أن الصحابة رأوا في مجلس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شابا قويا يسعى في نشاط فقالوا : لو كان ذلك في سبيل الله ، فصحح لهم الرسول مفهوم العمل في سبيل الله قائلا : ان كان خرج يسعى على اولاد صغار فهو في سبيل الله ، وان كان يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وان كان قد خرج يسعى على نفسه ليعفها فهو في سبيل الله .

فالقرآن دستور الاسلام معانيه لا تجيز الرهبانية ، وتجعل الحياة الانسانية تتعانق فيها مشاعر التمتع بالحياة مع مشاعر العبادة التي تدرب النفس على صناعة الحياة وشعار القرآن العام في هذه القضية الحيوية ، قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم » وقوله : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ويطلب من المؤمنين ألا تصرفهم اقامة الشعائر عن الضرب في الأرض واقامة شئون الحياة « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله » .

فمعاني القرآن حركية تدعو الانسان الى الدخول في معركة فدائية من أجل سيادة القيم التي ينادى بها القرآن ويصلح بها المجتمع ، وهذه المعركة تحكمها موازين الدين وشرائعه .

نزل القرآن والناس تعتقد أن الايمان بالله يحتاج الى ايجاد معجزات حسية تسكت شكوكهم وتنهى على قدرتهم فجاء القرآن بمعانيه رافضا ذلك ومصرا على معالجة الاسلوب القديم بالتعبير ، وعاملا علي تعميم الناس الايمان بعقولهم واحدل الدليل والبرهان محل المعجزة ، فكان بذلك القرآن ثورة فكرية يدل على ذلك ويؤيده الحوار الذى دار بين نبينا – صلى الله عليه وسلم – وبين الناس في قوله : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تاتي بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى في السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتي تنزل علينا كتابا نقرؤه » فيرفض محمد صلى الله عليه وسلم – هذا التحدي ويقرر لهم حقيقة الموقف في تواضع ، وأمانة موضوعية « قل : سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا » كما أن المعجزة التي قد يعتبرها بعض الناس أنها من المعجزات الحسية وهي الاسراء ، لم تكن كذلك بشهادة القرآن نفسه ، وانما كانت كما تقول الآية : « لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير »

فمنهج القرآن في سياقة معانيه الاعتماد علي العقل وعرض الادلة عليه « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » كما حارب القرآن بمعانيه نزعة التقليد ، والمتابعة العمياء لأنها تهدد منطق العلم وسلطان العقل ، ولذلك أمر بالدعوة الى عقيدة الاسلام ومبادئه عن طريق مخاطبة العقول في محاورة جادة مخلصة يبغى فيها وجه الحق دون تعصب ولا هوى « وجادلهم بالتي هي أحسن » ، وقوله : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى احسن » وقوله : « قل فلله الحجة البالغة » وقوله : «وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه » .

كما أن القرآن بمعانيه يعمل على اثبات أن التكافل والعدل الاجتماعي أساس العلاقات الاجتماعية ، وذلك بتأكيد ذات الفرد واستقلاله بتقريره مبدأ الجزاء ، وهو بطبعه جزاء فردى « وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » وقوله : « ولا تكسب كل نفس الا عليها » .

وتنتظم حياة الانسانية باعتبارهم كائنات حية تعيش في أمم مختلفة ، ويعتبر القرآن لقاءهم وتعارفهم ، ونشوء العلاقات الاجتماعية بينهم أمرا واقعا بحكم الضرورة « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ولذلك كانت معاني القرآن مؤكدة ذات الفرد مراعية حقوقه مهيئة له المناخ الفكري والمعاش اللذين يعينان على انطلاق ملكاته ومواهبه ومراعية لمصالح الجماعة ، والحفاظ عليها وتقديمها في الرعاية على مصالح الفرد الواحد ، وكثير من آيات القرآن تحث على التكافل الاجتماعي « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » وقوله : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ، ثم هو يقرر بمعانيه أن الثروة لا يجوز

ان تحتجز فى بعض الأيدى دون بعض ، وانما تتجه الأحكام المالية فى التشريع الاسلامى الى منع تكديسها فى الأيدى القليلة حتى يندفع تيار الحياة الاجتماعية متحررا من الظلم والاستغلال فيستطيع أن يفعل الانسان شيئا فى معرفة القيم التى هى رسالة الانسان فى هذا الكون ، ولذلك ينظم القرآن تحرك المال « كى لا يكون دولة بين الأغنياء » وبعد أن بينت المعاني القرآنية واجب الفرد والجماعة فى الحياة حثت على الجهاد والتأمين الاجتماعى وان وصف الجهاد بأنه ثقيل على النفس لا تتقبله فى يسر وسهولة لأن غريزة حب الذات لها أثر قوى فى حياة الانسان وتوجيه أثقاله

كما اهتم بالحديث عن الانسان الخائن لوطنه والخائن لاهله وأولى الامر فى بلده ، وحث على تطهير المجتمع منهم، لأنهم آفة يبثون الضعف فى الأمة ، ويبذرون بذور الوهن فى النفس ، ويقودون أممهم الى الانهيار والهزيمة كما بحث على محاربة المناوئين للدين الخارجين عن العقيدة المارقين فى أممهم والقضاء عليهم ، وبذلك يعمل القرآن على ايجاد الانسان الكامل الذى يبذل جهده فى خدمة وطنه ويعمل على النهوض به ، فلا يعيش كلا علي غيره ، ولا يغتر بسماع ثناء على ما لم يفعل اما هؤلاء الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا مفر لهم من العذاب فى الآخرة والانتكاس فى الدنيا فأوجب القرآن على الانسان أن يقول الحق ولا تصرفه عنه قرابة أو عداوة « واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » كما أوجب عليه أن يعتدل فى حياته الخاصة فلا يكون مسرفا فتضيع اسرته ويتعطل دولاب العمل فى امته ، « والذين اذا انفقوا لم يسرفواولم يقتروا وكان بين ذلك قواما» ان « أن المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » ، « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا »

أراد القرآن الانسان المثالى الذى وصفه بقوله : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ، انها ساءت مستقرا ومقاما .... والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ... والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما »

هذا قليل من كثير من معانى القرآن التى لم يترك منها ما يصلح الدين والدنيا ويصلح الفرد والمجتمع ، نراها كلها مؤتلفة مع بعضها كالبنيان المرصوص فى نسيج وحده ولا يمكن أن تكون هذه المعانى من صنع البشر وانما هى من صنع خالقه ولذلك عجزوا عن الاتيان بمثله أو بمثل اقصر سورة منه « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » وبذلك كانت معانى القرآن بتناسقها وائتلافها واحاطتها من اعجاز القرآن البيانى

ولما كان القرآن يعلم ما لحوادث التاريخ من الأثر فى النفوس أكثر منه فى معرض الأمر بطاعة الرسول بتوجيه انظار الناس الى نتيجة تكذيب الأمم السابقة لرسلهم وكيف كانت عاقبتهم ، ولذلك سأتحدث عن القصص القرآنى مبينا مكانته من الاعجاز فى المقال المقبل ان شاء الله .

للبحث بقية

بقية مقال « أمة قدسها القرآن »

بما يصنع الناس فى مثل ذلك المشهد الشديد ، ولكنها أعدت من فورها الفراش وهيأت الغطاء واتاحت له فرصة نوم حالم ، قام من بعده يبادىء زوجه بما كانت تحب أن تعرف من أمره ثم قال : « لقد خشيت على نفسى » .

فقالت : اسرع من رجع الصدى ، وفى رنة الصدق وقوة اليقين : « كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » . ثم انطلقا الى ورقة بن نوفل . ..

واصغى ورقة الى حديث الرسول الذى بشر به المرسلون أقوامهم ، وكان أول من آمن بهذه الرسالة ، ورآه الرسول بعد ذلك فى منامه وعليه ثياب بيضاء ، وقال لو كان من اهل النار ما رايت عليه البياض .

ثم كانت خديجة أول من آمن من النساء ، وتليها أم أيمن أول من آمن من الأماء وتتابع المؤمنون وحدانا الى دين الله ، وكان اذى قريش يتفاقم بالمؤمنات كما يتفاقم بالمؤمنين فلا يردهن على الاعقاب كفارا بعد ان هداهن الله الى الاسلام .

ان خديجة لم تشك فيما روى المؤرخون - الصديق منهم ، والعدو على السواء - انها ضاقت ذرعا بما كلفت الدعوة رسول الله وكلفتها هى من تبعات ثقال وتكاليف لم يعرف الرسول ولا زوجه واولاده ولا الذين آمنوا معه معنى الدعة والراحة معها ابدا .

روى الحارث بن الحارث أنه سمع النبى صلوات الله عليه يقول لابنته زينب « خمرى عليك نحرك » .

وكان نحرها قد بدا وهى تبكى جزعا على ما نال اباها من اذى قريش - ثم قال لها (لا تخافى على أبيك غلبة ولا ذلا) وبكت فاطمة يوم وضع القوم سلا الجزور على ظهر رسول الله وهو قائم يصلى فى بيت الله والصحابة من القلة والذلة بحيث لايدفعون عن رسول الله ، ولا يستطيعون ان يرفعوا عن ظهره ذلك الأذى ! !

وبلغ كيد أبى لهب وحمالة الحطب للاسلام والرسول وخديجة ان لا تكون ابنتا الرسول - رقية وام كلثوم - زوجين لولديهما ، وتراهما خديجة فى بيتها ضحية حقد اسود وغدر ذليل فلا تتبرم لذلك . ويبدلهما الله بابنى حمالة الحطب واحدة بعد الأخرى بيت ذى النورين عثمان رضوان الله عليه .

الايمان صانع المعجزات

-١-

الأستاذ محمود الحبرسى

ان تاريخ الدعوات التى كتب لها النجاح والتاييد ، ومكن لها فى الأرض ، ودانت لها النفوس ، واستقرت على هديها السرائر ، لا يخلو من صور رائعة تمثل الايمان الكامل بهذه الدعوات •

والايمان الصحيح هو الذى يبين حقيقة جوهر الدعوة ، ويميز بين صحيح الدعوات وزائفها ، ويفرق بين الشعارات التى تزجى للاثارة والكسب والدعاية وخداع الناس ، وبين الشعارات التى تنبع من نفوس أصحابها ، وتنبض بها خلجات قلوبهم • فالدعوة الكاذبة لا تترفع عن استخدام أى سلاح مهما كان ضرره فى سبيل الوصول الى أهدافها ، غير مبالية بالنتائج الخطيرة التى يسفر عنها استخدام هذه الأسلحة ، وهى فى سبيل تحقيق أغراضها تبرر كل وسيلة تحقق لها هذه الأغراض ، ولو كانت من أحط الوسائل ، وأكثرها اضرارا بالناس وبالمجتمع • أما الدعوة الحقيقية المنبعثة عن الايمان الكامل بأهدافها ، والاعتقاد الراسخ بضرورتها لصلاح الناس وصلاح المجتمع ، فهى تدعو الى نفسها فى رفق ، وتجادل فى سبيل اقناع الناس بالتى هى أحسن ، وتعمل على تاليف القلوب ، واستلال السخائم والأحقاد ، ونشر المحبة والسلام بين الأفراد جميعهم •

وكم من دعوة قامت على غير ايمان أصحابها ، فتنكر لها الناس ، وحاربوها ، وأمعنوا فى النيل من أصحابها ، والزراية بهم حتى ماتت الدعوة على شفاه أصحابها ، ولم تقم لها فى النفوس قائمة ، ونسيها الناس فيما نسوا من أحداث الحياة •

والتاريخ ملىء بأمثال هذه الدعوات التى تعالت صيحاتها ، وارتفعت شعاراتها ، ثم تلاشى الصياح فى غمرة الأحداث ، واختفت الشعارات أمام نور الحقائق ، وذهب الزبد جفاء لانه لا ينفع الناس ولا يصلح حالهم ، أما الدعوات التى قامت على الايمان الراسخ بها ، والتى أريد بها خير الانسانية ، فقد عاشت عبر القرون الطويلة ، وهى تزدهر وتنتشر ، وتقتحم المعاقل الحصينة ، وتغزو القلوب الجاحدة ، وتجمع حولها الناس من كل جنس ولون ، لأن الايمان كان سلاحها •

وفى الدعوة الاسلامية التى قامت على يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صور رائعة من هذا الايمان الذى زلزل رواسى الجبال ، ودك صروح الباطل ، وفتح أمام العرب آفاقا جديدة نشروا فيها حضارتهم

الاسلامية شرقا وغربا ، وأدال لهم من أعظم ممالك الأرض حضارة ، ولم يكن لهم من سلاح فى دعوتهم يضربون به وجه الباطل الا هذا الايمان العميق بالرسالة المقدسة التى جاءتهم من الله على يد رسوله الكريم . وكم فى تاريخ الدعوة الاسلامية من أمثلة عليا على ما صنعه الايمان من معجزات يحار لها الفكر ، وتقف أمامها العقول مبهورة ، حتى اكتملت الدعوة ، واستبق اليها الناس ، وتفتحت لها قلوبهم ، ومشوا على هديها فى كل ما قاموا به من فتوحات .

وما أحوجنا الى أن نتمثل هذا الايمان ونتلمس فيه القدوة الصالحة التى تنير لنا مسالك الحياة ، وتبصرنا بمناهج الخير ، وتربطنا بتاريخ أسلافنا الذين دانت الدنيا لهم بقوة ايمانهم ، حتى ندرك قيمة الايمان فى نجاح الدعوات ، وما يصنعه من المعجزات فى سبيل انتصار العقيدة .

ولن نبعد عن تاريخ السلف الصالح فى انتزاع هذه الصور ، وعرضها على القراء ، ففى استعادة عرضها ما يربطهم بهذا التاريخ ولن تبهرنا حضارة الغرب ودعواته فنستمد منها المثل والقدوات كما يفعل الكثيرون ، فتاريخ الدعوة الاسلامية ملء بصور الايمان التى تعمر القلوب الجاحدة ، وتستضىء بها النفوس . فالقيم الروحية التى نستمدها من هذا التاريخ هى نبراسنا فى مسالك الحياة ودروبها فى هذا العصر ، لأن الاستمساك بها هو الطريق الوحيد الى استعادة أمجادنا ، وفرض حضارتنا على الدنيا من جديد .

وبعد ، فهذه الأمثال نضربها للناس من سيرة صاحب الرسالة المحمدية ، وسيرة أصحابه تصور لنا الايمان العميق بالدعوة كيف يكون ، وتفسر لنا من هذه المعجزات التى تمت على يد الرسول وأصحابه فى مدى لا يتصوره العقل ، ولكن يدركه الايمان ، وتلمسه النفوس المطمئنة المؤمنة .

فمن الصور الرائعة على ايمان الرسول بدعوته ، وتفانيه فى سبيلها ، واستهانته بكل ألوان الأذى الذى كان يصيبه من سادة قريش وكفارها ، ذلك الموقف العظيم الذى وقفه حين سعى جماعة من سادة قريش الى أبى طالب عم الرسول - عليه الصلاة والسلام - فقالوا له :

يا أبا طالب ، ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فاما أن تكفه عنا ، واما أن تخلى بيننا وبينه ، فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيكه ، فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا ، وردهم ردا جميلا ، فانصرفوا عنه . ومضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ما هو عليه ، حتى شرى الأمر بينه وبينهم ، وتباعد الرجال وتضاغنوا ، وحض بعضهم بعضا عليه ، فمشوا الى أبى طالب مرة أخرى فقالوا له : يا أبا طالب ، ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وانا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا ، أو ننازله واياك فى ذلك ، حتى يهلك أحد الفريقين ، ثم قاموا ، فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفسا باسلام ابن أخيه لهم ، ولا خذلانه ، فبعث الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له : يا ابن أخى ، ان قومك قد جاءونى ، فقالوا لى كذا وكذا ، فأبق على وعلى نفسك ، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق ، فظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قد بدا لعمه فيه بداء أنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، هنا تحرك ايمان الرسول بدعوته ، فاذا بهذا الايمان ينطق الرسول بهذه العبارة الأخاذة الآسرة : يا عم ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ، ما تركته ، ثم استعبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبكى ثم قام ، فلما ولى ناداه أبو طالب ، فقال : أقبل يا ابن أخى ، اذهب فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشىء أبدا .

فكانت هذه أول صرخة فى الاسلام يمليها الايمان الكامل على رسول الله .. ذلك الايمان الذى صنع المعجزات .

أمام الأحداث

في مسجد للعمال

الأستاذ عبد العليم المهدى

« يأيها الذين آمنوا ان من ازواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم انما أموالكم واولادكم والله عنده أجر عظيم »

استمعت الى خطيب عامل بمسجد احد المصانع فى القاهرة ، وقد جعل هذه الآية موضوع خطبة الجمعة ، واشهد انه كان موفقا فى شرح موضوعه ، حتى شعرت أن قلبه هو الذى يتحدث ..

كل مال من كسب حرام هو عدو صريح لصاحبه ، بل هو معول يهدم حياته ، من حيث يدرى أولايدرى ..
ويدخل فى حكم الحرام كل مال يكسبه العامل دون ان يوفى الانتاج حقه ، او يفسد فى أدواته ، او يسرف فى خاماته . فهذا المال عدو لصاحبه .

ويدخل فى حكم الحرام كل مال ينفقه العامل فى مسكر او مخدر أو ميسر او ارتكاب معصية .. ان صاحبه يرتكب في هذه الحال جريمتين : الاولى هى التبذير وله عقوبته « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين » ..

والثانية عقوبة المنكر الذى ارتكبه .. فاى عدو هذا الذى يعاقبك مرتين ؟ .. انه المال الحرام . وفوقه المحاسب القوى شديد العقاب .

وكل ولد يأتى نتيجة لكسب المال الحرام ، أو يأتى ثمرة لارتكاب حرام ، فهو العدو الاول لأبويه ، لا تأخذه بهما رحمة ، ولا يكون أبدا عملا صالحا ، وكم سمعنا بأبناء الحقوا بالوالدين أذى بلغ حد القتل ، لأنهم جاءوا نتيجة لمال حرام او عمل حرام ، وكم حذرنا الله من عداء بعض أموالنا وأولادنا .

وانتقل الخطيب الى الادخار ، فقال « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » .

ويكون المال عدوا لصاحبه اذا أسرف فيه ، واذا قتر على نفسه ، وحرمها من المتاع الحلال . « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » . ان الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة ، وكل انسان بغير مدخر أعزل بلا سلاح ..

صحيح أن التامينات الاجتماعية ، احدى المكاسب الثورية العظيمة ، قد وفرت للعامل أمنه على عمله ، وأمنه فى تعطله ، وأمنه عند تقاعده ، وأمنه بعد وفاته ولكن دون ذلك مناسبات وطوارىء ومفاجآت يجب أن يواجهها بادخار القليل ، والقليل مع القليل كثير .

وفسر الخطيب الواعى الحذر من الاولاد بانهم عندما يكثر عددهم ، ولا يجد الأب نفقتهم ، يتحولون الى اعداء لأنفسهم ، واعداء لأهليهم ، ثم أعداء للمجتمع كله ، ويصبحون حربا عليه بسبب الحرمان .. ومن هنا كان تنظيم النسل بحسب الدخل فى مثل ظروف بلدنا النامى امر واجب وضرورة يفرضها الدين .

وقال الخطيب للنساء العاملات ، رغم عدم وجودهن بالمسجد : وكل انثى عاملة نسيت وليدها وسعت الى العمل لمواجهة مطالب الحياة ، وتركت بلا رعاية ، فهى تصنع منه عدوا لها ، دون أن تدرى .. ان العمل حق للمراة كما هو حق للرجل فى حدود الدين ، وتربية الولد مقدمة على عمل المرأة ، خارج البيت ، فاذا لم توفق المرأة بين رعاية أولادها وبين أداء عملها ، فعليها فورا ان تعود الى رضيعها بدل أن يخاصمها يوم

القيامة ويشكوها الى الله لانها لم تمنحه الحب الذى يفتح القلب ويوسع العقل ويجعل للايمان سبيلا الى ضمائر الناس .

وعطف الخطيب الثائر على ماساة الاخوان ، وما سول لهم الشيطان .

قال انه ليس عجبا أن يكون من أموالنا ومن أولادنا أعداء لنا ، ولكن الاعجب حقا هو أن عداوة الابناء بلغت حد الشروع فى الاغتيال .. اغتيال من ؟ .. اغتيال الرجال الذين اصطفاهم الله لانقاذ هذا البلد من الكفر ومن الضلال . لقد شبع هذا البلد الأمين ظلما وظلاما وعبودية ، حتى نسى الناس دينهم من فظاعة الجوع ، فقام فيهم من يردهم الى دينهم ، بالطعام من جوع ، وبالامن من الخوف ، وقال فينا قولته المشهورة :

« اننا لن نتخلى عن ثورتنا حتى نعلى مشيئة الله بحفظ كرامة الانسان »

وسياسته على الصعيد المحلى كفاية وعدل ، وعلى الصعيد العربى امة واحدة تعمل بالحق والخير لمكانها الطبيعى والشرعى تحت الشمس ، وعلى المستوى الدولى سلام قائم على العدل .. فماذا يهدف الاسلام الى أكثر من هذا ؟ ..

كيف يمكن ان يتصور عقل ، او بقية عقل ، ان مبادىء هذه الثورة تتعارض مع الاسلام ؟ ..

هل الفوضى والدمار والقتل هو الذى يتفق مع مبادىء الاسلام ؟ ..

أى عمل قامت به الثورة ضد الدين ؟ ..

وكيف يمكن اذن العمل بهذا الدين اذا كانت (شريعة العدل شريعة الله) ليست من الدين ؟ ..

حقا ان آية الله لابد أن تتحقق فى الأسرة الصغيرة، كما فى الاسرة الكبيرة ، فيكون المال عدوا لصاحبه ،وقد استاجرهم الحلف المركزى بالمال ، فكان المال عدوا لهم، فالقى بهم فى غياهب السجون فى انتظار القصاص .. ويكون الولد عدوا لأبيه ، وعبد الناصر وصحبه الثوار هم آباء هذا البلد ، ولا يفكر فى اغتيالهم الا عدو من ابنائهم ؟ ..

ولكن عناية الله لا تغفل ولا تنام ..

كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه .. وقد كان هذا هو شعار ثورتنا منذ البدء ، فادركت رحمتها المسلمين وغير المسلمين ، عملا بشريعة العدل شريعة الله .

ان ثورتنا بيضاء ، لأن قادتها يخشون الله فى دماء المسلمين ويعملون بما أمرهم به الدين .

ولكن فتنة الاخوان حمراء ، لأن قادتها لا يخشون الله فى دماء المسلمين ، ويعملون بما توسوس لهم به الشياطين .

لقد لمس أعداء الاسلام أن ثورتنا تبنى على أرضنا الدولة النموذج بالعلم والدين والاخلاق ، ولا نستطيع أن ننسى دعوة قائد هذه الثورة :

« اللهم اعطنا القوة لندرك أن الخائنين لايصنعون الحرية ، وأن الضعفاء لا يخلقون الكرامة ، وأن المترددين لن تقوى أيديهم المرتعشة على التعمير والبناء »

ولا نستطيع أن ننسى أن أول رحلة قام بها عبدالناصر غداة انتصاره العظيم فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كانت رحلة الى الحج فى عام ١٩٥٤ ، وكانت دعوته الى الاسلام والى المؤتمر الاسلامى دعوة ايمان وصدق كانا هما السبب الأول فى انتصاراته طوال ١٣ عاما مضت .

وأنظروا من حولكم تجدوا كل شىء ينطق بايمان هذه الثورة بالله وبالانسان .. واذا غفل الانسان عن ايمان الثورة به ، فان الله ليس بغافل عما يعمل الظالمون ، وسيعلمون الى أى منقلب ينقلبون .

اللهم انا نسالك الهدى حتى نعقل ولا نضل ،ونشكر ولا نكفر ، ونعمل ولا نكسل ، وندرك ما نحن فيه من نعم ، ولا ننسى الفضل بيننا ، فى رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه .

* *

وبعد أداء فريضة الجمعة تركت المسجد ورأسى يدور فى هذه الخطبة التى لم أتردد فى تلخيصها ، فقدكانت بلاغتها اروع مما وعيت ، وكان الرجل يضع قلبه على فمه ويتكلم ، وكانه يفكر بصوت عال .

تمنيت أن يقوم فى كل مسجد رجل واحد من رجال الدين يبصر الناس بحقائق حياتهم كهذا الخطيب الذى حاولت أن أعرف اسمه فابى .. قال انتى أريد أن أكون مقبول الدعاء ، غائبا لغائب ، ومن الريبة أن يتفاخر الانسان بعبادة ربه ، ودعوة الناس اليه ، فهو وحده الذى يبصرنا بمن يحاربون الاسلام وهم يظنون انهم وحدهم المسلمون ، وغيرهم من الكفار مسلمون أو غير مسلمين .

وقد اوحى الى موقف الخطيب بذكرى الله اكبر التى صاح بها عبد الناصر من فوق منبر الجامع الأزهر غداة العدوان الثلاثى الفاشل ، واستجاب الله دعاء البطل فنصره ، وألهمه فاعلن على الملا فى نهاية المعركة أن الله كان قائدنا فانتصرنا .

ليس فى المسلمين احد ينكر ايمان عبد الناصر وان ثورته امتداد لثورة سيدنا محمد بن عبد الله ضدالاصنام من الناس والحجارة .. أما أولئك الذين تآمروا على عبد الناصر وصحبه ، وعلى مصر وأمنها ، وعلى المسلمين ودمائهم ، فحسبهم أن الشيطان قد اغراهم بالذهب ، وحولهم الى صنائع لأعداء الدين .. أعداء الله ..

وقد قال الله « لأغلبن أنا ورسلى » . وقال سبحانه « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس »

ولم تكن نجاتهم من غدر عصبة الشيطان من عمل فرد ، وانما هى من صنع الرحمن ، فهو القاهر فوق عباده ، يملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ، وقد ظلم هؤلاء الاشرار انفسهم ، وظلموا وطنهم ، وتجردوا من عقيدة السلام .. والرحمة .. والمحبة .. والعدل . وكانت يد الله أقوى من تآمرهم ، وكانت رعاية الله أقوى من القنابل والمفرقعات .

وجلست فى بيتى اتأمل الصورة المروعة التى كان يمكن أن تحدث لو انتصر الشيطان ، ولكنى خرجت من هذا التأمل بان ذلك تفكير سيىء ، لأن رحمةاللهقريب من المحسنين .

حقيقة ان الاستعمار لن ييأس من استخدام الدين، ولكن صاحب الدين أقوى من كل قوة ، وهو الذى يدافع عن المؤمنين ... وياليتنا جميعا نعتبر بهذا الدرس ، ونكون جميعا حراسا لثورتنا التى كانت وستظل رسالة رحمة وعدل وسلام .

بعض مظاهر الحركة العلمية في مصر

من الفتح العربي الى أوائل العصر الفاطمي

الدكتور محمد جمال الدين سرور

اصبحت مصر منذ ان استولى عليها العرب سنة ٢٠ هـ (٦٤١ م) ولاية نابعة للخلافة الاسلامية ، وتمتع اهلها فى ظل الحكم العربى بالحرية الدينية . وقد تحول عدد كبير منهم الى الدين الاسلامى بعد الفتح العربى رغبة فى التخلص من دفع الجزية ، كما انتشر الاسلام فى مصر ايضا بسبب نقل دواوينها الى اللغة العربية فى خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٨٧ هـ بعد أن كانت تكتب باليونانية والقبطية ، فقد ترتب على ذلك أن صرف كثير من المصريين عن الأعمال الحكومية الأمر الذى اضطرهم الى اعتناق الدين الاسلامى وتعلم اللغة العربية حتى يتيسر لهم الاشتغال بالوظائف المدنية .

ظل العرب أصحاب النفوذ فى مصر الى أن حرمهم المعتصم بعد توليته الخلافة من المرتبات المقررة لهم فى ديوان العطاء وأحل محلهم الأتراك . وكان من اثر هذه السياسة أن اضطر العرب الى الانتشار فى الريف والاختلاط بالمصريين ومصاهرتهم ، كما اشتغلوا بالزراعة والصناعة والتجارة وغير ذلك من الأعمال التى كانوا يترفعون من قبل عن الاشتغال بها . وقد أفاد هذا العمل الذى قام به المعتصم ضد العرب ، الاسلام فى مصر : فساعد على انتشاره بين المصريين . ومما لا شك فيه أن كثيرا من أهالى مصر دخلوا فى الاسلام رغبة فى أن ينعموا بحياة قوامها الحرية ، ويتمتعوا بما للطبقة الحاكمة من حقوق ، كما أن فريقا منهم أقبل على التحول الى الاسلام طوعا واختيارا بعد أن تبين له سمو مبادئه .

وقد تبع انتشار الاسلام فى مصر ذيوع اللغة العربية بها ، اذ اضطر من أسلم من المصريين الى تعلم هذه اللغة حتى يستطيع أن يقرأ القرآن الكريم واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . على أن انتشار اللغة العربية بمصر ، كان أبطأ من انتشار الدين الاسلامى فيها . وليس أدل على صحة هذا القول من أن الشعب المصرى فى عهد الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ) كان يدين معظم أفراده بالاسلام ، ومع ذلك فان هذا الخليفة لما زار مصر سنة ٢١٦ هـ كان لا يسبر . كما يقول المقريزى - الا والتراجمة بين يديه .

كثر توافد الصحابة الى مصر بعد الفتح العربى . وكان علماء الدين منهم يقومون بتعليم المصريين أصول الدين الاسلامى . ويعد هؤلاء الصحابة العلماء أساس مدرسة مصر الدينية . ومن أشهر من قام بالتدريس منهم : عبد الله بن عمرو بن العاص الذى اخذ عنه كثير من أهل مصر ، كما اخذوا دروسا دينية عن غيره من الصحابة . وقد أجاد عبد الله بن عمرو قراءة القرآن الكريم ودراسته ، وكتب عن النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا من الأحاديث .

كذلك كان ليزيد بن أبى حبيب شهرة فائقة فى الحركة العلمية بمصر ،فنبغ فى التاريخ والفقه . ففيما يتعلق بالتاريخ روى عنه كثير من الأخبار فى فتوح مصر وحروبها . أما الناحية الفقهية ، فيقول عنه الكندى فى كتابه « الولاة والقضاة » : « انه أول من نشر العلم بمصر فى الحلال والحرام ومسائل الفقه ، وكانوا قبل ذلك انما يتحدثون فى الفتن والترغيب (أى القصص والوعظ .

وقد تأثر بيزيد بن أبى حبيب اثنان من أعلام مدرسة مصر الدينية هما : عبد الله بن لهيعة ، والليث بن سعد ، والاول عربى من حضر موت . اما الليث بن سعد فهو أصبهانى الاصل ، مصرى المولد . وقد رحل الى مكة وبيت المقدس وبغداد طلبا للعلم ، وأخذ أثناء وجوده بمكة عن نافع مولى عبد الله بن عمر . وهو يعد ثقة فى رواية الحديث النبوى . وقد علت مكانته بمصر حتى صار القاضى والنائب يستمعان لمشورته . ويقال أن دخله السنوى الذى يبلغ خمسة آلاف دينار ، كان ينفقه فى الصلات والعطايا .

وكان الخلفاء فى صدد الاسلام لا يالون جهدا فى سبيل تقوية الحركة العلمية فى مصر ، فبعث عمر بن الخطاب الى مصر حبان بن أبى جبلة ليفقه أهلها وليكون مرجعا لهم فى أحكام الدين . ويذكر السيوطى فى كتابه « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » أن عمر بن عبد العزيز أرسل نافعا مولى عبد الله بن عمر ليعلم المصريين القرآن والسنن ، فاقام نافع بمصر مدة طويلة ، وعلا شأن مدرسته بها .

وقد تأثرت مصر بالمذاهب الاسلامية التى ظهرت فى العصر العباسى ، وأهمها المذاهب الأربعة التى لا تزال باقية الى اليوم ، وهى : مذهب الامام أبى حنيفة النعمان بن ثابت . ويعد أبو حنيفة . امام أهل الرأى والقياس . والمذهب الثانى ، مذهب الامام مالك بن أنس . ويمتاز مذهبه باعتماده على الحديث أكثر من أبى حنيفة ، ويقال لأصحابه أهل الحديث . والمذهب الثالث هو مذهب الامام محمد بن ادريس الشافعى القرشى . أما المذهب الرابع ، فهو مذهب الامام أحمد بن حنبل .

وعلى الرغم من أن مذهب الامام أبى حنيفة أقدم المذاهب الاسلامية الا أن مذهب الامام مالك هو أول مذهب دخل مصر وانتشر بها . فيذكر المقريزى فى كتابه « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » أن « أول من قدم بعلم مالك الى مصر عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيى مولى جمح . ثم نشره بمصر عبد الرحمن بن القاسم ، فاشتهر مذهب مالك بمصر أكثر من مذهب أبى حنيفة لتوفر أصحاب مالك بمصر » ولم يزل المصريون يتبعون المذهب المالكى الى أن قدم الامام أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعى الى مصر سنة ١٩٨ هـ وكون مذهبه الجديد بها ، فتبعه كثير منهم . وبذلك استطاعت المدرسة الشافعية أن تنافس المدرسة المالكية فى مصر ، ونبغ فى أواخر عصر الولاة بمصر كثير من فقهاء المالكية والشافعية .

ولما ضعف أمر الخلافة العباسية فى مستهل القرن الثالث الهجرى ، وأخذت الأقطار الاسلامية تستقل عنها شيئا فشيئا ، أصبحت كل عاصمة قطر مركزا هاما لحركة علمية ، ومن ثم قامت نهضة ثقافية فى مصر منذ أن استقل بها الطولونيون ثم الأخشيديون فالفاطميون .

وكان الاشتغال بالعلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه هو السائد فى مصر فى العهد الطولونى والأخشيدى ، فوفد اليها كثير من علماء العراق والحجاز حيث نشروا علمهم ، كما رحل فريق من أهل مصر الى البلاد الاسلامية للافادة من علمها .

وقد اشتهر بمصر فى ذلك العهد بعض الفقهاء والمحدثين من أمثال الربيع بن سليمان المرادى تلميذ الامام الشافعى . وقد عمر طويلا ، اذ عاش نحو ست وتسعين سنة (١٧٤ - ٢٧٠ هـ) . وكان يدرس فى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، ثم دعاه أحمد بن طولون الى التدريس فى مسجده بعد أن تم بناؤه . ويتميز الربيع بن سليمان بسعة الحفظ وجمع الرواية ، ويرجع اليه الفضل فى نشر أحاديث الامام الشافعى وفقهه فى مصر .

ومن فقهاء المذاهب الذين نبغوا فى العهد الاخشيدى : أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بابن الحداد وقد ولى القضاء للأخشيد ، كما قام بالتدريس فى جامع عمرو بن العاص . وقال فيه ابن خلدون فى كتابه « وفيات الأعيان » : « انه كان متصرفا فى علوم كثيرة من علوم القرآن الكريم والفقه والحديث والشعر وايام العرب والنحو واللغة » .

وكان العلماء والفقهاء يلقون دروسهم فى عهد الطولونيين والاخشديين بجامع عمرو بن العاص وجامع أحمد بن طولون . وقد اتسع فى ذلك العهد نطاق التدريس بجامع عمرو ، وأخذت حلقاته العلمية فى الازدياد ، وأصبح لكل من أتباع الامام مالك والامام الشافعى والامام أبى حنيفة حلقات خاصة . أما جامع ابن طولون ، فظل منذ انشائه معهدا للتعليم فى مصر . وهو من هذه الناحية ياتى فى المرتبة الثانية بعد جامع عمرو . وكانت تدرس فى هذين المسجدين العلوم الدينية كالحديث والفقه ، وتليها العلوم العربية كالنحو والصرف .

ومن الفقهاء الذين اشتهروا بتدريس الفقه والحديث فى مصر : أبو الذكر محمد بن يحيى الأسوانى . وكانت له حلقة فى جامع عمرو ، وقد ولى قضاء مصر وتوفى سنة ٣٤٠ هـ . وهناك فقهاء رحلوا الى مصر وقاموا بالتدريس فى مساجدها فى عهد الدولة الأخشيدية ، نذكر من بينهم أبا اسحق المروذى الفقيه الشافعى ، وكان امام عصره فى الفتوى والتدريس .

ومن العلماء الذين قاموا بتدريس علوم العربية بمصر ، فى ذلك العهد : أحمد بن محمد بن ولاد المتوفى سنة ٣٣٢ هـ ، وأبو جعفر النحاس . وكان زميلا لابن ولاد فى الدراسة بالعراق ، وفى التدريس بمصر وألف كثيرا فى علوم اللغة وفى الادب ، وفى تفسير القرآن ، وتلقى العلم عليه كثير من المصريين وتوفى سنة ٣٣٨ هـ .

وكان الى جانب الحركة الدينية فى مصر ، حركة تجلى فيها اهتمام بعض الكتاب بتدوين التاريخ ، ومن أشهرهم : عبد الرحمن بن عبد الحكم القرشى المصرى المتوفى سنة ٢٧٦ هـ . وكان من أهل الحديث والرواية ، ثم شغف بالقصص والأخبار والتاريخ . ومن مؤلفاته كتاب فتوح مصر . ويعد ابن عبد الحكم أول مؤرخ لخطط مصر ، فقد تناولها فى تاريخه فى فصل خاص ، وأخذ كتاب الخطط من بعده يعملون على انماء هذا التراث حتى بلغ ذروته على يد المقريزى .

ومن مؤرخى مصر أيضا : محمد بن يوسف الكندى المتوفى سنة ٣٥٠ هـ . وقد عنى بدراسة العلوم الدينية وخاصة الحديث ، ثم انصرف الى التاريخ والتاليف فيه : فالف عدة كتب من أهمها : كتاب « ولاة مصر » ، وكتاب « قضاة مصر » ، كما ألف فى خطط مصر ، وكانت هذه الكتب مما اعتمد عليها المقريزى فى كتابه : « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » .

كذلك كان ابن زولاق وهو الحسن بن ابراهيم المتوفى سنة ٣٧٨ هـ . ممن اهتموا بتدوين تاريخ مصر ،

ومن تصانيفه : كتاب « فضائل مصر » ، وكتاب « قضاة مصر » ، وكتاب « سيرة محمد بن طغج الأخشيد » .

ولما استقر سلطان الفاطميين فى مصر فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، اهتموا بالعمل على نشر الثقافة العلمية والأدبية ، فضلا عن الثقافة المذهبية التى تتصل بالدعوة الاسماعيلية كالفقه والتفسير . وكان للجامع الازهر اثر كبير فى النهوض بالحياة الثقافية فى مصر . وقد ظهرت فكرة الدراسة به فى أواخر عهد المعز لدين الله الفاطمى حين قام قاضى القضاة ابو الحسن على بن النعمان المغربى بشرح كتاب « الاقتصار » الذى وضعه ابوه ، ويشتمل على مسائل فقهيه استمدها من ائمة اهل البيت . وفى اوائل عهد العزيز بالله جلس الوزير يعقوب بن كلس بالجامع الأزهر وقرأ على الناس رسالة الفها فى الفقه الشيعى على المذهب الاسماعيلى تسمى الرسالة الوزيرية ، تضمنت ما سمعه فى ذلك من المعز لدين الله وولده العزيز . وكان يفد الى سماعه الفقهاء والقضاة وأكابر رجال الدولة .

على أن الجامع الأزهر ما لبث أن فاقت شهرته جميع المساجد الجامعة فى مصر منذ أن أشار الوزير يعقوب بن كلس سنة ٣٧٨ هـ على الخليفة العزيز بتحويله الى معهد للدراسة بعد أن كان مقصورا على اقامة الدعوة الفاطمية ، فاستأذنه فى أن يعين بالأزهر بعض الفقهاء للقراءة والدرس على أن يعقدوا مجالسهم بهذا الجامع فى كل جمعة من بعد الصلاة حتى العصر ، فرحب العزيز بذلك ورتب لهؤلاء الفقهاء ارزاقا شهرية ثابتة وانشأ لهم دارا للسكنى بجوار الأزهر . وظل الأزهر مركزا لدراسة الفقه الفاطمى الى أن بنى جامع الحاكم بأمر الله ، فانتقل اليه الفقهاء لالقاء دروسهم .

كذلك عنى الفاطميون بانشاء المكتبات ، فالحقوا بالقصر الشرقى الكبير مكتبة زودوها بأندر المؤلفات فى مختلف العلوم والفنون حتى تميزت على غيرها من مكتبات العالم الاسلامى بما فى خزائنها من كتب قيمة . وقد فتح الخليفة المعز أبواب قصره للعلماء والطلاب ، واباح لهم جميعا الاطلاع على الكتب المختلفة بمكتبة القصر ، وحذا الخلفاء من بعده حذوه ، فصاروا يعقدون المجالس العلمية والأدبية بقصورهم ويدعون اليها الفقهاء والعلماء والأدباء ، فيتناظرون بحضرتهم . ولم تكن هذه المجالس تقل فى قيمتها عن الدروس التى تلقى فى الجامع الأزهر .

وقد أدى مجيىء الفاطميين الى مصر بمذهب شيعى له اسس ودعائم تخالف ماكان عليه اهل السنة فى مصر الى ظهور فريقين من العلماء ، يعمل أولهما على تأييدهم ويفند الفريق الاخر آراءهم ، واستتبع ذلك نشاط علماء الدعوة الفاطمية فى تاليف الكتب . ومن اشهرهم ابوحنيفة النعمان المغربى وأبناؤه وهم جميعا من كبار رجال القضاء والأدب . وقد عاصر أبو حنيفة الفاطميين بالمغرب ، وكان مالكى المذهب ، ثم تحول الى المذهب الاسماعيلى ، وقدم الى مصر هو وأبناؤه فى ركب المعز سنة ٣٦٢ هـ . ويذكر ابن خلكان أنه كان من أهل العلم والفقه والدين . وله عدة مصنفات ، منها : كتاب « المجالس والمسايرات » ، وكتاب « دعائم الاسلام » .

ومما يجدر ذكره أنه على الرغم من تعصب الفاطميين للمذهب الاسماعيلى وتشجيعهم فقهاءه ، فقد ظهر فى عهدهم بعض علماء مذاهب أهل السنة ، وكانوا يلقون دروسهم على جمهور المستمعين ، فمن فقهاء المالكية : محمد بن سليمان المعروف بأبى بكر محمد النعالى المتوفى سنة ٣٨٠ هـ . وكانت حلقته بجامع عمرو بن العاص تدور على سبعة عشر عمودا لكثرة من يحضرها . كذلك كان على بن الحسن بن محمد الفهرى من أعلام المالكية فى مصر . وقد ألف كتاب « فضائل مالك » ، كما شرح الموطأ .

ومن فقهاء الشافعية فى ذلك العصر : القاضى أبو الحسن على بن الحسن الموصلى ، ولد بمصر سنة ٤٠٥ هـ ، وكان فقيها صالحا ، وله تصانيف وروايات متسعة . واشتهر من علماء الشافعية أبو الفتح سلطان بن ابراهيم المقدسى . ولد بالقدس سنة ٤٤٢ هـ وتفقه على الشيخ نصر المقدسى ، ثم رحل الى مصر . وقد وصفه الحافظ السلفى بقوله :

« كان من أفقه الفقهاء بمصر ، وعليه قرأ أكثرهم ».

عبد الناصر والشخصية المصرية
-٢-

الأستاذ ابراهيم مصباح

والفلاحون يكونون الغالبية العظمى من سكان الجمهورية العربية المتحدة ..

ما الذى يقوله التاريخ عن فلاحى مصر خلال حقبة طويلة من الزمان ..؟

ان التاريخ على اختلاف كاتبيه قد اجمع على أن أصحاب الجلاليب الزرقاء قد وقعوا طوال فترات متمادية فى طولها تحت سيطرة ظروف قاسية وغير انسانية ..

ولا أظن أننا فى حاجة الى سرد مظالم العثمانيين والبكوات المماليك فى مصر .. وجزء كبير من هذه المظالم كان من نصيب الفلاحين ..

ثم جاء محمد على .. فماذا فعل ؟ هل خفف العبء عن الذين يزرعون الأرض ويبذلون عرقهم حتى تخضر السنابل ؟

على العكس من ذلك .. لقد جاء محمد على ليسرق الانتفاضة الشعبية التى انتهت بطرد الفرنسيين .. جاء ليحول كل شىء الى حسابه ويضيف عرق الفلاحين والكادحين الى رصيده ..

كانت الشخصية المصرية فى ذلك الوقت قد أبدت من الصلابة ما أرهب الفرنسيين وأدخل الذعر فى قلوبهم .. وظهرت الزعامات الشعبية التى التف حولها الناس يتبعون قيادتها ويسيرون خلف مبادئها .. وكان من الممكن أن تنمو الشخصية المصرية باطراد لو أن محمد على كان مصريا وطنيا مخلصا .. لكنه لم يكن مخلصا الا لنفسه ، ولم يكن محبا لغير ذاته ..

ومع قصر نظره .. اختط سياسة اذلال المصريين وتخويفهم ونفى القيادات الشعبية وعزلها وعلى رأسها السيد عمر مكرم .. وأوجد فراغا بقصد اخلاء الجو لمؤامرته على شعب مصر كله ..

وعندما جاءت الحملة الفرنسية الى مصر عام ١٧٩٨ كانت مصر بلدا فقيرا سكانها مليونان ونصف مليون نسمة ، وكانت الزراعة الاقطاعية هى السائدة وبالذات نظام الالتزام ، ولم يتمتع الفلاحون بحقوق الملكية بل كانوا مربوطين بالارض كما كانوا يقومون بالسخرة المطلوبة فى أعمال الدولة . ويقول الدكتور محمد أنيس فى دراسته لمسيرة المجتمع المصرى من الاقطاع الى الاشتراكية :

ان محمد على قد وزع مساحات كبيرة من الاراضى كمنح لاتباعه وأقاربه من الاتراك وأدى ذلك الى تكوين طبقة تركية مالكة وحاكمة وهى التى دخل معها المصريون فى معركة فاصلة ابان الثورة العرابية . وهناك حقيقة أخرى يثبتها الدكتور أنيس وكل المؤرخين للفترة وهى أن ارهاق الفلاحين بالضرائب والسخرة قد دفعت بالكثيرين الى ترك الارض كلية والهجرة الى خارج الديار المصرية. وتعرض الفلاحون لكل أنواع الاجحاف على يد عملاء محمد على وموظفيه .

وتاريخ الأجانب فى مصر مرتبط أيضا بأسرة محمد على وبقصة الأرض .. ويكفى للدلالة على ذلك تلك الوثيقة المحفوظة بسجلات قصر عابدين التى وهب فيها اسماعيل باشا آلاف الفدادين من أجود الاراضى لبعض الخواجات والاجانب .. مثال ذلك أنه منح ستة آلاف فدان لمجهول اسمه طودون باشا الفرنساوى لا نعرف على التحقيق ما هى الخدمة الممتازة العبقرية التى اداها حتى يستحق كل ذلك .. كما أنه منح ابنتى الخواجه المذكور ألفى فدان.. والسؤال عن الخدمة الممتازة لا زال قائما ..

ونود أن نصل من ذلك الى أن ثلاث فئات من الملاك المستغلين قامت فى مصر .. الاولى هى الاتراك والشراكسة من القواد وأحفادهم والثانية طبقة الاجانب والثالثة هى طبقة الملاك المصريين الذين امتلكوا آلاف الافدنة أيضا .. وكون هؤلاء وأولئك القيد الذى ربطوا به مصير الفلاح وأرادوا من خلاله تحطيم كيانه الاجتماعى ..

وكان لابد من الثورة على هذه الاوضاع التى لا يقرها شرع ولا دين ولا يقبلها عقل واع مستنير .. ولقد أثرت هذه الاوضاع الفاسدة تأثيرا شديدا على الفلاح وأورثته شيئا غير قليل من اليأس والشك فى الحكومة ونواياها وعدم الاهتمام والسلبية .. ولكن هذه الصفات طارئة على الشخصية المصرية وليست أصيلة .. وهى فى بعض الاحيان سلاح فى معركة المصير .. فالشك فى كل ما كانت تنتويه الحكومات الرجعية كان أمرا طبيعيا ومنطقيا .. كما كان الشك يدعو الفلاحين الى مناقشة أحوالهم وأمورهم ولكن الامر لم يكن يخرج الى أكثر من المناقشة .. فأى صوت يرتفع لابد أن يقمع على الفور ..

ولما ظهرت لعبة الديمقراطية المزيفة كان الذى يشترى الارض يشترى من عليها ليحملوه الى مقعده فى البرلمان . وكان الفلاحون وهم فى طريقهم القسرى يعلمون أنهم مجبرون على ذلك .. ونتيجة لهذا كان اعطاء الصوت عبئا ثقيلا ينبغى التخلص منه بأقصى سرعة خلافا لما تعارفت عليه الديموقراطية الصحيحة من أن صوت الناخب أمانة

ويستطيع من خلال عملية التصويت ان يساهم فى تشكيل الحياة السياسية على وجهها الصحيح ..

غير أن هناك حقائق . لا ينبغى اغفالها نتيجة الاغراق فى البحث النظرى .. فالفلاحون رغم الضغط الشديد الذى كان واقعا عليهم لم تندثر فضائلهم كرجال يصنعون الحياة .. لقد ألهمتهم الارض التى التصقوا بها أنهم الوارثون .. وأن النصر فى النهاية سيكون من نصيبهم لكنهم لم يكونوا يعرفون متى يأتى ذلك اليوم .

كذلك كانت العقيدة السماوية التى يدينون بها والايمان بالحق والعدل الالهى زادا وقوة للصمود .. ان الاسلام أعطى الفلاحين طاقة هائلة على خوض المعركة فى ثبات وشجاعة .. وتحمل كل صروف الاحداث وعدم التخلى عن كبرياء الرجولة تحت سياط الارهاب ايمانا بان الله القدير هو مالك الارض وما عليها .. وأن نهاية الطغاة تحت أقدامهم ..

والدليل على أن الفلاحين لم يستكينوا لعوامل الهزيمة اشتراكهم فى ثورات عديدة .. لقد لعب الفلاحون دورا عظيما فى أول ثورة لهم تقول للطغاة لا .. ان هذه الارض أرضنا ولقد خلقنا الله أحرارا ولن نورث لاحد بعد اليوم .. ان ثورة عرابى لم تلق بعد التقييم الكامل من زاوية اشتراك الفلاحين فيها واندماجهم فى الثورة التى عبرت عن كيانهم ووجودهم .. والله وحده يعلم كيف تزلزل قلب الخديوى توفيق حينما خاطبه الفلاح ابن الفلاح أحمد عرابى وهو على صهوة جواده لم يترجل .. لقد كانت اشارة لتغيير الاماكن وعودتها الى ما يتمشى مع المنطق السليم وهو أن البلاد لا يحكمها الا أهلها ..

وأما ثورة ١٩١٩ فالحديث عنها يوضح بما لا يدع مجالا للمناقشة صلابة الفلاحين وانتفاضهم عمالقة جبارين يشاركون فى دفع الظلم . ولو استطاعت قيادة ثورة ١٩١٩ أن تربط نفسها الى جانب المطالب السياسية بمطالب الجماهير فى حياتهم أى بمضامين اجتماعية لحمت نفسها من تلك النهاية ..

ومنذ ذلك الحين دخل العمل السياسى فى متاهات وسار فى الفراغ يدور ويدور ، يصيب مرة ويخطىء مرات ، واشتدت قبضة الاقطاع على الفلاحين ، وانصب نظر معظم الساسة للريف وأهله على أنهم مصدر للثروة الزراعية وللاصوات التى توصل الى البرلمان ..

وتركوا القرية تتخبط فى الظلام والمرض والجهل والفاقة .. بلا رحمة أو وازع من ضمير ..

ولنترك زعيم ثورتنا يوضح لنا صورة الوضع .. يقول جمال عبد الناصر فى خطابه التاريخى فى عيد الثورة الثالث عشر .

« لم يكن طريق الشعب المصرى أيسر من طريق غيره ولا أسهل بل ربما كان أشد مشقة وأكثر امتلاء بالاشواك . ان الشعب المصرى قبل اندفاعاته الثورية ليلة ٢٣ يوليو كان يعيش داخل منطقة النفوذ الاستعمارى وكان محكوما بتحالف غير مقدس بين قوى النفوذ الاستعمارى وبين الرجعية المحلية ، وبالتالى فان الكبت السياسى الواقع عليه كان راسخا وكان ثقيلا .. وكان القهر الاجتماعى الذى يمثله فى هذا الوقت ذلك الرقم المذهل المخيف وهو أن خمسين فى المائة من الدخل القومى كان يذهب الى نصف فى المائة من السكان .. الى فئة ممتازة دخيلة عليه لا تعيش حياته ولا تشارك آماله وان كانت تحصل لنفسها على كل ناتج عمله بل تحوله بل تهدره ترفا وبذخا وسفاهة وفوق ذلك فلقد كان الشعب المصرى معزولا عن أمته العربية تفرض عليه الحواجز قسرا أو تضليلا »

ذلك هو التصوير الحقيقى والواقعى لتلك الفترة الحالكة ..

وعندما صدر قانون الاصلاح الزراعى فى التاسع من سبتمبر سنة ١٩٥٢ كان يوجد نحو مليونين و ٢٠٠ ألف مواطن يملكون ٧٧٧ ألف فدان بينما يملك ٢٠٠٠ اقطاعى أكثر من ثلث الاراضى الزراعية الى جانب ١٢ مليون معدم ومليون فدان تملكها الاسرة المالكة .

ولقد قال الرئيس جمال عبد الناصر حينما وزع شهادات التمليك على المعدمين :

« انها ليست شهادة تمليك .. بل شهادة تحرير »

وستظل هذه الجملة غنية بالمفاهيم والمعانى ..

ان الشخصية القوية .. الشخصية الايجابية التى تشارك فى بناء الحياة والمجتمع .. هى الشخصية التى تمتاز بالتوازن الداخلى .. ومعنى التوازن الداخلى هو وجود حالة من المواءمة بين الانسان وبين العالم الخارجى .. ولم يكن الفلاح ينعم اطلاقا بهذه الحالة .. كان يجد نفسه قادرا على العمل والانتاج ولكنه لا يجد الفرصة ليمارس هذه القدرة .. كان يتطلع حوله فيجد الاقطاعى المستغل مهيمنا مسيطرا جبارا فى الارض .. وعلى ذلك انعدمت حالة الشعور بالرضا وحل محلها انغلاق ورفض لهذا العالم الخارجى الذى يرفض اعطاء الفرصة العادلة .

والشخصية السوية فى عرف علم النفس الحديث هى التى تتمتع بقسط من الامان .. ولكن الفلاح على مدار فترات طويلة كان يفتقد هذا الشعور .. وكيف يشعر المعدم بالامان والطمأنينة الى المستقبل ؟ .. كيف يشعر الفلاح بالامان وهو يعمل فترة ويتعطل فترات .. وهو ينظر الى نتاج عرقه فلا يجد الا الكفاف .. كيف يشعر بالامان وهو مطالب بأن يدلى بصوته الى صاحب الارض وان قال لا فانه يهان ويطرد ويعامل بوحشية وقسوة ..

وهكذا توجت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ثورات الفلاحين المتتالية من أجل هذا الهدف الكبير .. تحرير الفرد من الحاجة والفاقة والخوف ، وعاد التوازن ثانية الى شخصية الفلاح ..

والحقيقة أن هذه الثورة الهائلة فى حياة الفلاحين تعتبر من المعالم الرئيسية فى تخليص الشخصية المصرية من معوقاتها .. ومن الضغوط السياسية والاجتماعية التى كانت تلح عليها ..

وسنرى فى هذه الاحصائية كيف يتزايد الانتاج بنمو الشخصية وتحريرها وشعورها بالامان والتوازن وانعدام التناقض مع المجتمع

ففى مجال اصلاح الاراضى تم استصلاح ٣٢٦ر١٧٧ فدان خلال السنوات ١٩٦٠/١٩٦٤ .

وبالنسبة للمحاصيل فقد تطورت الحاصلات الشتوية من ٤٣٦٤ ألف فدان عام ١٩٥٢ الى ٤٧٢٨ ألف فدان عام ١٩٦٤ .

أما بخصوص تطور الرقم القياسى للدخل القومى من الزراعة فقد تطور من ١٠٠ مليون جنيه عام ٥٢-١٩٥٣ الى ١٧٧ مليون جنيه عام ١٩٦٤ .

وقبل أن نختتم هذا المقال لابد من التأكيد على عملية حيوية أكملت الاهمية الفائقة لقانون تحرير الفلاح الا وهى اشراك الفلاح فى العمل السياسى والاصرار على أن يكون للفلاحين والعمال ما لا يقل عن نصف المقاعد فى مجلس الامة وفى أى هيئة سياسية أخرى .. وبذلك تكون ثورتنا قد حررت الفلاح وأمدته بكل المقومات التى تخلق مواطنا صحيح النفس يتفاعل مع مجتمعه تفاعلا ايجابيا سليمان .. ويخدم بلده ووطنه ودينه ..

وخطتنا فى المقالة القادمة باذن الله أن نتناول قطاع العمال فى محاولة لاثبات المجهودات الثورية الهائلة التى بذلت من أجل تكوين شخصية العامل المصرى .

الحركات الثقافية في عصور الإسلام الأولى

الأستاذ إسماعيل كشميري

يجدر بنا أن نذكر طرفا من التاريخ الثقافى لبعض صحابة النبى الاكرمين الذين كانوا يعدون فى المقام الأول ، ولنأخذ على سبيل المثال عمر بن الخطاب . الواقع ان عمر لم يكن من جامعى الحديث ولا من مفسرى القرآن ، بل كان الرأس الأدارية المفكرة والرجل الذى يرجع اليه فى معضلات الأمور . وكان لعمر موهبة فيما يمكن ان نسميه الآن بالعقلية القانونية ، وكثيرا ما ساعد فى حل كثير من مشكلات العصر الذى عاشه النبى صلوات الله عليه . ولا نبالغ ان قلنا ان عمر من القلائل الذين عرفهم تاريخ المسلمين وأفرد لهم صفحات من العبقرية الاسلامية والفكر النير . وقد قام عمر بدور هام فى ارساء قواعد الدولة الفتية بالمدينة ايام الرسول الكريم . وهو معروف فى تاريخ الصحابة بالقرارات التى اتخذها وكان لها شأن كبير فى انتشار الاسلام . وكان حكمه على الرجال لا يخطىء ابدا الامر الذى جعله يختار لمهام الأمور رجالا اكفاء أوكل اليهم رعاية مصالح الدين الجديد فى مواطنه الجديدة. وفى العقد الفريد أن عمر كان يحب عبد الله بن عباس اكثر من حبه لأى صحابى آخر . والواقع ان سلامة تفكير عمر وحكمه على الناس الحكم الحقيقى ووصفه للرجال فى أنسب المواضع ، كل هذا جعل منه فاتحا عظيما وسياسيا من دهاة الساسة ومصلحا ومشرعا والرئيس الروحى للدولة . وقد عالج عمر المشكلات العديدة الجديدة التى ظهرت باتساع رقعة خلافته بصورة جدية مرضية تمشت مع أحكام القرآن والسنة الشريفة .

وكان تطبيق هذه الاحكام على الظروف الجديدة التى نشأت فى دولة الاسلام يقتضى عقلا مفكرا ورأسا تعى كل ما جاء فى القرآن وقررته الشريعة السمحاء .

والى عمر يرجع الفضل فى وضع القوانين لغير المسلمين من رعيته وتخصيص سجل لكل انسان يستحق « معاشا حربيا » وانشاء مراكز حربية تخلقت منها مدن المسلمين الكبيرة وانشاء وظيفة القاضى .

ويمكن القول أن لعمر الفضل الاكبر فى وجود مجموعة القوانين الدينية والمدنية ، بل وقوانين العقوبات كذلك . وعمر هو الذى انشأ (الديوان) – ديوان المحاسبات – الذى أوكل مهمة ادارة ايرادات الدولة والمكوس التى تجمعها . وقد كان لصفاته الحميدة وشجاعته أن سماه الناس « أسد الله » ولعلو كعبه فى العلم والمعرفة اطلقوا عليه اسم (باب المعرفة) .

ويقال انه روى ٥٨٨ حديثا نبويا منها ٢٠ حديثا اتفق كل من البخارى ومسلم على صحتها . وكتاب (نهج البلاغة) الذى يجمع خطبه وأقواله كاف للتدليل على بلاغته وفصاحته وعلو كعبه فى اللغة والتفكير الصحيح .

اما عبد الله بن عمر فكان حجة فى العلوم الاسلامية ، وقد كرس جل حياته لجمع أحاديث النبى الكريم . وكان لامتناعه عن الاشتراك فى الحروب أثره فى تعظيم الناس له ، كما كان لعدم تحيزه الى أى جانب من جوانب

المسلمين أثره في وصفه بالنبل والابتعاد عن حب الذات .

ومن المأثور ان سيدنا عليا كان يعد عبد الله بن مسعود حجة في معرفة القرآن والسنة ، كما كان يعد ابا حذيفة احسن صحابي يمكنه أن يعرف أساليب المنافقين . وكان علي – كرم الله وجهه – ينظر الى سلمان الفارسي نظرته الى مثقف عالم ضليع بخفايا الدين المسيحي واليهودية وكان يعرف عنه حنكته في الشئون الحربية . ويقال انه هو الذي نصح النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخنادق حين حاول أهل مكة محاصرة المدينة .

وليس من شك ان الاسلام نشر المعرفة وشجع على العلم والثقافة وهدف الى محو الجهل في كل صوره . وكما كان الاسلام كذلك ، كان ايضا دين السلام ودين الفلاح . وقد حدث في ايام عثمان رضى الله عنه ان بنيت الدور وصنعت لها الابواب من الخشب وان اشترى عدد من الصحابة الحدائق والبساتين الأمر الذي شجع على نمو الصناعة اليدوية وظهور الفنون .

اما السيدة عائشة ام المؤمنين فكانت تحفظ الاحاديث الشريفة وتنقل لصحابته كل ما دار فيها حول الرسول الكريم بوصفه رسولا امينا وزوجا وابا وتاجرا وحاكما وقاضيا وقائدا وسياسيا . وكان للسيدة عائشة شخصية رائعة ، رأسها مملوء بالحكمة وعقلها قادر على التمييز بين الطيب والرديء .

اما ابو هريرة وابن مسعود وانس – وهم من اصحاب الصفة – فقد كان همهم الوحيد حفظ كل ما يقوله النبي الكريم لنقله الى أتباعه . ويمكن أن يعد هذا العمل من جانب هؤلاء أول جامعة اسسها الرسول الكريم في صدر الأسلام .

وقد تميز هذا العصر بوجود رجال كان لهم باع طويل في العلم والمعرفة . فحسان بن ثابت كان من اكبر شعراء صدر الاسلام . وجبير بن مطعم كان حجة في علم الانساب . أما ابن سيرين فكان الحجة في تفسير الرؤى والأحلام . وكان خالد بن الوليد – سيف الله – هو الذي وضع الطريق والأساليب الحديثة لعلم الاستراتيجية الحربية التي تفوقت على أساليب الرومان والفرس مما جعله ينتصر في كل المعارك التي خاضها ضدهم . أما أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص فان تاريخهم يضعهم في أوائل القادة الحربيين الذين شاهدهم صدر الأسلام .

وكان معظم صحابة الرسول الكريم من العرب الذين تمرسوا في الاسلام ونزل القرآن الكريم في حضرتهم . وطبيعي ان يكون الصحابة اكثر المسلمين تمسكا بالاسلام

غير انه كان هناك مجموعة اخرى من المسلمين ادت للاسلام خدمات جلى ولكنهم لم يكونوا عربا ، مثل بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي ، وكانوا يعرفون باسم (الموالى) . وقد تتلمذ الموالى على الصحابة وحفظوا عنهم الحديث حتى أن الامام الشافعي السند أحد احاديثه التي رواها ن النبي لنافع مولى عبد الله بن عمر . وكان سيبويه والفارسي والزيجاج – وهم ائمة اللغة من اصل فارسي . وكان مثلهم كثير من رجال الفقه والمنطق والتفسير .

هذا وكانت مكة والمدينة أهم مركزين للثقافة وان كانت الاخيرة تتمتع بمركز ممتاز نظرا لهجرة المسلمين اليها وتاسيس دولة فيها ، وقضاء النبي وصاحبته الاكرمين أغلب حياتهم فيها . وقد شاهدت المدينة رؤوسا مفكرة وعقولا ناضجة ادت للاسلام اكبر الخدمات مثل سيدنا عمر وعلي وعبد الله بن عباس وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر . وكان زيد بن ثابت عبقريا موهوبا يعرف أكثر من لغة من لغات العصر وكان هناك كثيرون من رواد المعرفة الاسلامية في صدر الأسلام كلهم تتلمذ على يد زيد بن ثابت وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير بن العوام . وفيما بعد ذلك ظهرت طبقة اخرى من العلماء مثل ابن شهاب الزهري الذي كان حجة في المغازي ومثل موسى بن عقبة ومحمد بن اسحق وعمر الواقدي . وقد اخرجت المدينة محدثين مشهورين مثل أسامة بن عبد الله بن عمر ومولاه نافع ، كما اخرجت لنا مالك بن انس – امام دار الهجرة – وواحدا من الاربعة الذين انشاوا مذاهب الاسلام .

ولما انتقل صحابة النبي الى انحاء الخلافة الاسلامية المتفرقة اسسوا فيها مدارسهم وارسوا قواعد مذاهبهم وكانت كل مدرسة تحمل طابع الصحابي الذي أسسها كما ان كل مكان حطوا رحالهم فيه تاثر بهم وتصور بصورتهم . وفضلا عن ذلك فقد كانت هناك بعض الاحداث والتطورات التاريخية التي حددت طبيعة مساهمة مراكز الثقافة في عصور الاسلام الأولى . وقد كان لظهور محمد عليه الصلاة والسلام في مكة وهجرته الى المدينة حيث انشأ دولة المسلمين أثره البالغ في تاريخ هاتين المدينتين اما الاحداث السياسية التي ادت الى خلق الاضطرابات في العراق فكانت هي المسئولة عن نشوء المذاهب الدينية المختلفة في تلك البلاد . وحين نقل الخلفاء الامويون عاصمة ملكهم الى دمشق اضفى ذلك على سوريا أهمية خاصة . ومن هذا يتضح أن أهم مراكز ثقافية في الاسلام نشأت في مكة والمدينة بالحجاز ثم في البصرة والكوفة بالعراق ، وفي دمشق بسوريا واخيرا بمصر .

ففي العراق أسس البابليون والآشوريون والكلدانيون والفرس والاغريق ممالك لهم كان العرب يعرفونها ويختلفون اليها قبل الأسلام . وقد غزا المسلمون العراق أيام عمر الذي بنى الكوفة والبصرة ليجعل منهما معسكرين للجنود . ولكنهما سرعان ما اتسعا وتحولا الى مخازن لذخائر المدائن وانتقلت اليهما آثار بابل القديمة وآثار حراء . وحين اختير علي للخلافة كان عليه ان يجتاز مرحلة دقيقة ، وهو الذي نقل عاصمة ملكه من المدينة الى الكوفة . والواقع ان عليا لم يضف أهمية كبيرة على النشاط الثقافي نتيجة للاضطرابات وعدم الاستقرار السياسي . والذي لا شك فيه أن عبد الله بن مسعود كان له أثره في نشر الاسلام في العراق . وكان ذا علم ودين ، ومن القلائل الذين كان النبي يسمح لهم بدخول داره . وقد كلفه عمر بتعليم اهل الكوفة وكان من تلامذته ستة عرفوا بقدرهم الكبير في تاريخ المسلمين هم علقمة والاسود ومسروق عبيدة والحارث بن قيس والحسن البصري . وقد انتقل الى البصرة كثيرون من الصحابه منهم ابو موسى الاشعري وانس بن مالك .

اما سوريا فكانت مهدا لكثير من الحضارات ، فقد شاهدت حضارة الفينيقيين والكلدانيين والمصريين والعبريين والأغريق والرومان . وقد تعلم اهل سوريا كتابة الحروف الهجائية من الفينيقيين والافكار الدينية من العبريين والفلسفة من الاغريق ونظام الحكم والقضاء من الرومان . وقد كان لكل هذا أثره الواضح في تكوين شخصية سوريا التي كان لها بدورها أثرها في نشر ثقافة المسلمين . ومن أوائل المثقفين

المسلمين بسوريا عبيدةومالك وابو الدرداء ، وكانوا قد اوفدوا الى هنـــاك برجاء من يزيد بن ابى سفيان لعمر بن الخطاب لتفقيه الناس فى القرآن والشريعة السمحاء. وعلى يد هؤلاء تخرج جيل من المثقفين منهم ادريس الخولى ومكحول الدمشقى - امام السوريين - وعبد الرحمن الأوزاعى الذى يصفه بعض الفقهاء فى منزلة الامام مالك والامام ابى حنيفة . وعلاوة على ان الخلفاء الأمويين رعوا الشعر وغيره من الفنون فقد عنوا عناية بالغة بالثقافة والمثقفين وكان المسلمون يعيشون بسوريا جنبا الى جنب مع المسيحيين الذين احتفظوا بدينهم الامر الذى ادى الى خلق حالة من المفاضلة بين الدينيين ونقاش لا آخر له بين كبار رجالهم . وكان النقاش يدور بين هؤلاء الناس اكثر ما يدور حول القضاء والقدر والخير والشر وغيرهما من المسائل العويصة . وقد كانت هذه المناقشة بداية ظهور علم المنطق .

واما فى مصر فقد اعتنق كثير من اقباطها دين الاسلام بعد ان غزاها المسلمون . وقد عقدت عدة زيجات بين العرب والمصريين ، ولمركز مصر واهميتها فى المنطقة اصبحت مركزا للنشاط السياسى والنشاط الثقافى على السواء وذلك منذ اول يوم خضعت فيه لحكم المسلمين

وكان النشاط الثقافى فيها مقتصرا على دراسة الدين والعلوم الدينية . وكان طبيعيا أن يلقى الاسلام طابعه الجديد على مصر ولكن هذا لم يمنع من ممارسة الثقافات القديمة ، ثقافة الاغريق وثقافة الرومان ، فقد ظل تأثير هذه الحضارات كبيرا فى مصر وحدها بل فى سوريا والعراق ايضا .

وقد بوغت اهل هذه البلاد عند انتشار الاسلام للتغيير الذى أحدثه فيها ، ولكن عندما خفت حدة هذه المباغتة واستقرت الامور وهدأت الاحوال راح الناس يعيدون تقييم حياتهم ، ولكن الثقافات القديمة لم تستسلم بسهولة بل راحت تعزز من مكانتها . ومع ان القوم كانوا يتكلمون بلغة الاسلام وروح الاسلام الا انهم احتفظوا فى داخل صدورهم بآثار الثقافات القديمة غير الاسلامية . ولم تسد ثقافة المسلمين هذه المنطقة السيادة التامة الا فى اواخر حكم الامويين واوائل ايام العباسيين . وكان قد نزح الى مصر عدد من الصحابة الاكرمين اخذوا فى تعليم الناس وتفقيههم فى امور الدين والقرآن والسنة ، كان منهم عبد الله بن عمرو بن العاص ويزيد بن ابى حبيب - وكان زنجيا - الذى اختاره الحاكم عمر بن عبد العزيز واحدا من قضاة البلد .

الإعجاز الطبي في القرآن الكريم

-٢-

الصيام

الدكتور محمود دياب

جاء فى القرآن الكريم عن الصوم الآية الكريمة الآتية (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كماكتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات) .

قد فرض الله الصيام لأغراض دينية منها تعلم النفس الصبر وتحمل الجوع والعطش ليشعر الصائم بألم الفقير فيتالم له ويتصدق عليه بالطعام ولا يبخل بالزكاة .

وليعرف الشخص معنى الحاجة الى الطعام وهو قادر على أن يجده فيقدر المحتاج الى الطعام وهو غير قادر على ايجاده وربما كان يجخل ولا يسأل الناس الحافا .

ولذلك يسارع المؤمن الى مساعدة أخيه المحتاج دون أن يسأله سواء بطريق الزكاة أو بطريق الصدقة أو غيرهما .

والصيام يعود الانسان النظام والقناعة والصبر وكبح الشهوات .

فوائد الصيام الصحية :

ان الصيام يفيد فى كثير من الأمراض بل هو العلاج الوحيد فى بعضها وهى كما يلى :

١ - اضطرابات الامعاء المزمنة والمصحوبة بتخمر فى المواد الزلالية والنشوية وهنا ينجح الصيام وخصوصا عدم شرب الماء بين الأكلتين وأن تكون بين الاكلة والأخرى مدة طويلة كما فى صيام رمضان واذا أخذ الغذاء المناسب حسب حالة التخمر كانت أنجع طريقة لتطهير الامعاء .

٢ - زيادة الوزن الناشىء من كثرة الغذاء وقلة الحركة ... يأكل كثير من الناس ويسرفون على أنفسهم فى التهام الطعام فيزدادون وزنا ويبطئون فى حركتهم ويزداد وزنهم ولا علاج لهذه الحالة فى الطب الحديث غير الصيام .

٣ - زيادة الضغط الذاتى :

تكثر فى هذه الأيام الانفعالات النفسية وحياة الترف التى يحياها البعض فتزداد متاعبهم وينتج ارتفاع الضغط فى الدم ، والصيام خير علاج لهذه الحالة خاصة اذا كان الشخص من الوزن الثقيل .

٤ - البول السكرى :

وهو ينتشر فى هذه الأيام انتشار ارتفاع ضغط الدم ويكون فى مدته الاولى وقبل ظهوره مصحوبا غالبا بزيادة فى الوزن .

والصيام فى هذه الحالة هو خير علاج اذ ان السكر يهبط مع قلة الوزن ويهبط السكر فى الدم بعد الاكل بخمس ساعات الى اقل من الحد الطبيعى فى حالات البول السكرى الخفيف وبعد عشر ساعات الى اقل من الحد الطبيعى بكثير .

ولايزال الصيام - مع بعض ملاحظات فى الغذاء - أهم علاج فى هذا المرض حتى بعد ظهور الانسولين وغيره لعلاج مرض السكر خصوصا اذا كان هذا الشخص يزيد وزنه عن الوزن الطبيعى له .

٥ - التهاب الكلى الحاد والمزمن المصحوب بارتشاح وتورم .

٦ - أمراض القلب المصحوبة بتورم .

٧ - التهاب المفاصل المزمنة وخصوصا اذا كانت مصحوبة بسمنة كما يحدث عند كثير من السيدات بعد سن الأربعين وقد تحسنت حالات بالصيام أكثر من جميع علاج الطب الحديث من كهرباء وأدوية على مختلف اشكالها وأنواعها .

لقد كتب الله علينا الصيام لا للفائدة التعبدية فحسب بل لان فيه شفاء للناس وللجسم معا .

٣

تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير

جاء فى التنزيل الحميد الآية الكريمة :

«حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به » .

تنص الآية الكريمة على انه يحرم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير ، والحيوان الميت لا يموت آلا لمرض او شيخوخة فاذا مات نتيجة لمرض فانه مما لا شك فيه انه لا زال يحمل فى جسمه بعد الموت موادا غير طبيعية وتسممية ضارة بجسم الانسان الحى حتى بعد أن تعقم من الجراثيم بطريق الحرارة والجسم يشبه فى هذه الحالة الفذاء المتخمر الذى مهما طهر من الجراثيم بالحرارة لا يزال مضرا بالانسان وربما أدي الأكل منه الى الوفاة .

الدم :

وكذلك الدم فانه سائل اغلبه واهم عنصر فيه كريات الدم الحمراء وفيه من افرازات الجسد ما هو معد للافراز بواسطة البول والعرق فالدم مزيج من مواد مفيدة للجسم ومواد تضر اذا لم تفرز واذا كان الحيوان المأخوذ منه الدم مريضا كان شرب الدم أشد ضررا .

واذا بقى الدم فى الحيوان قبل أكله أحدث تفاعلات فى انسجة الحيوان مثل الفضلات ويصبح اكلها غير صالح للاكل .

والميتة بالشيخوخة ضررها كضرر الميتة بالمرض لان الشيخوخة معناها انحلال أحد الأنسجة مقدمة لانحلال اخرى حتى تنحل جميعا

ويصبح الأكل فى هذه الحالة أكلا لأنسجة مريضة متحللة .

لحم الخنزير :

ويصاب لحم الخنزير كثيرا بطفيليات وينقل من الأمراض التى ثبتت أخيرا مثل التينيبيا كما آن الحيوان الوحيد الذى يصاب بالتركينا هو الخنزير والتركينا نوع خطر من الديدان لآنه اذا آصيب به الانسان احدث تسمما عموميا واسهالا مثل الكوليرا وقد يؤدى الى الوفاة .

ولحم الخنزير المصاب بهذا المرض لا يمكن تطهيره من المرض بسهولة وعملية السلق البسيطة آو الشي لا تكفي بل يجب أن تظل اللحوم على النار مدة لاتقل عن نصف ساعة علي الأقل لتطهيرها واذا كانت الاصابة شديدة كانت اللحوم غير صالحة للتغذية حتى بعد تطهيرها لآن الحيوان يكون فى حالة تسمم عام .

من هذه الآية الكريمة يمكن الاستدلال على ما فيها من اعجاز طبى سبق العلم الحديث بمئات والف من السنين .

كشف تاريخى هام

نشرت صحيفة الاهرام الغراء بالعدد الصادر فى يوم الخميس ٢٨ يناير سنة ١٩٣٧ الخبر الآتى

« حياة النبى موسى والبحث عنها »

فى مصر

« من زائرى مصر الان الاستاذ لويس جولدنج الروائى الانجليزى المعروف ، قد جاء مصر باحثا منقبا عن سيرة النبى موسى وتاريخه ومولده ، لانه ينوى وضع مؤلف عنه .

وقد علمنا انه سيقابل لهذه الغاية الاستاذ الاكبر الشيخ مصطفى المراغى ، وغبطة الانبا يؤانس ، وسيادة الحاخام الاكبر وغيرهم لمعرفة المكان الذى ولد فيه موسى ، وأين القى فى نهر النيل ، والمكان الذى عبر منه البحر ، وغير ذلك من المعلومات التى تتعلق بحياة ذلك النبى العظيم فى مصر » .

× × ×

وكنت ممن سئل عن هذه المعلومات التاريخية الهامة عند اشتغالى بالقسم الادبى بدار الكتب المصرية فى تحقيق وتصحيح مطبوعاتها التى كانت اساسا للنهضة الادبية ونشر الوعى الثقافى الادبى فى مصر وغيرها من بلاد الامم العربية والدول الشقيقة ، وغيرها من بلاد آسيا وافريقيا .

وقد انفردت بعمل الفهارس الوافية المطلوبة لهذه الكتب فى ذلك العهد وخصص لى مديرها حينئذ السيد الاستاذ محمد اسعد برادة العمل فيها حتى لا يتعطل عملى الرسمى فى الصباح فى تحقيق وتصحيح هذه الكتب القيمة : كاجزاء كتاب الاغانى لابى الفرج الاصبهانى ، وعيون الاخبار لابن قتيبة ، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، واسمى مكتوب عليها . وقد حازت هذه الفهارس - والحمد لله شكرا - اعجاب العلماء والباحثين شرقا وغربا . وعلى ضوئها عممت فى جميع المطبوعات الحديثة بالجمهورية العربية المتحدة .

تعيين المكان الذى عبر منه النبى موسى عليه السلام البحر !

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى

وقد بحثت طويلا فى كثير من المراجع لعلى احقق بعض مانشر فى صحيفة الاهرام ولكنى لم اوفق « وما توفيقى الا بالله » على نص تاريخى فى ذلك العهد لتعيين هذا المكان .

وقد مرت هذه السنون الطويلة ولم يوفق احد من العلماء الباحثين ، والمؤرخين المعاصرين حتى الآن عن المكان الذى عبر منه النبى العظيم موسى عليه السلام البحر .

وقد وفقت - بعون الله تعالى وتوفيقه - الى هذا المكان بعد طول البحث ، وكثرة التنقيب فى ثنايا صفحات اكبر موسوعه عربية اسلامية ، فى العلوم والفنون والاداب . للعلامه المؤرخ الحجة الثقة « القلقشندى » فى موسوعته الخطيرة « صبح الاعشى » الذى يحدثنا عنه فى هذه الموسوعة : مما لايدع مجالا للشك ، او الريب .

وقد كتبت عدة مقالات عن هذه الموسوعة الجليلة . ومؤلفها النابغة العبقرى . والذكى الاروع نشرت على صفحات هذه المجلة « منبر الاسلام » التى تعد الان اكبر مجلة عربية اسلامية ، لنشر الوعى الثقافى الادبى والدينى فى الشرق . وكتابها من قادة الفكر العربى الاسلامى .

فقد ذكر فى كلامه على حدود مصر « ج ٣ ص ٣١٥ » مانصه :

« وحدها الشرقى يبتدىء من آخر هذاالحد . ويمتد شمالا . وبحر القلزم « البحر الاحمر » شرقية الى عيذاب الى القصير ، الى القلزم . الى السويس .

ثم ياخذ شرقا عن بركة الغرندل «بضم الغين المعجمة والراء المهملة وسكون النون ثم دال المهملة ولام » التى اغرق الله تعالى فيها فرعون من بحر القلزم ، الى «تيه » بنى اسرائيل ... الخ

وذكر المؤرخ الجليل الحجة الثقة ابوالفداء فى كتابه : « تقويم البلدان » - ص ٢٥ طبع باريس سنة ١٨٤٠ - عن « بركة الغرندل » مانصه :

× × ×

« وبحر القلزم اذا تجاوز القصير اتسع الى جهتى الجنوب والشرق حتى يكون اتساعه سبعين ميلا وتسمى تلك البقعة المتسعة : بركة غرندل » .

والقصير : مدينة مصرية معروفة الى الان ، على ساحل البحر الاحمر « القلزم » تجاه قوص .

وقوص : مدينة مشهورة بالصعيد الاعلى ، خرج منها كثير من العلماء الاجلاء .

فيؤخذ مما قاله المؤرخان الجليلان : « القلقشندى » و « وابو الفداء » ان المكان الذى عبر منه النبى المعظم موسى عليه السلام البحر هو تجاه « بركة الغرندل » بعد مدينة القصير .

وخروج النبى موسى عليه السلام كان فى زمن « منفتاح » وهو الولد الثالث عشر لرمسيس الثانى من الاسرة التاسعة عشرة . وهو فرعون الخروج الذى كان فى زمن موسى عليه السلام .

ووالده رعمسيس الثانى الذى اضطهد بنى اسرائيل وولده فى زمنه .

× × ×

ومنفتاح هذا هو الذى عاصر موسى فى بيت ابيه ، وهو الذى قال لموسى كما ورد فى القرآن الكريم : « الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين » .

والعثور على جثة « منفتاح » فى قبر « امنتحب الثانى » بالاقصر . ووجودها الان بالمتحف المصرى لاكبر دليل ، واقوى برهان ، واعظم مصداق لقول الله تعالى فى كتابه الكريم : « فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية » .

× × ×

وفى « الاطلس التاريخى » للاستاذ محمد رفعت رسم بين فيه طريق عبور بنى اسرائيل وهو بين السويس وبين البحيرة المرة . ووضح هذا بخطين يدلان على ان خليج السويس كان متصلا بالبحيرة المرة .

واختلف المؤرخون فى المكان الذى عبر منه «منفتاح» وقومه يتعقب بنى اسرائيل ، فمنهم من يقول : ان العبور كان من « بركة فرعون » وهى من السويس .

ومنهم من يقول : انهم عبروا بمكان شمالى المكان المعروف ب « عيون موسى » فى البر الاسيوى .

وفى « قصص القرآن » للمؤرخ الجليل المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار تفصيل واف لهذه القصة المثيرة « راجع ص ١٥٥ - ٣٠٢ - الطبعة الخامسة .

هذا ما وفقنى الله اليه « وما توفيقى الا بالله » .

من أعلام المعاصرين

عبد الوهاب عزام

الأستاذ أنور الجندي

تعطى حياة « عبد الوهاب عزام » صورة من صور الكرامة والعزة والخلق فى مجال حياتنا الفكرية والعلمية، هذا الرجل العالم المؤمن بالله ، العامل فى حقل الجامعة والسفارة الاسلامية والرحلة ودراسة أعلام النهضة والذى تتسع نظرته الى الايمان بالأمة العربية والاسلام وتتوفق فى الربط بين أجزاء العالم الاسلامى فهو القادر على أن يقرأ ويبحث فى العربية والفارسية والتركية ، وهو المسافر القاصد الى أقصى أجزاء كراتشى واستانبول ومكة وبغداد ودمشق وفى كل مكان يستطيع أن يستعيد تاريخ العرب والمسلمين .

واذا كنت قد عايشت أمثال هذه الشخصيات وسايرتها فى حياتها طويلا فاننى دائما أذكره حين أذكر مصطفى عبد الرازق ، فى الحياء والكرامة والخلق ، وحين أذكر أمين الرافعى فى الايمان والنبوغ ، وحين أذكر عبد العزيز الثعالبى فى الرحلة والجولات فى العالم الاسلامى ، وعبد الحميد العبادى فى سمت العلماء المترفعين عن الصيحات الداوية ، وهو واحد من طائفة قليلة عاشت فى محيط الجامعة المصرية فى ابان معركتها بين القيم الأصيلة والقيم الوافدة ، وقد استطاعت هذه الطائفة أن تثبت على ايمانها ، وهو شبيه فى نفسى بصورة « رفاعه رافع الطهطاوى » امام البعثة المصرية الاولى الى أوربا ، ذهب معها مؤذنا واماما فسبقها واستطاع اسمه أن يلمع فوق كل لمعان ، وكذلك كان عبد الوهاب عزام حين ذهب الى لندن فاستطاع بجده وايمانه أن يدرس وأن يتصل بالجامعة وأن يصل فيها الى أرقى الدرجات وهو ابن الأزهر أولا ومدرسة القضاء الشرعى ثانيا ، غير أنه استطاع أن يشق طريقه الى الدراسات العليا وأن يجيد الانجليزية والفرنسية ثم التركية والفارسية .

ولم يكن عبدالوهاب قبل ذلك فى بلده الشوبك الغربى من مديرية الجيزة الا واحدا من أهل هذه القرية المجاهدين الذين قاوموا الاستعمار البريطانى أشد مقاومة وكانت قريتهم ضحية من ضحاياه حيث لقيت هذه القرية من الاضطهاد والتحريق والابادة ما جعلها تفخر على التاريخ بأنها كانت قوة ضخمة فى وجه الغاصب .

ومن هذه القرية ، وفى هذا المجال ، تكون عبد الوهاب عزام واستطاع أن يصبح علما من أعلام الفكر والأدب وأن يشق طريقه فى جامعة القاهرة عميدا لكلية الآداب ، ثم وزيرا مفوضا فسفيرا فى السعودية وفى الباكستان وأول مدير لجامعة الرياض . وهو منذ ١٩٢٠ عندما تخرج فى القضاء الشرعى حتى توفى فى ١٨ يناير ١٩٥٩ وفى خلال أربعين عاما قدم للفكر العربى الاسلامى وللامة العربية والعالم الاسلامى نموذجا حيا من « الانسان المثقف » الذى يجمع بين الخلق والعلم ، وبين النبوغ ونبالة الشمائل ، وكان خلقه هو الضوء الكشاف الذى يثير الوهج حول شخصيته أينما ذهب . فهو متصوف زاهد فى لذات الدنيا لا يكاد يوليها اهتماما ، وهو عالم قادر فى كل ما يتعلق بالتراث العربى الاسلامى فى آداب الفرس والترك ، وهو الذى كان يدعو من خلال فلسفة واضحة المعالم الى اعادة المزج بين العروبة والاسلام بعد أن اتخذ التغريب منها قضية لتمزيق الوحدة بين الامة العربية والعالم الاسلامى . وكان حريصا على أن يقضى على دعوات الشعوبيين فى النظرة الي التفاخر فى الأدب العربى ومن ذلك عبارته « ينبغى الاحتراس من أن يفسر بالعداوة ما أثر من تنافس وتفاخر ومهاجاة بين قبيلتين فى أمة أو أمتين متجاورتين أو متشاركتين فى جامعة من الدين وان أدى هذا التناظر والتنافس الى العداوة والحرب »

وقد اتخذ عبد الوهاب عزام من داره مجلسا للعلم والأدب ، يؤمه صفوة من الاعلام فيسمرون فى حديث طلى يربط بين الرحلة والتاريخ والأدب ، وتتخلله صور صوفية فى أناشيد جلال الدين الرومى أو محمد اقبال وقد كان يحبهما عزام حبا لا حد له . وله الى ذلك دراسات عن شاعر الاسلام التركى محمد عاكف .

ولقد كانت فرصة اقامته فى باكستان سبيلا الى ترجمة شعر اقبال وكتابة سيرته ، والارتباط به برباط الروح.

ولقد كان حديثه شيقا ، سواء فى بيته بين أصحابه ، أو فى مدرج الجامعة ، وكان هو رقيق الحاشية جم التواضع .

وكان اطروحته فى الدكتوراه عن الشاهنامة الفارسية، فقد أحيا الشاهنامة للفردوسى وكانت قد ترجمت أيام المماليك الى اللغة العربية ثم أهملت فأتم ما بها من نقص وصحح الترجمة القديمة وجعلها ملائمة للاصل الفارسى. وهو أول أستاذ للغة الفارسية فى الجامعة المصرية وأول مصرى علم هذه اللغة فى مصر فى العصر الحديث ، وكان المامه بالتركية قويا ، فلما قصد الى باكستان استطاع أن

يحذق اللغة الاوردية ويترجم منها شعر اقبال الى اللغة العربية على نفس مستواه فى لغته .

وقد نقل الى العربية روائع الثقافات التركيةوالفارسية والاوردية وهى كلها ذات مصدر واحد هو الفكر الاسلامى .

وله دراسات عن فريد الدين العطار ، والمثنوى ، وقد عنى بالمتنبى بمناسبة مرور الف عام على ذكراه ، فنشر ديوانه مع دراسة وافية . وله دراسة عن كليلة ودمنة ومجالس السلطان الغورى وله بحث عن تركستان : هذه الولاية التى لم يكن يذكرها الباحثون من قبل ، وفيها أبان عن اصالتها فى الثقافة الاسلامية .

وكان الى ذلك عضوا فى المجامع العلمية فى مصر وسوريا والعراق وايران . وكان ابن بطوطه العصر ، وله رحلات عديدة مبكرة فى العالم العربى وآسيا وأوربا كان يرسل خلالها رسائل الى احدى كريماته فيحدثها عن الرحلة والطريق ويقدم لها جانبا من التاريخ والثقافة .

ولقد تابعت آثار عبد الوهاب عزام خارج مؤلفاته المطبوعة ، فوجدت حشدا ضخما من الآثار المنثورة فى المجلات واهمها الرسالة والثقافة . ولعل ابرزها بحثه عن اخلاق القرآن ، ودراسته « أمم حائرة » فى اربعة عشر فصلا نشرها فى الرسالة « مجلد ١٩٤٩ » تناول فيها الأسرة والمدرسة والمراة ، والايمان بالله ، والعدل ، والحضارة الغربية ، والمادة والروح وعرض فيها لحيرة الانسان الحديث وردها الى مصدر واحد هو ضلال الانسانية .

وهذه نظرته وفلسفته :

« ان هذا الصخب المحيط بنا ، وهذا القلق المستكن فى أنفسنا ، والظاهر فى كثير من معايشنا ونظمنا وشرائعنا وأمورنا ، وهذه الحيرة الدائرة بالناس على غير طريق الى غير غاية ، كل ذلك مرده الى فقد السلام فى النفس الواحدة ، وبين الأنفس المتعددة ، ولا سبيل الى السلام الا بالعدل ، يجمع الناس على شرائع من الحق ، وسنن من الخير ، والبر ، ومرجع العدل هو الايمان بالله ، الايمان الذى يعظم النفس ، ويرفعها عن الدنايا وسفساف الأمور وعن الأهواء ، نحن فى عالم تتصادم آراؤه لأنها لا ترجع الى أصل يوحد بينها ، ولا منجاة من التصادم الا بالسمو عن الأهواء الى الحق ، وعن الظلم الى العدل »

وهو يرى أننا نعيش اليوم « فى مدنية عجيبة لم يعرفها تاريخ العالم من قبل ، هى مدنية تسيطر عليها الآلات الدائرة ، كل هذه الاعاجيب من الآلات السائرة والطائرة ، يسخرها الانسان ، ولكنها هى كذلك تسخر الانسان ، وتذهب بكثير من سعادته وسلامه » .

ويحاول من خلال بحثه المطول العميق الوصول الى نتائج فيقول :

« ان علينا أن نسيطر على الخليقة ونسخرها كما نشاء جهد طاقتنا ، وان علينا أن نسير الحياة بعقولنا وعلومنا ، ان الحر يفكر ويقول ويفعل ، كان ارادته من قضاء الله وجهاده من قدرة الله ، ساخرا لسلطان الزمان والمكان ، ليخلق تاريخنا وينشىء جيلا ويغير الزمان والمكان ، وهل خلد فى تاريخ البشر الا من تصدى للباطل يدفعه بالحق وللشر يغلبه بالخير ، وهل دعا نبى أو نادى مصلح الا لصد التيار الجارى ، ورد الأحداث السائرة ، وتغيير السيرة الفاسدة ، ان الذى يريح نفسه وعقله من تكاليف الاصلاح ومشقة الجهاد يساير الزمان ويحتج بالمكان ، ويمضى مع الماء والريح ولكن لله خلقا يحملون كل عبء ، ويعانون كل مشقة ، ويستصغرون كل هول ، ليثبتوا بالحق وفى الحق ، على مضى الايام والساعات والدقائق والثوانى ، كالطود فى مجرى السيل والحق فى معترك الاباطيل ، وسيمضى الاحرار لا العبيد ، يقولون ويفعلون ويجاهدون حتى يبلغوا غايتهم او يقضوا نحبهم على السبيل قاصدين » .

ولاشك فى ان تعطى هذه المعانى جوهر «عبدالوهاب عزام» ليس اديبا ولا باحثا فحسب ، وانما رجل دعوة واصلاح يؤمن بامته وقيمها وفكرها ويحمل لواء الدعوة الى التجديد والنهضة والعمل من أجل ابلاغها مكانها الحق .

وهو من اجل هذا يدعو الى العمل الخالص المجرد لوجه الحق وحده . يقول للكاتبين : « أريد أن يؤدى الكاتب أمانته وبين عقيدته ، غير حاسب حساب السوق ، أريد ان يعلو الكاتب ما مكنه طبعه ، وان يدق ماشاء له فنه ، لا يعنيه الا ان يؤدى واجبه على الوجه الاكمل ، لا ادعو أن يصير الأدباء فنا واحدا فى البيان واسلوبا عاليا فى الكتابة ، ولكن اخشى ان تذهب السرعة بالاتقان ويمحن الكتاب حتى يرى حسنا ماليس بالحسن » .

وفى بحثه عن اخلاق القرآن يصور منزلة القرآن من نفسه ومن الحياة فيقول « القرآن الكريم كنز من الأخلاق لا يفنى ومنبع لفضائل لا تنضب ، فليت المسلمين يرجعون اليه ليتبينوا سنته ، ويتخلقوا بأخلاقه ، ويتأدبوا بآدابه ليكون لهم عصمة فى هذا العصر المفتون ، وقبسا وعزا من هذا الذل ، واجتماعا من هذه الفرقة ، وعلما من هذه الجهالات الا أن كتاب الله الكريم لا يدعو الى اخلاق الصوامع ، ولكن يدعو الى اخلاق تسعد الناس فى معارك الحياة »

وهكذا تبدو صورة « عبد الوهاب عزام » من خلال آثاره ، يمتزج فيها العلم بالخلق ، والنبل بالفكر ، فهو عالم ونموذج من نماذج العلماء الأبرار الذين تخلقوا القرآن والاسلام ، واستطاعوا أن يكتبوا صفحة من صفحات البحث العلمى والخلق الانسانى .

واذا ذهبت أتعمق هذا المعنى استطعت أن أصل فيه الى كثير ، فقد طبق عبد الوهاب عزام خلقه فى بيته واسرته ، وكون كريماته على ذلك الخلق ، فاسس بذلك نماذج من المراة العربية المسلمة فى ثقافتها وايمانها وخلقها اسعدت كل من اتصلت به ، وانتجت نماذج جديدة من الشباب . وهذا هو الفرق بين العلم على أطراف اللسان ، والعلم فى أعماق القلب ، عندما يتحول الى خلق وحياة وصدقت السيدة عائشة حينما ارادت أن تصور الرسول فقالت « كان خلقه القرآن » .

ولا ننسى فى ختام القول ان نذكر ندوة قبة الغورى التى كان يديرها عبد الوهاب عزام ويجتمع فيها صفوة من اهل العلم والفضل ولقد صوره الدكتور طه حسين فى صورة رائعة حين قال « لم أعرف احدا كان اخف منه روحا ولا اسمح نفسا ولا اسجح خلقا ولا ارجح حلما ، حديثه طرفا كله حين يمزح وحين يجد ، كان يؤمن بان وطنه هو ارض العرب كلها ، ليس مصريا فقط ، وهو مسلم مخلص سمح مؤمن بان كل بلاد الاسلام وطن له ، ولقد كانت حياته بين اصدقائه فكاهة متصلة ودعابة حلوة ، حلو الروح ، عذب الحديث ، مشرق اللفظ ، محببا الى النفس »

مقارنة الأديان

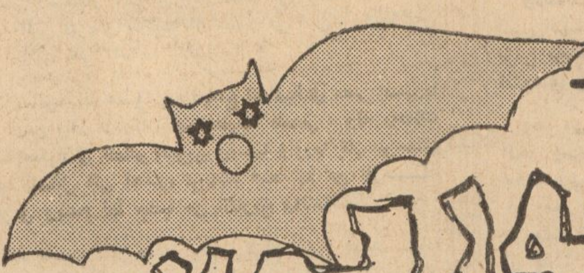

اليهودية

الدكتور أحمد شلبي

١٤

مقـدمة :

فى المقال السابق تحدثنا عن معبودات بنى اسرائيل غير «يهوه» كما تحدثنا عن يهوه ، اشتقاقه وصفاته ، وفى مقال اليوم نتحدث عن مراحل عبادته :

مراحل عبادة يهوه :

عبادة يهوه مرت بثلاث مراحل رئيسية هى .

١ ـ عبادته قبل بناء الهيكل .

٢ ـ عبادته فى الهيكل .

٣ ـ عبادته بعد تدمير الهيكل .

وسنتكلم عن كل من هذه المراحل على حدة .

١ ـ يهوه قبل الهيكل :

تبدأ المرحلة الأولى من عبادة « يهوه » عندما دعا موسى بنى اسرائيل لعبادته ، وكان يهوه عند موسى هو الاله الواحد ، رمز له باسم « يهوه » على ماورد فى المقال السابق عند الكلام على اشتقاق الكلمة ، ولكن بنى اسرائيل لم يستجيبوا لموسى استجابة حقيقية ، وسرعان ما عبدوا العجل فى حياة موسى وبعده وعبدوا كذلك الحية المقدسة وفى عهد القضاة « عاد بنو اسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة آدام وآلهة صيدوم وآلهة مؤاب وآلهة بنى عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه » كما ورد فى سفر القضاة .

وفى مطلع عهد الملوك يقص الكتاب المقدس أن زوجة داود واسمها ميكال كانت تعبد تماثيل على صورة البشر يرمز بها الى الله ، وقد أخذت الترافيما « احد هذه التماثيل » ووضعته فى الفراش لتوهم أعداء داود أن داود نائم فى الفراش ، بينما عملت على تهريب داود من رسل شاول الذين كانوا يبحثون عنه ليقتلوه .

٢ ـ يهوه مع الهيكل :

أما المرحلة الثانية فهى مرحلة ارتباط يهوه بالهيكل ، فان داود جاء واتخذ اورشليم عاصمة له ، ثم جاء سليمان وبنى الهيكل بها ، وتركزت عقيدة بنى اسرائيل حول الهيكل ، واعتبر الهيكل مقر الهتهم الذى طالما دعاهم له الأنبياء والذى سموه « يهوه أو ياهو » وكان تجديد الهيكل وتجسيمه وزخرفته من دواعى استجابتهم لهذا المعبود الذى طالما نفروا منه ، واصبح الهيكل فى الواقع رمزا لكل ما كان يدور بخلدهم من معبودات فهو ليس بعيدا عن الأحجار والأصنام ، وهو مسكن الأرواح ، وبه المذبح حيث رأس العجل الذى ذكرنا من قبل أن قائد سليمان قتل وهو ممسك بقرونه مستجيرا به .

وهكذا نشأت الوحدة السياسية فى ايام داود وسليمان، وتركزت العبادة فى الهيكل فى أورشليم ، فأخذ الدين يردد أصداء التاريخ والسياسة وأمسى يهوه اله اليهود الأوحد الذى يعلو على آلهة غيرهم من البشر ، ويعتقد الباحثون فى تاريخ الأديان أن هذا الهدف الذى قال به اليهود لم يكن لغرض دينى ، وانما كان لغرض دنيوى فكان القصد منه توحيد فكر اليهود لتثبيت دولتهم والمحافظة عليها .

وهكذا ارتبط اليهود بيهوه ، ولكن ما مدى هذا الارتباط ؟

ان الاجابة عن هذا السؤال تستدعى شرحا مطولا نوعا ما ، لنقطتين هامتين هما :

أ ـ خص اليهود أنفسهم بيهوه ولم يسمحوا لغيرهم بعبادته أو الدخول فى ديانته .

ب ـ اعترف اليهود لغير اليهود بآلهة يعبدونها ، بل لم يقنع اليهود فى أكثر أحوالهم بيهوه وراحوا يعبدون آلهة هؤلاء ، وفيما يلى مزيد من الشرح لهاتين النقطتين :

١ ـ فعن النقطة الأولى : نقرر أن الوصية الأولى من الوصايا العشر تساعد على هذا الفهم ، فيهوه فيها يقول كما جاء فى سفر الخروج « أنا الرب الهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى امامى » ففى هذه الوصية لم يقل يهـوه انه هو الاله الوحيد فى العالم ، بل اكتفى بأن يقول ان بنى اسرائيل يجب ألا يكون لهم آلهة سواه ، فشعب اسرائيل لم يعرف الاله الواحد اله الخلق أجمعين ، لم يعرف هذا الاله ولم يعبده ولم يثبت على ميثـاقه ، وانما كان يعبد الهـا يسميه اله اسرائيل ، ويحسب أن هذا الاله يميزه ويختاره على عامة الخلق لغير طاعة ولا ايمان ، ولا فضـيلة ولا احسان ولكنها وثيقة كتبها شعب اسرائيل على الهه منـذ القدم ، وهذا الاله مسؤول عنها كما يسـأل المدين عن القرض ورباه ، لقد كان الههم اله عشيرة واحدة يسميها عشيرته وشعبه وتسميه هى ربها والاهها دون العالمين .

وتبعا لذلك كان ممنوعا على غير اليهود أن يقبلوا فى الجماعة اليهودية وأن يدينوا بالولاء لرب بنى اسرائيل ، فقد نصت التوراة على ما يلى : « لا يدخل عمونى ولا مؤابى فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر ، لا يدخل منهم احد فى جمـاعة الرب الى الأبد » ولذلك يرى بعض الباحثين أن الديانة اليهودية ليست دينـا تبشيريا ولا انسانيا عاما ، وان بنى اسرائيل كانوا يعتبرون الديانة ديانتهم والاله خاصا بهم ، وان دخول غير اليهود فيها لم يكن تبشيرا بها ، وانما كان من باب السـماح لمن يريد بنفسه وبدون دعوة أن يدخل فى جماعة الرب بشرط مرور عدة أجيال ، وفى بعض الحالات نرى الكتاب المقدس يسد باب الله ودينه أمام بعض الناس الى الأبد .

واستكمالا لهذه النقطة يجدر بنا أن نبين الى أى مدى كانت اليهودية ديانة عنصرية ، فقد ورد فى كتاب « المطالعات فى الاديان العالمية » أن ديانة اليهود ذات ارتباط بشعب معين ، كما يؤخذ من تسميتها اليهودية أو العبرية ، وهى لهذا تشبه الهندوكية « ديانة اليهود » فى أنها ديانة مقفلة أى ليست من ديانات الدعوة ، وليست الا تعبيرا طبيعيا لشعب خاص وجزءا من ثقافة اجتماعية لا تتقبل الغرباء ، والذى يقرأ الأسـفار كلها لا يجد فيها ما يدل على أن موسى أو بنى اسرائيل كانوا مامورين بدعـوة غيرهم الى ديانتهم ، وكل ما فى الأسـفار منصب على كون الديانة اليهودية ديانتهم الخاصة ، وكون الرب ربهم الخـاص ، ويميل كثير من المفكرين اليهود الى مزيد من تضـييق الدائرة ، فلا يعدون يهودا الا أولئك الذين يعيشون فى فلسطين ويعتبرونها وطنهم وان بعـدوا عنها للضرورة ، فاليهودية بهذا تتساوى مع الصهيونية التى سـبق أن أشرنا اليها .

وقصر اليهود ديانتهم عليهم ، وأنفتهم من اشراك غيرهم فى الانتساب اليها نوع من الانانية والاحساس بالتعـالى والامتياز ، يرفع قدرهم عن باقى البشر ويجعـل من سواهم همجا أو شبه أنعام « جوييم » أما أولئك الذين تسربوا الى اليهودية من غير بنى اسرائيل فسرعان ماعدهم اليهود اجزاء من بنى اسرائيل وأطلق عليهم لقب « اليهود » فكانهم ينحدرون من يهوذا ، وبهذا اختلطت عندهم الديانة بالنسب .

وقد عاب العالم على المانيا النـازية جانبها العنصرى واعتبارها الشعب الألمانى أفضل شـعوب البشر ، والصهيونية لا تختلف من قريب أو من بعيد عن النازية فى هذين الاتجاهين ان لم تزد عنهـا ، ويقول « ارنولد توينبى » ان أشهر الذين يزعمون أنهم شعب مختار هـم اليهود ، فالحركات الصهيونية والنازية سواء فى ادعاء هذه الصفة العنصرية ، وان الحركة الصهيونية قد جمعت بين جنبيها أسوأ ما فى الحضارة الغربية من اسـتعمار وقومية عمياء .

٢ ـ وعن النقطة الثانية يقول « بيرى » لم يكن لدى العبرانيين تصور للعالم ولهذا لم يصلوا الى تصور الـه غير محدود ، ولقد كان عالمهم محـدودا ، وكان الههم محدودا ، وبناء على هـذا كان الاسرائيليون يؤمنون بأن للشعوب آلهة أخرى ، ويوضح الكتاب المقـدس أن بنى اسرائيل عبدوا أنواعا من هذه الآلهة ، وقد ندد بها ارميا فى سفره ، ومنه نقتبس بعض النصوص .

ـ اسمعوا كلمة الرب يا بيت يعقوب وكل عشائر بيت اسرائيل ، هكذا قال الرب : ماذا وجد فى آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عنى وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا .

ـ وحين تقولون لماذا صنع الرب الهنا كل هذه ؟ أقول لكم : كما أنكم تركتمونى وعبدتم آلهة غريبة فى أرضكم .

ـ يقول الرب أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذبا وتبخرون للبعل وتسيرون وراء آلهة أخرى .

ـ يقول الرب : ان آباءكم قد تركونى وذهبـوا وراء آلهة أخرى وعبدوا وسجدوا لها ، واياى تركوا وشريعتى لم يحفظوها ، وأنتم أسأتم فى عملكم أكثر من آبائكم ، وها أنتم ذاهبون كل واحد وراء عناد قلبـه الشرير حتى لا تسمعوا لى .

ومع وجود الهيكل فى عهد سليمان كانت عبادة آلهة الأجانب منتشرة وينسب العهد القديم لسليمان نفسه انه أقام مذابح للآلهة الخارجية التى كانت تعبدها زوجاته الاجنبيات ، فبنى مذبحا لعشتروت رجاسة الصيدونيين ، ولكموش رجاسة المؤابيين ، وملكوم الهة بنى عمون وعقب موت موسى انقسم ملكه بين ابنيه يربعان ورحبعام وهذا التغير فى تاريخ العبـرانيين صحبه تغير فى عقيدتهم ، فاسرائيل فى الشمال كانت دولة غنية حظى سـكانها بالاستقرار ، وقبلوا عادات الكنعانيين وعبـدوا الهتهم « بعل » ، أما دولة يهوذا فى الجنوب فكانت دولة فقيرة يشتغل سكانها بالزراعة والرعى وظلوا على تبعيتهم لالههم يهوه ، اله الفقراء والى هذه الفترة ينسب الأنبياء ، وقد صنع يربعام عجلين من ذهب ووضع احدهما فى بيت أيل وثانيهما فى دان وبنى عندهما مذابح وقال لشعبه : هذه آلهتكم التى أصعدتكم من مصر ، فاذبحوا وعيدوا عندها ولا تصعدوا الى أورشليم فاستجاب له الشعب .

وقبيل عهد الملك يوشيا كان الهيكل مملوءا بالمعبودات والأصنام التى تمثل بعل ومولك والشمس والقمر وكل أجناد السماء وكان الشعب يسجد لها ، وقد قام هـذا الملك بكثير من الاصلاحات فدمر هذه المذابح وأخرج هذه الآلهة من الهيكل ، وكان يقصد بذلك أن يعيد الشـعب الى عبادة يهوه ولكن قليلا من استجاب له .

وعن الملك أخزيا بن الملك أخآب يقول الكتاب المقدس : وعمل أخزيا الشر فى عينى الرب وسار فى طريق أبيـه وطريق أمه وطريق يربعام ، وعبد البعل وسجد له وأغاظ الرب اله اسرائيل ، حسب كل ما فعله أبوه .

ونما سلطان الكهنة وانتشرت التربية الدينية ، ولكن ذلك لم يكف لتحرير عقول العبرانيين من الخرافات والاوهام ومن عبادة الاوثان . بل ظلت قلل التلال والحراج مأوى

الآلهة الأجنبية ، ومشهدا للطقوس الخفية ، وظلت جماعات كبيرة من الشعب تسجد للحجارة المقدسة ، أو تعبد بعل وعشتروت ، أو تتنبأ بالغيب على الطريقة البابلية أو تقيم الانصاب وتحرق لها البخور ، أو تركع امام الحية النحاسية أو العجل الذهبى ، أو تملأ الهيكل بضجيج الحفلات الوثنية .

٣ – يهوه بعد الهيكل :

هذه هى المرحلة الثالثة من مراحل عبادة يهوه ، وقد صاحبت هذه المرحلة الأسر البابلى ، فقد فكر اليهود ، اين يهوه الآن بعد أن تحطمت المدينة المقدسة وأحرق الهيكل ؟

لقد بدا لهم أن يهوه كان معهم فى الأسر ، ولكن ألا يزال يهوه مع الذين تخلفوا منهم فى فلسطين ؟ والم يسر يهوه مع من ساروا منهم الى بلاد أخرى فى الشمال والجنوب والشرق والغرب ؟ وكانت اجابتهم على ذلك بعيدة المدى فى الفكر اليهودى ، فقد أصبحوا يعتقدون أن يهوه مع كل منهم أنى كان ، ومعنى هذا أن يهوه فى كل مكان، وتعد تلك خطوة هامة فى تاريخ العقيدة الاسرائيلية ، فانها دفعت الاله عن أن يكون محدودا فى مكان لا يتعداه ، وتخطت به قيود التجسيم الى حد ما .

نداء الوحدانية عند أشعيا :

تلك هى مراحل الارتباط بين بنى اسرائيل وبين الههم يهوه ، وفى خلال الأسر البابلى هب أشعيا بدعوة جديدة كانت تطويرا للمرحلة السابقة ونجد فيها ملامح الوحدانية الحقة ، اذ أخذ يتحدث عن اله لا عهد للاسفار به ، انه الاله الواحد ، اله العالمين ، خالق الكون ورازقه ، المحب العطوف ، الذى لا يهوى التدمير ولا يحب الأذى ، وتبعا لذلك هاجم أشعيا الأصنام ، وسفه عبادتها ، تعال بنا نورد فيما يلى فقرات من هذا السفر لتفصل لنا هذا الاتجاه الجديد .

– أنت هو الاله وحدك لكل ممالك الأرض ، أنت صنعت السموات والأرض ، ان ملوك أشور قد خربوا كل الأمم وأرضهم ، ودفعوا آلهتهم الى النار ، لانهم ليسوا آلهة ، بل صنعة أيدى الناس خشب وحجر ، والآن خلصنا يا رب لتعلم ممالك الأرض أنك أنت الرب وحدك

هو الله الجالس على كرة الأرض ، الذى ينشر السموات كسرادق . ويبسطها كخيمة للسكن ، الذى يجعل العظماء لا شيئا ، ويصير قضاة الأرض كالباطل ، فبمن تشبهون الله فيساويه .

– هكذا يقول الرب خالق السموات وناشرها وباسط الأرض ونتائجها ، معطى الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحا ... أنا الرب هذا اسمى ومجدى ، لا أعطيه لآخر .

– أنا الأول وأنا الآخر ولا اله غيرى ، كل شيء أنا أعلم به .. أنا الرب صانع كل شيء ، ناشر السموات وحدى ، باسط الأرض ، من معى ؟ مبطل آيات المخادعين، ومحمق العرافين ، مرجع الحكماء الى الوراء ومجهل معرفتهم ، مقيم كلمة عبده ومتمم رأى رسله .

– أنا الرب وليس آخر ، لا اله سواى ، أنا الرب وليس آخر ، مصدر النور وخالق الظلمة ، صانع السلام ... أنا صنعت الأرض وخلقت الانسان عليها .

– أنا الأول وأنا الآخر ، ويدى أسست الأرض ويمينى نشرت السموات أنا ادعوهن فيقفن معا .

وقد سبق أن تحدثنا عن أشعيا ودعوته الا للمسالمة ، وامتداحه لقورش وحثه بنى قومه على الطاعة له ، وقد اتهم من أجل هذا بانه خائن لوطنه ، وهناك بعض المفكرين يربطون بين اتجاه أشعيا السياسى واتجاهه الدينى ، ومن هؤلاء ول ديورانت الذى يقول : وهل الذى أوحى الى هذا النبى فكرة وجود اله واحد للكون كله ، وجمعها فى وحدة امبراطورية أوسع رقعة وأحسن حكما من أى نظام اجتماعى عرفه الناس من قبل ؟ واذا كان بنو اسرائيل سيكونون قطعة من هذا الملك الواسع فانه لايمكن أن يكون لهم اله وحدهم وللحاكمين الفرس اله سواه ، فاذا كانت هناك امبراطورية واحدة فليكن هناك اله واحد، ولكن دعوة أشعيا للتوحيد على كل حال لم تجد الا قليلا جدا من الآذان الصاغية :

اليهود والألوهية عموما :

على أن مسالة الألوهية كلها ، سواء اتجهت للوحدانية أو للتعدد ، لم تكن عميقة الجذور فى نفوس بنى اسرائيل، فقد كانت المادية والتطلع الى اسلوب نفعى فى الحياة من أكثر ما يشغلهم ، واذا تخطينا عدة قرون فاننا نجد الفكر اليهودى الحديث يجعل لليهود ربا جديدا نفعيا كذلك ، ذلك هو تربة فلسطين ، وزهر برتقالها ، والذى يقرأ رواية « طوبى للخائفين » للكاتبة اليهودية يائيل ديان ابنة القائد الصهيونى العسكرى موشى ديان ، يجد أحد أبطالها « ايفرى » ينصح ابنه الطفل بأن يتخلى عن الذهاب للكنيسة وأن يجعل اهتمامه بالهه الجديد : تراب فلسطين ، ونقتبس فيما يلى سطورا من هذه الرواية .

... الصبى يحب أن يذهب الى الكنيسة مع أمه ، ولكنه عندما عاد مرة من المعبد الذى لا يذهب اليه الا القليلون ، ثار أبوه فى وجهه بحديث له مغزى عميق ، قال له : أيام زمان حين كنا يهودا فى روسيا وغيرها ،كان من الضرورى بالنسبة لنا أن نطيع التعليمات ، ونحافظ على ديننا ، فقد كان الدين اليهودى لنا وسيلتنا لنتعاون ونتعاطف ونزود عنا الردى ، أما الآن فقد أصبح لدينا شيء أهم ، هو الأرض ، أنت الآن اسرائيلى ولست مجرد يهودى ، انى قد تركت فى روسيا كل شيء ، ملابسى ومتاعى وأقاربى والهى وعثرت هنا على رب جديد ، هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال ، الا تحس بذلك ، وأخذ ايفرى حفنة من تراب الأرض وسكبها فى كف ابنه ، وقال له : امسك هذا التراب ، اقبض عليه تحسسه ، تذوقه ، هذا هو ربك الوحيد ، اذا أردت أن تصلى للسماء فلا تصلى لها لكى تسكب الفضيلة فى أرواحنا ، ولكن قل لها أن تنزل المطر على أرضنا ، هذا هو المهم ، اياك أن تذهب مرة أخرى الى المعبد .

وبعد ، فهذه هى قصة الاله عند اليهود ، وهى واضحة الدلالة على أن اليهود لم يعرفوا الاله الحق فى أكثر تاريخهم وهم الآن يتخذون تراب فلسطين الها لهم ، ان تراب فلسطين رمز المادة التى تحكمت فى الفكراليهودى على مر التاريخ .

وبعد فيايهاالقارىء الكريم ، أرجوان التقى بك ابتداء من العدد القادم فى موضوع آخر، فان موضوع «اليهودية» قد طبع فى كتاب مستقل شمل الفصل الذى نشرناه فى هذه المجلة ، كما شمل فصولا أخرى تتحدث عن عقائد اليهود وصور من تشريعهم ومصادر الفكر عندهم وماعرفوا به من تجسس واغتيال وتستر خلف اديان أخرى .. فالكتاب بين يديك يكمل المقالات التى بدأناها هنا ، أما لقائى بك فيما بعد فسيكون فى موضوع جديد .

والى اللقاء .

شاعر الإسلام بأمريكا في شعره الإسلامي

الأستاذ علي الجمبلاطي

منذ ثلاث سنوات كتبت مقالا فى هذه المجلة الغراء عن شاعر لبنانى مسيحى أسلم فى البرازيل وعاش يتقد غيرة على الاسلام والعرب والعروبة ويقول :

أقسمت أن أقضى الحياة مجاهدا
والحق لى ولتابعى شعار
حتى نفوز به ونرفع راية
من حولها يستشهد الأنصار
الموت فخر فى الدفاع عن الحمى
والعيش فى دار المذلة عار

ذلكم الشاعر العربى الشامخ (الياس طعمة) الذى ولد فى أوائل أغسطس من عام ١٨٨٩ فى (قرنة الحمراء) من قرى لبنان وهاجر الى (الأرجنتين) عام ١٩٠٨ حيث أقام فيها سنتين متجولا ثم هجرها الى (البرازيل) واستقر فى عاصمتها (ريو دى جانيرو) مدة اثنتى عشرة سنة .

وفى أكتوبر من سنة ١٩١٦ ـ اتخذ كنية (أبى الفضل) واسم (الوليد) بدلا من (الياس) وسجلهما فى سجل الحكومة البرازيلية فأصبحا رسميين شرعيين يعرف ويعامل بهما وكان قد أعلن اسلامه حينذاك وبقى على اسلاميته الى آخر حياته حيث لحق بالرفيق الأعلى فى التاسع والعشرين من ابريل عام ١٩٤١ . وقد ظهر اسلامه جليا فى شعره وقد أقام أصحابه وأنصاره حفلا تذكاريا لذلك الحدث العظيم وأذاعت خبره الجرائد فى كل الأقطار وأصبح معروفا (بأبى الفضل الوليد) والذى حفزه الى الاسلام انه مشى الخطى التى كتبت عليه حتى استولى على أمد العروبة فقال (واذا لم تكن عروبة الا بالاسلام فاننى عربى مسلم مؤمن اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) .

ولقد بلغ به تعصبه للعروبة والاسلام وتقديسه للغة القرآن الكريم أنه لم يكتب فى اللغة الفرنسية التى يجيدها كل الاجادة أى شىء من تراثه الضخم برغم أن بعض المستشرقين الذين اهتموا بترجمة كتبه الى اللغات الأوربية تمنوا لو كتبها بلغاتهم . كما أشار بعض زعماء العروبة بوجوب تعليم مؤلفاته فى المدارس لتأخذ منها الناشئة ما يقوى عقائدها وعواطفها وقد كتبها ليكون بها للعرب تمتع وانتفاع وبهذا يقول :

فى ذمة الله والاسلام والعرب
وحى من الشعربين الحرب والحرب
هذى القصائد أركان لمملكة
قلبى خراب لمرأى ربعها الخرب
من كل قافية تنقض صاعقة
على الذين استحلوا حرمة العرب

ومن يتتبع مطولاته الدينية يقرأ تاريخ الاسلام فى أنصع صفحاته وأخلاد المسلمين فى ذروة نهضتهم وكانت عروبته ايمانا بعبقرية العنصر العربى ووطنه كل أرض تقع فى حدود اللغة العربية .

وهنا ننتقل الى الحديث عن أحد أغراضه الشعرية التى تجلت فى دواوينه والتى كانت صدى لهدى اسلامه وغيرته الوطنية والقومية وعروبته الخالصة ، ذلك هو شعره الذى يترجم عن مشاعره الاسلامية وايمانه العميق ويتضح ذلك أول ما يتضح فى مطولته (الرؤيا النبوية) وعدتها (مائتان وتسعة وأربعون) بيتا يقول فيها :

تشوقت حتى زارنى الطيف مؤنسا
وأشرق نور الطلعة النبوية

ويبلغ الوليد الجنة فيرى على بابها (رضوان) لابسا من الاضريح أفخر حلة ويدخل الجنة ويشرب من رحيق الحور والولدان باكواب من در وقوارير من فضة حتى اذا ما توغل فى الجنة بلغ حضرة من على العرش استوى فرأى :

غمامة عليين تستر نوره
ترفع رب العرش عن كل هيئة

ويتحير شاعرنا فى ذلك الموقف ويعجز عن الوصف فيسمع صوتا يناديه هو صوت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

فقال وفى ألفاظه الرعد قاصف
دعوتك فاسمع أنت صاحب دعوة
وكن منذرا بين الورى ومبشرا
وبلغ جميع المسلمين وصيتى
تشجع وآمن يا (وليد) فانت لى
رسول وفى الابلاغ فضل الرسالة
وقل لجميع المسلمين تجمعوا
وصونوا وقار الأمة العربية

ويمضى الشاعر فى البلاغ المبين الذى تجلى له فى تلك الرؤيا فيسدى الى العرب نصحا خالصا لقنه اياه الرسول عليه السلام كما زعم وينقطع الهاتف فيجفل مرتاعا من الصمت ويأسف لانقطاع الرؤيا وما شمه فى جنات عدن من نفحات طيبة ويختم مطولته الفذة بقوله :

وفى الشعر ريحان وراح وكوثر
فما فى من رى وريا لامتى

ونستمع الى ايمانه الوثيق وتبتله العميق فى مطولة أخرى من ديوانه الرابع والأخير (نفخات الصور)

ولما أن هجعت رأيت طيفا
يحيينى بثغر لؤلؤى
ولاحت خير من لبست نطاقا
وعلت من زلال كوثرى
فقالت وهى باسمة : سلام
على من شعره مثل الأتى
حظيت الحظوة الكبرى جزاء
لما أوتيت من خلق رضى
الى العرب انتميت وأنت بر
فيالك من أخى عربى هدى
فقلت وقد سجدت لها : سلام
على هذا الجلال الفاطمى
أيا بنت النبى رفعت قدرى
بتقريبى الى الملا العلى
وقد جردت من شعرى سيوفا
تذود عن الضريح اليثربى
وقد أشعلت بالفرقان لبى
فهذى النار من صدرى اللظى
فقالت : أنت بالاسلام أولى
فصل وسلمن على النبى

ولقد علمنا أن الشاعر يؤمن بان لا عروبة بغير اسلام وانه لذلك اسلم ولقد كان اسلامه بلاء عليه فى المهجر وان المهاجرين وجلهم بل اكثرهم على غير دينه خاصموه لانه عد فى نظرهم صابئا وهو لذلك يستجير منهم فيقول فى قصيدته (الصبابية) التى عاد بعدها الى وطنه (لبنان)

أنا العربى بين الروم أمشى
غريبا أو أعد من الأسارى

رأيت عروبتى شرفا وفخرا
فبت أود اسلام النصارى
فقولى للألى أرجو نداهم
وأهوى من منازلهم جوارا
فتاكم ضاع فى المنفى فمدوا
له الايدى وسلوه غرارا
تردى البطل ثوب الحق دهرا
ليخدعه فازهقه وثارا
وخاصمه اللئام ولم يكونوا
خصوما بل زبانية شرارا
فقال على الهدى والحق موتى
فأرضى الله واسترضى الخيارا

ولقد كانت عقيدته الوثيقة خير مايستلهمه فهو يتحدث هنا عن التعاليم الاسلامية السامية وقيمها العليا فى الدعوة المحمدية فيقول :

ففى العالم العلوى ساد (محمد)
وما ولدت مثل النبى نساء
آلهية أقواله وفعاله
يقصر عن ادراكها الحكماء
وأعطى الورى دينا وشرعا بناهما
على لغة منها البيان غناء
فصلوا بها لله وهى لسانه
وفى غيرها لا يستجيب دعاء
وأوصى بحج البيت صونا لحرمة
من العرب والاسلام حيث يفاء
فجمع أهل الشرق والغرب حوله
وصار به كالأخوة القرباء
ينادون باسم الله واسم محمد
اذانا فهز العالمين نداء
وكم من شعوب تستنير بدينه
وكم دول منها عليه بناء
وأكمل دين دينه فهو للورى
علاج طبيب صح منه أساء
فساوى على حق ملوكا وسوقة
تآخوا على الاسلام وهو اخاء

ثم حين يرى الأمم الاسلامية قد هانت بهوان ذويها يستفزهم لاعادة أمجادهم وعظائم أجدادهم فيقول :

يا مسلمين تقطعت أوصالكم
ونصالكم قد بكها المرجام
حتام أنتم صابرون على الأذى
والام أنتم غفل ونيام
أموالكم ونفوسكم منهوبة
ودياركم فيها الخطوب جسام
والدين يبكى والفضيلة تشتكى
والحج لغو والصلاة سوام
أومالكم بجدودكم من قدوة
ان الجدود الماجدين عظام
هزأ الفرنجة شامتين وقولهم
المسلمون حياتهم احلام
والدين لا يعتز ما لم يحمه
ملك بناه باسل وهمام

ولقد عرف بقوة عقيدته الاسلامية وتحمسه لنظام الخلافة ولقد أثار انتصار الغرب على العثمانيين واحتلالهم بلاد العرب حميته الدينية فراح يستنهض قومه لاستعادة مجد الخلافة وطرد المستعمرين قائلا :

أغيروا كلكم عربا وغاروا
على الدين الحنيف الأحمدى

امور المسلمين الى ضياع
بحكم المستبد العيسوي
صلاح الدين مات فهل سمي
لقاهرهم له بأس السمي
فيغدو الشرق حرا مستقلا
فتجمعه الخلافة من جرى

وواضح ان لهفته على زعيم يماثل (صلاح الدين) تتضمن نظرته الى جيوش المستعمر لا تختلف في شيء عن الجيوش الصليبية ولم يقتصر على هذه النظرة الدينية البحتة بل نظر الى جوهر الموضوع في علاقة الخلافة بالعرب والوضع الجديد الذي آلوا اليه بعد الاحتلال فقال :

الشام يقهر والعراق يضام
فاليوم لا عرب ولا اسلام
أين العروبة والخلافة منهما
والمسلمون بلادهم أقسام
لبني امية او بني العباس في
تلك الربوع أمانة وذمام
هل بعد غزوتها ونكبة أهلها
للمسلمين سلامة وسلام
أو هل تصح خلافة وامامة
حيث الفرنجة واليهود قيام

ولقد كان الشعور الديني رافدا كبيرا للمنازع الوطنية المتعاظمة باطراد في نفوس العرب وفي المطولات القومية التي نظمها شاعرنا (الوليد) خير مجلى لهذه الظاهرة حتى لم نجد شاعرا التامت في شعره العواطف الدينية والقومية الى ذلك الحد الذي نراه عند هذا الشاعر المهجري وها هو ذا يندد باستعمار فرنسا للمغرب العربي قائلا :

من الفرنسيس بلوانا ونكبتنا
فهل يظلون فينا مستبدينا
المريمات مذلات فواطمنا
كما تذل الاناجيل الفراقينا
فما لنا قوة الا بسيدنا
(محمد) فهو يرعانا ويحمينا

قد اصطفى بين كل الناس أمته
كما غدا المصطفى بين النبيينا

وقد اهتم شاعرنا البالغ بما يجري حول (المسجد الأقصى) من مآس كان وقودها اخوانه في الاسلام ونظر الى نضال الشعب الفلسطيني على أنه دفاع مقدس لأنه في سبيل العقيدة وأرضهم الطاهرة فقال في موشحته :

قد أذلوا العربي مسلما
ليهودي زنيم شرس
ضامه في المسجد الأقصى كما
ضام عيسى وسط بيت المقدس
اليهودي الجبان الغادر
بسلاح الانجليز قتل
خلفه الجيش الكثيف القادر
يصرم الحبل الذي منا انفتل
سقط الليث الهصور الخادر
فهوى الثعلب والذئب ختل

ولما كانت العاطفة الدينية تسير أحيانا الى جانب الشعور القومي كانت النزعة الشرقية أيضا تبرز احيانا اخرى من خلال تلك القصائد وكانت رافدا فعالا له أثره البالغ في تعزيز الحركات الوطنية والشعور القومي في نفوس الشعوب العربية وقد أشار الشعراء المعاصرون الى كفاح الأمم الشرقية مقرونا بكفاح العرب ضد العدو المشترك وهذا شاعرنا يقول في قصيدته (الشرقية) :

رأيت الشرق مليكا للنبي
يزلزل تحت رجل الأجنبي
فقل للطامعين به رويدا
قد استغنى اليتيم عن الوصي
فردوا ارثه طوعا والا
تطلبه بحد المشرفي
فان الموت في شرف وعز
أحب من الحياة الى الأبي
سيوف الشرق ماضية ظباها
وامضاها شباة محمدي

نزعة اشتراكية في سياسة عمر

فضيلة الشيخ محمد محمد الشرقاوي

لم تكن تلك النزعة بدعا فى حياة الاسلام ، ولا دخيلة على مجتمع المسلمين فلقد سبق فى حياه الرسول صلى الله عليه وسلم ما يشير اليهاويلفت لها الأنظار عن كثب .. وذلك فى الاسلوب المثالى لاشتراكية الاشعريين فى حياتهم ، الذين وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « ان الأشعريين كانوا اذا أرملوا فى الغزو ، أو قل طعام عيالهم فى المدينة جمعوا ما عندهم فى وعاء واحد ، ثم اقتسموه بالسوية .. فهم منى وانا منهم » ومعنى ارملوا : افتقروا .

وقد كان لهذا البصيص التعاونى فى الحياة الاسلامية وميض براق فى ضمير الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه أقوى الصحابة فى دين الله .. وبأن الشيطان لايسلك طريقا سالكه عمر. وهو وان لم تكتمل ملامحه فى حياة الرسول كتشريع حتمى ولم يأخذ صفة السياسة العامة فى توجيهات الرسول عليه الصلاة والسلام العملية لاعتبارات بيئية واجتماعية .. رأى فيها صاحب الشريعة أن الوقت لم يتطور الى الحد الذى يسمح بتطبيق هذا المبدا عمليا فى السياسة المالية والتشريعية الجديدة .. فقد رأى عمر رضى الله عنه فى مرحلة لاحقة .. انه قد آن الاوان لكى يأخذ هذا التصرف الجماعى فى اقتصاد المسلمين سبيله الى الوجود .. ثم الى الخلود وكان من عادة الرسول فى تشريعه وتدرجه فيه .. أن يلاحظ اعتبار الوعى وعامل الزمان فيما يسن من أحكام .. وقد أثر عنه انه ترك احيانا بعض الاحكام التى رآها حقا . ولم يعجل الناس بتطبيقها .. واكتفى بالنص عليها والارشاد اليها .. حتى يرتقى الوعى العام فى سلم التطوير الذى يواتى امكانية التطبيق العملى فى مراحل تالية .. ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى الله عنها : « لولا انقومك حديثو عهد بكفر لاسست البيت على قواعد ابراهيم » .

واذا علمنا أن عمر رضى الله عنه كان شديد التأثر بكل ما فاضت به اشراقات الرسالة .. بقدر ما كان عميق الوعي لها .. والهضم لأهدافها .. وانه كان الى جانب ذلك بعيد النظر ، ثاقب الفكر حديده .. له فراسة المؤمن الذى يرى بنور الله ، فقد تبلور كل ذلك فى موقف بلغ من الدقة والحساسية مبلغا لم يكن يتصدى له الا رجل من امثال عمر .. قوة وواقعية وايمانا .. كان ذلك حين فتحت بلاد العراق والشام بطولها وعرضها ووهادها ونجادها .. ووقف المسلمون حيارى ازاء التنظيم المالى لذلك الوضع الجديد .. فكان من رأى عبد الرحمن بن عوف وعمار بن ياسر وغيرهما أن يسلك عمر بتلكالأقطار المفتوحةمسلك غيرها منالأموال المغنومة فى الحروب .. أى أن تخمس .. فيكون خمسها كما نطق القرآن الكريم .. «فان لله خمسه وللرسول ولذىالقربى واليتامى والمساكينوابن السبيل » بينماتوزع الأخماس الأربعة الباقية بين الفاتحين الذين اشتركوا فى معركة الفتح .. وأسهموا فى حصيلة النصر ..

ورأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى تلك المسألة رأيا مخالفا .. وجريئا .. رأى الا يسلك بها مسلك الأموال المغنومة .. وألا توزع بين الأفراد .. لتصير لهم فيما بعد ملكا فرديا يتوارثها الخلف عن السلف .. شبيها بالاقطاعيات التى سادت مجتمعات القرون الوسطى وكانت مثلا بشعا للأثرة والأنانية وحب الذات .. ورأى فى ذلك مجافاة لروح التعاون والجماعية التى يزكيها الاسلام ويحرص عليها ، ويدعو لها .. وقرر عمر أن تترك ارض العراق والشام بلا قسمة .. وأن توقف للمسلمين جميعا .. على أن تظل فى أيدى أهلها .. ويوظف عليهم الخراج .. وتفرض فيها الضرائب التى تمثل جانبا من اشتراك الفرد فى تكاليف المصلحة العامة وعلى راسها الخدمات والتأمينات الاجتماعية التى تقدم للمجتمع فى صورة مساعدات ومعونات .. بدون مقابل .. كما انها تغطى نفقات التسلح والتعمير .. ونشر معالم الحضارة والمدنية فى ربوع الأمة قاطبة .. فيكون منها مادة للمسلمين وغير المسلمين ممن يتفيئون ظل الدولة الاسلامية المكافحة .. تسد به الثغور ويرزق منه القضاة والعمال والجند ، وفيه نفقة الأرامل واليتامى والمحتاجين ويعود بالنفع على أول المسلمين وآخرهم .

وقد دارت بين عمر ومخالفيه مناقشة حادة وعنيفة أدت الى الاكثار عليه بالكلام ، والحدة فى النقاش لدرجة جعلته يؤجل البت فيها بعض الليالى .. ريثما تهدأ العاصفة ..

اذ كانت الفكرة العمرية جريئة على المبادىء الاسلامية المرسومة وعلى الأوضاع الرأسمالية المعاصرة .. التى لا تهضم بسهولة معنى الاشتراكية ، والملكية الجماعية ..

وقد اعترف لهم عمر بأن هذا المال مما افاءه الله على الفاتحين بأسيافهم ، وان القرآن الكريم قد حكم بتقسيمه بين الفاتحين كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه بين لهم المانع منه .. اذ شرط تطبيق الحكم الشرعى كما يقول الفقهاء : « وجود المقتضى وانتفاء المانع » .

فقال لهم : فكيف بمن يأتي بعدكم .. وماذا نصنع بهذه البلاد المفتوحة التى تحتاج الى نفقات » مبينا بذلك الضرر العام على المسلمين نتيجة لقسمة الاراضى الجديدة قسمة فردية ، ويعترف عمر مع هذا بان تلك الفكرة هي مجرد راى له يرتئيه .. وخاطر اقتنع به .. وانه لم يرد بها نص قاطع .

ومما رواه البخارى فى هذه القصة قول عمر رضى الله عنه لمن خالفه من الصحابة : « أما والذى نفسى بيده .. لولا أن اترك آخر الناس ببابا .. ليس لهم من شىء .. ما فتحت على من قرية الا قسمتها كما قسم رسول الله خيبر .. ولكن اتركها لهم خزانة يقسمونها » .

وقال عمر أيضا ـ كما فى كتاب الخراج لأبى يوسف : « كيف أقسم العراق بين الفاتحين وأترك من يأتى من المسلمين فيجدون الأرض بعلوجها قد اقتسمت وحيزت .. والله ما هذا برأى (العلوج العمال) فرد عليه عبد الرحمن بن عوف قائلا : « فما الرأى ؟ .. ما الارض والعلوج الا مما افاء الله عليهم » فاجابه عمر : « ماهو الا كما تقول .. ولست أرى ذلك .. والله لا يفتح بعدى بلد فيكون فيها كبير نفع .. بل عسى أن يكون كلا على المسلمين .. فاذا قسمت ارض العراق بعلوجها ،وارض الشام بعلوجها .. فما يسد به الثغور ؟ وما يكون للذرية والارامل بهذا البلد وبغيره من اهل الشام والعراق». فاكثروا على عمر وقالوا له معترضين : « كيف تقف ما افاء الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا المعركة ولم يشهدوها ولابنائهم وابناء ابنائهم .. فلم يزد عمر على أن قال : « هذا راى .. هذا راى .. » فقالوا له : فاستشر .. فارسل عمر الى المهاجرين الأولين واستشارهم فاختلفوا فيما بينهم : بعضهم يرى قسمتها قسمة فردية .. وبعضهم يرى ايثار قسمتها قسمة فردية .. وبعضهم يرى ايثار مصلحة الجماعة والامة بتركها فى أيدى زراعها وعمالها ويفرض الامام عليهم ما يراه مناسبا لمصلحة المجموع .. فلما اختلفوا وطال خلافهم .. أرسل عمر الى عشرة من وجوه الانصار ورؤسائهم فاخبرهم برأيه الذى ارتآه واقتنع به .. ومما قاله لهم « وقد رأيت أن أحبس الأرضين المفتوحة واضع عليهم فيها الخراج .. الى أن قال : « أرأيتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفه والبصرة .. لابد من أن تشحن بالرجال ويجرى عليهم ما يقوون به .. والا .. رجع أهل الكفر الى مدنهم » فقالوا لعمر : قد ظهر الأمر . وأخيرا .. وبعد أن تطاول أمد الجدل والنزاع يومين أو ثلاثة ـ كما حكى الزهرى ـ حسم عمر الموقف بترجيح جانب اشتراكية الامة .. الملكية الفردية ..

ولعل ما وقع فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم حين أراد قسمة ارض بنى النضير ـ يلقى ضوءا على وجه الحق فيما اتخذه عمر ازاء أرض الشام والعراق.. من قرار يقى هذا المال من صفة الاقطاعية والاستغلال الذاتى والملكية الفردية المتضخمة على حساب الفقراء ورقاق الحال .

فان بعض الأنصار نازع الرسول فى أرض بنى النضير حين فتحت صلحا .. وظن أن لهم حقا فى قسمتها أسوة بمال الغنائم .. ولما كان الأنصار أكثر غنى وثروة من المهاجرين فقد نزلت آيات سورة الحشر قاطعة للنزاع ومبينة أن هذا المال ليس لهم حق فيه لانهم لم يأخذوه بحد الحسام وأمر الله تعالى بتوزيعه بين الفقراء المهاجرين « الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله » وذلك بقوله تعالى : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » فلما امتثل الانصار لحكم الله فيهم وأدركوا منه معنى الحق والعدالة والنصفة أثنى عليهم ربهم بقوله فيما بعد « والذين تبوؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » .

وبعد ...

فنحن نرى مفهوم الاشتراكية واضحا فى تصرف عمر ازاء الاراضى العراقية والشامية التى آلت الى أيدى الفاتحين بعد المعارك الطاحنة والحرب الضروس..وكلمة « اشتراكية » وان لم تظهر فى لسان السابقين الاولين بنصها وصورتها فقد ظهرت فى سياستهم المالية للدولة بروحها وجوهرها .. وقد نص الفقهاء فى أبواب المعاملات على أن العبرة دائما فى العقود انما هو بالمعانى لابالالفاظ .. وأن الصيغ التى تنعقد بها هذه العقود لا تتقيد بالفاظ خاصة .. بل بالمعانى والمدلولات هى التى توجد العقد وتصححه .. بصرف النظر عن رسوم الكلام واشكاله

وعلى هذا فان تفسير عمر رضى الله عنه لفكرته التى فاجأ بها المجتمع الاسلامى المعاصر ، وما بسطه من شرح وتفصيل أثناء المناقشة الجادة بينه وبين المعارضين .. قد أظهر بوضوح رغبة اسلامية صريحة فى أن تكون الأموال العامة ، وموارد الانتاج المحلية الضخمة ملكا للجماعة لا احتكارا فى أيدى فئة من الأغنياء الذين يتداولونها فيما بينهم لمصالحهم الشخصية ومآربهم الخاصة .. بينما تبقى البقية الباقية من ابناء الامة الذين تعثر سعيهم فى الحياة وكبابهم حظهم .. يعيشون على فتات موائد المحتكرين والمستغلين ، وتحت رحمة ذوى الأطماع الأنانيين ..

وفى حين أن مصالح الأمة الأساسية التى تتمثل فى جيشها وتعليمها ومرافقها المختلفة .. تبقى هزيلة نحيلة متأرجحة بين القصور والفشل ، وتظل فرص الرقى والتقدم ، أمام الامة رهينة بالصدفة العابرة . أو وليدة الحظ المجهول .. فى وقت يحيط بالأمة أعداؤها من كل جانب ، ويتحفز المتربصون بالاسلام للانقضاض عليه متى واتتهم الفرصة السانحة ..

ان سياسة عمر رضى الله عنه فى أرض الشام والعراق بعد فتحهما بتركهما فى أيدى المزارعين والعمال ، ورفضه قسمتها بين الفاتحين والغانمين .. انما هو تعبير حى عن روح اشتراكى تعاونى يتقمص هذا الخليفة العادل العاقل .. ويرفض فى عناد واصرار وسائل الظلم الاجتماعى والاحتكار الذاتى ، واستغلال الانسان لاخيه الانسان ولئن تأخر ظهور اصطلاح كلمة « الاشتراكية » الى القرن العشرين .. فلقد تبدت حقيقتها واضحة جلية فى مسلك عمر منذ ثلاثة عشر قرنا .. أو تزيد .

انها خرافة

الجن لا تعلم الغيب!

الأستاذ علي الجندي

(١)

قد وقع في وهم كثير من الناس الحمقى والجهال : ان الجن تعلم الغيب لذلك تراهم يركبون كل صعب وذلول في سبيل الاتصال بهم ، ليستخبروهم عما يريدون ، والجن كالانس سواء بسواء في جهلهم بما استاثر الله بعلمه ، وهو سبحانه القائل : « وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو » . « ولله غيب السموات والارض » ويقول تعالى حاكيا عن نبيه : « ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء » . الى غير ذلك من الايات الكريمة والاثار الشريفة التي تدمغ بحقها باطل كل افاك اثيم يدعى مشاركة فاطر المخلوقات فيما اختص به : من المنجمين والكهان والعرافين ومن اليهم .

ولكن الانسان بحكم نزوعه الطبيعي ، وشغفه النفسى بمعرفة ما يحيط به من اسرار تكتنف حياته الحاضرة والمستقبلة ، ليتوقى المكروه ويجتلب الخير ويحقق مايصبو اليه من آمال ، ويضمن السعادة فى غده المبهم المجهول المرهوب ، لا يأنف أن يكتنه ماحجب عنه ، ويستشف الغيب ولو من طريق فتح الكتشينة وطرق الحصى وضرب الودع . وربما كان ممن يحمل اعلى الشهادات العلمية والادبية !

ومن الغريب ان يقع ذلك فى الصدر الاول من اعلام الامة ! فعن سفيان عن عمر بن محمد عن سالم بن عبدالله قال : ابطا خبر الخليفة عمر - رضى الله عنه - على الوالى ابى موسى الاشعرى ، فأتى امراة فى بطنها شيطان فجاء يسألها عنه !

فقالت : حتى يجيء الى شيطانى !

فجاء شيطانها فسألته عن عمر !

فقال : تركته مؤتزرا يهنىء ابل الصدقة ! - يدهنها بالقطران من الجرب -

ثم قال الشيطان : وذاك لا يراه شيطان الا خر لمنخره ! الملك - بفتح الميم واللام - بين يديه ، وروح القدس ينطق بلسانه !

وفى رواية عن سالم بن عبد الله ايضا قال : راث - تاخر - على ابى موسى الاشعرى خبر عمر - وهو امير البصرة - وكان بها امراة فى جنبها شيطان يتكلم ، فارسل اليها رسولا فقال لها : مرى صاحبك فليذهب فليخبرنى عن امير المؤمنين !

قالت : هو باليمن يوشك أن يأتي - تعنى شيطانها -

فمكثوا غير طويل فحضر ، فقالوا له : اذهب فأخبرنا عن أمير المؤمنين ، فان خبره قد راث علينا .

فقال الشيطان : ان ذلك الرجل مانستطيع ان ندنو منه ! بين عينيه روح القدس ! وما خلق الله شيطانا يسمع صوته الا خر لوجهه !

والروايتان - على اتحاد مصدرهما - مختلفتان فى دلالتهما !

فالاولى : تفيد ان الشيطان ذهب الى حيث ارسل ، واخبر بما رآه من عمر - رضي الله عنه -

والاخرى : تفيد انه اعتذر عن الذهاب تهيبا من ملاقاة عمر !

وخوف الشياطين من عمر ثابت بالحديث الصحيح الذى رواه البخارى « ... ايها يابن الخطاب والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجك » .

ولكن هذا ماكان يمنع الشيطان ان يذهب الى مقر الخليفة ويتعرف اخباره من بعيد مثلا !

ولعل هذه المرأة ممن يحترف استخدام الشياطين وتلقى الاخبار منهم ! وفى عصرنا هذا عصر العلم يوجد امثال هذه المرأة كالشيخة فلانة والشيخة علانة ، وقصصهن كثيرة وحيلهن معروفة ، وللعامة بل وبعض الخاصة افتتان بهن شديد ، واعتقاد فيهن عميق ، ولرجال الشرطة معهن حكايات طريفة خلابة !

وقد تكون هذه المرأة ممن يستطيع ان يستخدم بعض اعضائه للتمويه على الناس ، فكثير من المشعوذين والمشعوذات يقدر على تقليدصوت الحيوان كانه حمار او فرس او بغل او ثور ..

وبعضهم يستطيع ان يحدث صوتا من اضلاعه كما تفعل هذه العرافة ! وقد عرف ذلك قديما وحديثا !

ومهما يكن فلا يعد هذا اخبارا بالغيب ، لانه يتعلق بشيء ماض وقع ، او حاضر واقع .

والغيب هو مايتعلق بالمضمر فى المستقبل .

والعبرة فى هذا : ان امراة دجالة مشعبذة ممخرقة استطاعت ان تضحك على ذقن ابى موسى الاشعرى ، فكيف يلام اذا ضحك عليه عمرو بن العاص احد دهاة

العرب الثلاثة : معاوية بن ابى سفيان وعمرو بن العاص . وزياد بن ابيه او ابن سمية او ابن عبيد وقد وصفه بعض الصحابة الاجلاء والمؤرخون الاثبات : بانه كان من اهل الغفلة - رحمه الله تعالى وعفا عنه - وان كانت غفلته تسبب عنها ذهاب الخلافة الراشدة ، وحدوث الملك الاستقراطى الوراثى العضوض! وانقسام العرب الى عدنانية وقحطانية بعد أن وحدهما الاسلام !

احاديث الكهان :

فى البخارى عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « الملائكة تتحدث فى العنان بالامر يكون فى الارض فتسمع الشياطين الكلمة ، فتقرها فى اذن الكاهن كما تقر القارورة فيزيدون فيها مائة كذبة » - العنان السحاب وزنا ومعنى • ويقرها : يفرغها ويصبها .

وفى رواية اخرى : سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الكهان ، فقال : « ليسوا بشىء » ! « فقيل : انهم يتكلمون بالكلمة فتكون كما قالوا » ! فقال : « تلك الكلمة من الحق يحفظها الجنى فيقرها فى اذن وليه قر الزجاجة فيخلط فيها اكثر من مائة كذبة » .

قال الشبلى الحنفى : وان وجد اليوم كاهن فلا يدفع ذلك ما اخبر الله - تعالى - به من طرد الشياطين عن استراق السمع فان ذلك التغليظ والتشديد كان زمن النبوة .

ثم بقيت منه - أعنى بعد استراق السمع - بقايا يسيرة . بدليل وجودهم على الندرة ، وفى بعض الازمنة .

والذى انقطع الى اليوم والى يوم القيامة ان تدرك الشياطين ما كانت تدركه فى الجاهلية الجهلاء عند تمكنها من سماع اخبار السماء !

ومايوجد اليوم من كلام الجن على السنة المجانين ، انما هو خبر منهم عما يرونه فى الارض مما لا نراه نحن ، كسرقة سارق . وخبيئة فى مكان خفى او نحو ذلك .

وان اخبروا بما سيكون كان تخرصا وتظننا فيصيبون قليلا ويخطئون كثيرا ، وذلك القليل الذى يصيبون فيه ، هو الذى تتكلم به الملائكة فى العنان .

اعتراف الجن :

والجن انفسهم يعترفون على انفسهم : انهم لايعلمون الغيب - بنص الكتاب العزيز - قال تعالى حاكيا عنهم : « وانا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض ام أراد بهم ربهم رشدا »

فهم يقرون اقرارا صريحا : انهم لا يحيطون علما بما اراده الله - سبحانه - بسكان هذه الارض ، وبما قدره عليهم فى الازل : أشر أريد بهم ام أراد بهم الهدى والسداد والصواب ؟

منسأة سليمان :

وكذلك يقول الله تعالى فى سورة « سبأ » يحكى موت نبيه سليمان بن داود - عليهما السلام - :« فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته • فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين » .

واصل القصة : أن سليمان - عليه السلام - سخر الجن فى بعض اعمال البناء ، فقبضت روحه الى بارئها - وهو متكىء على عصاه - فلبثت الجن يعملون عملهم الشاق ظنا منهم انه حى مشرف عليهم !

فلما سقط - بعد أن اكلت دابة الارض عصاه - علموا : أن المنية وافته فكفوا عن العمل !

ولو كانوا يعلمون الغيب ما غاب عنهم من الحوادث والانباء ماظلوا فى العذاب المهين مدة حول كما ذهب اليه المفسرون !

وقد جعل بعض العلماء من قوله تعالى : « لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين » قياسا منطقيا طويت كبراه ، فكأنه قيل : لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ، لكنهم لبثوا فى العذاب المهين ، فهم لا يعلمون الغيب !

وبموت سليمان على هذه الصورة تبين للجن انهم لا يعلمون الغيب ، وانهم لو كانوا يعلمونه ماكان اغناهم عن تحمل هذه الشدة والارهاق فى هذه البرهة الطويلة!

وفى الاية لطيفة اخرى . وهى ان اجساد الانبياء لا تبلى ، ولا تأكلها الارض : اذ لو طرأ ادنى شىء من البلى والتغير على جسد سليمان ، لما خفى امره على الجن ! بل لسقط جسده من غير ان تأكل دابة الارض منسأته

وقد جاء فى الاحاديث الصحيحة كذلك والاخبار المؤكدة : ان الارض لا تأكل اجساد الانبياء والاولياء !

كلمة جليلة للجاحظ :

ويقول الجاحظ فى الرد على الدهريين : وفى كتابنا المنزل الذى يدلنا على انه صدق ، نظمه البديع الذى لا يقدر على مثله العباد مع ماسوى ذلك من الدلائل التى جاء بها من جاء به وفيها مسطور : ان سليمان ابن داود : غبر حينا وهو ميت معتمدا على عصاه فى الموضع الذى لا يحجب عن انس ولا جنى والشياطين منهم المكدود بالعمل الشديد ، ومنهم المحبوس والمستعبد ! وكانوا - كما قال الله تعالى - : « يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات » .

وقال تعالى : « والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الاصفاد »

وانه غبر كذلك حينا وهو تجاه اعينهم ، فلا هم عرفوا سجية وجوه الموتى ، ولا هو - اذ كان ميتا - سقط سقوط الموتى

وثبت قائما معتمدا على عصاه ، وعصاه ثابتة قائمة فى يده ، وهو قابض عليها وليست هذه الصفة صفة موتانا !

وقال تعالى : « فلما قضينا عليه الموت •• »

ونحن دون الشياطين والجن فى صدق الحس ونفوذ البصيرة ولو كنا من بعض الاحياء بهذا المكان لما خفى علينا امره ، وكان أدنى ذلك ان نظن ونرتاب ، ومتى ارتاب قوم وظنوا وماجوا وتكلموا وشاوروا لقنوا وثبتوا ولا سيما اذا كانوا فى العذاب ، ورأوا تباشير الفرج !

ثم يقول : ولولا « الصرفة » التى يلقيها الله تعالى على قلب من أراد • ولولا أن الله يقدر على أن يشغل الاوهام كيف شاء • ويذكر بما يشاء وينسى مايشاء ، لما اجتمع اهل داره - اى سليمان - وقصوره وسوره وربضه - ناحيته - وخاصته ، ومن يخدمه من الجن والانس والشياطين على الاطباق : بأنه حى كذلك عندهم •• فعلمنا : أن الجن والشياطين كانت توهم الاغبياء والعوام والحشوة والسفلة : ان عندهم شىء من علم الغيب - والشياطين لا تعلم ذلك - فأراد الله ان يكشف من أمرهم - اى الشياطين - للجهال ، ماكان كشفه للعلماء !

فبهذا واشباهه من الامور نحن الى الاقرار به مضطرون بالحجج الاضطرارية ، فليس لخصومنا حيلة الا ان يوافقونا !

الامام أبو بكر الباقلانى

فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق

ومن سادة قضاة العراق واعلامها ابو بكر الباقلانى ، امام وقته وعالم عصره ، الذى ضرب به المثل فى العلم والمعرفة . فكان اعرف الناس بعلم الكلام والتصريف ووجوهه وكان من أحسن الناس خاطرا ، وأجودهم لسانا وأوضحهم بيانا ، يتكلم على مذهب أهل الحديث وطريقة الأشاعرة ، محمود السيرة مشكور الحال .

مولده . ولد فى بعض نواحى البصرة ،ولم يعين أحد من المؤرخين عام ولادته ، ولما شب عن الطوق ونما عوده واعتدل عموده ، تلقى العلم على أعلامها ثم رحل الى بغداد فأخذ عن علمائها ، ثم اتخذها دارا لاقامته حتى قضى نحبه فيها ، وكانت له فى بغداد حلقة عظيمة ، ينزل الكرخ فيلقبه الناس بشيخ السنة ولسان الأمة ، فارس العلم ومالك ذمامه ، أحد حصون الأسلام التى تدفع موجة الالحاد عن الأمة ، ولقد اقيمت الافراح من أهل البدع عند موته ، حتى كان سرورهم بموته عظيما .

جده فى طلب العلم .. تلقى العلم عن طائفة من العلماء الذين جمعوا من العلم والعمل ، وازدانت نفوسهم بالورع والتقوى، ومن هؤلاء أبو الحسن الباهلى . الذى يحدثنا عنه الباقلانى فيقول ، كنت أنا وابو أسحق الاسفرائينى وابن فورك فى درس الشيخ الباهلى ، وكان يدرس لنا فى كل جمعة مرة واحدة ، وكان منا فى حجاب يرخى الستر بيننا وبينه كى لانراه ، وكان من

شدة اشتغاله بالله مثل واله أو مجنون ولم يكن يعرف مبلغ درسنا حتى نذكره ذلك ، ولم يكن الباهلي يحتجب عن هؤلاء الثلاثة فقط ، بل كان يحتجب عن الناس جميعا ، حتى عن الجارية التى كانت تخدمه ، وقد سأله تلاميذه فى أول عهدهم عن سبب ارساله الحجاب بينه وبينهم ، فقال انكم ترون السوقة وهم أهل الغفلة ، فترونى بالعين التى ترون أولئك بها .

ثناء العلماء عليه .. ومن كلام الصيرفي فيه ، كان صلاح القاضي أكثر من علمه ، وما نفع الله هذه الأمة بكتبه وبثها فيهم الا بحسن نيته واحتسابه بذلك ماعند الله من الثواب ، ويقول بعض العلماء جاء فى الأثر أن الله تعالى يتعاهد عباده بانبيائه ورسله ، فلما ختم الرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، تعاهد امته بربانى من علمائها يحيى أحاديثها ويجدد شريعتها ، فكان أمام رأس الربعمائة أبو بكر الباقلانى ، الذى أخذ العلماء عنه ولازموه وتخرجوا على يديه وفيه يقول أبو عمران الفاسى من أهل المغرب الذى رحل اليه ولازمه ، هو سيف أهل السنة فى زمانه ، وامام متكلمى اهل الحق فى وقتنا ، ويقول رحلت الى بغداد وكنت قد تفقهت بالمغرب والأندلس على أبى الحسن القابسى وأبى محمد الأصيلى وكانا عالمين بالاصول ، فلما حضرت مجلس الباقلانى ورأيت كلامه فى فنون المعرفة مع المؤالف والمخالف ، حقرت نفسى وقلت لا أعلم من العلم شيئا ، ورجعت عنده كالمبتدىء ، وفيه يقول أبو بكر الخوارزمى ، كل مصنف ببغداد انما ينقل من كتب الناس الا القاضى أبا بكر ، فان صدره يحوى علمه وعلم الناس ، ويقول على الحربى كان القاضى أبو بكر يهم بأن يختصر ما يصنفه فلا يقدر لسعة علمه وحفظه وما صنف احد كلاما الا احتاج أن يطالع كتب المخالفين غير أبى بكر فان جميع ما يذكر من حفظه .

مناظرته مع الفرق وقال الخطيب البغدادى سمعنا ان ابن المعلم شيخ الرافضة ومتكلمها أحضر بعض مجالس النظر مع أصحاب له ، اذا أقبل القاضى أبو بكر الباقلانى ، فالتفت ابن المعلم الى أصحابه وقال لهم قد جاءكم الشيطان ، فسمع القاضى كلامهم وكان على بعد من القوم ، فلما جلس أقبل على ابن المعلم وأصحابه وقال لهم ، قال الله عزوجل «انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا » ويقال ان ابن المؤدب أخرج فولا فرمى به يعرض بالباقلانى ، فاخرج الباقلانى سوطاً فى كمه أعده له ، يعرض بابن المؤدب .

مناظرته فى مجلس عضد الدولة ..

كان الملك عضد الدولة فناخسرو بن بويه الديلمى ، يحب العلم والعلماء وكان مجلسه يحتوي منهم على عدد عظيم فى كل فن ، واكثرهم الفقهاء والمتكلمون ، وكان يعقد لهم للمناظرة مجالس وكان قاضى قضاته بشر بن الحسن معتزليا فقال له عضد الدولة يوما ، هذا مجلس عامر بالعلماء الا انى لا أرى فيه واحدا من الاشاعرة فقال له قاضيه انما هم رعاع أصحاب تقليد ، وانما أراد بذلك ذمهم ثم أقبل يمدح المعتزلة ، فقال له عضد الدولة محال أن يخلو مذهب طبق الأرض من ناصر ، فانظر الى موضع فيه مناظر منهم وابعث به الينا فلما ضيق عليه قال القاضى ، أخبرونى أن بالبصرة شيخا وشابا ، الشيخ يعرف بأبى الحسن الباهلى ، والشاب يعرف بابن الباقلانى ، فكتب الملك من ساعته يومئذ بشيراز الى عامله على البصرة ليبعث بهما اليه ، واخرج مالا لنفقتهما من طيب ماله ، أما الشيخ فتأخر عن الحضور معتذرا ، واما الشاب فسافر حتى قدم كأمر الملك ، فلما وصل سأل عن صفة الدخول على الملك ، فأخبر بأنه اذا كان يوم الجمعة لم يحجب عنه كل صاحب طيلسان لأن له فيه مناظرة ، قال الباقلانى فلما كان من الغد ودخلت على الملك وكان اذا صلى الظهر وقعد العلماء رفع الحجاب ودخل كل صاحب طيلسان ، فدخلت والناس قد اجتمعوا والملك قاعد على سريره وبين يديه غلمان بأيديهم السيوف المحلاه وعن يمينه ويساره مراتب ، وما عن يمينه خال لايقعد هناك الا وزير أو ملك عظيم ، فكرهت أن

اقعد آخر الناس ، فمضيت وقعدت عن يمينه بحذاء قاضى القضاة القاعد عن يساره فنظر الملك لقاضى القضاة نظرا منكرا ،ولم يكن فى المجلس من يعرفنى الا واحد ، وقد فزعوا لفعلى ، فقال الرجل للقاضى هذا الذى طلبه الملك من البصرة فأعلم الملك بذلك ثم اقبل فقال هاتوا مسأله ، وفى المجلس رئيس المعتزلة البغدادى بن الاحدب ، وكان أفصح من عندهم وأعلمهم ، فقال الأحدب لبعض تلاميذه ، سله هل لله أن يكلف الخلق مالا يطيقون ، وكان غرضه تقبيح صورتنا عند الملك ، فقال الباقلانى ان اردتم بالتكليف القول المجرد فقد وجدوا فى ذلك يقول الله تعالى « قل كونوا حجارة أو حديدا » ونحن لا نقدر أن نكون كذلك فقال تعالى « أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم فطالبهم بما لايعلمون ، وقال تعالى « يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون » فهذا كله أمر بما لا يقدر عليه الخلق.. وان اردتم بالتكليف الذى نعرفه وهو ما يصح فعله وتركه فالكلام متناقض وسؤالك فاسد لا يستحق جوابا ، لأنك قلت تكليف والتكليف اقتفاء فعل ما فيه مشقة على المكلف ، وما لايطاق لايفعل لا بمشقة ولا بغير مشقة ، فسكت السائل ، وأخذ الكلام الأحدب فقال أيها الرجل سئلت عن كلام مفهوم فطرحته فى الاحتمالات وليس ذلك بجواب وجوابه اذا سئلت أن تقول نعم أولا ، قال الباقلانى فاحفظنى كلامه لما لم يوقرنى توقير الشيخ حيث نادانى بيارجل ، وقلت له ياهذا انت نائم ورجلاك فى الماء ، انما طرحت السؤال فى الاحتمالات ، وقد بينت لك الوجوه المحتملة ، فان كان معك فى المسالة كلام فهاته والا تكلم فى غيرها ، فأعاد الكلام الأول ، فقال الملك أيها الشيخ قد بين الاحتمال ، وليس لك أن تعيد عليه ولا أن تغالطه ، ولا جمعتكم الا لفائدة لا للمهاترة ولما لايليق بالعلماء ثم التفت الملك الى الباقلانى وقال له تكلم على المسألة ، فقال الباقلانى مالا يطاق على ضربين احدهما لا يطاق للاشتغال عنه بضده كما يقال فلان لا يطيق التصرف لاشتغاله بالكتابة ، وهذا سبيل الكافر انه لايطيق الايمان لاشتغاله بالكفر وهو ضده ، وأما العاجز فما ورد فى الشريعة تكليفه ولو ورد لكان جائزا ، وقد أثنى الله تعالى على من سأله الا يكلفه ما لا يطيق ، فقال « ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » ثم تجاوز الاحدب الكلام الى غيره وتكلم معه الباقلانى ومال الملك الى قوله ، ثم التفت الملك وقال سلوا أبا اسحق النصيبى عن مسألة الرؤية ، فأنكر رؤية الله تعالى فى الاخرة ، وسئل ما حجته فقال كل شىء يرى بالعين فيجب أن يكون فى مقابلة عين الرائى فالتفت الملك الى القاضى أبى بكر ، فقال القاضى لايرى بالعين فعجب الملك من قوله ، وقال قاضى القضاة فاذا لم ير بالعين فبماذا يرى ، فقال القاضى يرى بالأدراك الذى يحدثه الله تعالى فى العين وهو البصر ، ولو كان يرى المرئى بالعين لكان يجب أن يرى بكل عين قائمة ، وقد علمنا ان الاجهر عينه قائمة ولا يرى بها شيئا ، فقال النصيبى لم أعلم أنه يقول ، وظننت أنه يسلم قولى ، وجرى له فى هذا المجلس كلام كثير أعجب به الملك ، ولم يزل يحلو له كلامه ويزحف عن سريره حتى نزل عنه وحصل بين يديه ، ثم أقبل الملك على قاضى القضاة ، فقال له ألم أقل لك مذهب طبق الارض لابد له من ناصر ، فقال الباقلانى فلما انقضى المجلس صحبنى بعض الحجاب الى منزل هيىء لى فيه جميع ما نحتاج اليه فسكنته .

ولم يزل مع الملك الى أن قدم بغداد ودفع اليه الملك ابنه ليعلمه مذهب اهل السنة ، وقال الملك لقاضيه فكرت فى قتله لجلوسه بغير أمرى ، وأما الآن فقد علمت انه أحق بمكانى منى .

ولم يزل الباقلانى فى علو مجده وطلوع سعده ، حتى دعاه داعى المنون فلباه راضيا وأسلم روحه الى ربه ،ففاضت الى عالمها القدسى تحفها ملائكة الرحمة باجنحتها النورانية وكان ذلك فى سنة ثلاث واربعمائة من هجرة خاتم النبيين ودفن ببغداد وقبره بها ظاهر يزار .

الملامح الدينية في شعر عائشة التيمورية

الاستاذة روحية القليني

قبل ان ابدأ فى الكتابة عن الملامح الدينية فى شعر عائشة التيمورية . أرى أن أعطى القارىء صورة عن الشاعرة وبيئتها ومدى تاثرها بتلك البيئة التى عرفعنها المحافظة والتدين .

ولدت عائشة عصمت التيمورية بالقاهرة عام ١٨٤٠ وتوفيت فى ٢ مايو سنة ١٩٠٢ .

وكان والدها اسماعيل باشا تيمور يشجعها ويهيىء لها جو العلم والمعرفة فيحضر لهـا المدرسـين يعلمونهـا القراءة والكتابة والقرآن الكريم .

أما والدتها فكانت تفضل أن تعد ابنتها لحياة منزلية سعيدة هادئة تتعلم التطريز وبعض اعمال المنزل قائلة ان الفتاة اعدت للمنزل وللزواج .

ورأى الوالد ابنته تتجه الى غير ما تريده أمهـا واستشف مواهبها ، فشجع ابنتـه ودام الصراع بين الأم من جانب والأب وابنته من جانب آخر الى ان انتصر الأب وابنته أخيرا وعكفت عائشة على الكتب تلتهم ما فى بطونها من علم وثقافة .

واكتشف ابوها موهبة جميلة غير حبها للقراءة وهى الشعر فى سن مبكرة فاحضر لها من يعلمهـا العروض واللغة لتنمو موهبتها .

كان يستمع اليها بين حين وآخر عندما كانت تعرض عليه انتاجها المتواضع متلهفة الى رأيه فكان يفرح حسين يرى ابنته فى تقدم مستمر . وخاصة وان الالمام بالكتابة فى ذلك العصر كان يعتبر شيئا كثيرا .

وتزوجت عائشة فى سن مبكرة وأنجبت ابنتها توحيدة وكانت توحيدة هذه هى اختها وابنتها وكل شىء لها فى حياتها لأنها أنجبتها وهى مازالت صغيرة .

ومرضت عائشة فكانت توحيدة تقوم باعباء المنزل بدلا من أمها . ولم يرحم القدر قلب الشاعرة الرقيق فاختطف الموت وحيدتها وهى تستعد لحياة الزواج والامال الكبار ماتت فى سن الثامنة عشرة فبكتها امها بكاء اورثها المرض وقصيدتها فى توحيدة ، هى أروع ما قالته عائشة من شعر لا لأنها ابنتها فحسب ولكن لأنها كانت ابنة مثالية رقيقة رفيقة بامها . كانت « توحيدة » القصيدة الحسنة الجميلة التى يعتز بها الشاعر كما يعتز الفنان الأصيل باكمل عمل فنى له .

أقامت عائشة بعد موت ابنتها مناحة دامت سبعة اعوام متتالية حتى ضعف بصرها واصابها الرمد وانصرفت الى قراءة القرآن وتفسيره ومطالعة الحديث النبوى الى ان ماتت فى مايو سنة ١٩٠٢ كما قلت بعد اثنين وستين سنة .

تقول على لسان ابنتها بعد موتها :

أماه قد عز اللقاء وفى غـد
ستـرين نعشى كالعروس يسير
وسينتهى المسعى الى اللحد الذى
هو منزلي وله الجموع تصير
قولى لرب اللحد رفقـا بابنتى
جاءت عروسا ساقها التقدير
وتجلدى بازاء لحدى برهـة
فتراك روح راعها المقدور
صونى جهاز العرس تذكارا فلى
قد كان منه الى الزفـاف سرور
أماه لا تنسى بحق بنـوتى
قبرى لئلا يحزن المقبور

الى ان تقول :

لا توصى ثكلى قد أذاب وتينهـا
حزن عليك وحسرة وزفير
انى الفت الحـزن حتى اننى
لو غاب عني ساءنى التاخير

هذه هى لمحة بسيطة عن حياة عائشة التيمورية . كتبت فى الوان متعددة من الشعر وما يعنينى الان هو شعرها الدينى . وقد كان شعرها الدينى خصبا ويرجع ذلك كما اعتقد لكثرة قراءاتها الدينية من تفسير وحديث . ولبيئتها المحافظة المتدينة التى كان لها اثرها القوى فى طبع الفتاة على هذه الصورة النقية الورعة .

يقول اخوها احمد باشا تيمور انها كانت تقية تصلى تصوم وتقوم بكل فرائضها الدينية ويبدو ذلك فى شعرها ونثرها.

تقول توسلا بالمقام النبوى :

طه الذى قد كسى اشراق بعثته
وجه الوجوه سناء الرشد والكرم
طه الذى كانت انوار سنته
تيجان امته فضلا على الأمم
لانت له الصخرة الصماء طائعة
مذ مسها سيد الكونين بالقدم
ولا يحيط به مدحى ولو جعلت
جوارحى السنا ينطقن بالحكم
وانما ارتجى من مدحه قبسا
يهدى الصراط ويشفى الروح من ألم
ياخير من ارتجى ان لم تكن مددى
وازلتي يوم وضع القسط القدمى
فاشفع بحب الذى أنت الحبيب له
لولاك ما ابرز الدنيا من العدم

وهكذا تمضى فى القصيدة بصوفية رائعة والفاظ منتقاه وتبتل أملاه عليها تدينها الجميل .

وفى قصيدة أخرى تشبه فيها الشاعرة المتصوفة رابعة العدوية حين يبدو نار الجوى والحب فى مخاطبتها العلى الكبير فتقول :

احبك حبين حب الهوى
وحبا لأنك أهل لذاك

فعائشة هنا تذوب وجدا وتغنى حبا فى الله فتقول :

لعب الهوى بفؤاد صب نائى
وسقاه كأس لوعة وعناء
ما باله يشكو ويشكو حاله
فى الحب لم يبرح عن البرحاء
قد كان قبل العشق لا يدرى الجوى
هل تاه بعد العشق فى تيهاء
ما باله يشكو ويشكر حالة
امسى بها من جمله الشهداء
ابدا تراه لاهجا باسم الذى
يهواه فى الاصباح والامساء
دمعى وقلبى مطلق ومقيد
هذا لتعذيبي وذا لشقائى

حب تمكن فى الفؤاد وقد بدت
اثاره فى سائر الاعضاء
انى ليعجبنى الذى يرضى به
سيان بصدى عنه أو ادنائى
فعلامة العشاق حسن رضاهمو
عما ارتضى المحبوب من اشياء

فهنا عائشة قد فنت فناء تاما فى الذات الالهية وهامت هياما روحيا خالصا فى مولاها تماما كما كانت عليه رابعة العدوية واعتقد ان هذا ليس تقليدا منها لرابعة وانما هى حال وجد تغمر المحب المتفانى فى الذات الالهية . فهو تعبير صادق عن تجربة روحية خالصة .

وقالت :

يا راقدا فى الليل ان الليل سحار
نبه عيونك ان الفلك دوار
ان الظلام دثار للكثيب وقد
لاحت عليه بوجه الأفق أقمار
حى الليالى وخل العين ساهرة
ان المنام على أهل الجوى عار

وهى هنا تتفق مع رابعة فى أنها تفضل السهر على النوم لتناجى ربها تقول رابعة نثرا :

لقد نامت الأعين وغفل الغافلون وبقيت رابعة الخاطئة بين يديك تنظر اليها نظرة لا انام عن خدمتك فى ليل او نهار الا غلبة حتى القاك .

وكانت تتغلب على النوم فتقول :

يا نفس كم تنامين .. والى متى تهجعين أوشكت تنامين نومة لا تنهضين منها الا لصرخة يوم النشور .

فالليل عند الشاعرتين هو لحظات الابتهال ونجوى الله وحتى فى شعرها الأخلاقى نلحظ انصرافها الى حب الله وزهدها فى حياة زائلة حيث تقول :

رب الدراهم أحصاها وعددها
فى حصن أكياسه ألفا على ألف
والحمد لله اذ عدى لسبحتى
وعن سواها ترانى قاصر الطرف

وهكذا نرى الروح الدينية غالبة على شعر عائشة حتى فى غزلها نراها عفيفة تكاد تكون متصوفة حتى اننا نلاحظ ان شعرها الغزلى تكتبه بلفظ المذكر وتذكر الله دائما ولا تنساه ابدا .

هذه هى عائشة التيمورية الشاعرة الرائدة التى كانت تتغنى بالشعر فى وقت كان معرفة القراءة حدث وحدث كبير ولكنها وهى سليلة بيت العلم سارت فى طريق جعلها تتفوق على بنات عصرها بل وتنافس الرجال فى مضمار الأدب والشعر .

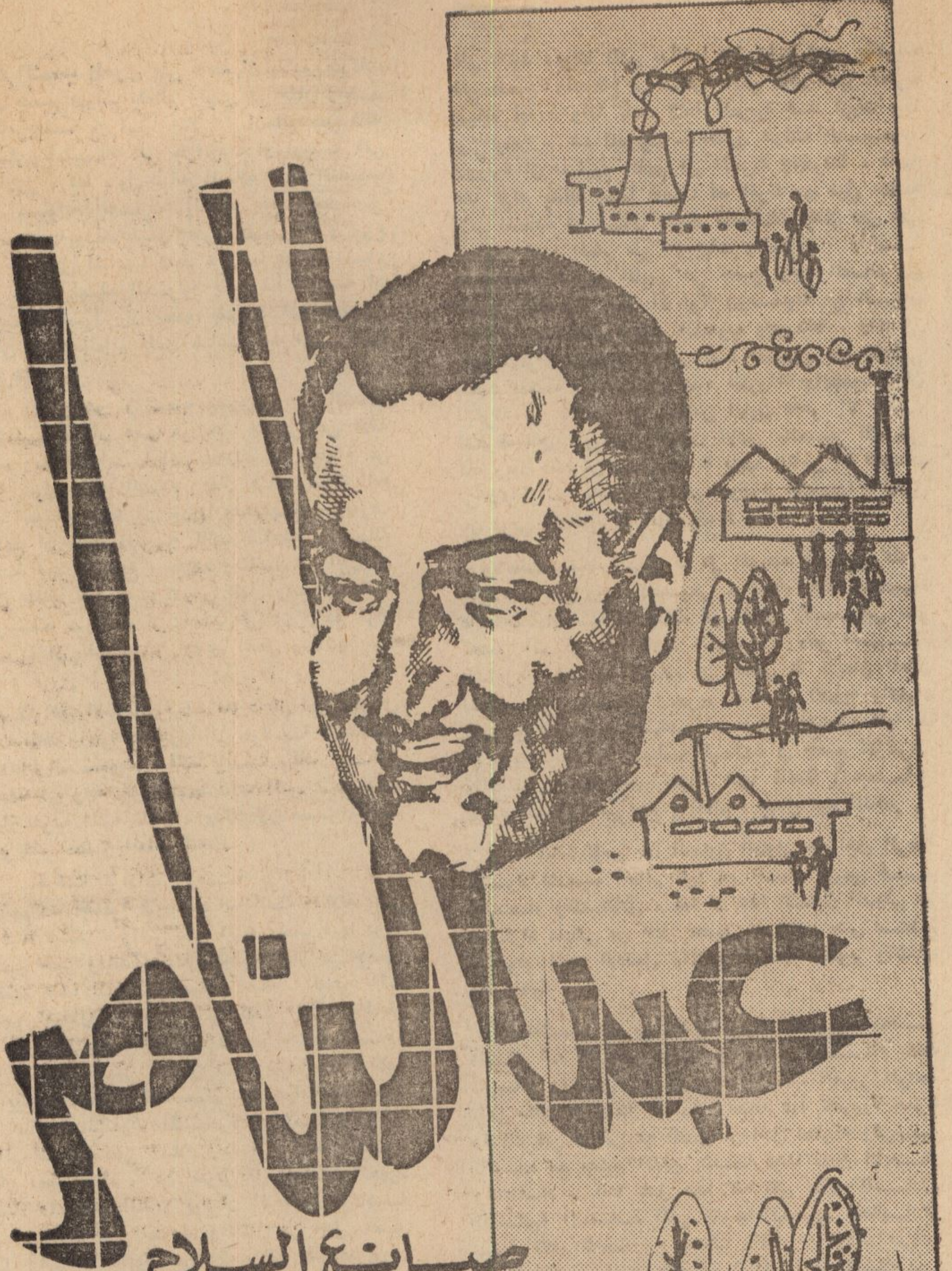

عبد الناصر صانع السلام

الأستاذ كامل عبد المجيد

« ان الامة العربية ليست مقطوعه عن دنياها ، وانما هى فى القلب تماما من هذه الدنيا »

لم يغفل عبد الناصر مبدأ حيويا هاما واحدا فى خطة العمل القادمة التى قدمها لممثلى الشعب فى مجلس الامة فى مطلع هذا العام .. فبدأ هذا المخطط بتمهيد الطريق للجيل الجديد الذى سوف يقود الثورة فى جميع مجالاتها ، كما اعلن تضمن هذه الخطة مرحلة هامة من مراحل التصنيع ، وهى مرحلة بناء الصناعات الثقيلة التى سوف تصل بنا الى الارتفاع بالدخل القومي ومضاعفته ، وكذلك ارساء قيم المجتمع الاشتراكى وأخلاقياته ، ومواصلة العمل من أجل الوحدة العربية وتحقيق سيادة الامة العربية ، وأخيرا حشد أكبر الجهود لمواصلة العمل من أجل نصرة حركة التحرير الوطنى فى كل قارات العالم لتدعيم السلام .. وهذا المبدأ الأخير هو موضوع مناقشتنا والذى سوف نستعرضه معا فى هذا المقال .

لماذا أخذ الشعب المصرى على عاتقه أن يناصر حركات التحرر فى جميع قارات العالم وليس فى مكان واحد فقط .. كافريقيا او آسيا مثلا .. ان الرد على ذلك السؤال يمكن تقسيمه الى جزأين ، أو ارجاعه الى سببين . الاول ، كما يقول صانع السلام « ان النصيب الاوفى من المسئولية العربية العالمية يقع كاهله على الشعب المصرى » وذلك ليس مجرد تطوع منا أو تبرع من شعبنا من أجل المبادىء فقط ، وانما هو اقتناع كامل بأن تحملنا لهذه المسئولية يتيح لنا الفرصة أن نؤدى واجبا كبيرا وان نحقق ضرورة أمن لابد من ايجادها فى هذا العالم الذى ضاعت فيه المسافات واختفى أثرها .

والسبب الثانى هو أن شعب مصر جزء من الشعب العربى الكبير ، وان مصر هى جزأ لايتجزأ من الامة العربية ، وبما أن امتنا العربية ليست مقطوعة عن دنياها كما يقول صانع السلام ، فان هناك رسالة امام هذه الأمة العربية عليها أن تؤديها وتحققها . ويعرف العالم أجمع أن الأمة العربية كانت صاحبة رسالة وحضارة منذ فجر التاريخ ، تجاهد وتناضل من اجل ان تنشر الأمل والنور على ربوع الأرض كلها .وقد استطاعت الأمة العربية – بعد أن نجحت فى ان ترتفع فوق الظروف – ان تضطلع من جديد بحمل رسالتها مرة اخرى .

واليوم لاتوافق الأمة العربية باى حال من الأحوال على ألوان الظلم التى يحاول أن يفرضها الاستعمار العالمى على الشعوب . كما انها تقف بصلابة وقوة مؤمنة فى وجه كل التهديدات التي تستهدف اشعال نار حرب عالمية ثالثة ، وذلك لأن مصير شعبنا العربى يرتبط بمصير العالم كله .

واذا استعرضنا قرارات الزعماء والرؤساء العرب لوجدنا انهم قد اجمعوا فى مؤتمرات القمة الثلاثة التى عقدوها فيما بينهم – والتى دعى اليها ولعب فيها دورا كبيرا زعيم مصر وقائدها جمال عبد الناصر – أجمعوا على رفضهم مبدأ القوة وايمانهم بالسلام والدعوة اليه ومعارضتهم للتجارب الذرية التى تهدد العالم بالخطر النووى ، ونادوا بدعوة الشعوب العربية الى السلام الشامل . وفى سبيل تحقيق هذا المبدأ نادت الأمة العربية بوجوب محاربة الاستعمار دون هوادة ولا رحمة وضرورة مناصرة الشعوب المستعمرة فى آسيا وافريقيا وفى العالم كله ليتحقق السلام وتستطيع هذه الشعوب – ويتمكن معها العالم – من تحويل كل الطاقات والجهود نحو البناء والتعمير اللذين يوفران الرخاء والرفاهية بدلا من استنفادها في الحروب والقتال من أجل تحقيق الاستقلال وانتزاعه بالقوة من بين براثن المستعمرين .
وهذا يدعونا – نحن ابناء الوطن العربى الواحد – الى تأكيد دعوتنا التى بدأناها منذ وقت ليس بالقريب الى الحرية والدفاع عن مبادىء الأمن التى تعتبر الحرية صماما لها – واذا كانت الأمة العربية قد آزرت نوعا من البشر – هم الملونون – الذين حولت الشعوب الأوربية أن تسلبهم حقهم فى الحرية والكرامة ، فانها انما تؤكد بذلك مبدأ عالميا قد أقرته من قبل منظمة الامم المتحدة فى ميثاق حقوق الانسان الذى نص على تساوى جميع البشر فى الواجبات والحقوق . واننا نحارب هذا التمييز اللونى فى جميع أرجاء العالم لأن التمييز العنصرى ليس الا لونا ووسيلة من الوان ووسائل استغلال ثروات الشعوب وجهدها ، وانه فى واقع الأمر ، سيطرة تتعرض لها الشعوب من الأجنبى بقصد تمكينه من استغلال هذه الثروات والجهود .وان التفرقة بين الناس على أساس اللون ماهى الا تمهيد للتفرقة بين جهودهم والحاق الأذى بالضمير الانسانى كله وبما حققه من انتصارات « يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » لافرق بين عربى واعجمى الا بالتقوى » .

ولايمان شعبنا العربى – على الصعيد العربى كله ، وفى مصر على وجه الخصوص – ايمانا مطلقا بالحياة فانه يشارك مشاركة فعالة في العمل الايجابى نحو تحقيق السبيل الى تأكيد الحياة .. وهو السلام الشامل وهذا السلام لن يتحقق الا بايمان العالم المطلق بنزع السلاح وتحريم التجارب الذرية والحياد الايجابى والمعايشة السلمية .. وهذه المبادىء كلها قد أصبحت شعارات وسياسة لبلادنا فى جميع المؤتمرات والمحافل الدولية التى يمثلنا فيها قائدنا وزعيمنا ، صانع السلام ، فى مصر والعالم ، جمال عبد الناصر .

واننا أيضا نؤمن بأن التعاون الدولى من أجل الرخاء المشترك لشعوب العالم كلها هو امتداد طبيعى ضد الاستعمار والاستغلال ، كما أن هذا التعاون الدولى هو استطراد منطقى من أجل تحقيق السلام ، حتى نستطيع أن نوفر الجو الأفضل والمناخ الأنسب للتطوير والتقدم والرفاهية .

ان الشعب العربى الذى يرتبط مصيره بمصير العالم كله لن يالو جهدا فى تحقيق السلام بكافة الوسائل والسبل ، ونحن ابناء الشعب العربي الواحد نؤمن بالسلام كمبدأ وعقيدة ، نعتقد فيه كضرورة حيوية ولذلك فلن نتوانى عن العمل من أجل تحقيقه وفى سبيل تأكيده مع جميع الذين يشاركوننا نفس الايمان والاعتقاد . اننا نفعل هذا كله لكى تتأكد المبادىء الانسانية السامية التى كتبتها الشعوب بدمائها فى ميثاق الامم المتحدة .. وهدفنا دائما .. اولا واخيرا .. هو السلام .. الذى ينبع من ديننا .. من الاسلام .

حل الأزمات في الاسلام

الدكتور فؤاد فخر الدين

حين اتحدث هـــذه المرة عن « حـــل الأزمات في الإســلام » اشعر بان أزمة اعترضت طريق حيــاتي ، وعرقلت سبيلي ، فأساءت حالي عقلا وتفكيرا وشعورا ، وانتابتني احساسات الفرقة الاليمة بالاسرة والخلان والاحباب والاصدقاء مالم أكن أتوقعها من قبل ، ولم اتوقع مثل هذه الأزمة تقع فى طـــريق حياتي العائلية السعيدة حيث لم يكن لى الا ابن واحد ، وحيـــد حياتي ، فريد عمري ، وسلوة قلبي ، وروح تفكيري ، اذ اداعبه بالحنان والعطف وهوكل حناني وعطفي واضع فيه روحى وحياتي ، وهو كل روحي وحياتي ليكون انسانا كاملا في دينـه وعقيـدته ، وفي وطنيته وحبه للانسانية افكر فيه وفي زوجتي التي هي سلوتي في الغربة وفي الحل والترحال ، وهي قلبي الذي وضعت فيه كل حب ، وكل فكر ، وكل عقل ، وهي آخر الركن الركين الذي اعتمد عليه في تطور حيــاتي ، سعيدها وشقيها ، وكانت العون الكامل في تنظيم معيشتي ، فكم لها من فضل في اسعاد الأسرة وانهاضها ، وفي حفظ كيانها ورقيها .

لم ادر متى الإجتماع بهما مرة آخرى ، بيد أن وطن المسلم كل البلاد الاسلامية في أرض الله الواسعة ، ولكن مسقط راس الانسان هو مربط مصيره ، وملجأ فكره وحياته ، وهو الذي قال فيه الشاعر :

بلادي وان جارت عـــلى عزيزة
واهلي وان ضنوا عـــلى كـــرام

فلا ريب ان الاخوة الاسلامية رمز ديني لم تتحقق بعد في الحياة الاسلامية العامة ، والشعور بالاخوة هو فترة انتقال الى انماء هذا النداء الديني المعبر عنه قوله تعالى : « انما المؤمنون اخوة » .

لا شك انه لابد من التغلب على هذه الأزمة رغم اسبابها السيئة ، ورغم حسن النية ولكن المسلم يجب ان يعتبر الدين اساسا لحياته ، ويتمثل بقوله تعالى :

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة ، انك انت الوهاب . ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، ان الله لا يخلف الميعاد » وقوله سبحانه : « ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيىء لنا من أمرنا رشدا » .

في هذه الحالة يتمســـك المرء بالحب الاسلامي وبالسماحة الدينيـة وبالاخلاق القرآنية ، هي الصفات العامة التي يتساوى فيها المسلمون ، عربيهم وعجميهم ، ويتمثل بها المسلم الحقيقي الذي يتغلب على المصـائب والصـعاب ليحافظ على الكيان الديني سليما من كـــل الاتهامات البريئة ، وما اجدرنا على التمسك بهـذه الصفات حتى يظهر الاسلام على حقيقته ، وفي صورته المثالية ، وفي ندائه السامي ، وفي روحه الوثابة ، وفي تكوين الأمة الاسلامية كخير أمة أخرجت للناس .

الوطن عزيز مهما كان ، والاخـــوة الاسلامية مبدأ انساني لا نـــزاع فيه ، فليست هي فكرة طارئة غير مدروسة ، ولا هي ارادة غير مرعية ولا هي مقصد غير شريف ، ولكنها أمنية كل مسلم لتوحيد الصفوف .وتقوية العروة ، تلك العروة التي لا انفصام لها .

ثم الازمات في كل احوالها وظروفها طارئة عن سوء التصرف أو قصر التفكير والنظر أو نتيجة العنجهية أو الشعوبية التي تفرض سلطة ما على الغير أو اشعار الغير بعلو كعبه في الثقافة او السياسة أو في المادة والثروة ، وقد برهنت الحيــــاة على ان الأزمات بين الجنسيات المتعددة اسلامية أو غيرها ناتجة عن اختلاف في الرأى الشـــخصي الذي يؤدي الى ابعد من ذلك تأثيرا وأثــرا ، ومن سوء الطالع ان نرى كثــيرا من المسلمين يشعرون بان الاعطاء منة ، وان التعاون اذلال ، وان المساعدة استعلاء ، وان بالعلم يفرضون سلطتهم ، وبالمنصب يهينون غيرهم ودونهم . وكم نرى مساوىء ترتكب لعدم فهم المسلمين حقيقة الاسلام ، فيتفوهون بما لا يليق والروح الاسلامية البناءة ، ولا يتناسب مع الأغراض الدينية الســـامية ، ومع العنصر الفكرى الشامل ، ومع المبدأ الانساني الراقى .

ومن هذه الناحية تجد الأزمات تحدث فى النفوس فترة ، ومن الصعوبة ان تعالج لان هذه النفوس تختلف اختلافا كليا فى تقبلها للنصائح او للتعاليم الدينية او للارشادات القويمة . وان كثيرا من الشعوب تتأثر سريعا بكلمة نابية ، وقد لا يتسامحون عنها مهما كانت الظروف والملابسات ، وقد يؤدى ذلك الى فتنة ، والى اراقة الدماء والى قتال شامل ، والى انتقال بغيض .

هذه الاشياء يجب ملاحظتها فى الخطوات العملية سواء فى نشر الثقافة الاسلامية فى الخارج أو فى تقبل الطلبة اذا جاءوا من بلاد نائية لان هذا الشعور فياض وكثير التأثير والتأثر : وكثير الايلام والتألم . ولتلافى وقوع مثل هذه المسائل يجب اختيار من هم أصلح الناس لتولى المناصب المتصلة مباشرة بهذه العملية لايجابية العمل ، ولانجاح المسئولية ، ولتحقيق الفطرة الدينية .

ان التساهل فى مسالة أساسية ومبدئية يؤدى الى سوء العاقبة ، والى عدم المبالاة بأساسية العمل ، وباهمية المسئولية ، وبعظمة الهدف ، وبطهارة المهمة التى هى من صميم التكوين الحيوى للافراد والجماعات فى ايجاد العمل المشترك ، والفكرة المشتركة ، والروح الهدافة لبناء المجد الاسلامى ، والعلو الدينى ، والكلمة العليا .

وقد حدد الله فى تكوين الرأى الاسلامى واجبات كل فرد سواء فى تكوين شخصية نفسه أو فى تكوين شخصية الجماعة أو شخصية الشعوب لايجاد تلك الأمة الاسلامية . وهذه الأمور لازمة لازالة الأزمات وحلها بالتعاون الفكرى والتشاور العملى والنصائح الخالصة ، والارشادات الرشيدة .

بعد هذا نرى كيف يعالج الاسلام الأزمات عند وقوعها ، وعند حدوثها ، وانها فكرة انسانية لرفع شأن الانسان فى الحياة الخالدة بالامن النفسى ، والاطمئنان الروحى ، وبالسعادة الاخوية فى حدود الامكانيات البشرية التى قومها الدين بروح التسامح ، والحب والتعاون الودى ، وبالشعور الدينى العميق ، البعيد عن الانانية الشخصية ، والوطنية ، وعن الشعوبية السياسية والمعاملة التى قد أفسدت الروح الاسلامية فى مجال المعاملات والسياسة ، وفى تبادل المنافع والمصالح .

ومن سوء التفسير الحقيقى للاخوة ، أو عدم التفكير فى تنفيذ هذه الخطوات الايجابية فى حياة المسلمين ساء تنفيذ روح التعاون فى البعثات التعليمية ، وفى الاتفاقيات الثقافية ، وفى الأعمال الدبلوماسية .

فالاجدر بنا هو القيام بتنسيق الفكرة العامة لاشعال روح الود والاخوة فى العمل المشترك للفائدة المشتركة ، وللمصالح المتبادلة فى شعور دينى كله خلق سام ، وكله روح عالية ، كله عمل جدى لاعلاء كلمة الله ، كلمة الحق ، كلمة الاسلام فى رسالته الانسانية ، وفى ندائه الاخوى ، وفى روحه الوثابة .

وفى الحقيقة ان الحياة الاسلامية تحتاج الى حل الأزمات المحيطة سواء الموجودة منها فى نفوس الافراد او فى حياة العائلات أو فى حياة المجتمع الاسلامى على وجه العموم ليعرف الناس مدى صلاحية الاسلام فى حفظ الكيان الانسانى ، وفى علاج تلك الأزمات الطارئة على الحياة ، النابتة عن كثير من سوء التصرف فى التفكير أو فى التنفيذ أو فى السلوك أو فى التصرف أو فى الخطوات .

وفى الواقع ان العقل غير كاف فى ارشاد المرء الى الطريق القويم لأن الدين وضع حدود صلاحية العمل ليحول العقل فى تحقيق هذه الصلاحية ، والعمل فيها ، وعدم الخروج عنها ، وللعقل مجال العمل فى تنفيذ خطواته حسب هذه الارشادات الدينية التى قال الرسول صلى الله عليه وسلم « الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات » وقال تعالى : « تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » .

ومن الأعمال الدينية التى شرع فيها الرسول صلى الله عليه وسلم اول وصول المسلمين المهاجرين الى المدينة المنورة هو المؤاخاة بين المهاجرين والانصار لتقوية الروح الاسلامية فى حدود الفكرة الدينية فى التعاون ، والحياة المشتركة فى تحمل المسئولية ، والابتعاد عن ضعف السؤال ، وذل الهوان . وقد فعل الانصار كل ما فى استطاعتهم لمعاونة اخوتهم حتى كادوا ان يتنازلوا عن ثانية زوجاتهم اخلاصا فى الاخوة ، وارضاء لنداء الدين ، فكان هذا حربا لنفسية الانسان التى تتلخص فى قوله تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ، قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد » .

فمتى كان الانسان مع ربه فى تصرفاته واعماله وتفكيره ، فلا شك انه يخطو خطوات سليمة نحو حياة سعيدة ، ونحو اطمئنان روحى ، ولا يبالى ما فى الحياة من متاعب ، وما فيها من مآس ، وما فيها من اخلاق الناس الذين بعدوا عن الدين وضحكوا على المسلمين ، ووضعوا انفسهم فى مكانة هى أقرب الى ايذاء الناس . فعلاقة الانسان بربه لها أثر بالغ فى علاقة الانسان باخيه الانسان ، لأنه طالما كان الانسان قريب العلاقة احسنها بربه فانه يكون مليئا بالروح الالهية التى تربط الانسان ببنى الانسان الذين هم خلفاء الله فى أرضه وحينذاك يتمثل الانسان ربه فى وجوده ، وفى صفاته ، وفى حركاته وسكناته فان ارتباط الانسان بالله هو خلاصة وجوده فى هذه الحياة حسب تنظيم الدين فى تهيئة الجو الاسلامى المليء بالحب والاخلاص رحمة للعالمين ، وارتقاء للشعور الذى يتولى الأمور الحيوية فى حياة الانسان .

فالأزمات مسالة عامة شاملة ، ومشكلة طائرة سائدة ، فهى تجارب اختبارية للمرء ليعرف قدر نفسه ، ومدى قوته ، وصبره ، ومقدار تحمله واحتماله ، وهذه الأزمات تصقيل للروح والعقل ، وتبصرة فى اتخاذ الخطوات لتنفيذ أى فعل ، واية خطوة وفكرة ، وهى درس لكل شخص ولو تكون قاسية ، ولكنها تعطيه فكرة الوقاية اذ لايلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين ، وقد كثرت الأزمات فى حياة الانبياء والمرسلين وعظماء الرجال لانهم يقومون بمهمات شاقة تحتاج الى خبرة وامتحان وامتهان حتى يعجموا الأمور ، ويعالجوا المشاكل ، ويتنبهوا للمستقبل سواء مستقبلهم أو مستقبل امتهم أو مهمتهم .

دراسات فى التاريخ الإسلامى

الفتوح الكبرى فى عهد الفاروق عمر بن الخطاب

١ فتح العراق
٢ موقعة الجسر

الدكتور أحمد ابراهيم الشريف

تركنا جبهة العراق وسرنا الى الشام مع القائد المظفر خالد بن الوليد حين كتب اليه أبو بكر أن يسير بنصف جيش العراق ، لنجدة المسلمين فى الشام ، ولينسى الروم وساوس الشيطان ، وأخذتنا الحوادث بمتابعتها حتى أتم الله على المسلمين النصر كاملا وفتح الشام كله. وأصبح لزاما علينا بعد ذلك أن نعود الى الحديث عن جبهة العراق ، لنتابع الأحداث فيها بعد رحيل خالد عنها، وسوف لا نتركها حتى نشهد سقوط الامبراطورية الفارسية كلها فى يد المسلمين ان شاء الله .

تولى المثنى بن حارثة الشيبانى القيادة بعد رحيل خالد عن العراق ، وكان المثنى رجلا فذ الشجاعة حقا ، شديد الاخلاص والولاء للعروبة وللاسلام ، ويحسن أن نذكر القارئ بما عرضنا اليه من قبل ، وهو ان القتال فى العراق ضد الفرس كان المثنى على رأس بنى شيبان هو الذى بدأه دون الرجوع الى الخليفة فى المدينة ، وقد كان ذلك متابعة للصراع بين العرب والفرس ، حين أسقط الفرس مملكة الحيرة العربية وقتلوا ملكها النعمان ابن المنذر الامر الذى أغضب العرب فى العراق فهبوا لقتال الفرس ، والتحمت القبائل العربية وعلى رأسها بنو شيبان بقيادة شيخهم هانئ بن مسعود ، وألحقوا بهم – لاول مرة – الهزيمة فى موقعة ذى قار حوالى سنة ٦٠٤م ، أى قبل ظهور الاسلام . فالحرب بين العرب والفرس بدأت فعلا قبل الاسلام ، وكانت حرب تحرير خاضها العرب فى العراق للتخلص من السلطة الفارسية ، وكان بنو شيبان أول من حمل لواءها . فالمثنى بن حارثة الشيبانى حين ناوأ الفرس انما كان يواصل ما بدأه قومه من قبل. وحين كتب المثنى الى الخليفة أبى بكر يوقفه على أمره ويطلب اليه المدد ، كان لزاما على الدولة العربية – وقد فرغت من تثبيت الوحدة العربية فى شبه الجزيرة ، أن تولى وجهها شطر الهدف الثانى وهو اتمام هذه الوحدة بتحرير باقى العنصر العربى على أطراف شبه الجزيرة ، فى العراق والشام ، ومن ثم استجابت لدعوة المثنى ، ووجه الخليفة أبو بكر خالدا بن الوليد لتولى عمليات التحرير فى العراق .

كان المثنى عظيم الشجاعة ، وقد تجرأ قومه من قبل على قتال الفرس ، ثم هو قد شهد المواقع تحت قيادة خالد وشاركه الانتصارات العظيمة التى حققها ، ولذلك نراه الآن على أتم الاستعداد لمقابلة الشاهنشاه « ملك الفرس » وجها لوجه بحفنة من رجاله البدو شديدى الاعتداد بالنفس . ولم يكن قد مضى على تبوء

الملك الفتى « يزدجرد » عرش الفرس كبير وقت ، حتى اخذ العدة ليفتتح عهده بعمل مجيد باخراج هؤلاء العرب من أبناء الصحراء من حدود دولتـــه . وقرر المثنى أن يخوض المعركة ضد قوات يزدجرد عند خرائب مدينـــة بابل القديمة ، حيث وقف مع رجاله ينتظرون هجـوم الفرس الذين تحركت صفوفهم للقتال يتقدمها فيل كبير. ولم يكن العرب قد ألفوا بعد طريقة معالجة هذا الطراز المبكر من هجمات « الدبابات » . وسرعان ماأوقع الفيل الاضطراب في بداية المعركة في صفوف العرب ، ولم تخن المثنى شجاعته أمام هذا الموقف الجديد ، فبرز الىالفيل فى ثلة من رجاله ، وأخذ يهاجمه حتى اصابه وأوقعـــه أرضا ، وعندما فقد الفـــرس عون فيلهم ، اضطربت صفوفهم ، فركبهم المثنى برجاله وأوقع بهم الهزيمة .

وهكذا احتفظ المثنى ورجاله بعد معركة بابل بمدينة الحيرة ، وبكلتا ضفتى الفرات من الأنبار فى الشمال حتى راس خليج البصرة فى الجنوب .

لكن المثنى أحس بالقلق ، فقد ادرك أن الفـــرس قد تحسنت أحوالهم الداخلية بعد أن قضوا على الفــوضى التى كانت ناشبة بين الأحزاب واستطاعوا ان يولوا عليهم شابا من أبنـــاء الاكاسرة هو يزدجرد ، والتفوا حوله وتكاتفوا لاصلاح حال المملكة واعادة تنظيم الدولةوالجيش. وهم لذلك لابد وأن يبعثوا بقوة كبيرة الى الميدان بعدما أصاب قواتهم من هزائم على يد خالد ثم على يد المثنى ، وبخاصة وأن المدائن عاصمة الفرس لم تكن تبعد أكثر من ثمانين ميلا عن مقر قيادته .

كذلك كان المثنى يعلم أن الفرس لن يكملوا استعداداتهم لحربه قبل انقضاء بضعة أسابيع ، ولذا فقد حزم أمره على انتهاز فرصة الهدوء الذى سيسود الجبهة فى هذه الفترة ، وأسرع الى المدينة ليقابل بنفسه الخليفة ليشرح له الظروف ويطلب اليه سرعة ارسال امداد كافية لمواجهة الموقف الجديد . لكنه حين وصل الى المدينـــة كان أبو بكر مريضا ، ولقيه المثنى وهو موشك على الموت . ومع ذلك فقد استمع الخليفة المحتضر اليه واقتنع بمـا أدلى اليه من معلومات ، فأمر عمر بن الخطاب ـ الذى كان قد رشحه للخلافة بعده ـ بانتداب الناس لنجـدة المثنى وقواته بالعراق .

وما لبث عمر بعد أن تولى الخلافة بعد وفاة أبى بكر أن طلب الى المسلمين الاستعداد للذهاب للعراق ، لـكن الناس لم يسرعوا الى الاستجابة اذ كانت الفكرة الغالبة على العرب ، أن الفرس أكثر كفاءة فى القتال من الروم ، وكانت عظمة فارس القديمة لا تزال تملأ نفوسهم، وهكذا ظل التطوع للخروج الى جبهة العـــراق بطيئا ، فوقف المثنى فى المسجد يخطب النـــاس قائلا : أيها النـاس لا يعظمن عليكم هذا الوجه ، فانا قد تبحبحنا ريف فارس، وغلبناهم على خير شقىالسواد ، وشاطرناهم ونلنا منهم، واجترأ من قبلنا عليهم ، ولها ان شاء الله ما بعدها » ووقف الخليفة عمر يقول : « ان الحجاز ليس لكم بدار الا على النجعة ولايقوى عليه اهله الا بذلك. أين الطراد المهاجرون عن موعود الله . سيروا فى الأرض التى وعدكم الله فى الكتاب أن يورثكموها ، فانه قال : « ليظهره على الدين كله » والله مظهر دينه ومعز ناصره وموالى أهله مواريث الامم . أين عباد الله الصالحون ؟!! » ومع كل ذلك ظل التطوع بطيئا .

وكان أول منتدب للسير للعراق زعيم من اهل الطائف هو أبو عبيـد بن مسعود الثقفى . ولمـا تكاثر عدد المتطوعين ، اقترح بعضهم على عمر أن يختار قائدا عليهم أحد المهاجرين أو الأنصار من صحابة رسول الله ، لكن عمر رد بأن فضل الصحابة على غيـرهم انما يقوم فى استجابتهم لداعى الجهاد فى سبيل الله ، وقال : انأسبق الناس اجابة هو احقهم بالقيادة . وهكذا وجد أبو عبيد ابن مسعود ـ الذى لم تسبق له قيادة من قبل ـ نفسه قائدا لجيش المسلمين فى العراق .

وفى مثل هذا الحادث يحاول بعض المؤرخين الغربيين أن يدلل على أن انتصارات العرب وفتوحهم كانت عفوية، والا فكيف يختار رجل للقيادة دون أن تكون له خبـرة سابقة وممارسة لتولى ادارة الحرب ، وهم اذ يقولون هذا انما يقيسون على الوقت الحاضر ، أو يقيسون على ما يعرفون من أمم الحضـــارة فى الماضى ، ولا يدركون ماكانت عليه الحال عند القبائل المتبدية ، فرجالالقبائل فى ذلك الوقت كانوا محاربين بطبيعتهم ، وكان جيش القبيلة جيشا تلقائيا ، تدرب رجاله على الحرب تدريبا تلقائيا لظروف الحياة التى كانوا يحيونها ، وكان زعماء القبائل ورؤساؤها قادة بالطبيعة ، اذ هم حكام القبيلة وقادتها فى حروبها ، ولم يكن هؤلاء ولا أولئك فى حاجة الى مدارس عسكرية يدرسون فيها فنون الحرب ، وانمـا كانت الممارسة العملية هى مدرستهم . ولم ينفرد العرب وحدهم بذلك ، وانما هو شان كلالاقوام التىكانت تعيش على البداوة ، وكثيرا ما أخرجت البادية قوادا فاقوا أبرع قواد دول الحضارة فى تنظيم الجيوش وضبطهاوتسييرها، والأمثلة كثيرة لا تكاد تحصى فى حروب الرومان وفى حروب المغول والتتار ، وحتى فى الوقت الحاضر نستطيع ان نجد أمثلة كثيرة لما نقول . ثم ان التفكير العربى فى ذلكالوقت كان يتجه الى ناحيتين ، اولهما الايمان الذى يملأ نفس صاحبه ، وثانيهما الشجاعة الكاملة ، وهذان العاملان هما فى نظرهم اللذان يكفلانالنصر وكسب المعارك . فدأثبتت الحوادث صدق هذه النظرة العربية فبالايمان والشجاعة كسب العرب المواقع كلها ضد الفرس وضد الروم على السواء ، وبالبصيرة الملهمة تفوقت قيادات الصحراء على قيادات الحضارة ومدارسها العسكرية وفنها المدروس .

كان الخليفة أبو بكر قد قضى بعد انتهاء حروب الردة بهزيمة القبائل العربية المرتدة بالا يســمح لأى فـرد من المرتدين بالاشتراك فى الحرب الى جانب المسلمين ، عقابا للقبائل المرتدة من ناحية ، وعدم ثقة فيها من ناحية أخرى . وقد حال هذا القرار بين غالبية قبائل الجزيرة وبين القتال فى سبيل قضية العرب . وفى غضون ذلك الوقت كانت الجيوش الاسلامية قد غزت وفى وقت واحد أعظم امبراطوريتين فى العالم وقتذاك . واصبح النقص البشرى فى الجنود مشكلة خطيرة . أما الآن فقد نسيت القبائل الردة وثبت النظام الجديد وتدعمت الوحدة ، واحس العرب فى كافة أنحاء الجزيرة بالقضية القومية ، وبدأت القبائل تحس بالعقاب الذى نالته نتيجة تمردها على الوحدة ، وتتألم لحرمانها من المشـــاركة فى شرف القتا لصالح القومية العربية ، وحرمانها كذلك من غنائم الحرب ومفاخر النصر . لهذا وذاك أطلق عمر الحـرية للقبائل ورفع عنها الحظر ، فاطلق بذلك الطاقات الكامنة عند المحاربين البدو من عقالها لتندفع هادرة كالسيل . ومنذ هذا التاريخ أخذت الجيوش العربية لا تتـألف من محاربين متطوعين كماهى الحال من قبل، وانما اصبحت تتألف من قبائل برمتها تهاجر جملة حاملة معها نسـاءها وأطفالها وقطعان مواشيها !.

وخرجت النجدات من المدينة قاصدة العراق ، وعجل المثنى ليلحق برجاله فقد كان فى قلق عليهم لطول غيبته. وزحف أبو عبيد على رأس المتطوعين الجدد فى بطء داعيا

جميع القبائل فى طريقه للانضمام الى لوائه والسير لحرب الفرس .

وفى هذه الاثناء كان الفرس قد استانفوا نشاطهم العسكرى واتموا عدتهم ، وقد اختار يزدجرد القائد المحنك رستم قائدا عاما لجيوشه وأناطه مهمة اخراج العرب من العراق وطردهم الى الصحراء . وراح رستم يحرض نبلاء المنطقة من الفرس وكبار الملاك فيها على وقف الجزية التى كانوا يدفعونها للعرب وعلى ان يثوروا بهم. واخذ يرسل عدة فيالق من جيشه للقيام بعمليات الاستطلاع الهجومية ، ووراء هذه الارتال شرعت القوات فى التحرك نحو ساحات القتال .

كان هذا هو الوضع عندما وصل المثنى عائدا الى العراق ، فاحس بعجزه عن الصمود بقواته القليلة منفردا امام هذه الجحافل الفارسية . وعلى ماجرت عليه خطة العرب التعبوية ، جلا بقواته عن الحيرة وعن كل المنطقة المزروعة وانسحب الى اطراف الصحراء منتظرا وصول أبى عبيد .

وحين وصل ابو عبيد وتسلم القيادة ، شرع العرب فى التقدم ، وهزموا القوات الفارسية التى وقفت فى وجههم .

ولكن رستم لم يفقد اطمئنانه لقوة عسكره ، وأسند القيادة فى الميدان الى نبيل فارسى مشهور هو بهمن جاذويه ، ووضع تحت امرته جيشا قويا . وتقابل الجيشان وجها لوجه عبر الفرات فى مكان على مسافة قصيرة من الحيرة باتجاه الشمال .

ولما كان مثل هذا النهر الكبير يكون عقبة كبيرة فى طريق اى جيش يريد عبوره فى ذلك الزمان ، ويحرمه من أية حماية لو حاول هذا العبور ، اذ ان النبالةلايستطيعون اطلاق نبالهم عبره ، وبذلك لا يستطيع الجيش الذى يحاول العبور أن يؤمن نار التغطية اللازمة له أمام العدو – كما يقول التعبير العسكرى الحديث – فلم يكن من الممكن الاشتباك فى معركة لو لم يتفق القائدان على العبور دون قتال .

بعث بهمن برسالة الى ابى عبيد يخيره بين أن يعبر الفرس للقاء العرب ، أو يعبر العرب للقاء الفرس . ونصح مساعدو ابى عبيد له بأن يدع الفرس يعبرون ، وبذلك يستفيد العرب من ناحيتين : الأولى أنهم يعدون أنفسهم ويتخذون افضل المواقع لادارة المعركة ، والثانية أن العرب يستفيدون من اسلوبهم فى القتال وقد خلفوا الصحراء وراء ظهورهم ، فان كانت نتيجة المعركة لهم فبها ، والا وجدوا فى الصحراء ملجأ لهم من مطاردة عدوهم . لكن أبا عبيد قرر أن يعبر النهر لقتال الفرس، على الرغم من نصح مساعديه ممن كانوا اكثر منه خبرة بقتال الفرس ، وعلى رأسهم المثنى بن حارثة وسليط بن قيس .

وعندما وصل الى الضفة الشرقية وجدوا انفسهم فى أرض محصورة لا تصلح لحركاتهم العسكرية السريعة الحركة ، ولم يمهلهم الفرس ، فقد تقدموا وأمامهم الفيلة، والتحم الفريقان فى معركة قاسية عملت الفيلة فيهاعملها فقد اخذت تضرب الخيل المذعورة بخراطيمها وتقذف بفرسانها وتدوسهم ، وحاول المسلمون مهاجمة الفيلة وهم على أرجلهم بسيوفهم ، كما حاول بعضهم التسلل اليها وقطع احزمة الهوادج التى على ظهورها وقتل مافيها من المحاربين الفرس . وأحس أبو عبيد بمقدار ما عرض المسلمين له من الخطر ، فاندفع بنفسه فى شجاعة وبسالة على كبير الفيلة بسيفه ليصيب منه مقتلا ، فيزيل بقتله خطر هذه الحيوانات القوية المدربة على القتال ، وكان قد سأل عن مقتل الفيل فقيل له خرطومه ، فضرب خرطوم الفيل بسيفه ، ولكن الفيل حمل على القائد الشجاع حين أصابته الضربة ، وقذف به على الارض وداسه بارجله فقتله . وحين رأى المسلمون قائدهميموت على هذه الصورة ، ورأوا كل من يتقدم لتخليص جثته يلقى نفس المصير من الفيل الجريح الهائج ، دبتالفوضى فى صفوفهم ، وان كان اخوه الحكم بن مسعود قد حمل الراية وثبت بها ، ولكنه سقط شهيدا بدوره .

وتقهقر العرب الى الجسر يريدون عبوره ، لكن رجلا من ثقيف من قوم أبى عبيد ، راح فى هذه اللحظةالحرجة الى الجسر الذى عبر عليه العرب فقطع الحبال التى تربط السفن الى بعضها ، وبذلك قطع الجسر ، وطلب الى الناس فى ثورة من الحماسة أن يستشهدوا كما استشهد قائدهم أو يحرزوا النصر ، لكن الجند كانوا يندفعون الان الى الجسر طلبا للنجاة ، وبدلا من ان يثير عمل هذا الثقفى فيهم روح الحمية ويحملهم على الصمود، أحدث اثرا عكسيا، اذ انهم حين راوا طريق رجعتهم قد قطع ، دب الذعر فى نفوسهم ، واخذ بعضهم يلقىبنفسه فى النهر يحاول عبوره سباحة الى شاطىء الأمان .

وتناول المثنى الراية فى يده ، وأثار الحمية عند رجاله فالتفوا حوله ، وصاح فى الناس الا يذهلوا ، وان يقفوا على مصافهم فسوف يصلح ما فسد ، واشتبك مع الفرس فى معركة بالأيدى والسيوف ، بينما امر بعض رجاله باصلاح الجسر ، ثم هتف بالناس أن يعبروا على مصافهم ، فانه سيقف للفرس حتى يتم عبور بقية المسلمين .

ومما هو جدير بالذكر أن عربيا نصرانيا من قبيلة طيىء يدعى أبا زبيد كان من الشجعان القلائل الذين وقفوا مع المثنى فى تغطيته لحركة انسحاب المسلمين ، مدفوعا الى ذلك بدافع الحمية العربية اذ رأى بنى قومه يقاتلون الفرس . وكان سليط بن قيس ممن وقف مع المثنى فى شجاعة وبسالة حتى دفع حياته ثمنا لنجاة بقية الجيش .

وتمكن الجيش من عبور النهر بعد ان تم اصلاح الجسر ، ولكن بعد أن خسر نحوا من أربعة آلاف قتيل ، وحين وصل الى الضفة الغربية رحل نحو من الفين من رجال القبائل الى قبائلهم ، ولم يبق مع المثنى الا ثلاثة الاف رجل من جيش كان يبلغ عدده قبل المعركة نحو عشرة آلاف . واصيب المثنى نفسه بطعنة رمح من الاعداء وهو يحمى انسحاب المسلمين ، لم يبرأ منها زمنا طويلا حتى مات ، ولكن بعد أن أخذ بثار المسلمين فى معركة اخرى سنتحدث عنها فيما بعد .

وهكذا كانت الكارثة شديدة ، ويرجع سببها الى تهور أبى عبيد . ولو قاتل العرب على الضفة الغربية فىالارض المنبسطة الفسيحة التى تصلح لحركاتهم السريعة ، لربما تغير وجه المعركة ، وحتى لو اصيبوا لكان فى امكانهم اللجوء الى الصحراء حصنهم الطبيعى ولتجنبوا بذلك الكارثة التى حلت بهم . وتسمى هذه المعركة فى التاريخ بمعركة « قس الناطف » أو معركة الجسر ، وقد وقعت بعد موت ابى بكر بثلاثة شهور .

وانسحب المثنى الى الصحراء فى طريق مواز لضفة الفرات الغربية ، مستنفرا جميع القبائل العربية فىالمنطقة داعيا اياها الى الجهاد ، وهو يستعد ليوم آخر يغسل فيه هزيمة الجسر بالانتصار الساحق فى يوم البويب .

الاستاذ حسن الشيخة

لما انتهت الفتنة الكبرى بقتل الخليفة عثمان ذى النورين اجتمع الناس من المهاجرين والانصار على الامام علي وقالوا لابد لنا من امام وانت احق بها ، فقال لهم : من اخترتموه رضيته ، فقالوا : نختارك ، فقال : ان بيعتى لا تكون خفية ، فخرج الى المسجد وبايعه الناس فصعد المنبر وقال : ايها الناس ان هذه امركم وليس لاحد فيها حق الا من امرتموه ، وقد افترقنا بالامس على امر ، وكنت كارها لامرتكم فابيتم الا ان اكون عليكم اميرا ، وبايعه الناس كافة ثم ذهب الى بيته فدخل عليه المغيرة بن شعبة وقال : يا امير المؤمنين ان لك عندى نصيحة ، قال وماهى ؟ قال : ان اردت أن تستقيم لك الخلافة فاجعل طلحة ابن عبد الله على الكوفة وعبدالله بن الزبير على البصرة ، ومعاوية بن ابى سفيان على الشام ، حتى تلزمهم طاعتك وتاتيك بيعتهم ، فاذا استقر قرارها رايت رايك ، تعزل من تريد وتولى من تريد ، فقال: اما طلحة والزبير فسارى فيهما رايى ، وأما معاوية فوالله لا يرانى الله أستعين به على حالتى ، ولكننى ادعوه الى البيعة ، فان هو اجابنى والا حاربته ، فانصرف المغيرة مغضبا وهو يقول :

نصحت عليا فى ابن هند مقالة
فردت فلم اسمع لها الدهر ثانية

وقلت له اوجز عليه بعهده
وبالامر حتى يستقر معاوية

وتعلم اهل الشام ان قد ملكته
وان اذنه صارت لامرك واعية

فتحك فيه ما تريد فانه
لداهية فارفق به اى داهية

فلم يقبل النصح الذى قد نصحته
وكانت له تلك النصيحه كافية

ومن هنا يبدأ التراسل بين على ومعاوية ، فقد كتب معاوية الى على يقول :

اما بعد : فلو علمنا ان الحرب يبلغ بنا وبك لم يجن بعضنا على بعض وان كان قد غلب على عقولنا فقد بقى لنا مانرم به مامضى ونصلح به مابقى . وقد كنت سالتك الشام على أن لا يلزمنى لك طاعة وانا ادعوكم اليوم لما دعوتكم اليه بالامس ، فانك لا ترجو من البقاء الا ما ارجو ، ولا تخاف من اللقاء الا مااخاف، وقد والله رقت الاجساد وذهبت الرجال ، ونحن بنو عبد مناف ، وليس لبعضنا على بعض فضل يستذل به على عزيز ، ولا يسترق به حر .

فكتب اليه على بن ابى طالب :

اما بعد : فقد جاءنى كتابك تذكر فيه ان الحرب يبلغ بنا وبك لم يجن بعضنا على بعض وانا واياك نلتمس منها غاية لن تبلغها ، واما طلبك منى الشام فانى ما أعطيتك بالامس ما منعتك اليوم ، واما استواؤنا فى الخوف والرجاء فليس على حد سواء ، وليس اهل الشام على الدنيا باحرص من اهل العراق ، واما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك ، وليس امية كهاشم ، ولا حرب كعبد المطلب ، ولا الطبيق كالمهاجر ، ولا المبطل كالمحق وفى أيدينا فضل النبوة التى قتلنا بها العزيز ، وبعنا بها الحر ، والسلام .

فكتب اليه معاوية : يا ابا الحسن ، انا لى فضائل كثيرة ـ كان ابى سيدا فى الجاهلية وصرت انا ملكا فى الاسلام وانا صهر رسول الله صلى الله عليهوسلم وكاتب الوحى ، فقال على ـ ايفاخرنى معاوية ـ اكتب ياغلام :

محمد النبى اخى وصهرى
وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يمسى ويضحى
يطير مع الملائكة ابن امى
وبنت محمد سكنى وعرسى
نياطا لحمها بدمى ولحمى
وسبطا احمد ولداى منها
فايكموا له سهم كسهمى
سبقتكمو الى الاسلام طفلا
صغيرا ما بلغت اوان حلمى
واوجب طاعتى فرضا عليكم
رسول الله يوم غدا برحمى
فويل ثم ويل ثم ويل
لم يرد القيامة وهو خصمى

فكتب اليهمعاوية . اما بعد ياعلى : فانكقلت مايضرك وتركت ماينفعك ـ وايم الله لارمينك بشهاب قابس لا تدركه الرياح ان وقع على الارض ارتسب او وقع فى الصخر ثقب والسلام .

فكتب اليه على : اما بعد يامعاوية فانى قاتل عمك وجدك وخالك ، والسيف الذى قتلتهم به معى ، لم استبدل بالسيف سيفا ولا بغير الله ربا ، ولا بغير النبى نبيا فافعل ماشئت ستجدنى بطلا سديدا ـ قاصد كل جبار عنيد ، وطوى الورقة ودفعها الى رسول يحملها الى معاوية ، فركب الرسول ناقته حتى وافى دمشق ، فقال اعوان معاوية : هذا اعرابى قدم من عند على بن ابى طالب ، قوموا حتى نهزا به ـ وقالوا له : يا اعرابى معك خبر من اهل السماء الى اهل الارض ـ وماذا خلفت وراءك ـ وقال ملك الموت يقبض ارواحكم . فقالوا اتحب ان تدخل على امير المؤمنين ـ فقال نحن المؤمنون فمن امره علينا ؟ فذهبوا الى معاوية يخبرونه بقدومه . فامر باحضاره فلما دنا منه اذ بيزيد ابنه جالس على باب القصر ، فقال الرسول من يكون هذا الواسع الحلقوم المضرب على الخرطوم ، قالوا هذا يزيد بن معاوية امير المؤمنين ، فقالوا اتحب الدخول على الملوك ـ فقال احب الدخول على ابن اكالة الاكباد الضالة عن طريق الرشاد ، التى قال الله فى حقها « فى جيدها حبل من مسد » فلما حضر بين يدى معاوية لم يطا بساطه فقال له معاوية : هات كتابك ، فقال الرسول : تنزل عن مرتبتك وتاخذ كتابى بيدك ـ فقد امرت الا اسلمه الا من يدى الى يدك ، فقام معاوية من مكانه وفتح الكتاب ، ولما قراه اغتاظ غيظا شديدا وقال للرسول : كيف خلفت عليا واصحابه ، فقال خلفته خصما سالما سليما ، ان اتى جيشا هزمه ، وان اتى حصنا هزمه واصحابه حوله كالنجوم الزاهرة والعصابة القاهرة ، وهو بينهم كالقمر المنير ، ان نهاهم ارتدعوا ، وان امرهم ابتدروا ، فامر له معاوية بجائزة لشجاعته وحسن بيانه .

× × ×

هذه بعض الرسائل التى تبودلت بين على ومعاوية ويبدو منها ان عليا كان يعتمد على علو نسبه الهاشمى فقد قال فى ذلك لمعاوية : ليس امية كهاشم ، ولا حرب كعبد المطلب ، اما معاوية فكان يعتمد على دهائه وسعة حيلته ، فقد قال لعلى « انك قلت مايضرك وتركت ماينفعك وقد قال المغيرة بن شعبة لعلى يصف معاوية فيما تقدم من القول :

فتحكم فيه ما تريد فانه
لداهية فارفق به اى داهية

وهذا يذكرنا بما وقع فى سقيفة بنى ساعدة بالمدينة، لما اراد الصديق ابو بكر ان يكون خليفة رسول الله صلوات الله عليه من المهاجرين لا من الانصار . فقد جاء على لسان هذا الخليفة الاول عبارات يؤيد بها رايه مثل قوله « نحن الامراء وانتم الوزراء » وقوله « نحن المهاجرين ، اول الناس اسلاما . واكرم الناس احسابا . وامسهم رحما برسول الله ـ اسلمنا قبلكم ، وقدمنا فى القرآن عليكم» ثم استعمل الصديق بعد هذه العبارات مايخفف وقعها على الانصار ، وقال « انتم اخواننا فى الدين ، وشركاؤنا فى الفيء وانصارنا على العدو ، اويتم وواسيتم فجزاكم الله خيرا » .. ثم كانت وقعة « صفين » وقضية التحكيم وانهاء الامر الى معاوية ، كما هو معروف فى التاريخ الاسلامى .

شاعر ثائر!

الأستاذ محمد عبد العزيز حسن عطية

هذا الشاعر هو محمد السيد شحاته ـ شاعر البرارى ـ بدأ ثورته منذ بدأ يقول الشعر ولم يضع قلمه الا يوم ودع الحياة ، وبين عام ١٩٢٣ م ومطلع عام ١٩٦٣ عاش الشاعر بقلبه كله وكيانه كله داعية اصلاح ورائد هدى .

عاش وفى قلبه لهذا الوطن حب غير محدود ، وفى فكره منهج للاصلاح واضح تأخذ كل حلقة من حلقاتها مكانها فيه .

بدأ الشاعر ثورته على النظم السياسية فى ظل الاستعمار ، وعلى القيم الاجتماعية التى صنعها جنبا الى جنب ، حتى قامت الثورة واطمأن لما حققته من استقرار سياسى ، ونهضة اجتماعية .

وكانت طريقته فذة ، فقد اختار الطبيعة مسرحا لشعره ينفذ من خلاله الى ما يريد فى أسلوب سهل ، وورقة شفافة ، تكشف عن معدن أصيل يجرى فى روح هذا الشعب الأبى العريق .

أما ثورته على النظم السياسية فتتخلل شعر حياته فى مختلف الدواوين التى أصدرها مصرحا حينا ، وملوحا حينا آخر ، فنراه فى ديوان « شاعر البرارى ج ٢ » الذى طبع عام ١٩٢٩ يقول فى قصيدة متحدثا عن الشعب الفرنسى :

حدث عن الشعب الذى
كسب الحياة كما أراد

شعب السيادة والعلا
شعب النهوض والإجتهاد

شعب حداه للتقدم
من قديم الدهر حاد

ما البرلمان وما النظام
وما الجهاد وما الجلاد

هل الانتخاب هناك مثل
بلاد مصر بالانقياد

هل الاختيار هناك للرجل
الغنى ولو جماد

أم الاختيار هناك للرجل
القدير بالاضطراد

وهل الحكومة فى صفوف
الشعب أم فيها انفراد

وهل الامور على ترا
ض أم على بسط انتقاد

ويقول فى نفس الديوان مستقبلا العام الهجرى ١٣٨٤ هـ :

هلال أطل من المعالى
يبشرنا بأن العام سعد
يناجى مصر أن قرى وطيبى
ولا تهنى ولا يذعرك كيد
فدستور الحمى سيعود حالا
لمجراه والاستقلال بعد

ويتحدث بعد ذلك عن الانتخابات حديثا صريحا يوضح ما كان يدور أيامها من تزييف وخداع ، وأكاذيب وأباطيل ، فيقول فى كتاب « نجوم ورجوم » الذى صدر عام ١٩٣٦ :

لله أيام انتخا
ب كلهـا للكل عز
فمـواكب ومـراكب
فيهـا الأذل مع الأعز
وجذوع نخل ندى تسا
قط جنيها من غير هز
ومرشـح ماضى الارا
دة يستفز ولا يفز
ومرشح مثل « المرشـ
ـح » دائما أبدا ينز
متصبب خوفا على التأ
مين ان هـو لم يفز
متواضع لهمو وقبـ
ـلا كان منهم يشمئز
سبحان ربك ، كم يذل
مرشحين وكم يعـز

ولا يفوتنا ما فى هذا القصيد من تهكم واضح وسخرية لاذعة ، ثم يقول فى نفس الديوان عن الانتخابات أيضا :

أقبـل الريف يحلف
فطـلاق ومصـحف
أيها القوم هـونوا الأ
مر فيكم وخففـوا
أفـلان مزيـف
وفـلان مثقـف
لم هذا السباب ، أو
لم هـذا التزلف ؟
لم تلك الحروب ، أم
لم هـذا التصرف ؟
لم تلك الجـراح ، أو
لم تـدمى وتنزف ؟
ما لهم ، ميلهـم لكم
كل هـذا تكلف
كل من فاز منهمـو
وعده سـوف يخلف
أين أعمال من مضـوا
ألف وعد ولم يفـوا
حلفـونا وخلفـوا
ووفينـا وأخلفـوا
هـو يوم ، وبعـده
ان طلبنـاهم اختفوا
وغـدا ينتهى ، ولا
ينصف الريف منصف

ومن خلال ثورته على هذه الأوضاع السياسية المريضة كان هناك سند للاستعمار من الاقطاعيين الرجعيين فوجه سهامه لهم فى غير هوادة على رغم أنه كان يعيش هو وأسرته الفقيرة فى أكبر معاقل الاقطاع .. فى كفر الجرايدة ، فقال فى كتابه نجوم ورجوم :

يا رب قصر على التقصير مرتفع
أمسى وأصبح ورثا للشياطين
كيف الفخار وهم لم يعملوا عملا
يشع فى جبهة الدنيا أو الدين
هم والجميع سواء ، الامتياز لهم
ما لم يخفوا سراعا للميـادين

ويقول فى نفس الديوان :

وجاهتهم - كجاههمو - هبـاء
وان كانت تسر الناظرينـا
اذا زاروا فمـا زاروا لحق
وان زانوا فما زانوا العرينا
ومن يأفل له فى الفضل نجم
فـانى لا أحب الآفلينـا

ويقول فى ديوان بين أحضان الطبيعة :

قف يا ربيع على البرارى وقفـة
مشكورة الاصباح والامسـاء
وانظر ضياع المترفين وقل لها
كم من ضياع فيـك للفقراء

ويقول فى نفس الديوان :

شكا بؤسه الفلاح للنيل وافيا
وهذا هدير النيل قد ردد الشكوى
فعلق على شكواه يا نيـل انه
على بث بلواه لغيرك لا يقـوى

ويقول مخاطبا الصفصافة التى لا تحمل زهرا ولا ثمرا فى نفس الديوان :

صفصافة النيل لا تخزى ولا تهنى
ما الخزى الا لمثر بيننا بخلا
أولى باطراقك الناسون أمتهم
والأغنياء الألى لم يعملوا عملا

وغير ذلك كثير يضيق عنه هذا الحديث العجل عن الشاعر .

*

وثورته على القيم الاجتماعية تتبدى فى نظراته الصادقة وتعمقه لمكامن الداء مع وصف الدواء الناجع الشافى .

وقد جاء فى ديوانه « ديوان شاعر البرارى جـ٢ » مخاطبا الناس حول بدعة كانت متفشية فى الريف ، ولدها الاستعمار الطويل الذى كان يجثم على صدرنا ، وهى أن بعض « العفاريت » يركب بعض النساء ، مفندا الفكرة داعيا الى التبصرة .

ياقومنا استيقظوا واقضوا على بدع
ممقوتة لم تكن فى الأعصر الأولى
هاتوا لنا من بنات الغرب سيدة
مزودة مثل «ست الدار» أو «ليلى»
ألم يجد فى بنات الغرب غانية
والجار من قدم أولى كما قيلا
ما باله ترك الافرنج قاطبة
وهاب كل بلاد ما عدا النيلا
اظن نيته عن « لندن » انصرفت
لما رأى فى عباب البحر أسطولا
أهكذا أرض مصر يستهان بها
حتى « العفاريت » تاتيها أبابيلا
أولى الورى بركوب الجن من كفروا
وذللوا أمم الاسلام تذليلا
يا قوم لو جاز للعفريت يركبنا
لانزل الله فى هذا أقاويلا
هى العفاريت كانت هكذا امما
أيام أنزل قرآنا وانجيلا

ثم يخاطب العفريت متهكما :

يا تاخذا بنت وادى النيل مركبة
تبقى عليها مدى الايام محمولا
وسائل الحمل ياعفريت قدكثرت
فدع فتات الحمى واركب أتومبيلا

ويخاطب شبابنا فى نفس الديوان موضحا له آثار الخمر السيئة فيقول :

يا شباب العصر مهلا انها
ان تصافح أى كبد ينخرق
تهدم الآداب والجسم معا
ثم تبنى الشر حتى فى الطرق
كم فتى قد شب فى حضن العفا
ف ولما خامر الخمر فسق
كم نديم لم يجد فى جيبه
ثمن الصهباء يوما فسرق
كم غنى صيرته ماشيا
بعد ثوب القز فى ثوب خلق
كم فتى سيق للسجن ولو
لا جنايات الحميا لم يسق
أفسدت فى مصر ما أصلحه
نيل مصر وهواها المنطلق

* * *

ويتحدث فى ديوانه هذا كثيرا عن بدع صنعها التخلف الذى شاء الاستعمار أن يعمق جذورها فينا ويختم احدى قصائده قائلا فيها وملؤه حسرة وملؤه ألم :

أعادى مصر قد كثرت
فيا ويلى على مصر

ويتحدث عن الذين يتعاطون المخدر ويصفهم قائلا :

جسم المعود شر به
حتما يذوب ويضمحل
يقضى على عقل الفتى
فلينأ عنه من عقل
يقضى على الذوق السليـ
ـم ويطمس الفكر الخضل
يهذى الفتى منهم ولا
يدرى وينطق بالخطل
ويلى عليهم عرضوا الأ
جسام للخطر الجلل

ويمضى بعد ذلك مضيه فى ديوان وحى البرارى ، وبين أحضان الطبيعة وكتاب نجوم رجوم حتى تستقر الامور ، ويعرف الشعب طريقه وقائده ، فيتجه بقلمه يدعو ويجاهد من اجل غرسها وتثبيتها .

سليمان الملك النبي

الأستاذ
بهاء الدين القباني

الحق والحق أقول لكم ٠٠ أننى ارجأت الكتابة فى بحثى هذا عن قصة سليمان عليه السلام غير مرة .. فكلما حاولت البدء وأردت التقدم لتحريك مقبض النافذتين المهيبتين .. أحس بصدرى يعلو ويهبط فى شىء من السرعة .. وبيدى المرتعشتين لا تقويان على القبض .. فلا أجد مناصا من أن أرتد متهيبا فأقف خلف ثقب يسير صنعته لنفسى خصيصا لأروى شغفى الى الرؤية أولا .. والى طلب المزيد من المتابعة التى ملكت على الزمام ٠٠ أما القراء الاعزاء الذين ينتظرون منى الجديد .. ويترقبون صفحات « منبر الاسلام » الغراء فانني كثيرا ماوددت لحظة واحدة من جرأة للتقدم صوب النافذتين !! ..

النافذتان ليستاهما المهيبتان فحسب .. وانماالمهيب أيضا هو ذلك المنظر الجبار الذى سيرى من خلالهما .. منظر لم تعهده أطراف الأرض جميعا مذ مات سليمان الملك النبى .. ولم يتملك ناصيته غير سليمان وحتى تقوم الساعة !! ..

الحق والحق اقول لكم ٠٠ انى لا تنقصنى الجرأة بأية حال .. ففى كل يوم وليلة ولبضعة أشهر .. وأنا أتطلع بمفردى الى ذلك المنظر الرهيب من خلال الثقب اليسير دون أن يحس بى أحد ٠٠ أو يرانى غير الله٠٠ ولكن الرؤية من ثقب تختلف عنها من نافذة .. فهذه منها نرى المنظر على نطاق أوسع وأدق ٠٠ ونرى ابطاله الحقيقيين من عفاريت من الجن ومن الانس والطير الذين لا حصر لهم الا فى رأس سليمان ٠٠ فاذا ما شخصت اليهم الأبصار فلا بد من أن تخفق القلوب بشدة فى رجفة ورعشة .. فما بال القراء الأعزاء اذا أريتهم ما رأيت من خلال نافذتين متسعتين عبقريتين !؟

الحق الحق أقول لكم .. ان اشفاقى على القراء لهو السبب الحق للارجاء وما من سبب الا هو .. فلم يكن بد من اعداد الطريق وتمهيده أمامهم الى ذلك اللقاء اعدادا وتمهيدا نفسيين وفنيين .. حتى نعيش جميعا مع الملك سليمان حياته التقية المثلى ... ونتطلع الى قصوره ومبانيه ونستعرض معه جيشه العجيب الذى حشره له الله .. ونرى عمالقة الجن على اختلاف الوانها وأحجامها .. وقد اصطفت فى صمت رهيب ! . والرجال وقد كونوا جناحا مهيبا .. والطيور كل مع أشكاله فى تشكيل هندسى محكم .. كتائبهم متراصة فى اتساق مترامية فى بقعة من الارض متسعة اتساعا !.. الكل صامتون لا يتكلمون الا من أذن له سليمان وقال صوابا .. ويمر سليمان الملك رافعا رأسه فى وسط هؤلاء جميعا .. اما ممتطيا صهوة جواده ... واما على بساط من الديباج والذهب حملته الريح بأمره .. فيطوف فيهم قائدا ماهرا ٠٠ اعتدادا واعتزازا بانعم الله عليه .. يتطلع الى كل منهم بنظرات ملك قوى البطش .. وبتمتم سليمان فى شكر عميق لله .. ونسمعه يقول : « هذا من فضل ربى ! ليبلونى أأشكر ام أكفر ؟! ومن شكر فانما يشكر لنفسه .. ومن كفر فان ربى غنى كريم » (النمل ٤٠) ..

الحق الحق أقو لكم .. ان النافذتين فى حد ذاتهما رائعتان قويتان .. بناؤهما محكم أحكاما .. يجذب الرائى أن يتابع النظر من خلالهما ويطيله .. ففيهما نسمات طيبة ملأى بالايمان وباليقين .. وألوان بارعة رسمت منها جميعا .. هاتان النافذتان هما القرآن الكريم وكتب العهد القديم !!..

أولاهما وهى القرآن الكريم نستطيع أن نشرف منها على ما نريد أن نراه فى صور وألوان واضحة راقية .. لايشوبها اهتزاز يعترى يد المصور .. ولا يسلمها سوء الاضاءة الى منظر باهت .. بل اليد ثابتة والأضواء موزعة فى احكام .. حتى ليحس المشاهد بأنه وجها لوجه أمام أحداث حقيقية وأن الزمن قد رجع به القهقرى الى آلاف من السنين سبقت .. فهو يعيش معها بجميع حواسه ووجدانه .. فينفعل انفعالا معها.. تنساب أثناءها دموع الاعجاب الغزار .. فكأنما تلك الآلاف من السنين بعثت مرة اخرى .. وأن ابطالها جميعا يأخذون أدوارهم بنفس الاتقان والروعة السابقين فاذا أضفنا أن الله الحميد هو الذى أوحى بهذه الصور .. فلا شك فى حصولنا على أضواء معجزة متقنة على جميع أرجاء قصة سليمان العبقرية !!..

وثانيتهما وهى كتب العهد القديم نافذة بارعة أيضا.. وكان من الممكن أن نحصل منها علي قصة أدبية ثمينة مليئة بالايمان وبالبعث .. لولا ما يشوب الترجمة من المغالاة والتفريط .. ومن الحذف لأعمدة راسخة بنيت على أساسها قصة سليمان جميعها .. ومن سلخ بعض الحوادث من جراء عدم تعمق المترجم فيها تعمقا كافيا. واذا بالقصة الثانية تجىء على يد المترجم فى صورة مهزوزة .. غفلى من حوادث عظمى كذلك ... ومقصرة بعض التقصير فى أخراها من الحوادث .. فكأن المترجم يرتجل فى بناء .. غرف منه جعلها متسعة ولكنها قصيرة الجدران ..! واخرى ضيقة عالية سقوفها الى جانب أجنحة نرى فيها تناسقا يسيرا .. ونحسب أن لو أعيدت الترجمة من الأصل العبرانى للقصة اعادة مدققة فاحصة فلسوف نستمتع بصورة تكاد تنطبق مع القرآن فيما تحويه من معان ! . وقد تكون رائعة وقوية أيضا !!

الحق الحق أقول لكم .. اننا سننظر جميعا من خلال النافذتين المعنيتين .. وندقق فيما تطل عليه كل منهما ـ من المناظر .. ونبلو أخبارها .. وفي أثناء العرض سيكون الشرح والتفصيل ..

وعليه فاننا نستطيع الذهاب الى تقسيم هذه القصة البارعة ـ الى سبع مراحل حتى نتناول أطرافها جميعا فى كل من نافذتى الكتابين المعنيين :

المرحلة الأولى : سليمان الملك النبى ..

المرحلة الثانية : قصة سليمان مع الجياد ..

المرحلة الثالثة : أبعاد ملك سليمان وقصته مع ملكة النمل ..

المرحلة الرابعة : قصة سليمان مع الهدهد حتى كتابة سليمان خطابا الى ملكة سبأ ..

المرحلة الخامسة : من أخذ الهدهد الخطاب حتى ارسال ملكة سبأ هدية الى سليمان ..

المرحلة السادسة : من رفض سليمان الهدية حتى مجىء عرش الملكة اليه ..

المرحلة السابعة : من تنكير عرش الملكة حتى اسلام الملكة مع سليمان ..

ونحن اذ نبدأ بالمرحلة الأولي من هذه القصة ..فاننا لا نشعر أن ثمة اختلافا كبيرا دائما بين كل من القرآن الكريم وكتب العهد القديم بالنسبة الى هذه المرحلة.. فكلا الكتابين قد تحدث عن سليمان الملك حديثا نستطيع ارجاعه الى منطق كل منهما .. والى الزاوية التى ارادها .. فكل كاتب يصب معانى كلماته فى القوالب التى يراها جيدة التوصيل الى الأذهان .. فقد تكون القوالب مفصلة ومتشعبة .. وقد تكون موجزة تجعل الفكر يغوص فى أعماقها..فيستخرج مكنوناتها أو يستنتج منها صورا وأفكارا تساعده على الانطلاق الى الرحب ومن الكتاب من يختار القوالب المناسبة للموضوع الذى هو بصدده .. دون اسفاف فى التعبير أو ركاكة .. فاذ به يفصل حيث يتطلب المقام التفصيل .. أو يوجز حين يكون الايجاز بمثابة المصفاة لأفكاره .. فتكسب الموضوع روعة واعتبارا ..

وعلى هذا .. فقد أخذت اسفار الملوك الاول واخبار الأيام الأول والثانى فى حديثها عن هذه المرحلة تفصل فيها .. وتشرح الظروف والملابسات التى صاحبت مسح سليمان ملكا من جميع النواحى التى كثيرا ما تصاحب أبناء الملوك والخلفاء من مكائد او دسائس بين البلاط.. وهذا فى الاسلوب الذى ارتآه المترجم كفيلا بايصال أفكاره الى الناس .. مع النظر بعين الاعتبار الى أن هذه الكلمات لا بد وان تصاغ صياغة فنية بعيدة عن العامية فتكسبها احتراما ودواما ..واذا بالمترجم يكرد تراكيب عباراته فى أسلوب بسيط .. وأخرى بنقل اصحاحات بأكملها بجميع عباراتها وحروفها من سفر ليضعها فى سفر آخر .. حتى حسبنا تماما أنه خطأ مطبعى وليس كذلك ـ كما سنتبين فيما بعد ..

أما القرآن .. فانه لا يميل الى ذلك التفصيل ولا الى ذلك الشرح .. فالقرآن لم ينزل بقصة سليمان على محمد صلى الله عليه وسلم ليتكلم عن كل نقطة فى حياة سليمان .. ولا عن الأشخاص الذين وجدوا فى طريق سليمان ولم يكن لهم تأثير فى الحوادث ..ولا عن الذى مسح سليمان ملكا .. وكيفية ذلك المسح ؟ وهل هو مسح بقرن الدهن أم بغيره ، فكل هذه تفصيلات لا دخل للقرآن فى التعمق فيها ولا فى استقصاء كنهها .. وانما نزل القرآن فى وقت بلغ العرب فيه مرتبة راقية فى الفصاحة والقدرة على بناء الكلمات بناء عميقا فى رصانة وجزالة لفظ ..فكان لابد من أن يتفوق القرآن على كل فصاحة ورصانة وجزالة .. ولا يكون التفوق الى درجة تعلو عنهم نسبيا .. وانما الى درجة معجزة لن يتسنى لمخلوق الاتيان به الى قيام الساعة .. فاذا بقصة سليمان تأتى فى ايجاز أعجز العرب جميعا .. فقد جاءت القصة بتاريخ حياة سليمان ومواقعها ذات الهدف الأسمى والغاية العليا التى يفيد منها القارىء افادة ضخمة .. اما التفاصيل التى لايكتسب منها الا الاطالة وتسويد الصفحات - كما فعل مترجم الاسفار - فهذا يبتعد القرآن عنه ابتعادا شاسعا !!

وحتى نستطيع أن نلم بأطراف هذه المرحلة بين الكتابين المعنيين نرى لزاما أن نقسمها الى ثلاث نقاط هامة : الأولى : سليمان ملكا ..

الثانية : سليمان نبيا ..

الثالثة : سليمان مسلما ..

اما عن النقطة الأولى .. فقد تحدث سفر الملوك الأول عن كيفية تولية سليمان للملك .. وما صاحبت التولية من الظروف .. فأخبر أن أيام داود الملك حين بدأت تقترب من نهايتها ابان مرضه الأخير .. قام ابنه « أدونيا » وهو ابن لاحدى زوجات داود اسمها «حجيث»

وحاول أن يعلن نفسه ملكا مكان أبيه داود .. ولكن « بتشبع » دخلت على داود زوجها المريض تستعطفه وتذكره بعهدها الذى قطعه على نفسه امامها بأن يولى ابنها سليمان ملكا من بعده .. فقد قالت بتشبع : « انت يا سيدى حلفت بالرب الهك لأمتك قائلا : ان سليمان ابنك يملك بعدى وهو يجلس على كرسى .. والآن هو ذا أدونيا قد ملك ؟؟ » (ملوك اول ص ١ : ١٧ – ١٨) ..

ولكن داود أخذ يهدىء من روع زوجته بتشبع بأن ابنها سليمان لابد وأن يصبح الملك من بعده .. وعهد فعلا الى سليمان وقال : « وليمسحه هناك صادوق الكاهن وناثان النبى ملكا على اسرائيل واضربوا بالبوق وقولوا : ليحيى الملك سليمان » (ملوك أول ص ١ : ٣٤ – ٣٥) ..

وفعلا أقيمت الزينات احتفاء بالملك الجديد .. ولقد سر داود من توليته سليمان حال حياته فسجد لله شكرا وقال : « مبارك الرب اله اسرائيل الذى اعطانى اليوم من يجلس على كرسى وعيناى تبصران » (ملوك أول ص ١ : ٤٨) ..

هذا تفصيل وتشعب بالطبع .. فان سفر الملوك الأول قد تناول بشرح نحن لا نعلم مدى صحته أحداثا أسهمت فى تولية سليمان .. وظروفا شاركت فى اختياره ملكا .. وجعلت داود اباه لا يرضى بغيرسليمان حتى أنه ورد فى سفر أخبار الأيام الأول أن داود قد تلقى تعاليم السماء بشأن سليمان بالذات وتسميته قبل أن يولد .. فقال الله لداود : « هو ذا يولد لك ابن يكون صاحب راحة وأريحة من جميع أعدائه حواليه لأن اسمه يكون سليمان وأثبت كرسى ملكه على اسرائيل » (ص ٢٢ : ٩ – ١٠) ..

وما دام البدء على هذه الصورة التى يمكن القول بالقائها اضواء كثيرة على أيام سليمان الاولى بل ومن قبل أن يولد أيضا .. فلا شك أننا – القراء – ننتظر تفصيلا أروع وأعمق ابان حكم سليمان .. وماهى الخطى التى خطاها سليمان .. فان حياته كملك كانت أفقا عريضا متسعة اتساع الفضاء نفسه بها فيه من خزائن .. وعلى أساس من هذا الاحساس الذى يساور كل قارىء يبدأ فى تلك الأسفار عن سليمان .. فقد تملكنا الشغف للمتابعة طلبا للمزيد من المعرفة عن ذلك الملك النبى العملاق .. ولكننا لم نلبث غير قليل حتى تبين لنا أن التفصيل هذا لايخفى وراءه الا صحراء قاحلة لا حياة فيها ولا نبات بالاضافة الى مناخها القارى المتطرف ! – كما سنعرف بعد – ..

أما القرآن فى هذه النقطة بالذات فلم يزد فى محكمه عن اخباره بأن سليمان قد ورث أباه داود .. فقال : « وورث سليمان داود » (النمل ١٦) .. فاذا علمنا أن داود كان ملكا وورثه سليمان فبالطبع يصبح ملكا بعد أبيه .. وجاء فى الالوسى : « أى قام مقامه فى النبوة والملك وصار نبيا ملكا بعد موت أبيه داود عليهما السلام » .. وهو مانميل اليه اذ أن الارث لاينصرف الى المال فقط وما فى حكمه .. بل يرجع أيضا الى الأنبياء بعضهم وبعض .. وكل نبى يرث النبى السابق على اعتبار انه ورثه فى العلم والايمان بوحدانية الله وبالبعث ..

ونأتى الى النقطة الثانية وهى سليمان نبيا ..

فلقد أورد القرآن أن سليمان قد آتاه الله النبوة .. وألقى على عاتقه دعوة الناس الى الاعتراف لله بالربوبية والبعد عن السجود للأصنام وغيره .. وعلى هذا فاننا نجد سليمان فى أثناء خطبة العرش يعلن أن الله وهبه معرفة لغة الطيور ومبلغا كبيرا من العلم الذى آتاه الله وأباه .. فيقول سليمان : « يأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء ان هذا لهو الفضل المبين » (النمل ١٦) .. وفى البحر أن قوله هذا اشارة الى النبوة ومثله ورد عن مقاتل ..

وفى الواقع .. ان الأمثلة فى القرآن كثيرة عن نبوة سليمان .. فانه لما جاء الهدهد الى سليمان يخبره عن ملكة سبأ وكيف أنها وقومها : « يسجدون للشمس من دون الله » (النمل ٢٤) .. وجد سليمان أن السجود للشمس مما يتعارض مع ما بعث من اجله .. وهو دعوة الناس الى التوحيد بالدخول فى الاسلام فاراد سليمان أن يحضرهم بين يديه فيدعوهم الى الله الواحد .. فقال لمن حوله : « أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين ؟ (النمل ٣٨)

ولقد تكلمت كتب العهد القديم أيضا عن نبوة سليمان .. وتناولتها من وجوه متعددة .. فقد ورد فى سفر أخبار الأيام الأول : « وأنت يا سليمان ابنى أعرف اله ابيك واعبده بقلب كامل ونفس راغبة لأن الرب يفحص جميع القلوب ويفهم كل تصورات الافكار .. فاذا طلبته يوجد منك واذا تركته يرفضك الى الأبد ، أنظر الآن لأن الرب قد اختارك لتبنى بيتا للمقدس فتشدد واعمل » .. (ص ٢٨ : ٩ – ١٠) ..

ولقد كان سليمان نبيا عطوفا رحيما .. فنجده فى سفر الملوك الأول يدعو الله أن يغفر للشعب .. ويرزقهم لأن الله وحده هو الذى يعلم ما تخفى الصدور .. فيقول : « فاسمع أنت من السماء مكان سكناك واغفر واعمل وأعط كل انسان حسب كل طرقه كما تعرف قلبه لأنك أنت وحدك قد عرفت قلوب بنى البشر » . (ص ٨ : ٢٩) ..

ومخاطبة الله لسليمان أمر لا يختلف فيه اثنان .. وهذه المخاطبة بالطبع تثبت أن سليمان نبى .. فقد قال الله لسليمان عن قوم اسرائيل انهم سوف يخرجون من ديارهم اذا هم تنكبوا طريق الله وتركوا الله آباءهم وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها لذلك جلب عليهم كل هذا الشر » .. (أخبار الأيام الثانى ص ٧ : ٢٢) ..

والدعوة الى الله الواحد والتى ألقيت على عاتق سليمان .. أخذ سليمان النبى يفشيها بين قومه .. فنقرأ فى سفر الملوك الاول أن الله كلم سليمان قائلا : « ان كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائى ولا تحفظون وصاياى فرائضى التى جعلتها أمامكم بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها .. فانى أقطع اسرائيل عن وجه الأرض » (ص ٩ : ٦ – ٧) ..

ونأتى الى النقطة الثالثة .. سليمان مسلما ..

وكان من الممكن أن نكتفى بكون سليمان مسلما أثناء بحثنا للنقطة الماضية وهى كونه نبيا .. فبالطبع وكما يعلم القراء أن جميع الأنبياء والمرسلين دينهم الحق هو الاسلام .. ولكن الكتابين المعنيين قد أبرزا اسلام سليمان فى مواطن عميقة ومتعددة منهما .. جعلنا نفرد لاسلامه هذه النقطة بعينها .. فالاسلام دين ارتضاه الله للناس من قبل أن يخلق الله السموات والأرض .. فقال فى محكم كتابه : « ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٩) .. وما دام ذلك كذلك فليس هناك

دين آخر يقبله الله من الناس .. يقول القرآن : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » (آل عمران ٨٥) ..

ومعنى كلمة «الاسلام» - فى ايجاز - هى أن تسلم لله وجهك فتؤمن بوحدانيته وتعترف له بالربوبية وتؤمن بملائكته وكتبه ورسله .. ولا تفرق بين احد من رسله وتؤمن بالبعث .. وكل الأنبياء بالطبع يؤمنون بهذا ويسعون فى الأرض لنشره بين الناس ..

وعلى هذا .. فاننا نجد شخصية سليمان المسلمة ظاهرة واضحة فى القرآن الكريم .. فلقد أرجع كل من داود وابنه سليمان فضل ما هما فيه من العلم الى الله تعالى ونسمعهما يقولان : « الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين » (النمل ١٥) .. وبالطبع فان عبادة غير الله مما يأنف المسلمون أن يقترفو ويعتبرونه ظلما عظيما .. فلقد أراد الهدهد أن يحول أنظار سليمان الى ملكة سبأ وقومها لأنهم كما قال الهدهد : « يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم » (النمل ٢٤) .. مما حدا بسليمان أن يرسل اليهم خطابا يدعوهم فيه الى الاسلام.. ولما مثلت بلقيس بين يدى سليمان قالت : « رب انى ظلمت نفسى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين » (النمل ٤٤) ..

الاسلام هذا الذى كان عليه سليمان.. نستطيع أن نلمسه بوضوع فى قصته التي أوردتها كتب العهد القديم .. فلقد عبرت اصحاحاتها وأسفارها عن كون سليمان مسلما !. وأثبتت هذا فى غير موضع..وأقامت حججها وأسانيدها بطريقة منطقية لايتطرق اليها الشك من اى باب .. بل واشارت اشارة بارعة أن الاسلام هذا ليس دينا ارتضاه الله لفئة من الناس دون فئة .. ولا ملة تتغير أعمدتها وأصولها بتغير الأزمان ومايضطرب فيها من البشر .. بل انه دين يدعو الى البعد عن الاشراك بالله والقرب من الله الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .. فقيام الأنبياء والمرسلين حول هذه النواة العظمى والغرض الأسمى انما هو منهم جميعا .. ولم يخرج أحدهم على هذه القاعدة .. فليس عجيبا أن نرى قصة سليمان فى اصحاحات الكتاب المقدس تتفجر منها ينابيع الاسلام .. فانه وان كان هذا الكتاب المقدس (العهد القديم) قد تناوله التحريف . الا أننا نستطيع قراءة الادلة الناطقة التى يمكن أن تبتسم فى غير مبالاة الى مترجمها .. فانه بعد أن عهد داود بالملك الى سليمان حال حياته .. دعا داود سليمان الى جانبه وأخذ فى توصيته قائلا : « احفظ شعائر الرب الهك اذ تسير فى طرقه وتحفظ وصاياه وأحكامه وشهاداته كما هو مكتوب فى شريعة موسى لكى تفلح فى كل ما تفعل » (ملوك أول ٢ : ٣) .. ولما رجعنا الى شريعة موسى فى سفر الخروج نقرأ أن الله أمر موسى بخلع نعليه فى المكان المقدس ثم قال له : « أنا اله أبيك .. اله ابراهيم .. واله اسحق .. واله يعقوب » (خروج ٣ = ٦) .. ولقد كلم الله موسى فى سفر التثنية قائلا : « ردد فى قلبك أن الرب هو الاله فى السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل ليس سواه واحفظ فرائضه » (٤ = ٣٩) ..

وداود أيضا العالم بشريعة موسى التى تدعو الى الوحدانية والمتبع لها داود بالطبع .. يعرف أن الله كلم موسى قائلا : « انا انا هو وليس اله معى .. انا اميت واحيى .. سحقت وانى اشفى وليس من يدى مخلص انى ارفع الى السماء يدى واقول حى انا الى الأبد » (تثنية ص ٣٢ : ٣٩ - ٤٠) ..

هذه الوحدانية التى كلم الله موسى عنها ..وكيف أن الله واحد فى ذاته وواحد فى صفاته التى لا يشاركه فيها مخلوق آخر .. وواحد فى أفعاله أيضا .. بالطبع أشار داود على سليمان أن يتبعها .. وهل الاسلام الا الاعتراف بالوحدانية الواجبة فى حق الله تعالى .. والتى أمر الله بها ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى .. ووصى بها داود ابنه سليمان بقوله : « كما هو مكتوب فى شريعة موسى ! » (ملوك أول ٢ : ٣) .. ودعا اليها عيسى بن مريم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .. ولقد أقام سليمان الوصية خير قيام وعلى أساس من ايمانه الثابت اذ بسليمان يقول : « ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله ! وليس آخر !! » (ملوك أول ٨ - ٦٠) .. وسليمان التقى المسلم يعلم تماما أن الله واحد يعلم ما تخفى الصدور .. فنجده يتضرع الى الله العليم أن يغفر ذنوب عباده فيقول : « واغفر خطية عبيدك لانك أنت وحدك تعرف قلوب بنى البشر » (أيام ثان ص ٦ = ٢٧ - ٣٠) ..

ويعترف سليمان بالربوبية لله الواحد كما اعترف بها الانبياء والمرسلون من قبل .. وكما يعترف بها المسلمون .. فنرى سليمان يبسط يديه نحو السماء ويقول :

« أيها الرب .. اله اسرائيل .. لا اله مثلك فى السماء والأرض !! حافظ العهد والرحمة لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم » (أيام ثان ٦ = ١٤) .

والى قصة سليمان مع الجياد فى عدد قادم ان شاء الله .

الإسلام والفرق الإسلامية

الدكتور محمد صلاح الدين مجاور

أن نوازع النفوس وأهواءها ، ومطامع ذوى المطامح ومآربهم ، قديمة قدم التاريخ ، بعيدة بعد الوجود الانسانى على سطح الأرض . والوسائل التى اتبعوها فى تحقيق نوازعهم والوصول الى أهدافهم متعددة متنوعة بعضها ظاهر يتبع أساليب العلانية وبعضها خفى يتبع أساليب السر والالتواء . وهذه القوى الخفية المستترة التى تعمل منذ عهد بعيد لتغيير المجتمع واعادة تشكيله قد وجدت منذ أقدم العصور وهذه الجمعيات السرية التى نسمع عنها اليوم قد وجدت منذ بعيد . وكان الشرق الاسلامى وحتى قبل أن يكون اسلاميا أول مهد لهذه الجمعيات والقوى التى تعمل تحت الأرض . بل ان الشرق صاحب فضل كبير على الغرب فى هذه الناحية ، فقد قدم له أمثلة بديعة للنظم السرية وللجماعات الخفية وأمده بالكثير من فلسفتها وأهدافها ومبادئها وأساليب تحقيقها وكيف صاغت تلك الجماعات تعاليمها وتقاليدها ورموزها وكيف نفذت الى أعمق جنبات المجتمع وأثرت فى آرائه واتجاهاته واستطاعت أن تسير المجتمعات طوع ارادتها لتحقيق مثلها وغاياتها .

هذه الجمعيات التى آثرت الخفاء على الظهور والظلام على النور كانت تهدف جميعها فيما تهدف اليه الى غاية سياسية تستغل فى تحقيقها اتجاهات دينية . تلك هى هدم مجتمع واقامة آخر وابدال حكم بحكم أو سلطان بسلطان مستغلة فى ذلك الاسلام ركيزة وسندا وقاعدة عليها يتكئون . ولقد كانت غاية الهدم والتحطيم وازالة كل ما هو قائم باسم الدين هى النزعة الغالبة لدى الجمعيات السرية فى

القرون الوسطى وفى العصر الحديث، ولتحقيق هذه الغاية قامت معظم الجمعيات السرية وأقواها وقام الدعاة بالدعوة لها وقام الكثير من المعارك من أجلها .

هذا النوع من الجمعيات التى تستغل الدين سواء ماظهر منها وما بطن هى التى تؤثر حقا فى سير الركب ومصائر المجتمعات والأمم . اذ أنها معوقة عن التطور والتقدم موقفة لحركة التطور الى الامام فقد شغل بمقاومتها مجتمعات وحكام وجيوش واستنفد القضاء عليها جهدا ومالا بل عرقا ودما .

ولقد عانى الاسلام عسف المبادىء والحركات الثوريه منذ نشأته . وتسربت هذه النزعة الثورية الى الاسلام منذ حداثته فما أن كاد يبلغ أشده حتى دهمته ريح عاتية من الفورات والأهواء كان لها تأثيرها على وحدته وقوة سيره باسم تأويلات جديدة ومبادىء مستحدثة . وتشعبت الاراء وتباينت التعاليم تبعا لتشعب الأطماع والغايات السياسية مما كان له أثره على مصائر الاسلام والدول التى تدين به .

ولعل التاريخ الاسلامى لا يعرف حركة سرية أو جهريه لا تستند الى الدين بل ان حكومات قامت على أساس من اتجاه معين مرتبط بالدين وهذه الحركات تحارب السلطة السياسية القائمة بما تضع من وسائل الهدم وقد بلغت ذروة هذه الحركات الهادمة بانفجار القرامطة فى القرن العاشر الميلادى ، وهذه الحركات هى التى هزت المجتمع الاسلامى فى كيانه وأثرت فى سلطانه وأصابته فى صميمه. كذلك قلما نجد دعوة تدعو الى تغيير النظم مستغلة الدين فى دعوتها الا استندت الى القوة والعنف فهى لا تعرف التطور فى تحقيق أهدافها وانما تؤمن بالعنف وسيلة لها .

والمتتبع لتاريخ هذه التنظيمات قديمها وحديثها يجد هناك وحدة بينها فى الأسس والهدف ومماثلة بينها فى الوسيلة . فهى كلها تهدف الى هدم المجتمع وازالته ليقوم المجتمع الذى تنشده فى تعاليمها، وكلها تعتمد أساسا على الجانب الذى يؤيد دعوتها من الدين فتفسره طبقا لأهوائها ومطامعها وكلها تجعل العنف والقتل والغدر والفتك وسفك الدماء وسيلتها لتحقيق أهدافها .

وقبل أن ندخل فى أهم التنظيمات السرية التى ابتلى بها الاسلام عبر تاريخه لنكشف عن وحدة الفلسفة والوسيلة والهدف بين قديمها وحديثها سنعرض لبعض التنظيمات الظاهرة والحركات الثوريه العلنية التى كانت تهدف الى تغيير النظم وابدال المجتمع الاسلامى بآخر يرونه هم متخذة فى ذلك الدين أساسا ترتكز عليه وسأقصر الحديث فى هذا المقال على جماعة الخوارج .

ولست هنا بصدد الحديث عن تاريخها وتطوره ولا عن فقه أو أدب الخوارج ولكن الحديث سيدور حول ثورتهم على المجتمع واستنادهم الى الدين . نعم ان الخوارج ضموا تنظيما علنيا والشيعة بدءوا كذلك ولكن الشيعة كانوا فعلا الوعاء الذى قامت فيه معظم التنظيمات السرية .

لم يكن الخوارج فرقة سرية بل نشئوا فى وضح النهار وعملوا فى الضياء ودعوا الى تعاليمهم علانية . ولم يعرف الاسلام فى تاريخ حركاته الثوريه طائفة تصارع فى الغيرة عليه والاخلاص لمبدأ والتضحية فى سبيل الغاية كطائفة الخوارج. ويبدو أنهم كجماعة ثورية بدءوا منذ خلافة عثمان . ثاروا مع الثائرين وكان للكثير منهم ضلع فى مقتله أو لعلهم كجماعة ثورية ممن حرضوا على قتله بدليل مناصرتهم لعلى ووقوفهم ضد معاوية فى طلبه الثأر لدم عثمان ثم خروجهم على ابن الزبير حين قال انه ولى دم عثمان وعلى .

ولما حدث الخلاف بين الامام على ومعاوية بعد مقتل عثمان وكان ما كان من أمر التحكيم ورفض على له أول الأمر ثم قبوله له نزولا على رأى الكثرة الغالبة خرج هؤلاء الذين دبروا مع المدبرين مقتل عثمان أو على الأقل أسهموا فى مقتله وناصبوا عليا العداء فحاربهم قبل أن يحارب معاوية وانتصر عليهم فى معركة

النهروان ولم تهدأ ثائرتهم فدبروا أول مؤامرة منظمة لقتل الرؤساء الثلاثة على ومعاوية وواليه على مصر عمرو بن العاص وهم ممن يخالفونهم فى الرأى وكان تدبيرهم هذا بمكة البلد الحرام .

وقد تعهد عبد الرحمن بن ملجم المرادى بقتل الامام على والحجاج بن عبد الله الصريمى بقتل معاوية وعمرو بن بكر التميمى بقتل عمرو بن العاص على أن يكون التنفيذ فى ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ . وسار ابن ملجم الى الكوفة خفية وتأهب لتفيذ الجريمة تساعده فتاة من الخوارج واثنان من شيعته هما شبيب ووردان وفى ليلة التنفيذ سار مع صاحبيه الى المسجد فلما خرج على ونادى للصلاة ضربه شبيب بسيفه فأخطأه وضربه ابن ملجم بسيفه على مقدمة رأسه صائحا « الحكم لله لا لك ولا لأصحابك » فجرحه جرحا مات بسببه بعد يومين وفقد الاسلام بمقتل على آخر مشعل من مشاعل الخلافة الاسلامية التى عاشت تعمل بقبس من نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وفقد الاسلام رائدا من رواده وطليعة من طلائعه . وقد فشل الآخران فى تحقيق غايتهما فسلم معاوية وعمرو . ولست أدرى ماذا كان يعنى الخوارج وماذا يعنى أصحاب التنظيم اليوم بأن الحكم لله ؟ ألم يكن على مطبقا لتعاليم الله ومنفذا لكتابه وسنة نبيه ؟ ان التاريخ فى كثير من صوره يتماثل . ولما انقسم الخوارج الى فرقهم الأربعة الأزارقة والنجدية والاباضية والصفرية كان كل منهما يمثل تنظيما هدفه تغيير المجتمع بالعنف والقوة واصطدموا قبل انقسامهم وبعده مع الخلفاء من أمويين وعباسيين وغيرهم .

ومذهب الخوارج - وتنظيمهم سياسى فى الأصل نشأ من الخلاف على مسألة الامامة والخلافة ولكن كان لمذهب الخوارج وجهته الدينية فهم يرون ان الامام لا يلزم أن يكون قرشيا وخطئوا عليا لأنه ترك حكم الله الى حكم الرجال ولعنوا عثمان لما أخذ عليه وبعد أن انقسموا توسعت الفرق فى تفسير المذهب ورأى زعيم الأزارقة نافع بن الازرق « البراءة من سائر المسلمين وتكفيرهم وتخليدهم فى النار وقتل أطفال المخالفين والنساء » . وما أشبه الليلة بالبارحة فالمسلمون ليسوا بمسلمين الا طائفة الخوارج . والمسلمون فى حاضرنا ليسوا مسلمين الا أصحاب التنظيم وفى نظر الخوارج قتل أطفال المخالفين ونسائهم حلال وهكذا يعتقد أصحاب التنظيم بما هيىء لهم وغرس فى عقولهم من باطل الكلم وزائغ القول .

كان تنظيم الخوارج كما أشرنا علنيا جهريا ولكنه كان ينشد كما كان ينشد أصحاب التنظيم اليوم تغيير المجتمع عن طريق العنف والقوة وقتل الابرياء . يوجه ذلك ضد الحاكم والمحكوم على السواء . فهاهم أولاء يأتمرون بعثمان ذى النورين مع من ائتمر به ويشتركون فى سفك دمه وهم فى ذلك ينشدون تغيير المجتمع فكان ان دخلت الفتنة وعمت البلوى وسادت الفوضى وأوذى الاسلام فى الصميم ثم خرجوا على على - كرم الله وجهه - وحاربوه وأخيرا فى البلد الحرام وفى ظلام الليل ائتمروا به وقتلوه فأصابوا كبد الاسلام فى أعز من بقى له من صحابة محمد - صلى الله عليه وسلم - ثم عاثوا فى الأرض فسادا فهلكوا العباد وآذوا البلاد ودمروا الحصاد حتى انتقم منهم القوى القهار .

فهل حقق الخوارج أهدافهم فغيروا المجتمع ؟ كلا وان كانوا قد غيروا فيه فقد أوقفوا تقدمه وتطوره وألهبوه بنيران الحرب وسفك الدماء .

وهل آزرهم الدين فى دعواهم التى عليها يستندون وهل يوافق على دستورهم القائم على سفك الدم وازهاق الأرواح ؟ كلا .

وهل كان الدين معهم حين فكروا مع من فكر فى مقتل عثمان وحين ائتمروا بعلى ؟ كلا ..

كذلك أصحاب التنظيم اليوم يرون تغيير المجتمع باسم الدين وهو مجتمع فى مجموعه وغالبيته يؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر والله يقول « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ... » .

ويرون الائتمار بالقادة وسفك دمائهم تماما كما قتل الخوارج من قبل والله يقول : **« ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ... »**

ولقد قتل التعصب تفكير أصحاب التنظيم الخوارج من قبلهم حين سطوا وحين اغتصبوا حين حاربوا . ولكن الله رقيب عنيد يرد كيد الكائدين .

ولقد كتل التعصب تفكير أصحاب التنظيم كما قتل من قبلهم تفكير الخوارج ولم يكن الخوارج كافرين ولكنهم لجأوا الى التأويل فى التفسير كما يفعل أصحاب التنظيم اليوم .

وليس معنى هذا ان الاسلام يحارب التنظيمات كلها ولكنه يحارب منها ما يتخذ أسلوب العنف لنفسه طريقا لتحقيق غاياته فكم من تنظيمات قامت على أساس من مقارعة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان وكم من تنظيمات حققت الكثير لمجتمعاتها لسلوكها سبيل الخير والبر والتقوى حقيقة . واذا كان الاسلام يرفض أى تنظيم عنى يقوم على القهر والغلبة والرغبة فى التسلط فهو أكثر رفضا للتنظيمات التى تعمل تحت الأرض لتهديد الاستقرار والأمن فى المجتمعات .

من هنا يتبين ان هناك تشابها بين اصحاب التنظيم اليوم فى أهدافهم ووسائلهم وبين الخوارج من قبل ويبدو ان التنظيم قد جمع كل ما كان فى التنظيمات السابقة سرية وجهرية من نقائص واتخذها لنفسه دستورا وقانونا يسير عليه .

وبعد فهذه عجالة عن الخوارج كتنظيم ومدى ما بينهم وبين التنظيم الجديد من تشابه وان كان الخوارج تنظيما يتصف بالعلنية والظهور وتنظيم اليوم وسابقه منذ أحدعشر عاما يتصف بالسرية والغموض وقد كتبت هذا مقدمة لما سأكتبه عن الجمعيات السرية فى الاسلام فى العدد القادم ان شاء الله وسأبدأ الحديث ببعض التنظيمات الشيعية باذنه تعالى .

دعوة الميثاق الوطني من دعوة الإسلام

الأستاذ حسني عبد المجيد

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله .. صدق الله العظيم ..

ان الاسلام العظيم هوالذى بنى العقل ومكن للتفكير السليم حتى ينمو ويترعرع ازدهارا وايمانا واعترافا بقدرة الخالق وعظمة الكتاب . وقد ورد فى القرآن الكريم عشرات الآيات التى تدعو الى التفكير والى التأمل والى الدراسة والبحث . ودعانا الاسلام الى أن نمعن فى التفكير والتدبير فى كل ظواهر الطبيعة . فى الانسان فى العقل . فى السماء . فى المطر . فى كل شىء خلقه الله تبارك وتعالى .

وحينما يدعو القرآن الى كل هذا فانما هو يدعو الى العلم . ويؤمن العقل الى أبعد حدود الرقى والمدارك « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال . فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » صدق الله العظيم . والامانة هنا هى العقل . والاسلام حينما يعتبره امانة لدى البشر فانما يطالبهم بتنمية هذه الامانة الخلاقة ومداركها والسمو بها والارتفاع بأهدافها .

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » والعقل الانسانى وهو منحة ومنة من الله تبارك وتعالى انما يقوم ويؤسس على العلم والادراك . والعلم فى الاسلام هو احدى المحاور الرئيسية فيه ولا أعظم ولا أدل على ذلك من « اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » صدق الله العظيم وهكذا يعلمنا الخالق ان العلم والقلم قمة قمم الاسلام العظيم .

والمسلمون أنفسهم استمدوا من مبادىء الاسلام القوة والصلابة بعد أن دفعهم الى الايمان بالعقل والاهتداء بنوره . فالتفكير فى الكون يقود المسلم حتما الى الايمان بخالق هذا الكون . والتفكير فى معايش الناس من عمل وكد وعرق ومثابرة . انما يقوم الى حتمية الرزق وضرورته . وقدرات الانسان فى الكسب والتكسب ومهاراته فى ايجاد الملكات الناضجة التى تخدم المجتمع المسلم وتخدمه على السواء . وهكذا نجد العقل والفكر الانسانى . هما قوائم وقواعد الوجود الاسلامى المستنير الذى ادام اشراق الاسلام خلال اربعة عشر قرنا خلت ..

واليوم .. نسمع لغوا من جماعة منحرفة حكم عليها الشعب العربى بالضلالة والانحراف . جماعة مجرمة تدعى الاسلام والايمان والاسلام منهم براء . جماعة ينادى رأسهم المريض .. بمبدأ هدام هو عدم الايمان بأى أسئلة تصدر عن العقل . اى يطالب هذا الرأس المريض هذه الجماعة بالتسليم المطلق والطاعة العمياء.. وبذلك يقضى على دور العقل .. ودور الادراك والوعى .

لقد كانت الحجة الرئيسية عند المسلمين فى مهاجمة الاوثان هى ان عبادة الاوثان ضد العقل فهى لا تنفع ولا تضر ثم هى أيضا انقاص للعقل البشرى لان عابد الاوثان يملك عقلا متخلفا .

« ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار .. جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار » .

ويقول تبارك وتعالى « واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ٠ كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا » ٠ هكذا نلمس من خلال هذه الايات البينات ان عبادة الاوثان تتناقض تماما مع العقل البشرى الذى يريد الله له البقاء والنمو والرفعة ٠ والاسلام حينما يرفض الظلم الاجتماعى فلانه يتناقض مع العقل تماما ٠ فليس منطقيا أن يعمل المسلم ويكدح ويعرق ٠ ويكسب غيره من وراء عمله وكده ٠ ولذلك من أكثر الذين أقبلوا على الاسلام حماسا ٠ هم الفقراء الذين حرقهم الشوق الى العدل والذين كانوا فريسة للاستغلال والتحكم والجشع وأمامنا بلال بن رباح مثلا ٠ وغيره كثيرون أدركوا بعقلهم أن الاسلام دين العقل الانسانى ٠ والفطرة والكرامة الانسانية فاقبلوا عليه وتحمسوا له وبذلوا الكثير مكافحين فى سبيل العقيدة والمبدأ ٠ وفى الطرف الاخر يقف اغنياء مكة وقد أعماهم المال ٠ والسلطة والجاه ٠ ويقف أبوسفيان كبير تجار مكة ٠ حائلا دون انتشار هذا المبدأ العظيم مبدأ انسانية الانسان المسلم الذى أناد به الاسلام كل الارض العربية ٠ الا أن الله تبارك وتعالى شاء وشاءت ارادته ان ينتشر العقل الاسلامى الجديد ٠ والعلم الانسانى الجديد ووقف الكل تحت شعار « لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » وهكذا ازال الاسلام كل الحواجز التى كانت تفصل بين البشر ٠ وازال الفوارق بين الناس الا ما يقوم منها على أساس العرق والجهد والانتاج والفضائل والقيم والاخلاقيات ٠

وثورتنا الاشتراكية تقوم علي العقل والايمان واعتبار العقل أثمن شىء منحه الله لنا ٠ فالميثاق يقول :

« ان رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته وأن واجب المفكرين الدينيين الاكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته » والعقل والمنطق يدعوان الى العدل ٠ والعدل يحتم أن يعاد توزيع الثروة بحيث ينال كل مواطن حقه مقابل جهده ومشاركته فى الانتاج ٠ فليس من العقل ان يكون العلم حقا للبعض وأن يحرم الاخرون ٠ وليس من العقل أو العدل أن تمنع الرعاية الصحية عن ملايين شعبنا المكافح وليس من العقل ان نحرم الالوف من حق العمل والكسب الحلال الشريف وليس من العدل أن نهمل انسانية الانسان ونمنع عنه حقوقه فى التأمينات ٠ كلها حقوق اجتماعية حددها الميثاق ٠ وأملاها المنطق وحتمتها العدالة الاجتماعية ٠ وكلها من روح الاسلام العظيم . وليس من العدل أو العقل . ونحن فى عصر الصناعة والذرة والاقمار الصناعية أن نهمل حياتنا ووجودنا الصناعى ٠ وقد سبق أن نبهنا القرآن الكريم « وسخر لكم مافى الارض » ٠

ويقول تبارك وتعالى « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز » وليس من العقل والعدل أن نترك ثرواتنا نهبة للقلة المتحكمة دون أن نبنى بها مصانعا تفتح الابواب للعمالة وحق العيش والتكسب ٠ وتضعنا فى موضع القوة ٠ الموضع الذى يمنح الدين الاسلامى كل أبعاد القوة والمنعة ٠

والميثاق فى بابه الثامن يقول « ليس من شك فى أن التقدم الذاتى هوفىجوهره أعظم أنواع الدفاععن النفس ضد الاخطار المتربصة ٠ لكن علينا أن ندرك أننا نعيش فى منطقة مفتوحة للاطماع الباغية ٠ وأن من أهداف أعدائنا ان يحولوا دون بلوغنا مرحلة القوة الذاتية المحققة للتقدم حتى نظل دائما تحت رحمة التهديد » ٠

واذا كان الميثاق يضع النقط فوق الحروف بالنسبة لاهداف أعدائنا المتربصين بنا وبآمالنا ٠٠ والذى يهمهم فى الاصل والاساس عدم تفجر قوانا الذاتية ٠ أملا منهم فى استمرار استغلالهم للشعب العربى فان ملايين الشعب العربى ٠ يحق لها وعليها أن تحكم العقل ٠ وأن توازن بين شيئين لا ثالث لهما ٠

اما الحياة الحرة واما الموت البطىء الذليل ٠ والسؤال الان ٠٠ هو ماحكم الاسلام فى الضعف والتخاذل فى مواجهة التحديات الاستعمارية أو تحديات الاعداء ٠ ان الدين الاسلامى جاء مكرما للانسان ورافعا له الى أعلى مراتب الانسانية ٠ فليس من العقل والمنطق بعد أن أودع الله فى الانسان عقلا مفكرا منظما أن يسير الانسان بعقله ليكون عبدا ذليلا ٠ وأن يترك موارده وخيراته نهبا لاعداء الله وأعداء الانسانية وليس من المنطق والعقل أن يملك الانسان القدرة والارادة ثم يتركها هباء دون ان يوجه هذه الارادة الى فعل الحياة وعلم الحياة ٠ وصناعة الحياة ٠ وبما يعكس الحياة نفسها على الاسلام والمسلمين والا فان المسلم يكون قد خالف كتاب الله وسنة رسوله العظيم ٠ كرمنا الله بالعقل ٠ وجاء العقل لنا هاديا ونورا ٠ هاديا الى التقدم والانتاج والحرية والكرامة والعزة الاسلامية ٠ « قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون - سورة الانعام ٠ ويقول تعالى قل ياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم » سورة الزمر ٠

وفى « النمل » « ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون » ٠

وفى « يونس » : « هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون » ٠

وهكذا يدفعنا الله تبارك وتعالى دفعا الى العمل والاجتهاد حتى نتنزع كل أبعاد القوة من وجودنا الهادف المثمر « ويقول الميثاق » أن جوهر الاديان يؤكد حق الانسان فى الحياة وفى الحرية بل ان أساس الثواب والعقاب فى الدين هو الفرصة المتكافئة لكل انسان ٠ أن كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الاعظم بصفحة بيضاء يخط فيها اعماله باختياره الحر ولا يرضى الدين بطبقة تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم ٠ أن الله جلت حكمته وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر أساسا للعمل فى الدنيا وللحساب فى الآخرة ٠

واذا خرجت علينا جماعة منحرفةضلت سواء السبيل ٠ ووصفت مجتمعنا الخلاق بالمجتمع الجاهلى فهى جماعة بائسة مريضة ٠ دفعها حقدها وغيها الى التآمر والعمالة للمستعمر ٠ وبذلك فقد حق عليها حكم الشعب والشعب لا يرحم ٠

ونحن لو اخذنا ثورتنا الاشتراكية ودرسناها دراسة واعية علمية مخلصة وجدناها تقوم على كل القيم والاخلاقيات التى تستمد كلها من تعاليم الاسلام ونوره ٠٠ وانه لمن الواضح أن أرضنا الطيبة خلال قرن من الزمان كانت نهبا لمجموعة من الاسر وحفنة من المغامرين الذين باعوا كل شىء للمستعمر ٠ باعوا

كرامتهم وعزتهم وحرياتهم ولم يبق لهم سوى فتات الارض . ونحن لو عدنا الى أصول الثروات التى نشات فى مجتمعنا قبل ٢٣ يوليو لوجدناها كلها سرقة واغتصابا . فالاراضى كلها كان يحتكرها الوالى التركى محمد على ثم وزعها على أسرته والمقربين له . واصبحت هذه القلة تتحكم فى ثرواتنا واقتصادنا .. ثم منحت المستعمر كل أسباب السطوة والتمكين فى مجتمعنا المغلوب على امره - مجتمع ماقبل ٢٣ يوليو - وحينما تهب ثورة ٢٣ يوليو وتتفجر عن اصرار فى التغيير وارادة وصلابة لم تعهدها وحينما تقوم هذه الثورة وتعطينا الامثلة الحية على القيادة العاقلة المدركة . وحينما تهب هذه الثورة . فتعلن الحرب على المستعمر . وتقطع دابره من الارض العربية ثم تعلن الحرب على الفقر والجهل والمرض وتقيم السد العالى وتنشر التنمية الاقتصادية وتدفع الصناعة دفعا الى حياتنا وتمنح المواطنين حقوقهم الاجتماعية كاملة . حينما تقوم ثورتنا وتمد مجتمعنا بكل أساليب القوة الذاتية . وتغير كل الملامح التى تجمدنا عليها وتغير من شخصيتنا الدولية . ووضعنا فى الامة العربية ثم تمنح نظامنا الاجتماعى كل الابعاد الانسانية التى تتمثل فى العدالة الاجتماعية .

بعد كل هذا وبعد مسيرة رائعة مدهشة فى اربعة عشر عاما كلها عقل راجح وادراك سليم وتوقع للحوادث والاحداث يحمل كل معانى البصيرة الواعية .. بعد كل هذا تخرج جماعة منحرفة لتقول ان مجتمعنا مازال يعيش فى جاهلية .. ثم تتآمر هذه الجماعة المجنونة على شعب باسره وعلى حياة ومستقبل ٣٠ مليون مسلم .

يقول تعالى فى سورة المجادلة «الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول . واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول . حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير» ويقول تبارك وتعالى فى سورة المجادلة ايضا .

« يأيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى اليه تحشرون . انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

ويقول تعالى فى سورة فاطر : « والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور .. »

هذا هو حكم الاسلام على جماعة الاخوان المنحرفة التى اضلها الشيطان . والتى نادت بالغاء العقل .. هذا هو حكم الاسلام على التآمر والمؤامرات .. أما حكم الشعب الذى لا يرحم فهو قريب وآت ..

ولا أبلغ ولا أعظم من قوله تعالى عن مثل هؤلاء فى سورة «الاحزاب» « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها الا قليلا . ملعونين أين ما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا. سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا .. » صدق الله العظيم .

أضواء على التاريخ الإسلامي

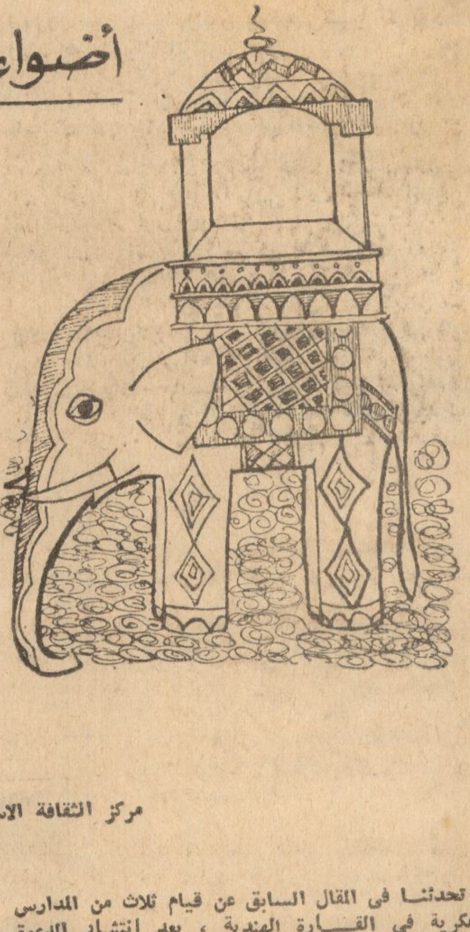

مراكز الثقافة في الهند

الاستاذ محيي الدين الالوائي

مركز الثقافة الاسلامية فى الهند

تحدثنا فى المقال السابق عن قيام ثلاث من المدارس الفكرية فى القارة الهندية ، بعد انتشار الدعوة الاسلامية فيها ، وكانت لهذه المدارس الفكرية صفحات مجيدة فى نشر العلوم الاسلامية واللغة العربية فى ربوعها ، وتخرج فيها رجال بارزون ، وعلماء مصلحون قاموا بحمل لواء الدعوة الاسلامية فى تلك البقاع التى كانت مواطن الشرك والوثنية ، و مراكز الخرافات والخزعبلات .

ونتحدث الآن عن المعاهد العلمية التابعة لكل منها والمناهج التعليمية ، والنظم الدراسية فيها . وتعتبر هذه المعاهد بمثابة مراكز الثقافة الاسلامية فى البلاد الهندية كما انها ساهمت مساهمة فعالة فى الكفاح الوطنى للتحرير من نير الاستعمار الاجنبى ، ولها ايضا فضل كبير فى توثيق عرى الروابط الروحية بين الهند والعالم العربى والاسلامى .

وان مدرسة « دار العلوم » بديوبند ، من اشهر المعاهد الدينية ، ومراكز الثقافة الاسلامية فى الهند .

ونظرا لخدماتها الجليلة فى نشر العلوم الاسلامية والكفاح الوطنى ، وكثرة طلابها ، وشهرتها فى العالم الاسلامى يطلق عليها « ازهر آسيا » . وتجرى الان مدارس عربية عديدة فى مختلف انحاء الهند على منوال « دار العلوم ـ ديوبند » . وقد انشاها العالم الهندى الجليل الشيخ محمد قاسم النونوتوى ، ومعه نخبة من العلماء المصلحين فى سنة ١٢٨٣ ، هـ بمدينة ديوبند فى مقاطعة « اتربرديش » فى شمال الهند .

واتبعت دار العلوم فى منهجها التعليمى نظام « المدرسة النظامية » فى بغداد ، ونقل هذا المنهج الى الهند لاول مرة الشيخ ملا نظام الدين المتوفى سنة ١٧٤٨ م .

ولايزال منهج دار العلوم ، والمدارس التى على منوالها يعرف « بالمنهج النظامى » . ويشتمل هذا المنهج على تدريس التفسير والحديث والفقه والاصول والمنطق والفلسفة ، واللغة العربية ، نحوا ، وصرفا ، وبلاغة ، وادبا . وليس فيه نظام المحاضرات الذى اشتهر به

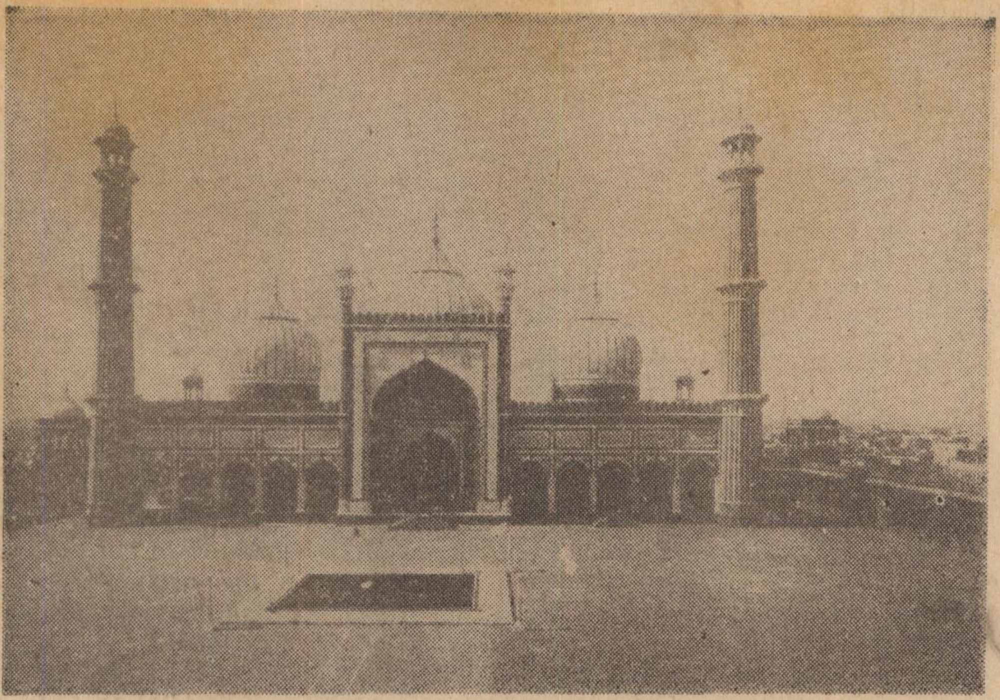

المسجد الجامع بمدينة دلهى عاصمة الهند وهو من أفخم المساجد فى العالم .

العصر الحديث ، بل تدرس الكتب المقررة ، نصوصها وشروحها ، بالدرس والبحث .

ومن ميزات هذا المنهج انه لا يركز جهد الطالب على حفظ النصوص فقط ، بل يهدف الى ان يتمكن من الفهم والبحث والتمحيص . وكان من اهداف « دار العلوم» تخريج طائفة من العلماء الذين يحافظون على التراث العربى والاسلامى القديم ، ودراسة الشريعة الاسلامية ، واللغة العربية . وجدير بالذكر ان هذه المدرسة قد انجبت عددا كبيرا من العلماء المسلمين ، والزعماء الوطنيين الذين خدموا الوطن والمجتمع الاسلامى فى مختلف الميادين ، ولكنها لم تعن باللغة العربية الحديثة، والادب العربى ، كما اعتنت بالمنطق والحساب والرياضة وعلوم النحو والصرف والبلاغة حسب النظام المتبع فى الكتب القديمة المشهورة .

وقبل ان نسرد باختصار نموذجا للكتب المقررة للتدريس فى ديوبند حسب منهجها النظامى الشهير نذكر بعض المدارس الهامة التى انشئت ، ولا تزال تقوم باسداء خدمات للعلم والدين فى شتى انحاء الهند ، اسوة بامها « دار العلوم ـ ديوبند » ومنها مدارس : مظاهر العلوم والاصلاح ، ومفتاح العلوم ، والامينية ، فى شمالى الهند ، ومدارس : الباقيات الصالحات ، ودار السلام، والجمالية ، ومعدن العلوم ، منبع الانوار ، والمدرسة الاسلامية ، والمدرسة النظامية ، فى جنوب الهند . ومدارس : الاشرفية ، والحسينية ، فى غربى الهند ، والمدرسة العربية العالية بكلكتا ، فى شرقى الهند . وهناك مدارس عربية اخرى عديدة تتبع نظام ديوبند فى مناهجها ، واختيار كتبها ، وتحديد موادها .

وبعد اتمام الدراسة فى هذه المدارس الفرعية يتوجه كثير من طلابها الى « دار العلوم » بديوبند ، للتخصص فى المواد المقررة فيها من التفسير والحديث والفقه ، وكذلك النحو والصرف والمنطق ، حسب المنهج القديم المعرف « بالنظامى » ، ثم يعودون الى بلادهم حاملين « الشهادة العالمية » منها ليقوموا بأداء رسالتهم فى دائرة تخصصهم .و ان النظام المتبع فى هذه المدارس يجمع تقريبا بين المرحلتين التحضيرية والعالية فى آن واحد . ويشمل هذا النظام المواد الاساسية الاتية :

التفسير ـ الحديث ـ علم الكلام ـ الفقه ـ اصول الفقه ـ البلاغة ـ الصرف ـ النحو ـ المنطق ـ الفلسفة ـ الرياضيات .

وفى النحو تدرس : « الكافية » و « شرح الجامى »

وفى الحديث تدرس : « مشكاة المصابيح » والصحاح الست .

وفى علم الكلام تدرس : « العقائد النسفية » وشرح المواقف .

وفى الفقه تدرس : « شرح الوقاية » و«الهداية » .

وفى اصوله تدرس : « نور الانوار » و«التلويح »

وفى البلاغة تدرس : « المختصر المعانى والمطول ».

وفى الصرف تدرس : « الميزان » و « الشافية » وغيرهما .

وفى النحو تدرس : « الكافية » و «شرح الجلى »

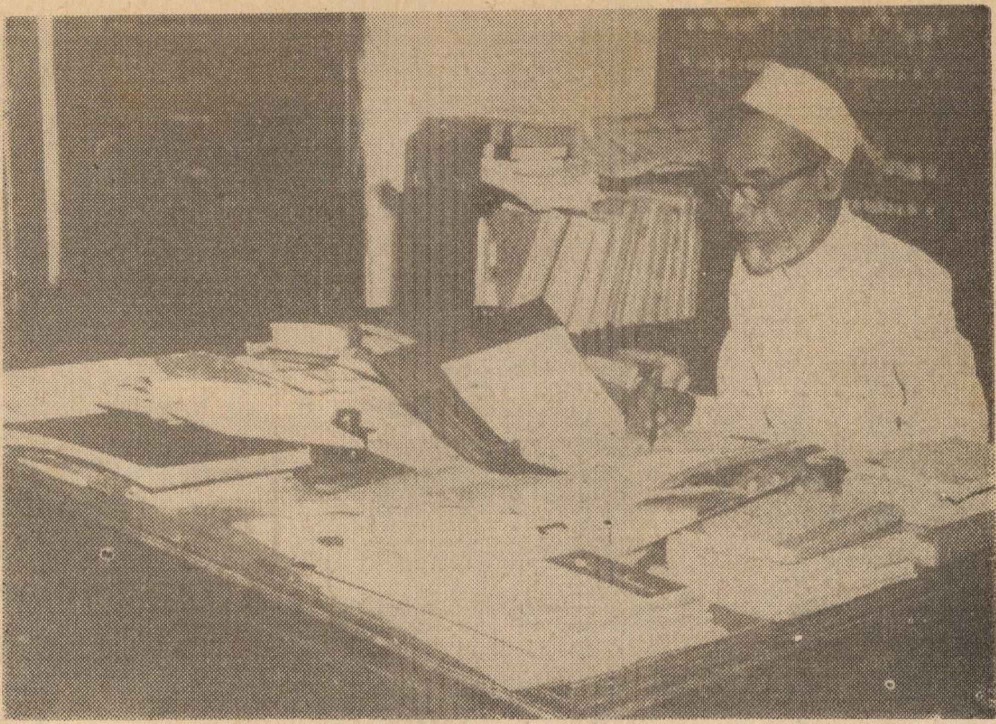

مكتبة دار المصنفين بمدينـــة أعظم كره أنشأها العلامة شبلى النعمانى

وفى المنطق تدرس :« ايساغوجى » و « شرح التهذيب والقطبى »

وفى الفلسفة تدرس : « الميبذى » وغيره .

وفى الرياضيات تدرس : « الاقليـدس » وخلاصـة الحساب .

كان هـــذا المنهج التعليمى يهدف الى حفاظ التراث العلمى القديم الذى توارثه المسلمون جيلا بعد جيل ، بدون تغيير ولا تبديل . وبصرف النظر عن مسايرة هذا المنهج بروح العصر الحديثة وبطئه فى السير مع ركب النهضة التعليمية ، والاصلاحات المنهجية الجديدة ، فانه يساعد على الاحتفاظ بالتراث العربى الاسلامى الذى مرت عليه عصـــور طويلة ودخلت فيه تطورات عديدة ، ومهد الطريق لاكتشاف علوم شتى .

وكان واضعو هذا المنهج قد استهدفوا ايضا الى قطع دابر مؤامرة بعض المبشرين ، والمستشرقين والمستعمرين، الذين حاولوا طمس تراث المسلمين القدامى ، ومعالمه ، او اخفائه عن اعين خلفهم من بعدهم ، فجاء هذا النوع من التعليم ذا اهمية كبرى بالنسبة الى المحافظة عـلى التراث القـــديم ، الذى ازدهـر وترعرع فى احضـان سلفنا الصالح .

وفى نهـــاية القرن التاسع عشر الميلادى ، قام بعض العلماء الهنود ، الـــذين تخرجوا فى مدرسة ديوبنـد نفسها ، او على علمائها، بحركة اصلاح فى نظم التدريس فيها . وفى المدارس التـــابعة لها ، واعادة النظر فى مناهجها . ولكن لم ينجحـــوا فى ذلك . ومن الذين قادوا هذه الحركة الاصلاحية فى المنهج النظـــامى فى المعاهد الاسلامية فى الهند ، ودعوا الى جعلها قريبة الى النظم الحديثة ، العلامة الشيخ محمد شبلى النعمانى والسيد احمد خان ، وبدا الشيخ شبلى النعمانى ينشر سلسلة من المقالات فى نقد المناهج القديمة التى تتبعها المدارس العربية ، بحجة انها لا تساعد على تقريب ذوق الثقافة العربية السليمة الى اذهان الناشئين ، وعلى فهم الاسلام ، فهما سليما من منابعه الاصلية مباشرة لان هذا الهدف السامى لا يتحقق الا بتـــذوق الطالب اللغة العربية وآدابها تذوقا سليما . وقد كان لزيارته التى قام بها الى مصر ، واجتماعه بالامام المصلح الكبير الشيخ محمد عبده ، ومناقشته فى الشئون التعليمية ، أثر كبير فى دعوته الاصلاحية التعليمية فى الهند . ودعا القائمين على شئون التعليم الاسلامى فى بلاده الى ضرورة الاخـــذ بناصية اللغة العربيـــة ، لفهم روح القرآن واعجازه . وقد واجـــه الشيخ شبلى النعمانى معارضات شديدة ، بل وخصومات عديدة فى ســـبيل هذه الحركة الاصلاحية . واخيـــرا قد وضع تخطيطا لانشاء مدرسة عربية جديـــدة ، تجرى حسب منهجه الحديث ، وسلك فى طريقه صفوة من العلماء الذين لهم المام ودراية باللغة العـــربية ، والعلوم الاسلامية . وأتى الى حيـــز الوجود ، بفضل التحمس الاسلامى للفيف من العلماء الهنود ، ورغبتهم الملحة فى نشر الثقافة الاسلامية ، واللغة العربية ، منهج تعليمى حديث فى بعض المدارس العربية الكبرى فى الهنـد ، الى جانب المنهج النظامى المذكور . وفى مقدمة المدارس الاسلامية التى تسير حسب المنهج التعليمى الجديد « مدرسة دار العلوم التابعة لندوة العلمـاء فى مدينة لكنهو » فى شمال الهند ، وهى المدرســـة الفكرية الثانية من مراكز الثقافة الاسلامية فى شبه القارة .

« يتبــع »

الاستقامة عنوان المسلم الصادق

الأستاذ
منصور نسيم

الدين الاسلامي الذى اختاره الله شريعة الحياة ، أساس الاستقرار والطمانينة وسبيل السعادة للبشرية في الحياة الدنيا وفى الآخرة يرتكز على قول واعتراف باللسان ينبعث عن عقيدة نابعة عن صدق وايمان فى القلب ، ينشأ عنها أفعال بالحواس والجوارح والاركان، قال تعالى : ((ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولاتحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى انفسكم ولكم فيها ماتدعون ، نزلا من غفور رحيم ..)) وفي ذلك يبين الله تعالى حال من تمثلت فيه هذه الدعائم فى دنياه ثم الجزاء الاوفى فى الآخرة .. وهؤلاء هم الذين صفت أرواحهم فاعترفوا بان الله وحده هو مالك امرهم ومدبر شئونهم ، والمطلع على جهرهم وسرهم ، والمتولي تربيتهم وتنشئتهم ، فهو سبحانه وحده الحقيق بأن يعبد ، الفريد بان يوحد ، المستحق بان يخص بالاستعانة كما خص بالعبادة ((اذا استعنت فاستعن بالله)) ، ((اياك نعبد واياك نستعين)) ومن هنا ياتى الاعتراف ((ربنا الله)) وهو الدعامة الأولى ، ولكى يؤتى هذا القول ثماره ، ويستتبع آثاره ، يجب أن يكون منبعثا عن عقيدة صادقة وعاؤها القلب ، واقتناع روحى سياجه الحواس والعمل المثمر ، ومعرفة عقلية زيغ فيها ولا شك ، وهنا ينعكس الأشراق النفسى نورا يتلالأ عن جبين صاحبه ، وتلك العقيدة هى بدورها الدعامة الثانية ، ولا يلبث أن يظهر أثرها بين الدعامتين على جوارح الانسان ارادة وعملا ممثلين فى الصلاة والصيام والزكاة والحج والوفاء بما التزم والوقوف عند حدود الله كما رسم ((وعدلا واحسانا لذوى القربى والمحتاجين ، وامتناعا عن ارتكاب الفحشاء والمنكر ، وجهادا فى سبيل الله تدعيما لدينه ونشرا لمبادئه وأهدافه ، وتقوية لمثله وتعاليمه ومساهمة فى تخطيط المجتمع السليم وبنائه ..

وليس ثمة من جدال فى أن شعار المستقيم هو أن ينفع أكثر مما ينتفع ، وان يرجى خيره قبل شره ، وأن يلمس المتعاملون معه مدى تغلغل الاستجابة الروحية لما انعكس عليها من تعاليم اسلامية .. مشاعر مستقيمة على النهج السمح الذى شرعه الله ورسمه ، ومعاملات كريمة منصفة ، وعدل ووفاء ، وخلق اتسم بالحلم والنبل ، قال تعالى ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)) .. وقد قال النبى صلوات الله وسلامه عليه لمن طلب أمرا يعتصم به : ((قل ربى الله ثم استقم)) .

والاستقامة كما حددها الشرع وأوضح معالمها معلم البشرية محمد بن عبد الله سلوك السبيل السوى ((لاترى فيها عوجا ولا أمتا)) لا انحراف مع الهوى ، ولا اتباع للشيطان ، ولا افراط فى الطاعة ، ولا تفريط بالمعصية .. بل هى ثبات على وحدانية الخالق ومقتضياتها ، وتأدية كاملة للفرائض المطلوبة ، وانتهاء عن وازع داخلى عن المحرمات والمكروهات ، وسعى حثيث فى تحصيل العلم ، وتفان فى العمل والنفع ، وصحة أكيدة فى الايمان والعقيدة ، وصدق فى القول وسمو فى الاخلاق ، وحكم صريح بالعدل وعليه كان المنهج قويما ، والصراط مستقيما ، قال تعالى : ((صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ألا الى الله تصير الامور)) .

اذا كانت تلك حدود الاستقامة وهذه مقوماتها فهل يحق لنا التساؤل ازاء ما نلمسه ونحسه من تصرفات المنحرفين عن جادة الطريق ، وهل حقا هؤلاء انما تصرفوا عن عقيدة اسلامية راسخة كما يدعون ..

.. الحق ان امثال من تشدقوا بتعاليم الاسلام وأهدافه ومثله كانت هذه التصرفات نابعة من قرارة نفوسهم دون املاء أو تخبط هم فى الحقيقة بعيدون كل البعد عن فهم معني الاستقامة التى حدد معالمها ديننا الحنيف بل هم قد تجنوا بالاسلام على الاسلام واهله . والاسلام بمثله براء منهم ، اذ التنطع والتشدد فى العقائد والأعمال انما هو افراط ، وادعاء ما أنزل الله به من سلطان ، كما أن التحلل من قيود الشريعة ، وهدى السنة تفريط ليس مع الغارقين فيه والمقيمين عليه حجة من الله تعالى او برهان ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم « ان هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ، ولن يشاد الدين احد الا غلبه » فالذين يقولون بالسنتهم ربنا الله من غير ان يكون لهذا القول أثر فى قلوبهم وشاهد من اعمالهم ، هم الاخسرون اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ..

الاستقامة اذن مخطط قويم المنهج يحدد لصاحبه نبراس الحياة كما رسمها الاسلام وهى لب التجاوب وفهم حقائق الدين كما أبانه وأوضحه الشرع ، حياة قائمة على الصراحة والوضوح .. وبعد بعيد عن التشاؤم والغموض ، وسبيل للاختبار والتمحيص لمن تجاوبت مشاعره ، وامتزجت روحه عن فهم لحقيقة الدين ، انها فى العلم والتحصيل مطلوبة ، وفى العمل والنفع محمودة ، وفى العدل والاتزان محتومة ، وفى الخلق وحسن المعاملة محبوبة ، قال تعالى « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا » قال : « فاستقيموا اليه واستغفروه » فما أجمع الاستقامة لمعانى الخير ، وما أهدى سبيلها المستقيم قال تعالى « أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم » ؟..

والمستقيم من أقبل على طاعة ربه ، وأعرض عن نزعات النفس والهوى والشيطان ، وعمل ما يرضى عنه ضميره وترتاح له نفسه متمثلا فى كل خطواته مراقبة الله وتنفيذ أوامره ، يحرص على ارضاء ربه في كل مايقدم عليه دون النظر الى شهرة أو مدح فان زلت القدم ، أو قصر فى بعض الواجبات رجع الى ربه واستغفر من ذنبه قال تعالى : « كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم » وقا لجل شأنه « فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » .

وأيا كان الأمر فالاستقامة أساس الحياة الكريمة الموفقة والطريق المأمول للجزاء الحسن ، وهى السلم الذى يرتقى على درجاته ذوى الطموح فى الدنيا والآخرة . وهى علامة المؤمن الصادق عن تجربة ملموسة ، من اتصف بها فقد جمع خلال المسلم كما أراده الله ، وضمن لنفسه السعادة فى حياته وبعد مماته ..

لقد اسعدنى الحظ أن اكون عضو منحة هيئة الامم المتحدة فى اوائل هذا العام لدراسة مركز المراة فى بعض البلاد الاوربية كانجلترا والدانمارك والسويد وفنلندا وأقول أسعدنى الحظ لانها سعادة حقا أن يتمكن الانسان من دراسة البشر وطباعهم واخلاقهم وعاداتهم واسلوبهم فى الحياة فهو درس عملى واقعى لابد وأن يستفيد منه الانسان .

ولقد نالت المراة فى تلك البلاد حظا وافرا من التعليم ومن الحرية ولو انها قد اساءت فهم معناها او الاستفادة منها وبذلك انقلبت الحرية وبالا وشقاء على الانسانية . فالفتاة بمجرد بلوغها الثامنة عشرة تخرج لتعيش بمفردها وتزور اسرتها - ان دفعها الشوق ونادرا مايدفعها - وفى ذات الوقت تسعى الاسرة لاسكان شابة او شاب فى المكان الذى خلا بخروج الابنة التى لاتجد من يوجهها التوجيه السليم او من يسدى اليها النصح وبذلك تفعل مايحلو لها باسم الحرية

واكثر مايحسه الانسان فى هذه البلاد تفكك الاسرة فلا تعاطف ولا تزاور بل الكل وقد شغلته الحياة بزخرفها وزينتها عن الآخرين حتى هؤلاء الذين وصلوا الى سن الشيخوخة قد حرموا من العاطفة ولا يجدوا لهم مكانا للعيش بين ذويهم فيلجأوا الى دور خصصتها الدولة لاقامتهم والعناية بهم وتقديم وجبات الطعام الساخنة لهم ثلاث مرات اسبوعيا على الاقل لكن كل هذه

الاسلام

الأستاذة مفيدة عبد الرحمن

الخدمات التى تؤدى لهم لاتغنيهم عن العطف والحنان الذى افتقدوه فى أهليهم .

وفى اثناء زيارتى للدانمارك استقبلتنى احدى المحاميات اللامعات فى كوبنهاجن وطلبت منها ان تحدثنى عن مركز المراة القانونى فى الاسرة فى بلادها وما تتمتع به من حقوق فاخذت توضح لى تفصيلات عن مركز المراة وعن النسبة المرتفعة من الطلاق وانصراف الزوجين كل الى طريق لاتربطه بالاخر سوى العودة آخر الليل الى حجرة يسكنانها معا . لا رعاية لحقوق الزوجية ولا حفاظا للود والانسانية تلجا للمحكمة فتطلب الطلاق ويلجا هوايضا الى المحكمة طالبا الطلاق نسوا ان الزوجية مودة ورحمة وسكنا لكليهما. الاطفال يودعوا دور الحضانة لرعايتهم صحية واجتماعية وثقافية كاملة وعلى أحدث الطرق ولكن ينقص كل هذا عاطفة الامومة التى اودعها الله جل شانه فى الام ولم يودعها حتى فى الاب فما بالنا بالاخصائيات الاجتماعيات الموظفات او حتى المتطوعات منهن .

حدثتنى الاستاذة المحامية حديثا طويلافياضا مفصلا عن متاعب الاسرة ومن بينها المراة وعن تفكك الاسرة . والذى كنت الاحظه عند مطالعة الوجوه انها حزينة كئيبة يعلوها المرح المصطنع عندما تحاول نسيان هذه المتاعب بالشراب .

هذا كله بالرغم من ان المراة عندهم قد نالت قسطا كبيرا من التعليم ومن مشاركة الرجل فى كل شئ فعندهم السيدات الفضليات القاضيات وعندهم عمدة مدينة كوبنهاجن العاصمة الكبيرة وهى سيدة قديرة فاضلة وقورة تؤدى واجبها على اكمل وجه وعندهم اعضاء البرلمان ولكن ليس لديهم الاسرة بمعناها التى اوردها الله جل جلاله فى كتابه الكريم : « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة»

جرى حديث بيننا طويل ارادت فى ختامه ان تقف على حال المراة ومركزها فى الاسرة فى بلادنا فقلت لها عيوب مجتمعنا قبل ان ابين وافصل لها محاسنه . بل ذكرت لها ان لدينا زيادة فى عدد السكان كما لازالت الامية بعض عيوب مجتمعنا .

اما من ناحية الاسرة فهى عندنا متماسكة مترابطة يحترم صغيرهم كبيرهم يسمع لنصحه وارشاده وتوجيهه بعكس شبابهم يخرجون على المالوف فلا يجدوا من ينصحهم بل قالت لى احدى السيدات الامهات انه لامحل للنصح وكل انسان حر يتصرف بما يحلو له ويراه حتى ولو كان فى سن المراهقة او الشباب الذى لم تصهره بعد الحياة وتجاربها وحتى ولو كان تصرفا يخرج على الاداب العامة والقيم الخلقية .

واما عن قوانين الاسرة فبينت لها ان مصدرها عندنا القرآن الكريم فطاعة الزوجة واجبة لزوجها وواجب الزوج رعاية الزوجة والانفاق عليها وعلى اولادهما .

واما عن تعدد الزوجات فلا يكون الا لاسباب قهرية وفى اضيق الحدود . واما من خالف ذلك من البشر فلا يكون عيب التشريع وانما هو خروج عليه واساءة فهمه فلم يشرع التعدد ليمارسه كل انسان متى شاء ولكن لظروف وملابسات ضرورية وفى اضيق الحدود كان تمرض الزوجة ويرى الزوج حاجة ملحة للزواج مع اصراره على رعاية الزوجة المريضة والابقاء عليها ليعولها وينفق عليها بدلا من طلاقها ليتزوج باخرى .

وكذلك فى حالة العقم مثلا يجوز له ان يتزوج باخرى مع احتفاظه بزوجته الاولى وفى هذا ايضا محافظة على المراة .

وذكرت لها ان الدولة بصدد ادخال بعض تعديلات بالنسبة لتشريع الاسرة للحد من الطلاق وتعدد الزوجات واعطاء الحق للزوجة التى يتزوج عليها زوجها ان تطلب الطلاق باعتبار انه قد اصابها ضرر بهذا الزواج الجديد .

سمعت من السيدة المحامية بعد هذا الشرح المطول لحال المراة عندهم وعندنا ان قالت ماترجمته « انا احسدكم لان عندكم دين » هذا هى العبارة التى رددتها لانها رات ان الدين السمح الحنيف الذى كرم المراة واعطاها كافة حقوقها هو الدستور الذى كون الاسرة واوجد بينها المودة والرحمة . فنعمة الاسلام هى اكبر نعمة وهى اولى النعم . ولكن الاستفادة من هذه النعمة العظمى لاتكون الا بفهمه الفهم الصحيح السليم والعمل بما انزله جل شانه لا مجرد الفاظ او مسميات . هدانا الله سبحانه وتعالى للعمل بكتابه الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

الاعتماد على النفس في سياسة عمر بن الخطاب

الأستاذ عبد العال شعيب

عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كان يراقب عماله مراقبة دقيقة ، ويحرص على مصلحة الامة جميعها ، ويحاسب العامل الذى يظهر عليه ثراء طارىء ، فقد كان من عادته أن يكتب أموال عماله اذا ولاهم ، ثم يقاسمهم ما زاد على ذلك وربما أخذه منهم .. مر ببناء يبنى بحجارة وجص ، فقال : لمن هذا ؟ قالوا انه لفلان العامل على البحرين ، فقال : أبت الدراهم الا أن تخرج أعناقها . وشاطره ماله ، ولقد صادر عامله على مصر عمرو بن العاص ، لانه ظهر عنده آثار ثراء من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن له حين ولى مصر ، وصادر أبا هريرة عامله على البحرين لأنه اجتمعت له عشرة آلاف وقيل عشرون الفا وادعى أن خيله تناسلت وسهامه تلاحقت ، وانه اتجر ، فقال له عمر : انظر رأس مالك ورزقك فخذه ، واجعل الآخر فى بيت المال ، يريد بذلك أن يجعل عامله يوجه اهتمامه كله لمصلحة الرعية وللخدمة العامة ، بدل أن ينفق وقته فى نفعه الشخصى وخدمة مصالحه الخاصة ، وممن شاطرهم أيضا النعمان ابن عدى عامله على ميسان ، ونافع بن عمرو الخزاعى عامله على مكة ، ويعلى بن منية عامله على اليمن ، وسعد بن أبى وقاص عامله على الكوفة ، وخالد بن الوليد عامله فى الشام ، وحدث أن تأخر عمرو بن العاص فى ارسال خراج مصر الى عمر بن الخطاب فى بعض السنين ، فكتب عمر اليه : أما بعد ، فانى فكرت فى أمرك والذى أنت عليه ، فاذا أرضك أرض واسعة عريضة رفيقة ، وقد أعطى الله أهلها عددا وجلدا وقوة فى بر وبحر ، فكيف لا تؤدى نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير قحوط ولا جدوب ، فأجابه عمرو : لقد عملت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن بعده ، فكنا بحمد الله مؤدين لامانتنا ، حافظين لما عظم الله من حق أئمتنا ، نرى غير ذلك قبيحا ، والعمل به سيئا ، وقال : فامض فى عملك ، فان الله قد نزهنى عن تلك الطعم الدنية والرغبة فيها ، فكتب اليه : انى وجهتك الى مصر لما رجوت من توفير الخراج وحسن سياستك ، فاذا أتاك كتابى هذا فاحمل الخراج فانما هو فىء المسلمين وعندى من قد تعلم قوم محصورون ، فأجابه عمرو : ان أهل الارض استنظرونى الى أن تدرك غلتهم فنظرت للمسلمين فكان الرفق خيرا من أن نخرق بهم فيصيروا الى بيع ما لا غنى به عنهم ، ومع هذا الحساب الدقيق من عمر لعماله نراه يشهد لعمرو بن العاص هذا بحسن السياسة دليلا على تقديره عامله قدره وعلى الاشادة بمحاسنه ليكون ذلك تشجيعا له على العمل والسعى فى خدمة الامة ورعاية مصالحها ..

ومما يذكره التاريخ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كثيرا ما كان يوجه الامة الى الاعتماد على نفسها ، خطب مرة فقال : أعطوا الحق من أنفسكم ، ولا يحمل بعضكم بعضا على أن تحاكموا الى فانه ليس بينى وبين أحد من الناس هوادة ، وأنا حبيب الى صلاحكم ، عزيز على عتبكم ، وأنتم أناس عامتكم حضر فى بلاد ، وأهل بلد لا زرع فيه ولا ضرع الا ما جاء الله به اليه .. انه يريد بذلك أن يعلم الناس ألا يكثروا من الرجوع الى الحاكم للفصل بينهم فى خصوماتهم ، ليصرف وقته فى التفكير فى أمورهم الخطيرة وفى رعاية مصالحهم العامة ، وأن يعتمدوا على أنفسهم لا على صاحب السلطان ، فان الاعتماد على النفس ، يقوى من شخصية الانسان ، ويجعله انسانا ايجابيا فى هذه الحياة ، أما الرجل الذى يعتمد على غيره فانه تنعدم منه الشخصية ويذوب فى غيره ، ولا يستطيع أن يبدع أو ينشىء أمرا من الامور ، انه يكون تابعا لا متبوعا ، ومقودا لا قائدا ، وموجها من الغير لا موجها ، والاسلام كثيرا ما يحث أبناءه على أن يكرموا أنفسهم بالاعتماد على أنفسهم ، وبالا يتكلوا على غيرهم ، وقد كرم الله الانسان بالعقل الذى يستطيع به أن يميز بين الطيب والخبيث ، وأن يفرق بين الحق والباطل ، وأن يعرف طريق الخير والسعادة ، فعليه اذن أن يأخذ الطيب من الحياة ، وأن يتمسك بالحق ، وأن يسير فى طريق الخير الذى يوصل الى السعادة الدائمة .

وفى خطبة عمر المذكورة توجيه للامة الى آن يعملوا ، ولا يسرفوا ، ولطالما قال لقومه : أصلحوا اموالكم التى رزقكم الله ، ولقليل فى رفق خير من كثير فى عنف ، يريد ان يسوق الناس الى المدنية بتؤدة وعلى صورة فيها التدريج لا الطفرة ، وكان يقول : من كان له مال فليصلحه ، ومن كانت له أرض فليعرها ، وانه يوشك أن يجيء من لا يعطى الا من أحب ، انه بذلك يدعو الامة الى أن تسعى فى الارض وأن تمشى فى جنباتها الواسعة .. وتستخرج خيراتها وثمراتها .. وحين يوجه الى ذلك فانما يوجه بتعاليم القرآن الذى يقول « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا ، فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار) .

« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » .

وكان يكره الكسل ويحذر عماله منه . ولا يحب منهم ان يظهروا التماوت وعدم النشاط ، لقد نظر يوما الى رجل مظهر للنسك متماوت ، فخفقه بالدرة وقال له: لا تمت علينا ديننا أماتك الله ، انه يعطى بذلك درسا للذين يتظاهرون بالورع والتقوى ويجلسون عالة على الناس ، ويعطى درسا كذلك للذين يظهرون خلاف ما يبطنون حتى لا تنخدع بهم . وكثيرا ما استطاع هؤلاء الذين يتظاهرون بالصلاح ويلبسون مسوح الصالحين ، لكن قلوبكم منطوية على الشر ، ونفوسهم ممتلئة بالحقد ، كثيرا ما استطاع هؤلاء ان يخدعوا الناس ، لكن ، الى زمن محدود ، ثم ينكشفوا على حقيقتهم ، وما اجمل ما قيل :

ثوب الرياء يشف عما تحته
فاذا اكتسيت به فانك عارى

ويحدث فى كل زمن من الازمان ان يظهر امثال هؤلاء الرائين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، ويدعون انهم مصلحون ، وانهم حريصون على نشر الفضائل لكن سرعان ما ينلاشى الثوب الذى يلبسونه ، ويعلم الناس بحقيقتهم وانهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون .. حينئذ يدرك من كان يظن بهم الخير انه خدع فيهم انه ظن خيرا فيمن لا خير فيه ، فتبرا منهم وابتعد عنهم . والمؤمن كيس فطن لا ينبغى ان يخدع . بل عليه ان يكون يقظا واعيا فاهما ، يعرف الحق فيسير فى طريقه ، ويرى طريق الشر فيتجنبه

« فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » .

ومن وصايا عمر الجامعة لعماله انه كان يكتب اليهم قائلا : ان القوة على العمل الا تؤخروا عمل اليوم الى الغد ، فانكم اذا فعلتم ذلك تداءبت عليكم الاعمال فلا تدرون بايها تبدءون ولا بايها تاخذون . وكان يوزع عمر الاعمال على ارباب التخصص والاكفاء من الناس يقول فى ذلك : ايها الناس من اراد ان يسال عن القرآن فليات أبى بن كعب . ومن اراد ان يسال عن الفرائض فليات زيد بن ثابت ، ومن اراد ان يسال عن الفقه فليات معاذ بن جبل ، ومن اراد ان يسال عن المال فليأتنى ، فان الله تعالي جعلنى له خازنا وقاسما .. وكلامه هذا يدل على فقهه فى الأمور الادارية ، حيث طبق احدث نظم الادارة الحديثة ، وهى وضع العامل المناسب فى المكان المناسب . وبذلك يحسن الانتاج وتزداد قيمته فى الكم والنوع . وتسعد بذلك البلاد .

المبادئ التي أقرها الإسلام لتوطيد أركان السلام

الاستاذ محمد عطية الابراشي

كان الاسلام حريصا كل الحرص على تضمين جميع تعاليمه الحكيمة ومبادئه السامية ـ العمل على نشر ألوية السلام فى العالم ، ومن يتأمل آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول الكريم وما أثر عن السلف الصالح يدرك كل الادراك أن الاسلام لم يكن داعيا الى الحرب ، وانما جاء يدعو الى السلام والمحبة ، فهؤلاء العرب قبل أن يدينوا بالاسلام كانوا فى اضطراب شامل ، وحرب مستمرة ، وتقاطع وتدابر ، واحقاد وفتن ، وكانت الجزيرة العربية مسرحا للمعارك الدامية ، والمذابح المستمرة ، فما كادوا يدينون بالاسلام حتى استحالت حالهم فى الجزيرة من نزاع مستحكم ، وسلب ونهب الى حال من السلام والوئام ، والاتحاد والألفة . وقد كان ذلك لأن الدين الاسلامى جمع قلوبهم على الاخلاص والمودة والألفة ، والحب والسلام بما اشتملت عليه أصوله ومبادؤه من حب الخير للناس ، والصفح عنهم وعدم ظلمهم ، والعفو عن سيئاتهم ، والسعى فيما يصلح أمورهم حتى يكونوا جماعات متعاونة متآلفة متحدة متحالفة .

يقول الله تعالى فى سورة الأنفال : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم .» أى قوتكم .

ويقول في سورة الحجرات : « انما المؤمنون اخوة ، فاصلحوا بين أخويكم » .

ومن يرجع الى صحائف تاريخ الأمة العربية يجد ما يؤيد ذلك ، أما فى بقية أجزاء العالم فقد حاول الاسلام انشاء علاقات بين جميع الأمم ، تقوم على أسس من التفاهم والتعاون ، ولكى يصل الى ذلك أباح التزوج من الكتابية ، وهى التى تدين بغير الاسلام من الأديان السماوية ، وأمر زوجها المسلم بالانفاق عليها ، وبالا يمنعها من مزاولة التعبد بدينها .

ولم يفرق الاسلام فى الحقوق الزوجية بين المسلمة والكتابية ، فقد نظر الى الاثنين نظرة واحدة ، وكان يستهدف من وراء هذه المصاهرة بين المسلمين وأهل الكتاب ايجاد علاقات من النسب تقوى الأواصر بين الفريقين ، وتدعو الى أنواع من التعاون والمساعدة ، كما أن اطلاق حرية العقيدة من أقوى الأسباب التى تدعو الى ازالة الأحقاد من الصدور ، والقضاء على الفتن التى هى من أقوى عوامل الحروب .

وقد وقف الاسلام من الأمم التى كان يدعوها الى اعتناق الاسلام موقفا سليما رائعا ، كان له أثر عظيم فى قلوب العقلاء من هذه الأمم ، أما ذلك الموقف الحكيم فهو أن الاسلام كان يرضى بمصالحة هذه الأمم على أساس أن تدفع الجزية فى مقابل أن تكون لها الحرية المطلقة فى أن تظل على عقائدها ، وكانت الغاية التى يسعى اليها الاسلام من دعوة غيره من الأمم الى الدخول فى دين الله

هى العمل على ايجاد وحـــدة دينية متكافلة ، وكتلة سياسية متساندة ، فان وحدة العقائد والأفكار والمبادىء تؤدى الى نوع من السلام الدائم فى العالم كله .

وما كان للاسلام أن يرغم الأمم الأخرى على الدخول فى طاعته ، بدليل أنه رضى منهم أن يدفعوا الجزية على أن يستمروا على عقائدهم كما يشاءون . أما الجزية التى فرضها فكان الغرض منها أن تكون رباطا لعـلاقات الود والصداقة وعدم الاعتداء ، ولذلك يقول الرسـول صلى الله عليه وسلم : « من آذى ذميا فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه خاصمته يوم القيامة » .

وان الاسلام يأبى على المسلمين أن يقاتلوا من يخالفهم فى العقيدة لمجرد هذه المخالفة ، ويأبى عليهم أن يكرهوا الناس حتى يكونوا مؤمنين ، لأنه علمهم أن العقيدة محلها القلب ، ولا سلطان للقهر والاكراه على القلوب . وانما تبنى العقيدة على الاقناع بالحجة البـالغة ، والاقتناع بالدليل والبرهان ، فى طمأنينة وهدوء ، وتفكير حر ، وروية غير مضطربة . وان اكراه النـاس على اعتناق الاسلام والسيوف مصلتة على رقابهم لا يحدث الا رفاقا أهل نفاق يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم خوفا ليس غيـــر . ومن ذا الذى يرضى أن يكون من شيعته منافقون لا يخلصون اليه ؟

ولو كان القتال فى الاسلام لحمل الناس على اعتناقه ما نهى رسول الله عن قتل الأطفال والنساء والصبيان ، والشيوخ والمرضى والرهبان . فالقتال كان للدفاع ولم يكن للهجوم .

فقد خاطب الله نبيه الكريم بقوله :

« انك لا تهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين . »

فالاسلام لم ينتشر بالسيف ، ولكنه نشر بالايمـان والعقيدة ، والثقة والتصديق ، وحرر الشعوب المظلومة التى كانت تئن من جراء الظلم والعسف والجبروت . وفى معاملة الأسرى كان الرسول يقول لأصحابه :

« استوصوا بهم خيرا »

بماذا نستدل على أن الاسلام لم ينتشر بالسيف ؟

فى تاريخ الاسلام أدلة ناطقة ، وشواهد كثيرة ، على أن خلفاء المسلمين فى كل عصر ، كانوا يوصون أتباعهم بحسن معاملة غير المسلمين ، واحترام عباداتهم وكانوا يأمرون جنودهم بالمحافظة على أماكن عبادتهم ، وعدم التعرض للنساء والأطفال ومن فى حكمهم .

كما حث الاسلام الأبنـــاء الذين أسلموا ولم يسلم آباؤهم على ألا يقطعوا صلتهم بآبائهم ، وأن يعاملوهم بالمعروف ، ويقدموا اليهم المساعدات ، وأن يجمعوا بين الاحتفاظ بعقيدتهم ، وحسن معاملة آبائهم .

يقول الله تعالى : « وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيـا معروفا ، واتبع سبيل من أناب الى ، ثم الى مرجعكم ، فأنبئكم بما كنتم تعملون . »

ومن هذا كله يتضح أن طبيعة الدين الاسلامى مبنية على التسامح والرفق والرحمة ، وحسن معاملة الأعداء ، وهو يترك أمر الناس فيما يتعلق بسرائرهم وعقائدهم الى الله سبحانه وتعالى . ومن مبادئه أن يجير من استجار به ممن لا يدين بالاسلام ، ويرعاه ويحميه ، ولا يخفى ما فى ذلك من حب الخير للناس ، واقتلاع ما فى نفوسهم من عوامل الحقد والعداوة والبغضاء ، حتى يعيش النـاس جميعا فى محبة وسلام ، وصفاء ووئام .

هذا روح الاسلام ، وهذه مبادئه فى اقرار السلام . فاذا تأملت موقف المدنية الغربية اليوم من السلام ، وقد وصلت الى أعلى قمتها ، تبين لك أن أعرق الدول فيما يسمونه النظام (الديمقراطى) تسخر علماءها وما لديها من موارد فى اثارة حرب عدوانية على الأمم الضعيفة فى كل وقت ، حتى تسير فى ركبهم خاضعة ذليلة ، يملكون لها مالا تملك لنفسها .

هـــذه مدنية الدول الغربية اليـــوم ، وفى مقدمتها انجلترا وفرنسا والولايات المتحـــدة بأمريكا وبلجيكا وهولندا ، وذلك موقفها جميعا من السـلام ، تعبىء الأساطيل فى البحار ، وتملأ الجو بالطـائرات ، وتبعث بالجيوش الجرارة على الأرض ، لاذلال الناس واخضاعهم واستعبادهم ، وحرمانهم حقهم فى الحياة والحـرية ، يقتلون الشيوخ والشبان ، والنساء والأطفال ، ويعاملونهم معاملة وحشية بربرية ، لا لذنب جنوه ، بل ليكونوا عبيدا للاستعمار والمستعمرين ، والرأسماليين والاقطاعيين .

فأين هذه الحروب من حرب الاسلام ؟ كان الاسلام يحارب لاصلاح ما فسد من ضمائر الناس ، ولحمـاية العقيدة السليمة ، والنظام الاجتماعى الذى يحقق الخير للناس . أما الحـــرب الحديثة التى تثيرها الأمم الاستعمارية اليوم فهى حرب ظالمة ، لا يقصد منها الا التقتيل والتخريب والتعذيب ، وحرمان الناس حقوقهم ، واخراجهم من بلادهم وديارهم ، والاستيلاء على أراضيهم وأملاكهم كمـــا حدث فى فلسطين ، وأكراههم على السجود أمام قوى العسف والظلم والطغيان .

فهل لهؤلاء الكتاب المتعصبين الذين يرمون الاسلام بأنه دين حرب وقتال أن يرجعوا الى أممهم الكبرى كأمريكا وانجلترا وفرنسا وبلجيكا التى تستبيح القتل لاغتصاب الأراضى فى البلاد الصغيرة ، واحتـلال ديار المقتولين بعد تعذيبهم وسجنهم وقتلهم ، ليسألوها : لماذا تفعل هذا ؟

ولماذا ترتكب هـــذه الجرائم الوحشية ؟ ثم كيف يفسرون ما حدث فى الجزائر ، وعمان ، والكونجو وكوبا ؟ وكيف يفسرون العدوان الثلاثى الغاشم على مصر فى ٢٩ من اكتوبر سنة ١٩٥٦ ؟ هل لهذه المجازر البشرية من سند يرجع الى القانون أو الدين أو الانسانية ؟ انهم لن يجدوا الا سندا واحدا هو الاستعمار . وبعد ذلك فهل لهم أن يوازنوا بين حرب الاسلام والحـرب التى تريدها الأمم الديمقراطية التى تمثل العـالم الحر المزعوم ؟

انهـم لو فعلوا ذلك ، وكانوا عادلين مع أنفسهم ، بعيدين عن التعصب لأدركوا كل الادراك أن الاسلام كان يحارب من أجل السـلام ، واقرار مبادىء العـدالة

والحرية والاخوة والمساواة ، وأن كان يشن هذه الحروب على الطغـاة الظالمين والمستبدين الذين كانوا يسخرون الناس ويظلمونهم ، ويغرسون بذور الفتن التى تهـدد السلام فى العالم .

ولا يستطيع احد ان ينكر موقف الرسـول صلى الله عليه وسلم بالنسبة للحرب والقتـال ، فانه كان يكره الاعتداء كل الكره . وقد عاش صلوات الله عليه أربعين عاما فى بيئة جاهلية تسودها الأحقاد والفتن والحروب ولم يعرف عنه فى هذه المدة الطويلة من حياته أنه نازل أحدا فى قتال ، أو وجه ضربة لأى انسان . وكيف يكون منه ذلك وهو المفطور بطبيعته على حب السلم ؟ ومما يؤيد هذا الروح السلمى العظيم أنه قبل شروط صلح الحديبية ، وكانت شروطا مجحفة بالنسبة للمسلمين ، بالرغم من أنه صلى الله عليه وسـلم كان على استعداد لمنازلة أعدائه ، ولكنه فضل الصلح على الحرب ، على ما فى الصلح من انتقاص لحقوقه . ولم يفعل الرسول ذلك خـوفا من عدوه ، أو ضعفا منه ، ولكنه أراد أن يضرب المثل لقريش فى حبه للتسامح ، وحبه للسـلام ، ولكن حينماوجد العدو يستغل تسامحه ، وأن الدعوة أصبحت فى خطر ، حمل السـلاح للدفاع عن المسلمين ، وقاد أصحابه مرغما .

ومما لا ريب فيه أن محمـدا صلى الله عليه وسلم كان يحب السلم ، ولم يكن حبه له كحب الجبان للدعة والامن والاطمئنان ، ولكنه كان يحبه لانه الحالة الطبيعية التى يجب أن تستقر فى العالم ، فاذا قاوم أصحاب السيطرة من الطغاة والمستبدين فكرة السلام شنها الرسول الكريم عليهم حربا شعواء ، حتى يعترفوا بحقـوق الضعفاء ، وعندئذ يسود السلم العالم كله .

ولا يفوتنا أن نقول أنه بعد فتح مكة أسلم أبو سفيان ، وشهد شهادة الحق بعد كلام وحوار وجدال ، فقـال العباس بن عبد المطلب : يا رسـول الله ، ان أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا .

فقال عليه الصلاة والسلام : « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخـل المسجد فهو آمن . »

وهذا مثل يدل على عظمة الرسـول ، وأن الدعوة الاسلامية لم تقم على السيف ، ولكنها قامت على الايمان الكامل ، والعقيدة الراسخة ، والحرية فى النقاش ، والمنطق السليم ، والرغبة القلبية ، والهداية الالهية .

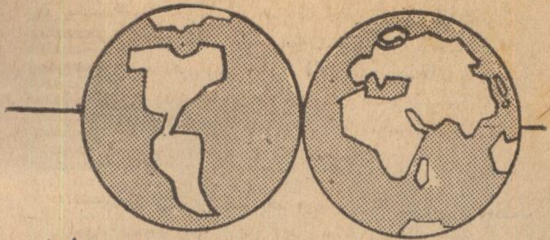

ماذا تعرف عن العالم الإسلامى دوله وشعوبه؟

دولة الجمهورية العراقية

الدكتورة عنايات الطحاوى

يقع العراق فى جنوب غرب قارة آسيا وتحده تركيا من الشمال وايران من الشرق وسوريا والأردن والسعودية من الغرب والخليج العربى والكويت من الجنوب – وتبلغ مساحته ١٧١ر٥٦٦ ميلا مربعا وعدد السكان ٦ر٤١٣ر٦٥٨ نسمة ويمتد بين خطى عرض ٥ر٢٩،٢٢ر٣٧ شمالا وخطى طول ٤٥ ٣٨، ٤٥ر٤٨ شرقا .

وقد كان لموقع العراق فى الماضى دور خطير حيث كانت تعبره طرق القوافل فى طريقها من آسيا الى أوربا وكان لها أثر كبير فى تنشيط تجارته كذلك اثر هذا الموقع فى أحوال العراق الاجتماعية فوجوده ضمن المنطقة التى تلتقى عندها القارات الثلاث أوربا وآسيا وأفريقيا جعله منذ القدم فى طريق الشعوب الغازية أو المهاجرة بين هذه القارات الثلاث . كل ذلك ساعد على زيادة الأجناس البشرية التى مرت أو استقرت فيه والتى لا تزال آثارها واضحة فى التكوين البشرى لسكان العراق فى الوقت الحاضر .

وأخيرا فقد كان لهذا الموقع أثر فى احواله السياسية منذ القدم فكانت له دائما اهمية دولية كمركز للحكم والادارة ونماذج الحضارات المختلفة وابرازها فى شكل عربى واضح

وينقسم العراق الى الاقاليم الطبيعية الآتية:

١ – السهل الرسوبى أو العراق الأسفل

٢ – البوادى وتشمل العراق الأعلى وما يحف به جنوبا بغرب

٣ – الجبال وسفوحها فى الشمال والشمال الشرقى

٤ – السهول المروحية التى تكونها روافد نهر دجلة

أما السهل الرسوبى فهو أهم منطقة زراعية فى العراق لتوفير الماء وخصب التربة ومن ثم كان اكثر أقاليم العراق سكانا وأوفرها عمرانا يتجمع فيه الزراع حول ضفاف الانهار العديدة

ورغم أن مساحة هذا الأقليم لاتزيد على ٢٠٪ من مساحة العراق الا أنه يتكتل به

نحو ٦٩٪ من سكانه ويكاد ينحصر ٤ر٥مليون نسمة فى ثلث مساحته الكلية وبذلك تصبح كثافة السكان حوالى ١٣٠ فى الكيلو مترالمربع ويضم هذا السهل اكثر مدن العراق ازدهارا ففيه بغداد (حوالى مليون نسمة) والبصرة (حوالى ١٦٥ر٠٠٠ نسمة) وغيرها من المدن التى تزيد نسبة السكان فى كل منها عن ١٠ر٠٠٠ نسمة .

ويتركز معظم سكان هذا السهل فى أحسن أجزائه صرفا . أما مناطق المستنقعات التى تنتشر فى الجنوب فان سكانها لاءموا حياتهم فيها حيث كونوا بأيديهم جزرا صغيرة وسط هذه المستنقعات يعيشون فيها ويقومون برعى الجاموس على الحشائش التى تنمو طبيعيا ، كما يقومون بصيد الاسماك والطيور ويزرعون الأرز .

يأتى بعد ذلك اقليم العراق الأعلى ومايلحق به من بواد

ويشمل بادية الجزيرة بين نهرى دجلة والفرات شمال بغداد وجنوب جبل سنجار والبادية الشمالية وتشمل النصف الشمالى من الهضبة الصحراوية غربى الفرات والبادية الجنوبية وتشمل النصف الجنوبى من الهضبة الصحراوية .

وهذا الاقليم رغم أنه يحتل ٦٠٪ من مساحة العراق الا انه نادر السكان يكاد ان يكون مقفرا ويرجع ذلك الى جدبه ووعورة سطحه وجفافه .

والاقليم الثالث هو اقليم المرتفعات الشمالية والشمالية الشرقية :

وهذا الاقليم أغزر اقاليم العراق مطرا وتختزن فى طبقاتها الجيرية ثم تظهر فى شكل عيون وينابيع ويسكن هذا الاقليم حوالى مليونى نسمة ويعمل السكان هنا فى الزراعة حيث تستوى سطوح الهضاب أو السفوح الجبلية وفى الرعى فوق ذرى المرتفعات . وبهذا الاقليم عدد من مدن العراق الكبيرة مثل الموصل وكركوك وتزيد نسبة السكان فى كل منها على ١٠٠ر٠٠٠ نسمة ثم السليمانية وأربيل ويبلغ عدد السكان فى كل منها أقل من ٥٠ر٠٠٠ نسمة

أما الاقليم الرابع والاخير فهو **السهول المروحية :**

فتكون روافد نهر دجلة المنحدرة من الجبال الشرقية دالات مروحية متفرقة أشبه بالواحات يتجمع فيها السكان غير أن طبيعة الاقليم الجبلية وانعزال أشباه الواحات بعضها عن بعض لم يساعد على تكاثف السكان فى هذا الاقليم .

واذا كانت مصر هبة النيل فكذلك العراق هبة الرافدين فلولا مياههما لكانت أرض الجزيرة لا تختلف فى شىء عن الصحارى المتاخمة لها اذ أن العراق قليل المطر فى الجزء الأكبر من أراضيه وما تربته الا من عمل هذين النهرين اللذين يحملان سنويا كميات طيبة من الطمى جعلت بلاد العراق وخاصة جنوبها أرضا خصبة .

وصف المناخ .

يمتاز مناخ العراق بقاريته فهو شديد الحرارة صيفا شديد البرودة شتاء ففصل الصيف الذى يزيد معدل حرارته على ٦٨ ف حار وأطول من بقية الفصول . أما فصل الشتاء الذى يتراوح معدل حرارته بين ٤٠،٦٠ف فهو قصير بينما نجد فصلى الخريف والربيع قصيرين يتراوح طول كل منهما بين شهر وشهرين ومعدل حرارتهما ٦٠ – ٦٨ . ودرجات الحرارة تقل كلما اتجهنا من الجنوب الشرقى الى الشمال الشرقى والغربى وأكثر مناطق العراق حرارة هى السهل الرسوبى

كذلك نلاحظ أن مدى الحرارة عال فى جميع محطات العراق ويرجع ذلك الى انعزاله عن تأثير البحر نظرا لوجود السلاسل الجبلية والهضاب التى تفصل بينه وبين البحار ومدى الحرارة اليومى كبير ايضا .

أما الامطار – فى العراق فهى قليلة وتسقط فى فصل الشتاء وفى الفصلين القصيرين الربيع والخريف والأمطار تزداد كلما اتجهنا من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى من ٥

سم الى ١٠٠ سم وبالاضافة الى هذا التفاوت الكبير فى كمية الأمطار بين جهات العراق نجد أن هناك تفاوتا فى كمية الأمطار من سنة الى أخرى • ويؤثر هذا التفاوت على الزراعة التى تعتمد على المطر تأثيرا كبيرا • فالفترات التى يقل فيها المطر يتسبب الجفاف فى كثير من الأضرار للزراعة والرعى • والفترات التى تغزر فيها الامطار تحدث الفيضانات المفاجئة،

ويمكن تقسيم مناخ العراق الى ثلاثة أنواع هى :

١ ــ مناخ البحر المتوسط ، ويقع فى شمال شرق العراق ضمن حدود المنطقة الجبلية تقريبا ويمثل حوالى ١٢٪ من مساحة العراق

٢ ــ مناخ السهوب وهو مناخ انتقالى بين مناخ البحر المتوسط وبين المناخ الصحراوى الحار ويقع ضمن حدود المنطقة شبه الجبلية تقريبا ويمثل حوالى ١٨٪ من مساحة العراق

٣ ــ المناخ الصحراوى الحار ويقع ضمن حدود السهل الرسوبى والهضبة الصحراوية تقريبا ويمثل حوالى ٧٠٪ من مساحة العراق •

ونظرا للتباين الكبير فى تضاريس ومناخ وتربة العراق فقد نتج تباين فى نباته الطبيعى أيضا فيمكن تقسيم نبات العراق الطبيعى الى خمس مناطق تتميز الى حد كبير بعضها عن البعض الآخر وهى •

المنطقة الصحراوية ومنطقة السهوب • ومنطقة الغابات والحشائش ثم منطقة ضفاف الأنهار واخيرا منطقة المستنقعات •

فبالنسبة للمنطقة الصحراوية فانها تغطى حوالى ٧٠٪ من مساحة العراق وتوجد ضمن حدود السهل الرسوبى والهضبة الصحراوية

وتنقسم النباتات الصحراوية الى نوعين هما :

١ ــ النباتات الحولية وهى قصيرة الأجل تقضى فترة حياتها فى الموسم الملائم لها

ب ــ النباتات المعمرة وهى نباتات دائما كيفت نفسها للجفاف والحرارة العالية•

والنباتات الصحراوية على قلتها تعتبر ذات فائدة حيث تستعمل كمراع للحيوانات ومصدرا للوقود وتخفف من أثر العواصف الرملية •

أما منطقة السهوب : فتمثل حوالى ١٥٪ من مساحة العراق وتقع ضمن حدود المنطقة شبه الجبلية وضمن حدود منطقة مناخ السهوب وتكون الحشائش معظم نباتاتها هذا الى جانب النباتات الشوكية • وتحتوى هذه المنطقة على أهم مراعى العراق الطبيعية •

يلى ذلك منطقة الغابات والحشائش : وتقع فى أقصى شمال وشمال شرق العراق ضمن منطقة الجبال العالية وتمثل حوالى ٦٪ من مساحة العراق ويسودها مناخ البحر المتوسط وتتمثل فيها أشجار البلوط وغابات الصنوبر • هذا الى جانب الأشجار التى تنمو على ضفاف الأنهار والوديان الجبلية وأهمها أشجار الصفصاف والدردار وأشجار الجوز والتوت والتين البرى والتفاح واخيرا نجد الحشائش الالبية ويستفاد منها فى الرعى وبعضها ذو رائحة جيدة وبعضها يستخدم فى عمل العقاقير والأدوية المحلية

الى جانب ما تقدم تنمو على ضفاف الانهار أشجار مثل النخيل والتوت والسدر والكافور وغيرها كما تنمو على ضفاف الأودية الجبلية أشجار الصفصاف والجوز والدردار ولهذه النباتات فوائد منها قطع الأخشاب وجنى قطع الأخشاب وجنى الثمار

وأخيرا نجد منطقة المستنقعات : وتقع فى جنوب السهل الرسوبى وتكون على شكل مثلث وتعتبر هذه المنطقة اكبر وأوسع مجموعة من المستنقعات فى العراق وتمتاز بكثافة نباتها وتعدد أنواعه وأهم هذه النباتات وأوسعها انتشارا واكثرها فائدة القصب والبردى وتستعمل فى البناء وكذلك فى الوقود والاضاءة كذلك تستعمل سيقان القصب الغليظة لتسيير القوارب فى الأخوار

وعلى العموم فان النبات الطبيعى فى العراق فقير بصورة عامة فهو قليل الكثافة ويغطى مساحات صغيرة والقسم الأكبر منه فصلى ينمو فى مواسم المطر ويموت فى موسم الجفاف ٠ لذا قامت الحكومة بانشاء مزارع تجريبية ومشاتل كماعملت على نموالحشائش لتوفير المراعى لحيواناتها ٠ هذا علما بأن العراق فقير فى مراعيه الطبيعية

ثانيا اقتصاديات العراق :

١ ــ **الزراعة :** كانت الزراعة ولاتزال الحرفة الرئيسية الاولى لسكان العراق نظرا لملاءمة الظروف الطبيعية لها ٠ لذلك يعتمد معظم السكان فى دخلهم على الزراعة ٠ ومع أن الزراعة هى الحرفة الأولى فى العراق الا أنها لاتعتبر جيدة اذا قورنت بالأقطار الزراعية الأخرى ومقدار ما تضيفه للدخل القومى لايزيد عن ٢٤٪ فقط من مجموع هذاالدخل وذلك نظرا لبعض المشكلات وعلى رأسها وأخطرها شأنا الفيضانات التى كانت تحدث بصورة شبه منتظمة مرة كل عامين أو ثلاثة ومصدرها الاكبر نهر دجلة ٠ ويزيد من خطورتها عنصر المفاجأة فيها ٠ كما قديحدث أحيانا أن يفيض الفرات فى نفس الوقت الذى يحدث فيه فيضان دجلة وفى هذه الحالة يتعرض السهل الرسوبى كله لخطر الغرق ٠ وقد كان فيضان سنة ١٩٥٤ اخطر ما تعرضت له البلاد وهددالعاصمة ذاتها

والى جانب هذه الفيضانات كان هناك نقص فى المياه اللازمة للرى ٠ الأمر الذى يعنى الأقتصار على موسم زراعى شتوى واحد وحتى عام سنة ١٩٥٦ لم تكن بالبلاد امكانيات للتخزين باستثناء الجهات التى يرويها خزانا الكوت والهندية ٠

كذلك تعتبر الملوحة من العقبات الخطيرة التى تواجه الزراعة فى جنوب العراق فحوالى ٦٠٪ من أراضى جنوب العراق تعانى من هذه الظاهرة مما ترتب عليه أن هجرت مساحات بين ٢٠)٣٠٪ من الارض الزراعية مما ادى الى خفض انتاجها بنسبة وصلت الى ٥٠٪

وعلى ضوء هذه المشكلات وضعت سياسة جديدة للتحكم فى الأنهار واستصلاح الأراضى وانشىء مجلس الأعمار فى سنة ١٩٥٠ للاشراف على مشاريع الرى والصرف والطرق والجسور واستصلاح الاراضى ٠ وتضمن مشروع السنوات الخمس (١٩٦١ــ١٩٦٥) نحو ١١٣ مليون جنيه لتنفيذ هذه المشاريع

وأهم مشروعات الرى فى الطرق التى نفذت والتى يجرى تنفيذها فى الوقت الحاضر هى مايلى :

١ ــ خزان وادى الثرثار وهو عبارة عن سد اقيم على نهر دجلة عند مدينة سامرا وقد تم فى أبريل سنة ١٩٥٦ وهذا المشروع متعدد الفوائد فهو الى جانب ضبط فيضان النهر وتخزين المياه يمكن أيضا توليد الطاقة الكهربائية للاغراض المدنية والصناعية ٠

٢ ــ مشروع الحبانية ، وهو سد اقيم على الفرات بالقرب من مدينة الرمادى وتم ايضا فى سنة ١٩٥٦ م وهذا المشروع الى جانب فائدته فى تحويل مياه الفيضان فهو يوفر مزيدا من الماء لمساحات مزروعة مما يساعد على مضاعفة الانتاج الى جانب اتاحة الفرصة لاستغلال مساحات جديدة من الأرض ٠

٣ ــ سد ودوكان على نهر الزاب الاكبر جنوب شرق الموصل والغرض منه توفير الماء لزراعة مساحات جديدة من الأرض فضلا عن توليد الطاقة الكهربائية

٤ ــ فيما عدا ذلك يوجد سد الكوت الذى انشىء سنة ١٩٤٠ ، سد الهندية واقيم سنة ١٩١٣ وخزان دربندخان وأخيرا خزان نجمة وهو قيد التنفيذ ٠

أما بالنسبة **لملكية الارض** ، فقد كانت الظاهرة البارزة هى الملكيات الكبيرة التى تشغل الجزء الأكبر من الأراضى المروية وهى الملكيات الكبيرة قبلية فى أصولها وهذه الملكيات لم تسهم فى تنمية الانتاج الزراعى بالعراق بسبب بدائية أساليب الزراعة واهمال مساحات كبيرة منها دون زرع ٠

وفى سبتمبر سنة ١٩٥٨ صدر قانون الاصلاح الزراعى الذى جعل الحد الأعلى لما يجوز أن يمتلكه الفرد (١٠٠٠ دونم) من الاراضى المروية ، ٢٠٠٠ دونم من الأراضى التى (الدونم يساوى خمسة أثمان الفدان) يعتمد ريها على مياه الأمطار ، على ان توزع الأراضى التى تتجاوز الحد القانونى على صغار الفلاحين والمعدمين • وقد بلغت مساحة الاراضى المستولى عليها طبقا لأحكام هذا القانون حوالى ٤ر٩٢٠ر٠٠٠ دونم فى أواخر سنة ١٩٦١ أى ما يساوى ثلاثة ملايين من الأفدنة •

ومع صدور هذا القانون الا أنه لايزال كبار الشيوخ والملاك يستأثرون بالنصيب الأوفى من الاراضى الزراعية مما دعا الى اعادة النظر فى نظام الملكية الزراعية لضمان العدل والمساواة بقدر الامكان •

المحاصيل الزراعية

المحاصيل الرئيسية بالبلاد هى الحبوب

كالشعير والقمح ويتركز حوالى ٧٠٪ من انتاج القمح فى هضبة الموصل • اما الأرز وهو الطعام الرئيسى لمعظم السكان فتكثر زراعته فى الاراضى المنخفضة التى تغمرها مياه الفيضان كمناطق العمارة والديوانية والفرات الأدنى الى الجنوب من الناصرية

كذلك تزرع الذرة الرفيعة وهى محصول صيفى يعتمد على الرى وأهم مناطق انتاجها الجنوب نظرا لوفرة المياه • ومن المحاصيل الصيفية أيضا الذرة الشامية ولكن الانتاج منها لايزال محدودا بسبب حداثة البلاد بزراعتها • وقد زاد انتاج الحبوب بعدالحرب العالمية الثانية الى ما يقرب من ٥٠٪

ومن المحاصيل التجارية الحديثة العهد فى العراق القطن غير أن هناك اعتبارات حدت من زراعته فى أول الأمر منها عدم توجيه العناية اللازمة لمكافحة الآفات التى تصيب المحصول فضلا عن ضريبة التصدير وقدرها ٢٥٪ مما أدى الى خفض الثمن دون المستوى العالمى وكان الخفض لصالح صناعة الغزل والنسيج •

هذا ويمثل انتاج العراق من التمر ٨٠٪ من التجارة العالمية فى هذا المحصول وهو يلى البترول أهمية وتبلغ أشجار النخيل حوالى ٣٠ مليون شجرة ويتركز نحو نصف الانتاج فى شط العرب بينما النصف الباقى فى فى أجزاء متناثرة من وسط العراق وشماله •

ومن المحاصيل الأخرى **الطباق** وأهم مناطق زراعته السفوح الشمالية الشرقية حيث يعتبر محصولا يعادل فى أهميته بالنسبة الى أهل هذه المنطقة التمر عند أهل الجنوب •

ومن المزروعات ذات الأهمية الكروم على السفوح الشمالية الشرقية

مستقبل الزراعة •

الواقع أن أمام التنمية الزراعية بالعراق امكانيات واسعة فالبلد لاينقصه الماء اللازم للرى ولا الأرض التى يمكن استصلاحها واستنباتها بل لعله من هذه الناحية أوفر حظا من كثير من بلاد الوطن العربى • غير أن الوصول بالزراعة الى المركز اللائق الذى ينبغى أن تشغله فى الاقتصاد العراقى يقتضى الاسراع باستصلاح الأراضى التى نفذت من أجلها طائفة من المشروعات المائية وانشاء السدود والخزانات التى تكفل التحكم تماما فى الفيضانات وتوفير اكبر كمية ممكنة من المياه حتى يتسنى استغلال جميع الاراضى القابلة للزراعة بالبلاد ولعل من أول الأعمال التى ينبغى أن تستأثر بالاهتمام توفير مشروعات الصرف وبذلك يتسنى التقليل الى حد ممكن من ملوحة التربة وهى الخطر الذى يجثم على صدر الزراعة العراقية لما تسببه من اضعاف الانتاج •

واذا كانت الزراعة جديرة بالاهتمام فان أهل الزراعة خليقون باهتمام أوفر اذ لاسبيل الى النهوض بهذا القطاع من الاقتصاد القومى بغير توفير الطمأنينة والاستقرار

لاهل الزراعة والعمل على رفع مستوى معيشتهم وذلك بتعميم قانون الاصلاح الزراعى والجمعيات التعاونية الى جانب توفير التسهيلات التى تمكن المنتفعين الجدد من الحصول على المال اللازم لشراء المعدات والآلات وغيرها من اسباب اداء العمليات الزراعية المختلفة ٠

٢ ــ الثروة الحيوانية

ينتشر الرعى فى معظم سهول الرافدين وفى ارض الجزيرة وأهم انواع الثروة الحيوانية الأغنام فى الجزيرة وعلى الجانب الجنوبى للفرات وفى بعض انحاء متفرقة جنوبى بغداد والماعز ومعظمها فى الأجزاء الشمالية والشمالية الشرقية المرتفعة نوعا :والماشية التى يربيها الزراع حيث يتوافر العلف على مدار السنة وهى تستخدم غالبا فى اداء بعض العمليات الزراعية كما هو الشأن فى الجمهورية العربية المتحدة ٠

أما سكان مناطق المستنقعات فيركزون اهتمامهم على تربية الجاموس ومعظمه فى الوية العمارة والديوانية والبصرة ٠ وتكثر تربية الابل فى الصحارى الجنوبية الغربية وفى الانحاء التى تكثر بها المستنقعات

٣ ــ الثروة المعدنية

لاتزال حقيقة الثروة المعدنية فى العراق مجهولة الى حد كبير نظرا لعدم القيام فى الماضى بالابحاث الجيولوجية اللازمة ويقوم مركز الأعمار بالتنقيب عن الحديد وعن اليورانيوم ٠ وقد دلت التجارب على انه يوجد مخلوطا مع الفوسفات كذلك يستخرج بعض الفحم لاغراض الاستهلاك المحلى وتقوم باستخراجه شركة استثمار الكبريت العراقية ٠

ويعتبر البترول (**النفط**) اهم مصادر الثروة المعدنية المستغلة فى الوقت الحاضر وهو يمثل اكثر من نصف الدخل القومى ، ٨٠٪ من الصادرات العراقية وتقوم باستغلاله شركات ثلاث هى :

أ ــ شركة نفط العراق وحصلت على امتيازها فى مارس سنة ١٩٢٥ لمدة ٧٥ عاما وهى عبارة عن مؤسسة تشترك فيها مصالح دولية هى ٢٣ر٧٥٪ شركة البترول البريطانية المحدودة
٢٣ر٧٥٪ مجموعة شركات شل والشركات الهولندية الملكية
٢٣ر٧٥٪ شركة البترول الفرنسيه
٢٧ر٧٥٪ شركة استثمار الشرق الادنى
ويأتى معظم انتاج العراق من حقل كركوك التابع لهذه الشركة التى انشأت خطوط انابيب الى ساحل البحر المتوسط منها خط بانياس على الساحل السورى وبلغت طاقتها حوالى ٣٥ مليون طن فى سنة ١٩٦٠

ب ــ شركة نفط الموصل وحصلت على امتيازها فى مايو سنة ١٩٣٢ م لمدة ٧٥ عاما ويشمل جميع الأراضى العراقية غربى نهر دجلة وشمال خط عرض ٢٣ ش واكتشف الزيت عند عين زالة فى شمال غرب الموصل وانشأت الشركة خط انابيب من هنا الى بايجى

حـ ــ شركة نفط البصرة وحصلت على امتيازها فى نوفمبر سنة ١٩٣٨ لمدة ٧٥ عاما ويشمل جميع الأراضى العراقية بما فيها الجزر والمياه الاقليمية باستثناء امتيازات شركات نفط العراق والموصل وخانقين ٠ والملكية مطابقة لملكية شركة نفط العراق ٠ وعثرت الشركة على زيت على درجة عالية وبدأ الانتاج فى ديسمبر سنة ١٩٥١ م كما بدأ فى حقل الرميلة فى ديسمبر سنة ١٩٥٤ م
خط الانابيب بشبكة الزبير ٠
ــ فاو

٥ ــ وهناك حقل على مقربة من خانقين فى المنطقة المعروفة بالأراضى المحولة قرب الحدود الايرانية وكانت تقوم باستغلاله حتى نوفمبر سنة ١٩٥٨ شركة نفط خانقين وهى احدى الشركات البريطانية وتستغله الآن الحكومة العراقية ٠ وبمقتضى الاتفاق المعقود فى ٣ فبراير

سنة ١٩٥٢ بين الحكومة وشركات نفط العراق والموصل والبصرة يحصل العراق على ٥٠ ٪ من الأرباح قبل اقتطاع الضرائب الأجنبية

وفى اكتوبر سنة ١٩٦١ صدر قرار حكومى يقضى بتخلى الشركات الثلاث عن مناطق امتيازها عدا المناطق القائمة بالانتاج فعلا وهذا القرار انقص المساحة بحوالى ٩٩٫٥٪

٤ – الصناعة

تقدمت الصناعة وتطورت فى العراق تطورا محسوسا فى العشر سنوات الأخيرة ولكنها بالرغم من ذلك تعتبر متأخرة ومحدودة اذ ظهر من الاحصاء الصناعى سنة ١٩٥٤ م أن ٥٪ فقط من السكان العاملين يشتغلون فى الصناعات ولا يقتصر صغر حجم الصناعة فى العراق على قلة الأيدى العاملة المشتغلة فيها بل أن عدد هذه الصناعات قليل وان كثيرا منها لايسد الحاجة المحلية • وتبلغ عدد هذه الصناعات الموجودة فى العراق حوالى خمسين نوعا باستثناء صناعة النفط ومشتقاته وقد ازداد عدد الصناعات منذ سنة ١٩٥٤ • ويمكن تصنيف هذه الصناعات على أساس مصدر المواد الأولية التى تعتمد عليها الى ما يلى •

ا – صناعات تعتمد كليا على المحاصيل الزراعية والحيوانية ويشتغل فيها حوالى ٣٩٪ من مجموع الأيدى العاملة

ب – صناعات تعتمد على المحاصيل الزراعية المحلية ويشتغل فيها حوالى ٢٦٪ من مجموع الأيدى العاملة

حـ – صناعات تعتمد على مواد أولية محلية غير زراعية ويشتغل فيها حوالى ١٥٪ من مجموع الأيدى العاملة

ء – صناعات تعتمد على مواد اولية مستوردة ويشتغل فيها حوالى ٢٠٪ من مجموع الأيدى العاملة

وأهم الصناعات القائمة فى العراق هى صناعة النفط ، صناعة الاسمنت ، صناعة الغزل والنسيج والحياكة الصوفى والقطنى والحريرى والجوت ، صناعة سكر البنجر ، صناعة الزيوت النباتية والصابون ، الصناعات الغذائية ، صناعة الأحذية ودبغ الجلود ، الصناعات المعدنية ، صناعة السجاير ، صناعة الكبريت ، صناعة حلج القطن •

وفيما عدا ما تقدم توجد صناعات أخرى كصناعة منتجات البلاستيك والطباعة والنجارة والأسلاك المعدنية وما الى ذلك •

والصناعات الرئيسية ليست موزعة توزيعا عادلا فى جميع انحاء العراق بل تتركز فى المدن الرئيسية فبغداد وحدها تحتوى على ما يقرب من ٧٥٪ من مجموع هذه الصناعات ومن الأسباب التى أدت الى هذا التركز الشديد فى مدينة بغداد وضواحيها هو توفر الخبرة الفنية والأيدى العاملة ورءوس الأموال والسوق غير ان هذا التركز يسبب مشاكل فى بغداد العاصمة اذ تنتج عنه هجرة واسعة ومستمرة من الأرياف الزراعية والمدن الصغيرة طلبا للعمل • مما أضر بالزراعة من جهة وخلق مشاكل متعددة من حيث المسكن والمواصلات والخدمات الأخرى وما الى ذلك •

مستقبل الصناعة : للصناعة مستقبل كبير فى العراق نظرا للظروف المواتية للتقدم الصناعى وأهمها وفرة وتنويع الخامات وبخاصة الزراعية ووفرة الوقود ورخص ثمنه سواء البترول أو الكهرباء مما يساعد على انشاء صناعة السماد والصناعات الكيمائية ، ثم وفرة المال اللازم بفضل العائدات البترولية وأخيرا كثرة الأيدى العاملة •

هذا وقد خصص فى ميزانية مشروع السنوات الخمس سنة ١٩٦١–٦٥ م مبلغ ١٦٧ مليون دينار لأغراض التطوير الصناعى

٥ – طرق المواصلات

لا ينكر ما لطرق المواصلات من أهمية فى تطور القطر اقتصاديا واجتماعية وثقافيا وهناك ثلاثة مراكز رئيسية تتجمع فيها طرق

المواصلات ومراكز أخرى دونها اهميــــة وقد ساعدت عوامل كثيرة على تجمع المواصـلات عند هذه المراكز • منها نمو سكان المـدن وثروتها وازدهار تجارتها ونشاط علاقاتهـا بالمناطق المجاورة وبسائر أنحاء القطر ،ومنها عوامل ثقافية كبغداد التى تعتبر المركـز الثقافى للقطر كله •• ومنها عوامل دينيـة تتطلب سفر المواطنين فى مواسم معينة من انحاء القطر لزيارة العتبات المقدسة مثـل مدن كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء •

وطـرق المواصلات اما بريـة أو مائية أو جوية •

فالطرق البرية هى أوسع طرق المواصلات انتشارا واكثرها طولا وتشتمل على السكك الحديدية وطرق السيارات بانواعها ثم طرق القوافل •

ولا توجد خطوط السكك الحديدية فى كل انحاء البلاد بمعنى أنها لاتربط كـل أطرافها فهناك خطوط ثلاثة هى :

خط بغداد البصرة ، خط بغداد أربيل ، خط بغداد الموصل وتل كوجك ويربط سكة بغداد باكسبريس الشرق ويلاحظ على هـذه الشبكة انها غير وافية بحاجة البلاد •

أما بالنسبة لطرق السيارات فانها تقوم بربط أجزاء الطرق لمسافات طويلة وتتغلغل فى اقسامه الداخلية وهى أطول الطرق وان كانت نسبة الطرق المعبدة فيها قليلة •• فالطرق الجيدة يتركز معظمها حول المدن الكبرى أو فى المناطق الجبلية •

فيما عدا ما تقدم فهناك طرق يسلكهـا الرعاة بقطعانهم وتقطعها القوافل وهذه الطرق ذات أهمية اقتصادية بالنسبة لأهل القرى الزراعية والمناطق الرعوية ، كما ان بعضها يعتبر منـافذ ارتباط بين العراق وجيرانه كتركيا من جهة وايران من جهة أخرى

اذا ما انتقلنا الى الطرق المائية : لوجدنـا أنها أهم وسائل النقل التجارى نظرا لقـلة تكاليفها وقدرتها على استيعاب شحنـات كبيرة من البضائع ويزيد من أهمية الطـرق المائية وجود نهرين طويلين يخترقان البلاد من الشمال الى الجنوب وينقل عن هذه الطرق حوالى ١ر٥ مليون طن سنويا من البضـائع وتعتبر البصرة الميناء الرئيسى والوحيد بالعراق

واخيرا نجد النقل الجوى : فيقع العراق بين الشرق والغرب وهذا الموقع ظهـرت قيمته فى المواصلات البرية منذ اقـدم العصور هو فى الوقت نفسه العامل الرئيسى الذى يعطى العراق أهمية عالمية فى النقـل الجوى بل أن الموقع الجغرافى للعـراق أشد أثرا فى هذه الناحية فى حالة الطرق البرية

والى جانب ذلك فان مناخ الطرق وسمائه الصافية تجعل الطيران سهلا مأمونا ولذلك فان هناك خطوطا جوية كثيرة تمر بالعراق سواء بمطار بغداد أو مطار البصرة وهما المطاران الرئيسيان بالبلاد •

٦ ـ تجارة العراق :

أهم ما يلاحظ على تجارة العراق الخارجية انها تعتمد عى الانتاج الزراعى والحيـوانى أما النفط فتبلغ قيمة ما يصدر منه حوالى عشرة اضعاف مجموع قيمة صادرات العراق

وتعتبر التمور والشعير عماد الصـادرات الزراعية ويضم العراق أوسع وأجود بساتين النخيل فى العالم • ويلى ذلك الذرة والدخن أما المنتجات الحيوانية فتلى الغلات الزراعية من حيث اهميتها وتبلغ نسبتها ١٩٪ من قيمة الصادرات • أما الواردات فتتمثـل فى المواد التى لاتنتجها البلاد كالسكر والشاى والمنسوجات والورق والحديد والصلب • وتجارة المرور ذات اهمية فى الاقتصـاد العراقى •

ثالثا ـ سكان العراق والفتح الاسلامى

سـكن العـراق قبل الفتح العربى ثلاثـة عناصر أولها بعض القبائل العربية من ربيعـة ومضر وثانيها بعض الفرس وثالثها سكـان البلاد الأصليين •

أما العرب ، فقد سبق الفتح العربى هجرة عربية وهجرات سامية فكان يسكن دلتا الفرات عرب مستوطنون نبذوا حياة البداوة جانبا وضربوا بسهم وافر فى الحياة الزراعية

أما العنصر الثانى من سكان العراق قبل الفتح العربى فهم الفرس وكان معظمهم يعتنق مذهب زرادشت ٠

والعنصر الثالث وهو سكان البلاد الأصليين فكانوا يتكونون من عناصر شتى متباينة مسيحيين ويهود وصابئة وبوذيين ومانويين ٠

وكانت المسيحية قد احرزت نصرا ملحوظا واصبحت لها السيادة فى بعض المدن وخاصة فى الحيرة ٠

وقد كان للفتح الاسلامى لبلاد العراق أثر كبير فى اهالى البلاد فقد رحبوا بالعرب المسلمين كل الترحيب ووجدوا فيهم المنقذ المنشود الذى يخلصهم من ظلم دولة الأكاسرة الساسانيين ٠ كما وجدوا فى الفتح العربى خلاصا من الخدمة العسكرية وأملا فى تمتعهم بالحرية الدينية فقد كان الاسلام يبيح لغير المسلمين من يهود ومسيحيين ومن زرادشتين وصابئة ومجوس من غير العرب أن يتدينوا بما يرضون لأنفسهم من دين على أن يدفعوا للمسلمين الجزية ـ كما كانت المميزات الأخلاقية التى تمتع بها الجيش الاسلامى سببا فى انتصاره وترحيب الأهالى به

وقد بدأت الفتوح العربية فى العراق بجيش خالدبن الوليد وكان يضم الرجال البارزين من بين المسلمين والذين حارب بهم أهل الردة وكانوا من خلاصة المهاجرين والانصار الذين امتازوا بالسبق فى الاسلام وكانت هذه هى النواة الأولى لعناصر الفاتحين التى اشتركت مع خالد فى فتح الحيرة ٠ ولما آلت الخلافة الى **عمر بن الخطاب** قصد العراق فريق كبير من أهل المدينة وغيرهم من العرب وعلى رأسهم سعد بن أبى وقاص وبدأت الاستعدادات لمعركة القادسية التى انتصر فيها العرب ودانت بلاد العراق للمسلمين وبدأت مرحلة الاستقرار فى حياة العرب وتمثلت هذه المرحلة فى بناء المدن بالعراق كمدينتى البصرة والكوفة

وفى عهد عثمان بن عفان طاب للعرب الاقامة فى العراق وحتمت بيئة العراق على العرب الاختلاط بغيرهم من عناصر السكان الأصليين فاختلطوا مع فلاحيهم فى أرضهم وفى المدن مع ارباب المهن المختلفة وفى الجيوش حيث كانت هذه العناصر تقوم بانشاء الطرق واقامة الخيام

وانتقل عرب العراق من البداوة الى الحضارة واتخذ هذا التقدم صورا شتى ففى فن البناء اقتبسوا نظم الفرس وزادوا عليها ما يناسب طبيعتهم وذوقهم حتى صار نظام البناء العربى يفوق نظام البناء الفارسى٠

ونالت الثقافة العربية تقدما ملحوظا وسريعا ٠

وصفوة القول أن العراق أصبح أرقى امصار الاسلام حضارة فاصبحت البصرة والكوفة من أنشط مراكز الحياة العقلية فى الاسلام ٠

وكانت العصبية هى أهم مميزات حياة العرب فى العراق خلال الحكم الاموى واتخذت عصبية العرب ثلاثة مظاهر هى ٠ العصبية القبلية وعصبية المدن والعصبية الأقليمية

العنصر الثانى من السكان غير العرب هم الموالى وكانوا فى الأصل اسرى حرب اصبحوا فى منزلة الرقيق ثم أسلموا فاعتقوا واصبحوا موالى وكان معظم موالى العراق وخاصة موالى الكوفة من أصل فارس ويتحدثون باللغة الفارسية ٠ أما موالى السواد فكانوايتحدثون بالسريانية ـ ودخل الموالى ضمن التنظيم القبلى وتأثروا بالعصبية العربية فكان موالى كل قبيلة ينتسبون اليها ويحاربون فى صفوفها ٠ وكان الموالى يحملون دائما اعباء المهن والحرف وقامت على أكتافهم النهضة الزراعية والصناعية والتجارية ٠ كما وقف الموالى وراء العرب فى حروبهم المختلفةوقاموا بنصيب كبير فى الفتوحات الاسلامية ٠

العنصر الثالث من السكان كان أهل الذمة٠ وهم من النصارى واليهود والمجوس ٠ فلما تم للعرب فتح بلاد العراق رحب بهم أهل الذمة ودخل فى الاسلام جموع عديدة ٠ أما من بقى من أهل الذمة على دينه فقد عاملهم العرب بتسامح عظيم مما ادى الى اقبالهم على تعلم اللغة العربية والعمل بنظمها

العنصر الرابع من السكان كان الرقيق : ومعظمهم من أسرى الحروب التى دارت بين العرب والفرس ٠ وقد نصح القرآن بحسن

مسجد الكاظمين الذهبي في بغداد أحد الاماكن المقدسة في الاسلام وبني في القرن السابع عشر

معاملة الرقيق والعمل على تحريرهم فقد حبب الاسلام للمسلمين عتق رقيقهم وجعله كفارة عن كثير من الذنوب والآثام فضلا عما فيه من تقرب لله تعالى . وقد تعلم معظم افراد هذه الطبقة اللغة العربية واعتنقوا الاسلام . وبذلك ضاقت الهوة التي كانت تفصلهم عن اسيادهم العرب .

ويبلغ عدد سكان العراق حسب احصاء سنة ١٩٥٧ ٦٫٥٣٨٫١٠٩ نسمة ويحتل أهل الريف مركز الصدارة من السكان اذ تبلغ نسبتهم نحو ٦٣٪ من مجموع السكان

وتتفاوت أحوال السكان في العراق تفاوتا كبيرا ما بين جهة وأخرى من حيث اساليب معيشتهم ومستواهم الثقافي والصحي والاقتصادي . فسكان المدن الكبرى احسن حالا من سكان القرى والأرياف وهؤلاء بدورهم أحسن حالا من البدو الرحل .

وتعتبر مشكلة الهجرة من أبرز المشاكل التي يواجهها العراق فتهاجر الاعداد الكبيرة من سكان الريف الى المدن حيث يعيشون في ظروف صحية واجتماعية سيئة . ويعاني الريف أيضا من آثار هذه المشكلة لفقدانه بعض العناصر النشيطة في الزراعة

وعليه فان سكان العراق آخذون في تطور يشمل جميع نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية وأن سكان المدن سيستمرون في الزيادة وخاصة عندما تزداد المشاريع الصناعية . وعلى الرغم من الزيادة التي حدثت في عدد سكان المدن خلال العشر سنوات الأخيرة على حساب سكان الأرياف فان الحرفة الغالبة لاتزال الزراعة والرعي .

رابعا ـ التاريخ السياسى للعراق

يتشابه تاريخ العراق السياسى قبل الحرب العالمية الأولى مع تاريخ الأمة العربية ٠ فقد كانت تركيا العثمانية تسيطر عليه ٠ وقد حارب العراقيون فى سبيل استقلالهم وحريتهم حروبا شهدت لهم بالشجاعة الفائقة٠ فقد اعدم الجنرال نور الدين باشا قائد القوات التركية رميا بالرصاص الفا وخمسة وخمسين مواطنا حرا من المجاهدين ٠ وكانت بريطانيا قد بعثت الى العراق « بيرسى كوك » داهية البحرين الذى كان ملما باللغة العربية واحتلت قواته بغداد فى ١١ مارس سنة ١٩١٧ بعد حروب دامية استمرت ثلاث سنوات بين قواته الانجليزية والاتراك ٠ واذاع الجنرال مور منشورا اشار فيه الى أنه جاء محررا من الترك لاغازيا وقد أوهم الانجليز العراق بانهم انما يحاربون لتحرير الشعوب المستضعفة وتشجيع الأمم التى تحكمها تركيا الى انشاء حكومات وطنية ٠ فلما انتهت الحرب العالمية الأولى حصلت بريطانيا على سلطات الانتداب فى العراق فى ٢٥ ابريل سنة ١٩٢٠ ٠ وكان الاتجاه البريطانى يرمى الى الحاق حكومة العراق بحكومة الهند واقام الانجليز حكومة عسكرية على رأسها الكولونيل « ولسون » وعينوا حكاما عسكريين فى كل المدن العراقية وجلبوا معهم موظفين من الهنود وبدأت خطة من الضغط والكبت مما عجل بقيام الثورة العراقية واندلاعها فى ٣٠ يونية سنة ١٩٢٠ وكانت المعارضة للحكم البريطانى قد ظهرت فى أوائل سنة ١٩١٩ وكان مجموعة من الضباط العراقيين قد اتخذوا دمشق مركزا رئيسيا لنشاط الجمعية وكان هؤلاء الضباط من تلاميذ عزيز المصرى الذى الف منهم حزب العهد السرى ٠ وقد قابلت بريطانيا الحركة الوطنية باضطهاد زعمائها ٠ وهنا ظهرت القومية العراقية كحركة سياسية انضم اليها المعلمون ورجال الدين وتقارب علماء السنة والشيعة ورجال السياسة وانضم تحت لوائها العشائر والجماهير واتسعت الحركة الوطنية فى بغداد وفى أواخر شهر يوليو انفجرت الثورة وتزعمها العلماء رؤساء العشائر واشتركت فيها بغداد ثم انتشرت الى سائر انحاء العراق ٠

وقد لقن العراقيون بريطانيا درسا قاسيا أجبرهم على اخلاء ريف العراق واستمرت الثورة حتى اكتوبر سنة ١٩٢٠ وقد قربت من الطوائف المختلفة ووحدت بين رجال الدين والسياسة ٠ وفى اغسطس سنة ١٩٢١ ارتقى الملك فيصل عرش العراق وكان مفهوما ان بريطانيا اعدت الخطة لذلك اعدادا كاملا٠

وفى اكتوبر سنة ١٩٢٢ ابرمت معاهدة مع انجلترا تمثل نصوص الانتداب وفى سنة ١٩٣٠ عقدت معاهدة جديدة مع انجلترا مدتها ٢٥ عاما تنص على الاعتراف بالمواصلات الاساسية لبريطانيا مع وجود قاعدتين فى الشيبة والحبانية

وانضمت العراق الى عصبه الامم سنة ١٩٣٢ وقامت ثورات عنيفة سنة ١٩٣٣ ثم ثورات القبائل سنة ١٩٣٥ـ٣٦ وقام الجيش بانقلاب عسكرى وانضم العراق الى ميثاق سعد أباد سنة ١٩٣٧ وهو الذى يضم « تركيا والعراق وافغانستان وايران »

وفى سنة ١٩٤١ قامت ثورة رشيد الكيلانى وفى سنة ١٩٤٨ ثار الشعب ضد اتفاق بورتسموث والغى هذا الاتفاق ودخلت القوات العراقية فلسطين سنة ١٩٤٨ وفرض القانون العسكرى وفى فبراير سنة ١٩٥٥ تحالف العراق مع تركيا على أساس تبادل المعونة والدفاع المشترك ثم انضمت ايران وباكستان الى هذا التحالف وبذلك اكتمل حلف بغداد

وفى ١٤ فبراير سنة ١٩٥٨ وقع اتفاق مع الاردن لانشاء الاتحاد الهاشمى وفى ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ اعلنت الجمهورية فى العراق وسقط الاتحاد الهاشمى ٠

وقد قامت ثورة العراق لتقضى على الملكية والطغيان ولتنهى عهد الاحلاف ومناطق النفوذ وتحرر العراق من حلف بغداد وتعيد الصلة

التى انقطعت بين العراق وجاراته من الدول العربية ولكن الفئات السياسية المستغلة ارادت أن تغلب الثورة لمصلحتها • والعراق من وجهة نظر انجلترا بلد البترول وهى كذلك نقطة الانطلاق الى سائر البلاد العربية المنتجة للبترول وعلى رأسها بلدان الخليج وبناء على ذلك فان انجلترا لابد وان تحاول عرقلة أهداف الثورة بالوسائل السياسية بعد أن فشلت المناورات التى قامت بها كل من انجلترا وأمريكا فى الاردن ولبنان عقب الثورة مباشرة •

ويأتى بعد الانجليز دور الأحزاب الرجعية التى أرادت أن تكون الثورة غنيمة لهافدفعتها رغبتها فى الاخذ بسياسة عزل العراق عن جاراته من الدول العربية كما حاولوا اثارة الاكراد فى العراق واغرائهم على الانفصال وخلق وطن قومى لهم وزعيم هذه الفكرة كردى هو مصطفى البرازنى

وفى ١٤ رمضان سنة ١٣٨٢ هـ قام العراق بثورته التى حققت أمانيه والتى قضت على مفاسد الحكم واعادت الحكم الى اصحابه واصبحت العراق عربية بكل معنى الكلمة وهاهى تحقق أمنيات العرب فى تحقيق وحدة قوية تعمل لمصلحة العرب فى كل مكان وتسعى لتحقيق السلام العالمى والتعايش السلمى فى ظل الحرية والعدالة الاجتماعية

وهذه الوحدة الشاملة فى اصل السكان وفى لغتهم وثقافتهم وتقاليدهم واقتصادياتهم ومصالحهم المشتركة هى الدعاية الكبرى للأمة العربية منذ أقدم العصور • وقد فشل الاستعمار فى طعن هذه الوحدة المتكاملة لأنه لم يستند الى أى اساس سليم وعليه فيجب على العرب أن يظلوا دائما متيقظين لاساليب الاستعمار المختلفة وان يحافظوا على وحدتهم قوية سليمة وان ينصركم الله فلاغالب لكم

مختارات من شعر ابن عربي في التصوف

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

من قافية الراء

باطل النجوم

قال ابن عربى فى الرجم بالغيب واستفادته من باطل علم النجوم – وهو ما يتصل بمقالنا فى هذا العدد من مجلة منبر الاسلام وعنوانه ((مواقع النجوم)) :

الغيب لله لا الأبصار تدركه
وما ترى العين يكنى عنه بالبشر
من كل نجم وأفلاك يدور بها
وما يولده من هذه الأكر
ان لم تحققه برهانا ومعرفة
كما هو الأمر فاقنع فيه بالخبر
من ذائق لم يقل ما قال عن نظر
ولا قياس ولا حدس ولا ضرر
ان الوجود وجود الحق ليس له
فيه شريك كما قد جاء فى الأثر

يفرق ابن عربى فى هذه المقطعة بين الغيب الحق ودعوى معرفته من تأثير حركات النجوم فى الكائنات الارضية ، ويرى أن علم الغيب – كما اشرنا فى مقالنا المقدم بهذا العدد – لا يكون باستدلال ولا علة ولا سبب من الاسباب وهذا لايعلمه منجم ولاكاهن ولانبى ولاملك الا من ارتضى من رسول .

ويرى ابن عربى – كما يرى المتصوفة وأهل الشريعة جميعا – أن من باطل العلم أن يدعى منجم انه يدرك ببصره من مسير النجوم فى الأفلاك واقترانها واختلافها شيئا من الغيب أو أثرا مما يحدث فى هذه الاكر المستديرة التى يتألف منها العالم فى بناء كامل ، لأن المستديرات أكمل الاشكال .

ويرى أن كل ما لا يتحقق بالبراهين القاطعة والدلائل الفاصلة لايدخل فى باب العلم، فجميع الاوفاق المخترعة كله باطل وجهل مدمر ، اما ماجاء منه فى الخبر الصادق فالواجب التصديق به والتسليم له ولاسيما اذا كان قد جاء به الرسول الأمين الذى ذاق من أخبار الغيب وحقائقه ما لم يذقه أحد من الخلق . ولا يخفى فى هذا أن ادراك الصوفية مرده الى الذوق لا الى الدليل والقياس . وقد كان علم النبى – صلى الله عليه وسلم – من طريق الوحى ومذاقه فلم يجئه عن صنعة ولا اجتهاد ولا ظن ، وحين أخبر بكل ما جاءه لم يرد الا الهداية والرحمة من حيث يريد أهل التنجيم نفع انفسهم وهلاكها بما يصيبون به الناس من ضرر واضلال .

ويرجع ابن عربى الى بعد ادراك الغيب من أثر النجوم والعلم بأفعالها الى أن الناشىء من موجود فهو موجود ، أما المعدوم فلا ينشىء موجودا ولا معدوما ، وحيث لاوجود الا لله دون سواه – وهو تحقيق صوفى اشرنا اليه من قبل – فكل شىء سواه لا وجود له ، لأنه لو وجد لكان شريكا فى الوجود ، وهو ماتنزه عنه الله تعالى .

هجر النوم

وقال فى هزاله الذى أصاب جسمه واسباب ذلك الهزال :

أن قلبي وخاطري
صيراني كما ترى
أقطع الليل ساهرا
أهجر النوم والكرى
وانيسى من يعمر الـ
بيد لا يعمر القرى
قد تجلى لناظري
في سماء وفي الثرى
ما أرى غير سيدي
دون شك أو امترا
أعظم الناس فرية
من على ربه افترى

ان التصوف واشتغال القلب والفكر بالله لا بغيره قد بريا جسمه وأنحلاه ، وليس يذكر الله آنا ويترك آنا بل هو دائم الذكر له والفكر فيه ليل نهار وصباح مساء فهو لا يذوق راحة ولا يلجأ الى استراحة .

وابن عربي على عادة أعلام الصوفية يقتحم البوادي والصحاري بلا خوف ولا طعام لأنه قد جعل معتمده كله على الله الذي يحمى الخائف في مكان المخافة ويطعم الجائع في موضع المجاعة ، ولايظهرذلك بوضوح وانقطاع سبب الا في البيد ، أما في القرى فهناك تظهر الأسباب وتقلب فكان الاغيار وهم البشر يشغلون القلوب ويملئون الخواطر ، ولا يتفرغ العابد الزاهد الى الله الا حين لا يراهم ولا يلتفت اليهم .

ولا يخفى أن الصوفي لا يخصص بهذا الكلام مكانا لله دون مكان بل انه يتجلى في كل الأمكنة بفعله وقوته ولا يغيب عن هدوء ولا ضوضاء ، ولا عن ازدحام ولا خلاء . ولكن الصوفي ينظر الى نفسه فاذا انقطع عن الناس وبعد عن مجتمعهم تجلى له الله أكثر وانقطع اليه انقطاعا أكبر، وهو أمر - كما ترى - راجع الى حس المخلوق والى ما يشعر ويذوق .

وابن عربي - والصوفية معه - لايرون الصحراء والخلاء فيالصحراءوالخلاءولكنهم يرونهما فيالقرىوالمدن ومزدحمات الناس فينصرفون عنها حتى لايشغلهم الا الله . ومثل الصوفية ما قالته امرأة للامام الأوزاعي حين سألها في مقابر بيروت : أين العمران ؟ فقالت له : ان العمران هنا والخراب هناك ، أى حيث يوجد الناس وتزدحم به الاسواق والارزاق .

بل ان الصوفية لا يرون أحدا سوى الله رؤية حق غير متكلفة او مشوبة بشك أوامتراء ، وهم بذلك - أي بانكار غيره - لا يفترون على الله لئلا يعظم عقابهم ويشتد مصابهم .

والناظر الذي يتحدث عنه ابن عربي في رؤية التجلي ليس ناظر العين ، بل هو ناظر القلب والروح والذوق والشعور اذ الله - سبحانه - لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار .

ضعف العقل

وقال في وجوب الاخذ بأوامر الشرع دون تحكيم العقل الا اذا كان ذا بصر شديد وحكم سديد ، ثم استقام له الدليل فلم يعد المتشابه الا ذا وجه واحد فصار محكما :

اسلك سبيل امام جل مقصده
مصدق في الذي قد جاء من خبر
وخذ به خلفه في الحال مقتديا
واركن اليه ولا تركن الى النظر
واعلم بأن ذوى الأفكار في عمه
فكن من الفكر يا هذا على حذر
والعقل ليس له تقبيح ما قبحت
صفاته وله التحكيم في العبر
وما له ذلك التحكيم في عبر
الا اذا كان في التحكيم ذا بصر

ينصح ابن عربي للمسلم أن يسلك سبيل امامه ، وهو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد كان في امامته وقدوته جليل المقصد في خير الناس وهداية البشر ، كما كان صادقا أمينا في كل ما جاء به من أخبار ملته وأركان شريعته .

ويرى ابن عربي أن يكون اقتداء المسلم سريعا دون اعمال فكر ليتأنى ودون افساح زمن ليفوت . بل على المرء أن يفعل الاقتداء بمجرد سماعه للامر أو النهى ، كالمؤتم فيالصلاة يكثر ثوابه اذا والى فلم يدع بين تكبيرة الامام وتكبيرته غير فترة تكاد لا تحصى أو تكاد لا تكون .

وأوامر الشرع ونواهيه يجب على المسلم أن يركن اليها فيأتمر وينتهي دون الركون الى العقل والرجوع اليه اذ أن ذوى الأفكار قد يكونون في عمه وضلال وحيرة وخيال ، فليحذر الانسان عقله لأن الشريعة لم تجعل للعقل أن يحكم على ما قبحته الشريعة بانه قبيح ، ولا على ما حسنته بأنه مستحسن ، بل قد يبدو هذا وذاك للعقل بغير ما حكم الشرع ، وحينئذ يقع العقل في ضلاله ويغرق في خباله .

ومن الجائز أن يترك الحكم للعقل، وذلك حين يستمكن من الأدلة ويستحكم له الأمر وتكشف له الأسرار والأنوار، على شرط أن يوفق بين الشريعة والحقيقة ، ويجعل كل جهده في الاستدلال على صدق ما جاء من السماء ومانزل به الوحي ، وأن يكون في كل ما يحكم على اتزانواستبصار بعد طول معرفة وصدق اختبار

***

الاجساد والارواح

وقال ابن عربي في السبب الذي من أجله ظهرت الاجساد وخفيت الارواح . وفي رجم الشياطين التي تسترق السمع . وفي قوله سبحانه في اتقاء الفتنة .. « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

الحمد لله الذى صيرا
وجودنا لفعله مظهرا
لو أننا نعلم أرواحنا
بالوجه في الصبح اذا أسفرا
كما علمنا بالجسوم التي
عينها الليل اذا أدبرا
كنا به نعلم أعياننا
لكن جهلناها لأمر طرا
من ظلمة الطبع وأخلاطه
فأعتم الليل وما أقمرا
وألبس الأنجم أنوارها
لما رأى عسكرا شمرا
حين رمت بالرجم أرواح من
يسترق السمع كما أخبرا
***
وانظر الى الأرض وخيراتها
وما بها الرحمن قد أظهرا

لا بد أن يصـــــبح عمرانهـــا
كمثل ما أصبح وادى القـــرى
عروشـــها خاوية حيـــن لم
يغيـــر النـــاس بهـــا المنكرا
عـــم بلاء الله ســــــكانها
فأهـــلك المقبـــل والمدبـرا
بـذا أتانا النص من عنـــــده
فى محكم الذكـــر الذى سطـرا
فقـــال فيه « واتقـــوا فتنـــة »
وتمـــم القـــول بـــه منـــذرا

هـذه المقطعة تنتظم ثلاثة افكار : الاولى ما للروح والجسد من خفاء وظهور . والثانية سبب ارتداء النجوم أثوابا نورية من النار . والثالثة تحذير من الفتن لئـلا تصيب الظالمين خاصة .

والفكرة الأولى يحمد الله فيها لايجادنا على صورة من الوجود المؤقت والظهور المتخيل ليكون هذا الايجـــاد والاظهار دليلا على فعـــله ومظهرا لقـــدرته ، ولكنه ـ سبحانه ـ غاير بين خلقة الأرواح وخلقة الأجســاد فاخفى الأولى ولو أنها كانت كالأجسام ذات حدود وألوان لرأيناها فى ضوء النهار كما نرى فيه صور الأجسام .

ويرى ابن عربى أننا كنا نعلم حقائق أنفسنا لو كان فى استطاعتنا أن نراها كما نرى أجسامنا ، وكان ذلك ممكنا أو كان حادثا موجودا لولا ما طرأ عليها حين أهبطت الى الأرض لتكتسى أثوابا من الطين حيث كانت ظلمة الطباع وثقل الأخلاط ، وبذلك استكنت فى ظلام الجسد الذى لا يمكن أن يبدد ظلامه أو يخفف أثقاله ضوء ولا نور .

والفكرة الثانية تحدث فيها ابن عربى عن نور النجوم الذى هو ناشىء عن نار أو الذى يرمى بشهب النار فتحرق الشياطين التى تسترق السمع لتصل به من يرتمى فى هواها ويميل مع خطاها. ولو لم تكن الشياطين قد وقفت عسكرا مشمرا للسرقة والاضلال ما ألبس الله النجـــوم نورها ولا أشعل نارها .

والعجيب فى ذلك أن يسلط اللهالنار على النار فتأكل شعلها وتحرق حطبها ، ومن لم يصدق أعجوبة الخلـــق ومعجزة القدرة فلينظر الى النار التى يشعلها ، فانها لن تبقى لا هى ولا ما أكلت ، فليت شعر الشاعر ماذا منهمـا الآكل وماذا منهما المأكول !

والفكرة الثالثة يعظ فيها ابن عربى أن لا يقع الناس فى الفتن المهلكة اشفاقا على أنفسهم وعلى جيرانهم الذين يشتركون معهم فى الاقامة والسكنى أو القرابة والمصاهرة، لأنهم لابد أن يصطلوا بنارهم ويهلكوا بهلاكهم .

وأشد الفتن وأسرعها فى الاهلاك اتباع المنكر والرضا به والائتمار على الخسيس والباطل والنزول عليه . ويضرب ابن عربى المثل بما حدث لوادى القرى وقد أخبر عنه القرآن بتحذيره الذى يقول فيه « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

ووادى القرى الذى يشير اليه ابن عربى والى خرابه ـ وحادثته والوعظ بها من أسباب نزول الآية ـ هو واد بين الشام والمدينة بين تيماء وخيبر فيه قرى كثيرة وبها سمى وادى القرى فكان كله من قرى منظومة صارت آثارا مركومة .

وكان هذا الوادى منازل عاد وثمود وبها أهلكهم الله ، ثم ورث هذه المساكن الظالمة جماعة من اليهود نزلوا بها وعمروها حتى أجلاهم الاسلام عنها ، وكان فتحها على يد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ سنة سبع من الهجرة عنوة ثم صولح يهودها على الجزية .

وقد ذكر ياقوت أن أحمد بن جابر قال :

فى سنة سبع لما فرغ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خيبر توجه الى وادى القرى فدعا أهلها الى الاسلام فامتنعوا عليه وقاتلوه ففتحها عنوة وغنم أموالها ، وأصاب المسلمون منهم أثاثا ومتاعا، فخمس رسول الله ذلك وترك النخل والأرض فى أيدى اليهود وعاملهم على ما عامل عليه أهـل خيبر ، فقيل أن عمر ـ رضى الله عنه ـ أجـلى يهودها فيمن أجلى وقسمها بين من قاتل عليها .

وروى أن معاوية بن أبى سفيان مر بوادى القرى وهو خرب فقرأ قوله تعالى « أتتركون فيما ههنا آمنين فى جنات وعيون وزروع ونخل .. » ثم قال : هذه الآية نزلت فى أهل هذه البلدة وهى بلاد ثمود فأين العيون ؟

فقال له رجل :

صدق الله فى قوله . أتحب أن استخرج العيون ؟

قال : نعم

فاستخرج الرجل لمعاوية ثمانين عينا

فقال معاوية :

الله أصدق من معاوية .

هذا ، وقد كان ذكر ابن عربى لوادى القرى وموجز تاريخه يدل على ما لابن عربى من علم واسع وقدم راسخة ـ رحمه الله ـ غير أنه كان يكتفى دون الكثير بالقليل وبالاشارة دون التفصيل .

مع الله

الشاعر عبد الله شمس الدين

يا أيُّها القلق الحزين أرهقْتَ قلبك بالشجون
أخرج إلى دنيا الوجو دوخل أشباح السكون
ودعْ الهدوءَ المُرَّ :: دعه : فإنَّه سمة المنون
إن الحياة هى الزحا م . هِيَ البراعة والفنون

* * *

عُدْ للصباح مع الشرو ق . والطيور مع اللحون
املأ عيونك بالسّنا واملأ فؤادك بالرنين
وافرح بأن الله موجو د. إله العالمين
غلبت مشيئتُه القضا ء . وكل مايرضى يكون

الله يفرح إن فرحتَ به . وكل أسًى يهون
أدخل بقلبك فى حما ه . فإنه الحصن الحصين
واذكره فى سرٍّ وفى عَلَن . ولا تخش العيونْ
وإذا رُميتَ بظنّهم فالله خلّاق الظنون

* * *

أنا كنت قبلك هائما متقلّبًا بدجى السنين
ولكَمْ خشيتُ من الضِّيا ع . وكم خشيتُ من الجنون
حتى دخلتُ حمى الاله عرفتُ سرَّ الآمنين
قهروا هوى الدنيا بما عرفوه من صدق اليقين

* * *

ما هذه الدنيا سوى سوقٍ ستنفذ بعد حين
هِيَ واحةٌ تأوى إليها فى الطريق مسافرينْ
أوهام زينتها سرابُ آخذٌ بالواهين . .

رسول العالمين وشهر شعبان و مناجاة

الشاعر محمد محمد السباعي

نبيٌّ جَاءَ بالخير العميم ... وبالدِّين الصَّحيح المستقيم
رسولَ العالمين لأنتَ رُوحي ... ورَيْحاني وجَنَّات النَّعيم
لأنْتَ الشَّمْسُ والدُّنْيَا ظلامٌ ... وأنْتَ البدرُ في الليْل البَهيم
وأنْتَ الجودُ لا معنى لفقرٍ ... إذا مارقَّ عِطْفُ للكريم
وأنت الحلمُ والكفارُ تسْعى ... عَلَى قَدَمٍ لاغضاب الحليم
وأنْتَ العلمُ يَزْخَرُ بالمعاني ... وهذا الفيْضُ من فَضْل العليم
وما بكَ مِنْ صَغار اليُتْم شيءُ ... فجدُّك كافِلُ الطفل اليتيم
وعمُّك خَاصمَ الأَقرانَ جَهْرًا ... ولم يَعْبَأْ بتهديد الخصيم
ومابِكَ مَايَشِينُ وإنْ تجنَّتْ ... عَلَيْكَ سَفَاهَةُ الرجل الزنيم
أَتَيْتَ وَلَم يكنْ ثمة جهادٌ ... لدفع الظُّلْمِ والشرِّ الجسيم
أَتَيْتَ وَدَوْلَةُ الكفَّارِ تعدو ... كما تعدُو الرِّياحُ على الهشيم
أَتَيْتَ بمُعْجزٍ للدَّهْرِ طُرا ... هُوَ القرآنُ في فَهْمِ الفهيم
كلامُ الله يتْلُوه نبيٌّ ... هو الأُمِّيُّ مِنْ لَدُنْ الحكيم
سَمَوْتَ إلى العُلا واللَّيْلِ داجٍ ... ونُورِكَ كالمجرَّةِ والسَّديم
وطِرْتَ مُجَاوِزًا سَبْعًا شِدَادًا ... وعُدْتَ بما يُحقق لى نعيمى

أتى والنَّاسُ يحكُمُهمْ جهولٌ ... من الرُّومان والفرسِ الغشيم
فَخَلَّصَ هؤلاءِ مِنَ الرَّزايا ... وأَنقذ هؤلاءِ مِنَ الجحيم
وحَطَّمَ دَوْلَةَ الأَصْنَامِ حَتَّى ... رأَيْنَاهَا تَخِرُ بلا حميم
وَجَاءَ مُصَدِّقًا لأخية عيسى ... ومَوْلِده وتوراة الكليم
وصحَّح ما أُضيفَ لكلِّ دين ... مِنَ الأَوْهَامِ والْخَلْطِ السقيم
وطهَّر مكة منْ كلِّ رِجْسٍ ... ومنْ صَنم وإبليس الرجيم
ومَنْ يقنتْ لربِّ العرش يُسعَفْ ... بنصْرٍ فى الشدائد مستديم
ويَحْظَ بما يؤمِّل من رغابٍ ... ومن رغَدٍ ومِنْ عزٍّ مقيم

* * *

بنى بالعِلْمِ والأَخلاقِ شَرْعًا ... بالبرهان والفكر السَّليم
وسَارَ بأُمة الاسلام شَوْطًا ... بعيدًا فى طريق مستقيم
دعا لمكارم الأَخلاق لمَّا ... كَسَاهُ اللهُ بالخُلُقِ العظيم
وحذَّرَ مِنْ مآثم شائناتٍ ... وَمِنْ فُحْشٍ ومن قذف الحريم

* * *

أَتى شعْبان بالأَضواءِ تَتْرَى ... يَراها كلُّ ذى قَلْبٍ سَليم
تؤهل كلَّ ذى تقوى لصومٍ ... وشيكِ الوقع فى الشهر الكريم
وليلة نصفه جاءَتْ بخيرٍ ... عظيمِ الفضل مضطرد عميم
فتِلكُمْ قبلة الاسلام صارت ... إلى البلد المحرَّم من قديم
توجَّهتِ القلوبُ بها إليها ... لتحظى بالتَّخلُّدِ فى النعيم

* * *

إلهى أَنْتَ للضُّعَفَاءِ عَوْنٌ ... وأَنْتَ الغوثُ فى اليوْم الأَليم
وأَنْتَ المقصد الأَسنى إلهى ... لشعْب مؤمن بلك مُسْتهيم
أَدمْ أَفضالَك الجُلَّى عَلَيْنَا ... ومتعنا بزمزمَ والحطيم
وَصلِّ على رسولكِ مُصْطفانا ... رفيعِ القدْرِ ذى الخُلُقِ العظيم

مع الأحداث في عدن

عدن العربية

الشاعر : محمد حليم غالي

جاروا على عدن ..؟ مَرْحَى لإخوانى   فآية النصر جاءت بعد عدوان
من بورسعيد أَقمنا أُمةً شمخت   ومعجزاتٍ على آفاق أَسوان
تجمّع المارد الجبار منتفضاً   على المشانق والسّجان والجانى
جاروا على عدن .. يا ويح قاعدةٍ   بين السلاطين مأجور وخوّان
أَقمتها بيدى .. واليوم أَهدمها   بئستْ عبادةُ أَصنام وأَوثان
إنِ الشعوب إلى حريتى انتبهتْ   وكل مستعمرٍ فى الأَرض يخشانى
أَنا ابن مُرإذا هبتْ طلائعه   تفرّع الكونُ من هولى وبركانى

* * *

هذا الجنوب بلادى.. كيف يغصبه   هذا خليجى .. وبترولى وشطآنى؟
والاتحاد الذى شادوه منهدم   وكيف يبنون من زيف وبهتان
ظُنوا فريستهم كالأَمس وادعة ؟   أَما دَرَوْا أَنها أَسراب عقْبَانِ ؟
ظنوا الأَمانة لازالت تحصّنُهم   بالقات .. والجهل .. فى ذل وإذعان
أَما دَرَوْا أَنِ عبد الله آخذهم   وان تغيب عن الغدّار عينان
والشعب يعرف والأَحرار توقظهم   أَفعى الدخيل وناب الغاشم القانى

قد كان أسطورة فى النيل بدّدها ... شعبى بثورة أبطالى وفتيانى
كنّا .. وكانت حياة الضعف تملؤنا ... واليوم نهزأُ من غدرٍ وعدوان
كنّا .. حيارى .. وراعينا يحطمنا ... واليوم يعلى جمال رفعة الشان
كانت بلادى متاعًا .. فهْى مزرعة ... للغاصبين .. أُذيقوا مُرّ حرمان
وكان عارًا إذا قلنا إلى عربٍ ... أصولنا وفخار العرب صنوان
واليوم تصغى لنا الدنيا تعظمنا ... قومية العُرْب من أبناءِ عدنان
مشى بها فى الضحى العملاق فانطلقت ... طوفان نوح فتمحو كل طغيان

* * *

من الأعاصير إلا أنها أمل ... أرى به الصبح فى آفاق ودياني
أرى شعوبىَ فيها .. وهْى واحدة ... وموطن واحد من بعد أوطانى
وحاكم تسمع الأيام قولته ... فى طاعة .. دون إبطاءِ وعصيان
وشعلة ترقب الدنيا منارتها ... تهدى من الدين أو تهدى بعرفان
على السماحة فى آمال أُمتنا ... لا بالتعصب أو تفريق أديان
فى ظل دين .. وأخلاق ومعرفة ... ومكرماتٍ .. وقرآن .. وإيمان

* * *

ويا فلسطين .. ما غالتْك شرذَمةٌ ... بل بيع حرٌّ .. بدولار وتيجان
إن كان ساءَك من قد حلَّ مربعنا ... فللخيانات أبطال بأثمان
ولن تكونى طعامًا .. سائغًا بفمٍ ... ما دام فينا ليوم الثأر كفان
والنهر .. لا .. لن يدير النهر وجهته ... ولن يكون لهم ريًّا لظمآن
بالأمس أجلى صلاح الدين عصبتهم ... فى يوم (حِطّين) فى ماضٍ وأزمان
واليوم يمضى (جمال) فى مواكبه ... فى البرّ جندى .. وتحت الماءِ حيتانى
فى دوحة التين .. والزيتون موعدنا ... يظلِّلُ الحرُّ فيها فئ أغصان
هناك نهتف بالتاريخ .. عودتنا ... بدْءُ انطلاق وأمجاد وسلطان
تسعى لنا الصخرة الصمّاءُ هاتفة ... غسلتم العار عن شعبى ووديانى

مواقيت الصلاة

الأيام	شعبان ١٣٨٥	نوفمبر ١٩٦٥	فجر		شروق		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
			د	س	د	س	د	س	د	س	د	س	د	س
الأربعاء	١	٢٤	٥٦	٤	٢٧	٦	٤١	١١	٣٦	٢	٥٦	٤	١٧	٦
الخميس	٢	٢٥	٥٧		٢٨		٤٢		٣٦		٥٦		١٧	
الجمعة	٣	٢٦	٥٧		٢٩		٤٢		٣٦		٥٦		١٧	
السبت	٤	٢٧	٥٨		٣٠		٤٣		٣٦		٥٥		١٧	
الأحد	٥	٢٨	٥٨		٣١		٤٣		٣٦		٥٥		١٧	
الإثنين	٦	٢٩	٥٩		٣١		٤٣		٣٦		٥٥		١٧	
الثلاثاء	٧	٣٠	٠٠	٥	٣٢		٤٤		٣٦		٥٥		١٧	
الأربعاء	٨	ديسمبر	١		٣٣		٤٤		٣٦		٥٥		١٧	
الخميس	٩	٢	٢		٣٤		٤٤		٣٦		٥٥		١٧	
الجمعة	١٠	٣	٢		٣٥		٤٥		٣٦		٥٥		١٧	
السبت	١١	٤	٣		٣٥		٤٥		٣٦		٥٥		١٧	
الأحد	١٢	٥	٤		٣٦		٤٥		٣٦		٥٥		١٧	
الإثنين	١٣	٦	٤		٣٧		٤٦		٣٦		٥٥		١٧	
الثلاثاء	١٤	٧	٥		٣٨		٤٦		٣٦		٥٥		١٧	
الأربعاء	١٥	٨	٦		٣٨		٤٧		٣٦		٥٥		١٧	
الخميس	١٦	٩	٦		٣٩		٤٧		٣٦		٥٥		١٧	
الجمعة	١٧	١٠	٧		٤٠		٤٧		٣٦		٥٦		١٨	
السبت	١٨	١١	٨		٤١		٤٨		٣٧		٥٦		١٩	
الأحد	١٩	١٢	٩		٤١		٤٩		٣٧		٥٦		١٩	
الإثنين	٢٠	١٣	٩		٤٢		٤٩		٣٨		٥٦		١٩	
الثلاثاء	٢١	١٤	١٠		٤٣		٤٩		٣٨		٥٧		٢٠	
الأربعاء	٢٢	١٥	١١		٤٤		٥٠		٣٩		٥٧		٢٠	
الخميس	٢٣	١٦	١١		٤٤		٥٠		٣٩		٥٧		٢٠	
الجمعة	٢٤	١٧	١٢		٤٤		٥١		٣٩		٥٨		٢١	
السبت	٢٥	١٨	١٣		٤٥		٥٢		٤٠		٥٨		٢١	
الأحد	٢٦	١٩	١٣		٤٦		٥٢		٤٠		٥٩		٢٢	
الإثنين	٢٧	٢٠	١٤		٤٧		٥٣		٤١		٥٩		٢٢	
الثلاثاء	٢٨	٢١	١٤		٤٧		٥٣		٤١		٥٩		٢٢	
الأربعاء	٢٩	٢٢	١٥		٤٧		٥٣		٤١		٠٠	٥	٢٣	
الخميس	٣٠	٢٣	١٦		٤٨		٥٤		٤٢		٠٠		٢٣	

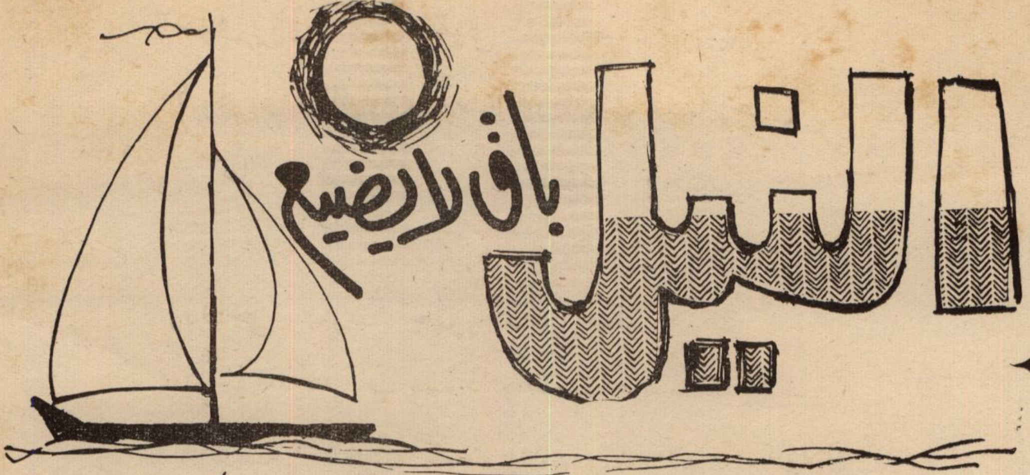

النيل باق لا يضيع

الشاعر محمود أبو الفتوح

الليل والظلمات من حولى وعينى الرقيب
والخوف يقتلنى وأشباح تغيب ولا تغيب
والمارد الخفاق فى دقاته صوت النحيب .
كمسافر فى التيه ضل طريقه وأتى المغيب .

* * *

أين الفرار أريده بل أين يرمينى الطريق .
متخبطا لا أهتدى فى السهل والوادى السحيق .
وحدى مع الألم الدفين بغير صاح أو رفيق
وحدى أكفكف دمعة وأذوب فى الحزن العميق

* * *

شوقى إلى إبنى يداعب فى إبتسام لحيتى .

شوقى إلى أُمى تقبل فى حنان جبهتى .
شوقى إلى البلد الذى أهدرته وظلمت فيها إخوتى
أحنى علىّ فضمنى .. وطعنته بخيانتى

* * *

وبداخلى صوت جهور ثائر يعلو هناك ..
يا أيها المنبوذ بت مشردا وجنيت ماصنعت يداك ..
فى شعبة الإخوان كنت إمامها ويداك تصطنع الهلاك
تهوى الإله وتحتمى فى دينه . والدين يبرأ من هواك

* * *

هل الإسلام أن تمحى المصانع والمدارس والحقول؟
هل الإسلام محو مكاسب ويعود نجم للأُفول ؟
هل الإسلام تخريب وموت . أم الإسلام إفساد العقول؟
وقتل زعيم ثورتنا جمال . من القرآن ـ أم قول الرسول؟

* * *

يا زائغ النظرات هل نفع المدافع والسلاح ..
جُمعت لإرهاب وتمزيق وأعناق تطاح ..
قال الرئيس وقوله فيه العزيمة والصراح ..
إنا عفونا مرة .. واليوم .. جرم .. لا سماح ..

* * *

يا صاح حسبك ما ذرفت وما شربت من الدموع
اليوم تخضع نادما : هيهات : أن يعفو الخضوع
تلك المنية أَقبلت تسعى وتنطفئ الشموع ..
فانبش لنفسك حفرة . فالنيل باق لا يضيع ..

باب الرياضة

إعداد: ناصيف سليم

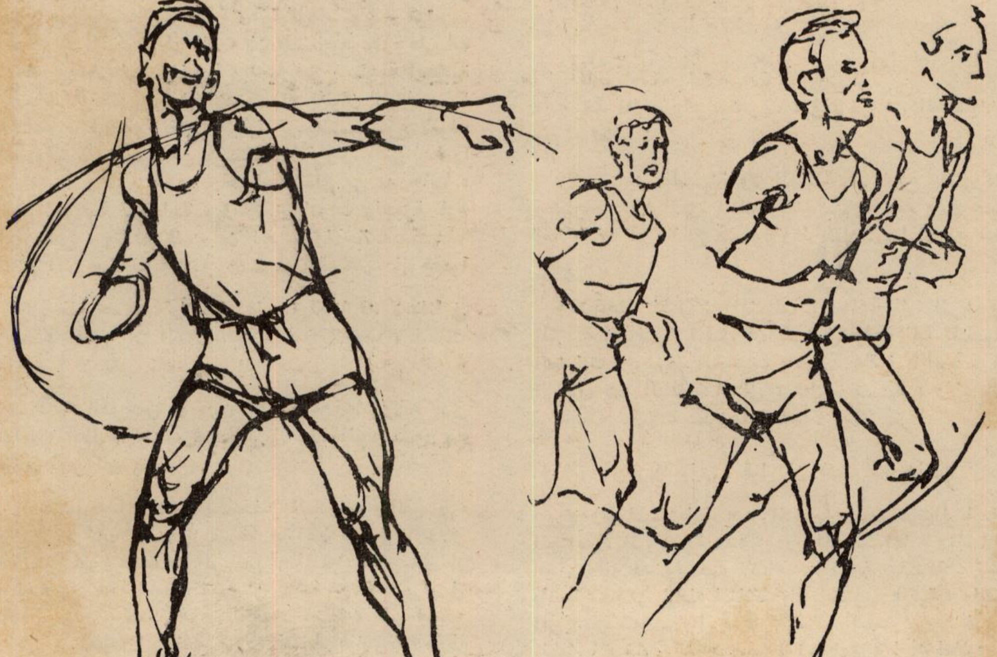

• ظواهر جديدة في حقل الرياضة ..

• ابنك يجب أن يكون رياضيا لا متفرجا فقط !

● لا يعيب المرء حاليا أن يكون من بين أولئك الذين يملأون مدرجات ملاعب الكرة ، مرة كل اسبوع أو مرتين ، ليشجع هذا الفريق أو ذاك ، لأن التشجيع علاوة على انه نشاط ترويحي مفيد نفسيا وبدنيا فهو مساهمة ايجابية في رعاية الرياضيين وفي الاهتمام بألوان الرياضة المختلفة . فالأندية تفتح خزائنها كل أسبوع لألوف الجنيهات . تجمعت من هذه القروش التي يدفعها المشاهد . وهي تزيد من رقعتها ، وتعلى من مدرجاتها ، وتقيم أحواضا للسباحة ، وتشترى ادوات وأجهزة تلزم كل رياضي ، وتدفع للمدربين العرب والأجانب من هذه المبالغ التي يتكاتف المتفرجون - دون قصد - في جمعها

وكل هذا حسن ، ولا غبار عليه ، لكننا قد لاحظنا في الأسبوع الماضي أن العلاقة بين المتفرج واللاعب ، ليست كما يجب ان تكون :

شاهدنا المتفرجين يوبخون لاعبا لانه أجاد ولأنه أدى الواجب المطلوب منه ، فمنع فريق هذا الجمهور من تحقيق نصر كان يتوقعه .

وشاهدنا هذا اللاعب يستخف بالناس ، وبالقيم ، ويشير بحركات استفزازية خارجة عن أصول الاخلاق وما يجب أن يتصف به الرياضي . ناسيا أنه جندي في معركة ، وأن عدم ضبط نفسه لن يمكنه من الاستمرار في أداء الواجب ، لذلك خرج الجمهور آسفا ، على ضياع الأخلاق في رحاب الرياضة ، ولأن أبسط مبادىء الأخلاق يجهلها بعض اللاعبين ، فاذا قدرنا أن عددا من المتفرجين أخطأ . أو اشتبه عليه أن هذا اللاعب يمارس واجباته بعنف مؤذ لزميله المنافس ، فما كان يجب أن يكون هذا هو الرد ، ولو أنه على علم بما يجب ان يتبعه ، لعمل بقوله تعالى :

« والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » .

وقوله :

« خذ العفو وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين »

وقوله تعالى :

ولا تستوى الحسنة ولا السيئة .. ادفع بالتي هي أحسن . فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم »

ولكن ماذا نقول : والشباب في حاجة الى المزيد من التربية الاسلامية ، قبل أن يكون في حاجة الى تقوية العضلات ، وسرعة الجرى ، والمهارة في اللعب . ان الأخلاق هي الدعامة الأولى ، لكل نهضة ، وكل بطل نريد منه بطولات يحرزها لبلاده .

كن رياضيا .. قبل أن تكون متفرجا !

● وبمناسبة زيادة عدد المتفرجين في ساحات الرياضة المختلفة ، الى درجة هددت دور السينما ، والمسارح أقول : انه قد وضحت ظاهرة جديدة غريبة ، تنذر بالخطر ، وهي اتجاه الناشئة الى تشجيع الكرة ، وليس الى ممارستها . فكل بيت أو معظم البيت ، تجد فيها الطفل الصغير ، يتباهى بانه « زملكاوى » او « أهلاوى » ويعلن تشيعه وتعصبه لهذا النادى أو ذاك . فاذا سألته : وماذا تلعب أنت ؟

وجدته لا يلعب شيئا ، بل هكذا نشأ وهو في هذه السن متفرجا !

وهذه ظاهرة خطيرة ، نود أن نلفت نظر أولياء الأمور اليها ، فخير ما فى الرياضة ممارستها ، وأعظم مساهمة فيها أن يتحول عدد كبير من اطفالنا الي أبطال ، يرفعون علم الجمهورية العربية المتحدة فى شتى الميادين الدولية ولكى يكون ابنك بطلا ، يجب أن تسير معه خطوة خطوة :

● تعرف ميوله أولا ، فأى لعبة يفضلها يجب أن يمارسها ، ولا يمارس غيرها ، حتى لا تتوزع جهوده على لعبات أخرى ، فلا يكون بطلا فى واحدة منها .

● تختار له النادى المناسب ، والمجموعة التى تناسبه وتكون معه معظم أوقات التدريب ، تتعرف على مدربه ، وتعرف منه ما يلزمه من غذاء معين ، وما يحتاجه ، من رعاية صحية فى ناحية معينة .

● تنظم له وقته ، حتى لا تطغى الرياضة علي ثقافته، ومنهج دراسته .

● تراقب سلوكه بعد أن يتجاوز مرحلة الطفولة ، وتحاسبه على التوقف فى نواحى النشاط ، اذا رأيته تجمد عند مستوى معين

* لا نريد أن تتحول ملاعبنا الى هذا الذى يحدث فى الخارج ..

ان ابناءنا ـ لا شك ـ ينفرون من هذا بحكم التربية الاسلامية وتمسكنا بمبادىء الأخلاق

هل يكونوا جميعا .. لاعبى كرة

● ولعله قد وضح أخيرا أن معظم الأطفال يتجهون ناحية كرة القدم بالذات ، نتيجة اهتمام التليفزيون الزائد بها ، واذاعته كل اسبوع عددا كبيرا من مبارياتها المحلية والأجنبية ، وقد ضاقت ملاعب الأندية بالعدد الهائل الذى يهوى كرة القدم ، لذلك أصبحنا نرى الشوارع وقد خططها الصبية وحولوها الى ملاعب صغيرة ، يتبارون فيها ساعات طويلة من النهار ، وبعض ساعات الليل تحت المصابيح الكهربية . وهذه أيضا ظاهرة خطيرة ، تهدد لعبات كثيرة عندنا بالزوال، وتقضى على بطولات كثيرة أحرزتها بلادنا فى ميادين السباحة ، ورفع الأثقال والاسكواش وغيرها لذلك كان لابد من حملة توعية ، وايجاد وسيلة ترغيب للاطفال فى اللعبات الأخرى . ولا شك أن الطفل الذى سيمارس رياضة أخرى غير كرة القدم ، سيصعد فوق سلم البطولة دون عناء كبير ، وفى اقصر وقت ، لك لأن وجود عدد هائل من لاعبى الكرة ضيق فرصتهم فى التمثيل الدولى ، والحصول على عضوية المنتخب .

وقد رأينا أن لاعب السباحة ، أو لاعب الاسكواش .. أو رافع الأثقال أو المصارع ، يستطيع أن يمثل بلده دوليا بعد فترة قصيرة ، لأن قاعدة هذه اللعبات ليست مزدحمة باللاعبين .. وفرص التدريب أمام لاعبى هذه اللعبات كبيرة ، ومتيسرة ، والمنافسة ليست على أشدها كما هو الحال فى كرة القدم

الذين تفرغوا للرياضة

● كل هذا الذى تحدثت عنه يسير فى اطار الهواية الخالصة ، أى أن اللاعب يلعب لايريد أن تكون رياضته وسيلة للرزق ، أو ان تكون هى مستقبله . بل كل ما يبغى أن ينشط جسمه ويقومه ، حتى يكتسب قدرا وافيا من الصحة والقدرة والنشاط ، مما يساعده على زيادة الانتاج . فاذا كان فذا فى لعبته ، موهوبا فى فنه ، حظى بتمثيل بلده فى الميادين الدولية ، وهذا ـ لا شك ـ شرف كبير ، وكفاه فخرا أن يسجل اسمه فى التاريخ تاريخ الرياضة فى بلدنا ، وتاريخ الدورات العالمية اذا حالفه التوفيق ، وكان أحد أبطالها .

هذا هو كل ما يبتغيه اللاعب الهاوى ، وهناك نوع آخر نطلق عليه ((اللاعب المحترف)) وقد ظهر الاحتراف أول ما ظهر فى كرة القدم والمصارعة الحرة والملاكمة وغيرها من اللعبات ، ومعنى انه محترف انه اعتبر الرياضة مصدر رزق ، وتفرغ لها ، بناء على عقد بينه وبين ناديه ، يأخذ عن كل مباراة حسابا عدا راتبه الشهرى ، وبالرغم من أن الفترة التى يظل فيها المحترف بطلا قد تكون قصيرة ، احيانا ، الا انه يجمع ثروة طائلة لا يقدر على جمعها كبار الممثلين فى العالم مما يطمئنه بعد ذلك الى مستقبله . وهو ممنوع من أى عمل طوال فترة احترافه ، لأن اللعب سيكون عمله ، لذلك يبذل قصارى جهده فى الاجادة ، ويحاول أن يظل أطول فترة ممكنة لاعبا متألقا فى الملاعب

ومن هذا النوع ، سنرى عندنا خلال الأسبوع القادم فريقا أجنبيا لكرة القدم .. انه فريق انترناشيونالى الايطالى ، الذى فاز بكأس أندية العالم مرتين متتاليتين

هذا الفريق لا يضم غير اللاعبين المحترفين ، وقد ضمهم النادى الى صفوفه بعد أن دفع لأنديتهم السابقة مبلغ خمسة ملايين من الدولارات ، أى حوالي مليونين ونصف من الجنيهات المصرية .

سيلعب هذا الفريق على ملعب استاد القاهرة لأول مرة مع نادى الزمالك ، مقابل ٢٠ الف دولار حولت اليه بالعملة المصرية ، ويأمل الزمالك أن يجمع من هواة الكرة ضعف هذا المبلغ .

على أى حال فالاحتراف غير معمول به فى بلادنا الان، لذلك أصبح واجب الرياضى ، أن يوازن ويعدل فى تقسيم وقته ، بين الرياضة كهواية، وبين التعليم كثقافة ومصدر رزق فى المستقبل ، لأن سعادة الانسان مرهونة بنجاحه فى عمله ، سواء أكان طالبا أو صانعا ، أو فلاحا . خاصة بعد أن وجدنا الرياضيين الذين تألقوا فى الرياضة على حساب العلم ، فى حياة بؤس .. وقلق بعد أن تودعهم الملاعب لكبر السن

•

الرفيق الأعلى

الأستاذ عبد الحميد جودة السحار

- عاد النبى صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ، فكان يجيء كل صباح الى دار فاطمة يقول :

- السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، الصلاة رحمكم الله : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

وفى ليلة من الليالى أحس رسول الله صلى الله عليه وسلم أرقا ، فخرج من الدار وذهب الى أبى مويهبة وقال له :

- يا أبا مويهبة أسرج لى دابتى .

فذهب أبو مويهبة فى جوف الليل يسرج دابة رسول الله ، ثم قفل عائدا بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- يا أبا مويهبة انى قد أمرت أن أستغفر لاهل هذا البقيع ، فانطلق معى ، فركب رسول الله ، ومشى أبو مويهبة حتى انتهيا اليهم ، فنزل رسول الله عن دابته ، وأمسك أبو مويهبة الدابة ، ونظر رسول الله الى القبور وقال :

- السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهن لكم ما أصبحتم فيه ، مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الاخرة شر من الاولى .

ورجع رسول الله من البقيع ، فدخل على عائشة وهى تشتكى رأسها :

- وارأساه .
- بل أنا والله يا عائشة وارأساه !!

وجلس الى جوارها وقال مداعبا :

- وما عليك لو مت قبلى ، فوليت أمرك وصليت عليك وواريتك .

- والله انى لاحسب لو كان ذلك لقد خلوت ببعض نسائك فى بيتى فى آخر النهار !

فضحك رسول الله

واستمر النبى يدور على نسائه ، وهو فى وجعه ، وكان يسأل :

- أين أنا غدا ، أين أنا غدا .

يريد يوم عائشة ، فأذن له أزواجه أن يكون حيث يشاء ، فخرج بين على بن أبى طالب والفضل بن العباس عاصبا رأسه تخط قدماه حتى دخل بيت عائشة .

واجتمع نساء رسول الله عنده ، فجاءت فاطمة تمشى لا تخطىء مشيتها مشية أبيها ، فلما رآها النبى قال :

- مرحبا بابنتى .

فاقعدها عن يمينه ثم سارها بشىء فبكت ، ثم سارها فضحكت ، فالتفتت اليها عائشة وقالت لها :

خصك رسول الله بالسرار وأنت تبكين .

وقامت فاطمة فهرعت عائشة اليها وقالت :

- أخبرينى ماسارك ؟؟
- ما كنت لافشى سر رسول الله .

وأتت فاطمة بالحسن والحسين الى رسول الله فقالت :

- يا رسول الله هذان ابناك فورثهما شيئا .

- أما الحسن فان له هيبتى وسؤددى ، وأما الحسين فان له جرأتى وجودى .

وثقل برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه ، وعكف الناس بالمسجد ينتظرونه لصلاة العشاء ، فقال :

- أصلى الناس ؟
- لا . هم ينتظرونك يا رسول الله .
- صبوا الى ماء فى المخضب .

ففعلوا ، واغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ، ثم أفاق فقال :

- أصلى الناس ؟

- لا . هم ينتظرونك يا رسول الله .

- ضعوا لى ماء فى المخضب .

ففعلوا ، فاغتسل ثم ذهب لينوء فاغمى عليه ، ثم أفاق فارسل الى أبى بكر ليصلى بالناس .

فلم يقع فى قلب عائشة أن يحب الناس بعد ، رجلا قام مقامه أبدا ، وكانت ترى أنه لن يقوم أحد مقامه الا تشاءم الناس به ، فأرادت أن يعدل ذلك رسول الله عن أبى بكر فقالت :

- ان أبا بكر رجل رفيق ، وانه متى يقوم مقامك لا يطيق .

- مروا أبا بكر يصلى بالناس .

- ان أبا بكر رجل أسيف ، اذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء .

انكن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر ليصلى بالناس .

وصلى الناس ،وراح الانصار يشفقون من موت النبى صلى الله عليه وسلم ، فدخل عليه الفضل فاخبره بذلك ، ثم دخل عليه على فاخبره بذلك ، ثم دخل عليه العباس فاخبره بذلك ، فخرج النبى متوكئا على على والفضل والعباس أمامه ، والنبى صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر ، وثار الناس اليه ، فحمد الله واثنى عليه وقال :

ـ أيها الناس ، بلغنى أنكم تخافون من موت نبيكم ، هل خلد نبى قبلى فيمن بعث اليه فاخلد فيكم ، ألا وانى لاحق بربى ، وانكم لاحقون به ، فاوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا ، واوصى المهاجرين فيما بينهم بخير ، فان الله يقول « والعصر ان الانسان لفى خسر .. » وان الامور تجرى باذن الله ، ولا يحملكم استبطاء أمر على استعجاله ، فان الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ، ومن غالب الله غلبه ، ومن خادع الله خدعه « فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم » وأوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلكم أن تحسنوا اليهم ، ألم يشاطروكم فى الثمار ، ألم يوسعوا لكم فى الديار ، ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ، ألا فمن ولى أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ، ألا ولا تستأثروا عليهم ، ألا فانى فرطكم وأنتم لاحقون بى ، ألا وان موعدكم الحوض ، الا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغى ، يأيها الناس ، ان الذنوب تغير النعم ، فاذا بر الناس برتهم أئمتهم ، واذا فجر الناس عقوا أئمتهم .

ونامت مدينة الرسول تلك الليلة ، وأصبح الصباح فخرج على من عند رسول الله ، فهرع الناس اليه وقالوا :

ـ يا أبا الحسن ، كيف أصبح رسول الله ؟

فقال على فى انشراح :

ـ اصبح بحمد الله بارئا .

فاخذ بيده العباس فقال له :

ـ أنت والله بعد ثلاث عبد العصا ، وانى والله لارى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى من وجعه هذا ، انى لاعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا الى رسول الله فلنسأله فيمن هذا الامر ؟ ان كان فينا علمنا ذلك ، وان كان فى غيرنا علمناه فأوصى بنا .

فلم يوافق على على ذلك وقال :

ـ انا والله لئن سألناها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ، وانى والله لا أسألها رسول الله .

والتفت رسول الله الى من عنده وقال :

ـ ابعثوا الى على فادعوه .

فقالت عائشة :

ـ لو بعثت الى أبى بكر .

وأسرعت حفصة وقالت :

ـ لو بعثت الى عمر .

واجتمع على وأبو بكر وعمر عند النبى ، ولكن رسول الله لم يقل لهم شيئا ذا بال ، بل صرفهم قائلا :

ـ انصرفوا ، ان تك لى حاجة أبعث اليكم .

وأذن بلال بالظهر ، فاصطف الناس خلف أبى بكر ، وأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الستارة ، فلما لمحه الناس أرادوا أن ينحرفوا فاشار اليهم أن امكثوا ، وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من هيئة المسلمين فى صلاتهم .

ودخل أبو بكر على عائشة وقال :

ـ الحمد لله ، قد أصبح رسول الله وأرجو أن يكون الله عز وجل قد شفاه .

ثم ركب أبو بكر فلحق بأهله بالسنح ، وانقلبت كل امرأة من نساء النبى الى بيتها واشتد عليه الوعك ثانية فالتفت الى عائشة وقال :

ـ يا عائشة ، ما ازال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر ، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السم .

وأخذ فى الموت فصار يغمى عليه ثم يفيق ، فبعثت عائشة الى أزواجه فرجع اليه من كان ذهب من نسائه ، ورأت فاطمة ما يعانى رسول الله فسالت دموعها وقالت :

ـ واكرب أبتاه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ ليس على أبيك كرب بعد اليوم .

وتذكر صلى الله عليه وسلم أن عنده سبعة دنانير ، فامر عائشة بارسالها الى على كرم الله وجهه ليتصدق بها وهو يقول :

ـ ما ظن محمد بربه ان لو لقى الله وهذه عنده !

وكان راس النبى فى حجر عائشة ، وكان عنده قدح فيه ماء ، فكان يدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول :

ـ اللهم أعنى على سكرة الموت .

وخفت حركة النبى وتمتم بصوت خافت :

ـ بل الرفيق الاعلى من الجنة .

ووجدت عائشة رسول الله يثقل فى حجرها ، فذهبت تنظر فى وجهه ، فاذا نظره قد شخص ، لقد خير فاختار ولحق بالرفيق الاعلى .

ووضعت راسه على وسادة ، وقامت تلتدم مع النساء وتضرب وجهها .

وراحت فاطمة تبكى وتقول :

ـ وا أبتاه ، أجاب داع دعاه ، يا أبتاه ، الفردوس مأواه ، يا أبتاه الى جبريل ننعاه . وصك صوت فاطمة آذان من فى المسجد ، فطاشت العقول ، فاخرس عثمان ابن عفان ، فلم يطق الكلام واقعد على فلم يستطع أن يتحرك ، وهرع الى دار النبى عمر والمغيرة بن أبى شعبة ، فاستاذنا فاذنت لهما عائشة ، وجذبت اليها الحجاب ، ورأى عمر النبى مسجى ، فرفع عنه الثوب وقال :

ـ واغشياه ما أشد غشى رسول الله صل الله عليه وسلم .

ثم قاما فلما دنيا من الباب قال المغيرة :

ـ ياعمر ، مات رسول الله .

فثار عمر وقال :

ـ كذبت ، بل أنت رجل تحوسك فتنة ، ان رسول الله لايموت حتى يفنى المنافقين .

واختلف الصحابة فيما بينهم ، فمن قائل يقول : مات رسول الله ، ومن قائل لم يمت ، فذهب سالم بن عبيد وراء الصديق الى السنح فاعلمه بموت رسول الله فاقبل على فرس حتى نزل ، فدخل المسجد وهو مكروب حزين وانطلق لايكلم الناس ، واستاذن فاذن له ، فدخل فالفى النبى فى فراشه ، والنسوة حوله قد خمرن وجوههن واستترن منه ، فكشف عن رسول الله ، فقال :

– انا لله وانا اليه راجعون ، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم أتاه من قبل رأسه وحدرفاه وقبل جبهته ثم قال :

– واصفياه .

ثم رفع راسه وحدرفاه وقبل جبهته ثم قال :

– وا خليلاه .

وخرج سريعا الى المسجد يتخطى رقاب الناس فرأى عمر يخطب فى الناس فقال :

– اجلس ياعمر !

فأبى عمر ان يجلس .

فتشهد ، فاقبل الناس اليه فقال :

– أما بعد ، فمن كان منكم يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت .

دخل على والعباس وابوبكر يعدون العدة لجهاز النبى، واجتمع الناس فى المسجد يتحدثون ، واقبل رجل على عمر وقال له :

– اجتمع الانصار فى سقيفة بنى ساعدة لمبايعة سعد بن عبادة خليفة لرسول الله .

فارسل عمر الى أبى بكر ان أخرج الينا ، فخرج ابوبكر فقال عمر :

– أماعلمت أن الانصار قد اجتمعت فى سقيفة بنى ساعدة يريدون أن يولوا هذا الامر سعد بن عبادة ؟

فأسرع ابو بكر وعمر وأبو عبيدة الى سقيفة بنى ساعدة، وبقى على والعباس وبعض بنى هاشم يشتغلون باعداد جهاز النبى ، وأحس العباس آن فى الامر شيئا ، وأن الناس يفكرون فيمن يخلف رسول الله فالتفت الى على وقال :

– امدد يدك أبايعك ، فيقول الناس عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يختلف عليك اثنان .

– اويطمع ياعم فيها طامع غيرى ؟

– ستسمع .

وطفق على يقول وهو يلى غسله :

– بأبى انت وامى يارسول الله ، لقد انقطع بموتك مالم ينقطع بموت غيرك من النبوة والانبياء وأخبار السماء ، وخصصت حتى صرت مسليا عمن سواك ، وعممت حتى صار الناس فيك سواء . ولولا انك امرت بالصبر ونهيت عن الجزع لانفدنا عليك ماء الشئون ، ولكان الداء مماطلا ، والكمد محالفا وقلالك ، ولكنه مالا يملك رده ولا يستطاع دفعه ، بأبى أنت وأمى ، اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك .

واجتمعت بنو أمية الى عثمان ، واجتمعت بنو زهرة الى سعد بن أبى وقاص ، وعبدالرحمن بن عوف ، اجتمعوا فى المسجد فى حلق شتى وراحوا يتذاكرون امر المسلمين بعد موت الرسول ، واقبل عليهم أبو بكر وأبو عبيدة وعمر ، وقد بايع الناس أبابكر ، فقال لهم عمر :

– مالى أراكم مجتمعين حلقا شتى ، قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته وبايعه الانصار .

فقام عثمان بن عفان ومن معه من بنى أمية فبايعوه ، وقام سعد وعبد الرحمن ومن معهما من بنى زهرة فبايعوا

وبلغ عليا خبر السقيفة واجتماع الناس على بيعة أبى بكر فلم يستطع أن يفعل شيئا ، فقد كان فى شغل بجهاز الرسول ، وقال له العباس :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى
فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد

وجاء أبو سفيان وهو يقول :

– أما والله انى لارى عجاجة لايطفئها الا الدم ، يا لعبد مناف ، فيم أبو بكر من أمركم ، أين المستضعفان على والعباس ، أين الاذلاء .

وجاء عليا فقال له :

– يا أبا الحسن ، أبسط يدك أبايعك ، فوالله لو شئت لأملانها على أبى فصيل خيلا ورجلا ، فامتنع عليه على فانشد :

ولن يقيم على خسف يراد به
الا الاذلان عير الحمى والوتد
هذا على الخسف معكوس برمته
وذا يشج فلا يبكى له احد

فزجره على وقال :

– انك والله ما أردت بهذا الا الفتنة ، وانك والله طال مابغيت للاسلام شرا ، لا حاجة لنا فى نصيحتك .

وخرج أبو سفيان وهو يقول :

– مالنا ولابى فصيل انما هى بنو عبد مناف .

فقيل له :

– انه قد ولى ابنك .

فقال ابو سفيان فى رضى :

– وصلته رحم

وماتت ثورة أبى سفيان

أدرج صلى الله عليه وسلم فى أكفانه ، ووضع على سريره . وفتحت الابواب للمسلمين ليدخلوا من ناحية المسجد ، ليلقوا على نبيهم الحبيب نظرة الوداع الاخير ، فدخلوا أفواجا أفواجا ، وقد غشى وجوههم الاظلام ، وارتسم عليها الاسى العميق وساد المكان صمت رهيب ، وأتم ابو بكر صلاته ثم قال فى صوته الخفيض :

– اللهم انا نشهد أنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ ما أنزل اليه ونصح لامته وجاهد فى سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلمته .

– آمين .

- فاجعلنا الهنا ممن اتبع القول الذى أنزل معه .

- آمين .

- واجمع بيننا وبينه حتى تعرفه بنا وتعرفنا به فانه كان بالمؤمنين رءوفا رحيما .

- آمين .

- لانبتغى بالايمان به بدلا ، ولا نشترى به ثمنـــا ابدا .

- آمين .

ودلوه فى حفرته بين النشيب والنحيب ، واخذ شقران مولاه قطيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ويفترشها فقذفها الى القبر وقال :

- والله لايلبسها احد بعدك ابدا .

وقبــر الرسـول ، فعـاد الناس الى دورهم مطاطىء الرءوس ، فقد نزل بهم هم ثقيل ، ودخل على كرم الله وجهه على فاطمة فقالت له :

- ياعلى ، اطابت نفوسكم ان تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟!

فجرى دمعه غزيرا حتى بل لحيته .

ودت عائشة ان تعلم السر الذى افضى به النبى الى فاطمة قبل موته فاقتربت من الزهراء وقالت :

- اسالك لمالى عليك من الحق لما اخبرتنى ماسارك ؟

- اما الآن فنعم : سارنى فى اول الامر قال لى ان جبريل كان يعارضنى فى القرآن كل سنة مرة وقـد عارضنى فى هـذا العام مرتين ولا ارى ذلك الا لاقتراب اجلى ، فاتقى الله واصبرى فنعم السلف انا لك ، فبكيت ثم سارنى فقال : اما ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين ؟

وجاء رجال الى بيت على فاخذوه واتوا به الى ابى بكر وهو يقول :

- أنا عبد الله اخو رسول الله .

- بايع ابا بكر .

- انا احق بهذا الامر منكم ، لا ابايعكم وانتم اولى بالبيعة لى ، اخذتم هذا الامر من الانصار ، واحتججتم بالقرابة من النبى صلى الله عليه وسلم وتأخذونه منا اهل البيت غصبا . الستم زعمتم للانصار انكم اولى بهذا الامر منهم لما كان محمد منكم فاعطوكم المقادة وسلموا اليكم الامارة .

فاذا احتج عليكم بمثل ما احتججتم على الانصار نحن اولى برسول الله حيــا وميتا ، فانصـفونا ان كنتم تؤمنون ، والا فبوءوا بالظلم وانتم تعلمون .

فقال له عمر :

- انك لست متروكا حتى تبايع .

- احلب حلبا لك شطره وشد له اليوم يردوه عليك غدا .

فقال ابو عبيدة بن الجراح :

- يابن عم انك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالامور ولا ارى

ابا بكر الا اقوى على هذا الامر منك واشـد احتمالا واستطلاعا ، فسلم لابى بكر هذا الامر ، فانك ان تعش ويطل بك بقاء فانت لهذا الامر خليق وحقيق فى فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك .

- الله الله يامعشر المهاجرين لاتخرجوا سلطان محمد فى العرب من داره وقعر بيته الى دوركم وقعور بيوتكم وتدفعون اهله عن مقامه فى الناس وحقه ، فو الله يامعشر المهاجرين لنحن احق الناس به لانا اهل البيت ونحن احق بهذا الامر منكم .

فاعتذر له ابو بكر بخوف الفتنة لو اخر ، ثم أشرف على الناس وقال :

- ايها الناس هذا على بن ابى طالب لابيعة لى فى عنقه وهو بالخيار من امره ، الا وانتم بالخيار جميعا فى بيعتكم ، فان رايتم لها غيرى فانا اول من يبايعه .

فلما سمع ذلك على النبيـل زال ماكان قد داخله وصفت نفسه فقال :

- اجل لا نرى لها غيرك امدد يدك .

فبايعه هو والنفر الذين كانوا معه .

وصلى ابو بكر وعلى العصر ثم خرجا من المسجـد فوجدا الحسـن بن على يلعب مع الغلمـان ، فاحتمله ابو بكر على كاهله وهو يقول :

- يا بابى شبه النبى ! ليس شبيها بعلى .

فضحك على فقد كان مما يغبطه ان يكون الحسن شبيها بجده العظيم .

اراد ازواج النبى ان يبعثن عثمان الى ابى بكر ليسالنه ميراثهن فقالت عائشة :

- اليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم « لا نورث ، ماتركنا صدقة »

واتت فاطمة والعباس ابابكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانا يطلبان ارضه من فدك وسهمه من خيبر ، فقالت فاطمة .

- اانت ورثت رسول الله ام اهله ؟

- لا ، بل اهله .

- من يرثك اذا مت ؟

- ولدى واهلى .

- فما لنا لانرث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان النبى لا يورث » ولكنى اعول من كان رسول الله يعول وانفق على من كان رسول الله ينفق .

وسالته فاطمة ان ينتظر على على تلك الارض وذلك السهم فقال ابو بكر :

- لست بالذى اقسم من ذلك شيئا ، ولست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به فيها الا عملته واني اخشى ان تركت امره او شيئا من امره ان أزيغ .

فغضبت فاطمة ، وساء ابا بكر وعمر غضبها فقال عمر لابى بكر :

- انطلق بنا الى فاطمة فانا قد اغضبناها .

فانطلقا جميعا ، فاستاذنا عليها فلم تاذن لهما ، فاتيا عليا فكلماه ، فادخلهما عليها ، فلما قعدا عندها حولت

وجههـا الى الحائط ، فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام •

فتكلم ابو بكر فقال :

ـ ياحبيبة رسول الله والله ان قرابة رسول الله احب الى من قرابتى ، وانك احب الى من عائشـة ابنتى ، ولوددت يوم مات ابوك انى مت ولا أبقى بعده ، افتـرانى اعرفك واعرف فضـلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله ، الا انى سمعت اباك رسول الله صـلى الله عليه وسلم يقول « لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة »

ـ أرايتكما أن حدثتكما حديثا عن رسول الله صـلى الله عليه وسلم تعرفانه وتفعلان به ؟

ـ نعم ••

نشـدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول : رضـا فاطمة من رضاى وسخط فاطمة من سخطى فمن أحب فاطمة ابنتى فقد أحبنى ، ومن ارضى فاطمة فقد أرضانى ، ومن أسخط فاطمة فقد اسخطنى •

ـ نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم •

ـ فانى اشهد الله وملائكته أنكما اسخطتمانى وما أرضيتمانى ولئن لقيت النبى لأشكونكما اليه •

فقال ابو بكر :

ـ أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يافاطمة •

ثم انتحب يبكى وخرج باكيا فاجتمع اليه النـاس فقال لهم :

ـ ليبيت كل رجل منكم معانقا حليلته مسرورا باهله وتركتمونى وما انا فيـه لا حاجة لى فى بيعتكم ، اقيلونى بيعتكم •

ـ يا خليفة رسول الله ان هذا الامر لا يستقيم وأنت اعلمنا بذلك ، انه ان كان هذا لم يقم لله دين •

ـ والله لولا ذلك وما اخافه من رخاوة هذه العروة مابت ليلة ولى فى عنق مسلم بيعة بعدما سمعت ورأيت من فاطمة •

ووقعت الجفـوة بين فاطمة وأبى بكر ، فقر على فى داره اكراما لفاطمة ، وجانب من خاصمتهم من أجله •

ومرضت فاطمة وراح أبناؤها يرقبونها وهى تذوى بقلوب عصرها الألم ، وأحس على حسرة ! فقد حزر أن زوجه الحبيبة لاحقة بابيها الكريم ، ان احباءه يمضون مخلفيه للشانئين والحاسدين ، وعلم ابو بكر بمرض حبيبة الرسول فأتاها ابو بكر فما يحب ان تموت فاطمة وهى ساخطة عليه ، واستأذن أبو بكر فدخل على على زوجه فقال :

ـ هذا ابو بكر يستأذن عليك •

فقالت فى صوت خفيض :

ـ اتحب ان آذن له ؟

فقال على :

ـ نعم •

فأذنت له ، فدخل عليها يترضاها فقال :

ـ ياحبيبة رسول الله ، والله ماتركت الدار والمال والاهل والعشيرة الا ابتغاء مرضاة الله ومرضاة رسوله ، ومرضاتكم أهل البيت •

وطفق يترضاها حتى رضيت ، فانصرف ابو بـكر برضائها مسرورا •

ومضت الزهراء لتلحق بابيها الكريم هاجرة دنيـا الغرور وغسلها على عليه السلام واسماء بنت عميس زوجة الصديق ، وصلى عليها العباس ثم حملت فى سكون الليل الى البقيع ، وشعر على بنار الحزن تلسع قلبه فلم يقدر على ان يكبت مابه ، فوقف يناجى رسول الله ويرثى زهراءه :

ـ السلام عليك يارسول الله ، عنى وعن ابنتك النازلة فى جوارك ، والسريعة اللحاق بك ، قل يارسول الله عن صفيتك صبرى ، ورق عنها تجلدى الا ان لى فى التاسى بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعز ، ولقد وسدتك فى ملحودة قبرك ، وفاضت بين نحرى وصدرى نفسك ، انا لله وانا اليه راجعون ، لقد اسـترجعت الوديعة ، واخذت الرهينة ، اما حزنى فسرمد وأما ليل فمسهد ، الى ان يختار الله لى دارك التى انت بهـا مقيم ، وستنبئك ابنتك بتضافر امتك على هضـمها ، فاحفها السؤال واستخبرها الحال ، هذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر •

والسلام عليكما سلام مودع لاخال ولا سئم • فان انصرف فلا عن ملالة ، وان اقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين •

مسجد أحمد بن طولون

٢٦٣ هـ - ٨٧٦ - ٨٧٧ م

الأستاذ محمود وصفي

كان طولون أبو أحمد مملوكا تركيا للامير نوح بن سعد حاكم بخارى أرسله الخليفة كجزء من الجـزية سنة ٢٠٠هـ ، ٨١٥ - ٨١٦م . وتلقى ابنه احمد الذى ولد سنة ٨٣٥م تربية دينية ومدنية طيبة فدرس الحديث فى طرسوس ، وعندما رجع الى مدينة سرمن رأى لزيارة أمه وجد الفرصة سانحة لاظهار مقدرته ، اذ حدث أن انضم الى قافلة مكونة من خمسمائة شخص منهم أحد عمـال الخليفة المنتصر أرسله الخليفة الى حـدود الدولة البيـزنطية لشراء بعض التحف الثمينة الفنية ، وفى عودته هاجم بعض البدو القافلة ونجحوا فى الاستيلاء على هذه التحف الثمينة ، الا أن احمد بن طولون تمكن وحده من استرداد هذه الثروة ، وعند عودته الى سرمن رأى ، دعاه الخليفة الى حضرته وشـكره وأسبغ عليه النعم .

وعندما خلع الخليفة المستعين بالله سـنة ٢٥٢هـ ، ٨٦٦م وتولى مكانة الخليفة المعتز ، نفى الأول الى مدينة واسط وعهد الى أحمـد بن طولون بالاشراف عليه . وهناك فى واسط جاءه كتاب من أم الخليفة المعتز تطلب منه قتل الخليفة المخلوع ووعدته ، جـزاء ذلك ، امارة واسط . فرفض احمد هذا العرض وكتب الى الأتراك فى البلاط يخبرهم بأنه لا يمكنه خيانة من أقسم على الاخلاص له ، فجاءه الأمر بأن يسلم الخليفة المخلوع الى مشرف آخر ما لبث أن قتله فدفنه أحمـد وعاد الى سرمن رأى .

وجرت عادة الخلفـاء العباسيين توزيع الولايات بين الأمراء الأتراك فيحـكمها هؤلاء باسمهم وتذكر اسماؤهم فى الخطبة الى جانب اسم الخليفة . ولكنهم لم يكونوا يذهبون الى اماراتهم بل يبقون فى البلاط وينيبون عنهم من يحكمها ، وحدث أن أقطعت مصر للأمير باكباك فاختار ابن زوجته أحمد بن طولون ، الذى كان فى الثـالثة والثلاثين من عمره ، لينوب عنه فيها . فوصـل احمـد بجيشه مصر فى ٢٣ رمضان سنة ٢٥٤هـ ، ٨٦٨م كنائب عن الوالى باكباك .

وبعد سنتين مات الخليفة المعتز وقتل الأمير باكباك وخلفه فى السلطنة أنوجور ، حمو أحمـد بن طولون ، فجعله حاكما على الولاية كلهـا سنة ٢٥٥هـ ، ٨٦٩م . وبعد ذلك بقليل مات حاكم فلسطين وشرق الأردن وأعلن ابنه واسمه ابن شيخ استقلاله واستولى على جزية مصر التى كانت ترسلها الى الخليفة فى بغداد ، وكانت تبلغ سبعمائة وخمسين ألف دينار . فخافه الخليفة وأنعم عليه بحكم الأقاليم التى استولى عليها بالاضافة الى حكم أرمينيا ، وفى الوقت نفسه كتب الى احمـد بن طولون يأمره بتجهيز جيش لطرد ابن شيخ . وقد كانت هذه فرصة مواتية لابن طولون استغلها أحسن استغلال ، فجمع قوة كبيرة وخرج الى فلسطين فى جمادى الآخرة سنة ٢٥٧هـ ، ٨٧١م . ولكن ما كاد يخرج من مصر حتى وصلته رسالة من الخليفة يأمره بالعودة الى مصر ثانية لأن أنوجور كان قد خرج من العراق بجيشه الى سوريا لاخضاع الثائر ، فعاد ابن طولون الى مصر فى شعبان سـنة ٢٥٧هـ ، ٨٧١م ، وانتصر انوجور على ابن شيخ وقتله واستولى على دمشق . وقد أتاح هـذا الجيش الذى كونه احمد بن طولون بأمر الخليفة لهـذا الغرض أن يكون أساس جيوشـه ، واستطاع أن يزيد فى عدده حتى بلغ مائة الف رجل كان يعتمد عليه فى نشر نفوذه ، واصبح واليا على وادى النيل والشام ، وقـد أشارت الى ذلك العملة التى سكت منذ عام ٢٦٦ هـ - ٨٧٩ - ٨٨٠م .

ولما استتب الأمر لأحمد بن طولون بنى عاصمة جديدة هى القطائع اذ سكن عند حضوره الى مصر قصر الامارة بمدينة العسكر التى بناها صالح بن على سنة ١٣٣هـ ، ولكنه وجد أن الفسطاط وهى العاصمة التى بناها عمرو ابن العاص عندما فتـح مصر ، وكذلك العسكر لا يتسعان

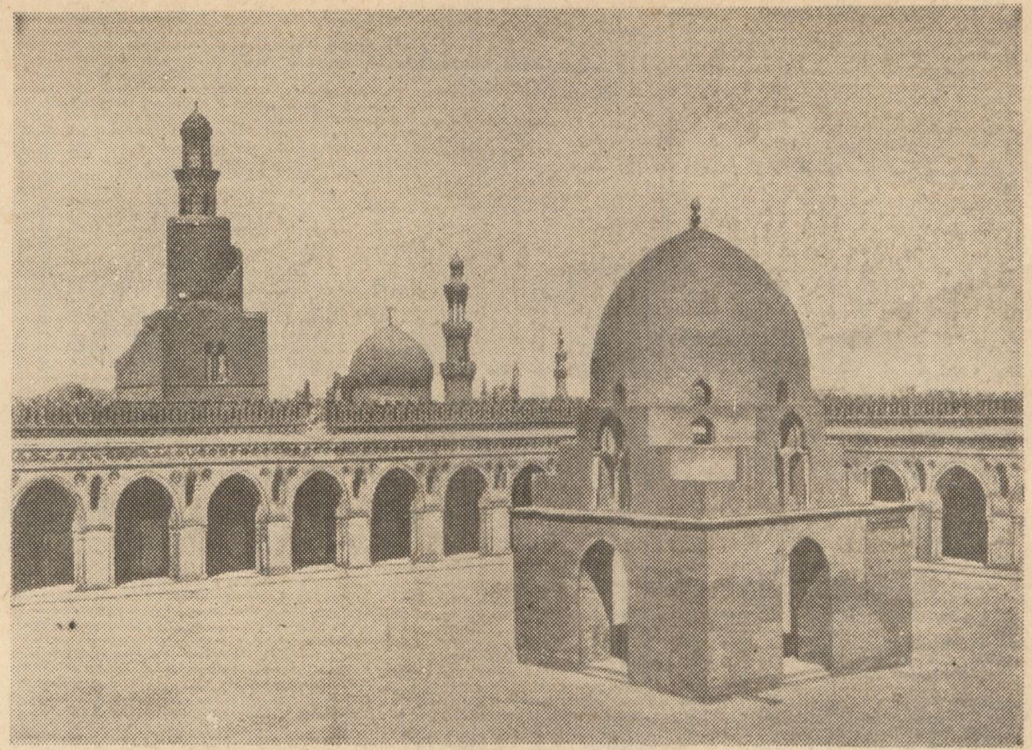

صورة تبين الصحن والفوارة والمئذنة

لجنده العظيم ، فبدأ فى بناء ضاحية جديدة . فذهب الى سفح المقطم فى شهر رمضان وأمر بازالة مقابر المسيحيين واليهود وبنى مكانها قصرا ، أمامه ميدان وأمر أتباعه ببناء منازلهم فى هذا المكان . بذا أنشئت القطائع تحمل كل قطيعة اسم الطائفة التي تسكنها . كقطيعة الروم وقطيعة النوبيين وهكذا . واختط فى وسط العاصمة جامعه المشهور المعروف باسمه ، ويقال ان السبب فى بنائه انه لما شكا النـــــاس اليه ضيق المسجد العتيق وهو مسجد عمرو بن العاص بالمصلين يوم الجمعة بسبب كثرة جنوده فعول على بناء مسجد جديد . واختار مكانه فوق شرف من الأرض يقال له جبل يشكر ، الذى كان العامة تعتقد أن الصلاة فيه مقبولة ولذلك وقع الاختيار على هذا المكان . وبنى المسجد على دعائم وهو أمر لم يكن مألوفا فى مصر من قبل ، وقد اختلف المؤرخون فى تفسير هذه الظاهرة ، فيقول ابن دقماق : « عندما أراد احمد بن طولون بناء مسجده قال أريد أن أبنى مسجدا يبقى قائما ولو احرقت مصر أو اغرقت فبناه من الجص والرماد والطوب الأحمر حتى سقفه » .

ويذكر المقريزى سببين أخذ أولهما عن القدسى وهو لا يخرج عن رأى ابن دقماق اذ يقول : « يقال أن أحمد قال أريد أن أبنى بناء يبقى قائمـا ولو أحرقت مصر أو اغرقت فقالوا له ابنه من الجص والرماد والطوب الأحمر حتى سقفه ولا تستخدم عمدا من الرخام الذى لا يقاوم النيران ولهذا بناه كما هو الآن » .

أما السبب الثانى الذى رواه المقريزى فهو أنه « عندما بدأ فى بنـــاء المسجد رؤى أن المطلوب له ثلثمائة عمود وقيل له انه يمكنه الحصول عليها من الكنائس والخرائب وحملها الى المسجد ولكنه لم يوافق على هذا الرأى وظل متردداً فعلم بذلك النصرانى الذى أشرف على بنـــــاء سقاية ابن طولون الذى كان اذ ذاك مسجونا فكتب اليه قائلا : سأبنيه لك كما تحب وتريد بلا عمدان الا عامودين للقبلة . فبعث اليه قائلا : ماذا تقول عن بناء المسجد ؟ فأجاب : سأقدم تصميما للأمير ليراه كما سيكون بلا عمد الا عامودين للقبلة فأمر له بجلود رسم عليها تصميمه فأعجب به أحمد وسر فاطلق سراحه وخلع عليه ووضع مائة ألف دينار تحت تصرفه وقال له اصرف هذا المبلغ واذا طلبت المزيد فأنا كفيل به ، فتولى المسيحى البناء » .

ويذكر القلقشندى قصة المقريزى بشكل آخر وذلك أن ابن طولون قال للناس الذين اعترضوا على عدم استخدام العمد ، يجب أن تتذكروا أننى بنيت بأموال لم تستخدم هى الثروة التى وجدتهـا وانى لا أحب استخدام شىء آخر . أن العمد تناسب الكنائس والمعابد فقط ولذا لا أحب أن أدخلها فى مسجدى » .

وقد تكون هذه القصة التى رواها المقريزى وأعادها القلقشندى ضرب من الخيال اختلقت لتفسير وجـود الدائم بدلا من الأعمدة وهو شىء لم تعهده فى مصر من قبل ، ولكن وجود الدعائم يفسره أن احمد بن طولون قدم من سر من رأى حيث يوجد مسجدان تقوم عقودهما

الدعائم التى تطل على الصحن وعددها مائة وستون

على دعائم وهما مسجدا أبو دلف وسامرا ، أى أنهـا ظاهرة معمارية عراقية .

ويعتبر مسجد ابن طولون أكبر مساجد القاهرة على الاطلاق بل هو ثانى مساجد العالم من حيث الاتساع اذ تبلغ مساحته ستة أفدنة ونصف . أما من حيث التخطيط فهو عبارة عن مربع طول كل ضلع من أضلاعه ١٦٢ مترا تقريبا . وللمسجد صحن فسيح مربع طول كل ضلع من أضلاعه ٩٢ مترا تقريبا ، وحول الصحن نجـد العقود المقامة على دعائم ويطل منها على الصحن فى كل جانب من جوانبه الأربعة ثلاثة عشر عقدا ومجموع الدعائم فى المسـجد جميعه مائة وستين دعامة وهى مستطيلة القاعدة .

وقد بنى فى وسط الصحن فوارة يصفها ابن دقماق قائلا « كانت الفوارة فى وسط الصحن بنوافذ فى كل جانب وفوقها قبة قائمة على عمد من رخـام وحولها ستة عشر عمودا من رخام ، وتحت القبة اناء ضخم من الرخام قطره أربعة أذرع وعلى السطح مزولة وللسطح سياج يحيط به من خشب الساج » . ومما يجدر ذكره أن الفوارة وهى الفسقية أحرقت سنة ٣٧٦هـ ، ولكن الخليفة الفاطمى العزيز بالله أمر ببناء أخرى جديدة على يدى راشـد الحنفى تحت اشراف ابن الرومية وابن البناء .

وحرم القبلة به خمسة بلاطات أى صفوف من البوائك كلها موازية للحرم وعرض كل منها خمسة أمتار أما بلاطة المحراب فعرضها ستة أمتار وهذا تمييز لها عن بقية البلاطات وكذلك لسهولة انشاء المنبر والمحـراب والمقصورة فى هذا الاتساع .

ويحيط بالمسجد زيادات فى جهاته الشرقية والغربية والشمالية وعرض كل منها احـد عشر مترا تقريبـا وكان الغرض من انشاء هذه الزيادات هو استيعاب أكبر عدد من المصلين فى المناسبات الخاصة الكبرى مثل الأعياد أو عندما يصلى الوالى بالجيش كله . أما فى الجهة الجنوبية فلا توجد مثل هذه الزيادات وانما يوجد بناء يسمى دار الامارة ، وهى من المبانى التى ينفرد بها جامع ابن طولون بين الجوامع فى مصر والتى ألحقت بالمسجد اذ يقول المقريزى « كان يوجد الى جانب مسجد ابن طولون دار أنشأها ابن طولون أثناء بناء المسجد وكانت فى الجانب الجنوبى (الجنوبى الشرقى) ولها باب فى حائط المسجد يوصل الى المقصورة بالقرب من المحراب والمنبر . وفى هذه الدار كان يوجد كل ما يلزم من الأثاث والستائر والأوعية . وكان ابن طولون يستريح فى هذه الدار عندما يذهب لصلاة الجمعة لأنها كانت تقع فى مقابل قصر الميدان . وكان يستريح هناك ويجدد وضوءه ويغير ملابسه وكانت تسمى دار الامارة . ويشغل مكانها الآن (أى فى وقت المقريزى فى القرن التاسع الهجرى) سوق الجامع وهو سوق الحرير . وبقيت هذه الدار الى أن حضر الامام المعز لدين الله الفاطمى ، وتهدمت هذه الدار فى الوقت الذى تهدمت فيه القطائع والعسكر وبقى مكانها خاليا حتى جدد المسجد علم الدين سنجر » . وكان أباب الامارة باب يؤدى الى المسجد وسهل هذا الباب على ابن طولون الدخول رأسا الى المقصورة ولا يزال هذا الباب موجودا الى الآن غرب المنبر مباشرة . وكان هـذا النظام هو المتبع فى القرون الأولى فى الاسلام .

وبنى ابن طولون ميضأة أى دورة مياه لهذا المسجد تقع خلفه أى فى الجانب الشمالى الغربى وهى مكان

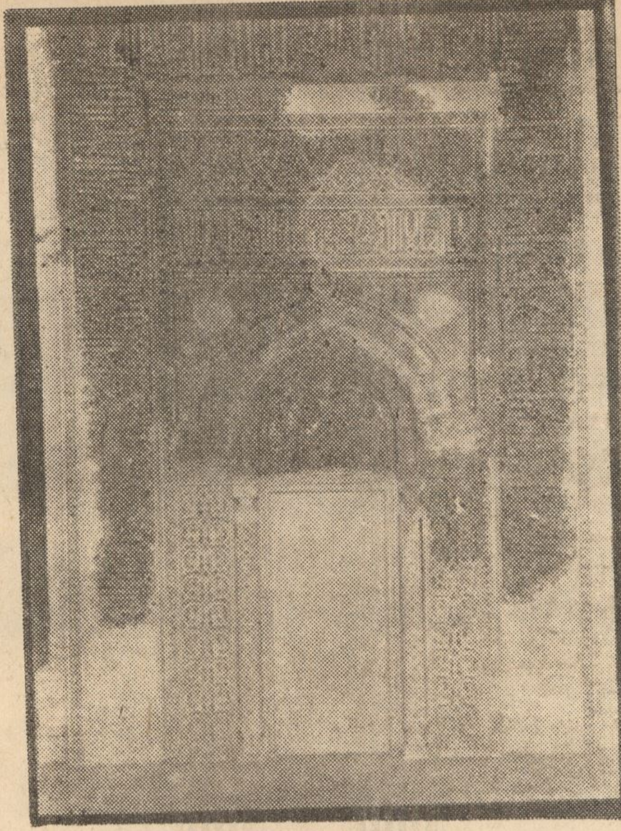

المحراب المستنصرى – وهو أحـــد المحاريب الخمسة للمسجد

للوضوء وخزانة تحفظ بها المشروبات والعقاقير المختلفة وعين خداما وطبيبا للخدمة فيها أيام الجمع . ويظهر أن الناس اشتكوا من مكان الميضة خارج المسجد ولكن ابن طولون قال انه بناها هنـــاك لسبب هو ابعـــاد القذارة عن المسجد .

ونجد فى جامع ابن طولون ظاهرة جديدة هى تعـدد الأبواب ويرجع السبب فيهـــا الى الرغبة فى تيسير الدخول الى المسجد والخروج منه بالقدر الذى يتناسب مع اتساعه وزيادة العمران من حوله ، هذا مع ملاحظة قلة الأبواب فى رواق القبلة الذى خصص لدخول الخليفة أو الامام . كما نلاحظ كثرة عدد النوافذ اذ يبلغ عددها مائة وثمانية وعشرين بمـــا يتناسب كـذلك مع سـعة المسجد .

وقد روعى استخدام العقود المدببة فى جميع عناصر المسجد المعمارية التى تتطلب حمل أجزاء من الجدران وذلك فيما عدا الأبواب فقـــد استخدمت فيها عتبـات مستقيمة من ألواح خشـــبية تربط بين كتفى كل باب ورصت فوقها صفوف الآجر .

أما عن تكاليف البناء فيتفق ابن دقماق والمقريزى فى أن التكاليف هى مائة وعشرون ألف دينار ، أى ما يقرب من ستين ألف جنيه مصرى . ويقول ابن دقمـــاق انه عندما تم بناء المسجد أبي الناس أن يقيموا الصلاة فيه بحجة أنه بنى بأموال لم يعرف مصدرها . ولهذا صعد احمد بن طولون المنبر فى يوم من أيام الجمعة وأكد لهم أنه بنى المسجد بكنز وجده فى الجبل فصـدقه الناس وأخذوا يفدون للصلاة فى المسجد يوم الجمعة .

ويقول المقريزى ان الكنز وجد فى سفح جبل المقطم فى المكان المعروف باسم تنور فرعون . ولكن من المرجع أن يكون ابن طولون ، كان يملك المال اللازم للبناء لأنه امتنع عن ارسال الجزية الى الخليفة فى بغـداد سنة ٢٦٢هـ ، ٨٧٥م .

ومثل هذه القصص والأساطير التى كثيـرا ما تقرن ببناء المساجد فقد قيل مثلا ان المدرسة الكاملية بنيت سنة ٦٢٢هـ ، ١٢٢٥م بنيت من كنز وجد أثنـــاء حفر الأساس ، وأن تكاليف مارستان قلاوون دفعت من ذهب وجواهر وجدت فى زلعتين أثناء حفر الاســـاس ، وأنه أثناء حفر أساس مدرسة السلطان حسن وجدوا نقودا تكفى لتغطية مصاريف البناء ، وأنه أثناء هدم برج المقس فى الركن الشمالى الغربى من القاهرة سنة ٧٧٠هـ ، ١٣٦٨ – ١٣٦٩م وجدوا كنزا كفى لبناء جامع المقس .

أما عن تاريخ المسجد فيقال أن المسجد بدىء ببنائه سنة ٢٦٣ هـ ، وتجمع معظم المصادر التاريخية على أن بناءه تم سنة ٢٦٥هـ لأن نقشا بالمسجد يذكر لنا هذا التاريخ ومثبت هذا التاريخ فى لوحة حجرية مثبتة على احدى الدعامات للمسجد ومنقوشة بالخط الكوفى هذا نصها :

« امر الامير أبو العباس أحمد بن طولون ... ببناء هذا المسجد المبارك الميمون من خالص ما أفاء الله عليه وطيبه لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة فى شهر رمضان من سنة خمس وستين ومائتين » .

ويظهر أنه كان هناك ثلاث نسخ من هذا النقش لان مارسيل وجد أربع قطع من النقش مكتوبة بالخط الكوفى نشر رسمها فى كتاب وصف مصر ، واختفت هـذه النقوش فى تاريخ متاخر وأثبت فان برشم أن قطعتين من هذه القطع اذا وضعتا جنبا الى جنب كونت نقشا كاملا . وقد وجدت قطعة من القطعتين السابقتين فى صيف سنة ١٨٩٠م أثناء هدم الحوائط التى تسد البواكى . وقد ثبتت هذه القطعة الى احدى الدعائم فى حرم المسجد .

وقد ظل هذا المسجد مستعملا الى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى ولكنه هجر فى أواخر القرن الثامن عشر لانه حول الى مصنع للأحزمة الصوفية وما شابهها فى عهد محمد بك أبو الذهب سنة ١٧٧٣ - ١٧٧٥م .

هذا وقد تسبب كلوت بك فى أهم حادث كان المسجد فريسة له ، فيقول المؤرخ لين بول عندما تكلم عن مارستان السلطان قلاوون أنه تقرر أن ينقل نزلاء المارستان الى مكان آخر . ويقول باتون الذى كان فى مصر من سنة ١٨٣٩ - ١٨٤٦ م ان القوم أخذوا يبنون حوائط فى البواكى المشهورة فى المسجد ذات العقود المدببة لتحويلها الى حجرات للمجانين . ويقول باترسون الذى عاش فى مصر سنة ١٨٤٩ - ١٨٥٠م ان المسجد أصبح غير قابل للاصلاح اذ تحول الى مساكن للدراويش وعائلاتهم فى ثلاث نواح من الصحن ، بأمر باشا مصر حيث سدت البوائك وأفسد جمال الصحن وسود الدخان المتصاعد من مطابخ النزلاء البواكى ، وبخاصة فى الرواق الشمالى الغربى وبقى الحال كذلك حتى سنة ١٨٨٠م فأغلق المسجد .

وفى سنة ١٨٨٤م قررت لجنة الصيانة التى تكونت قبل ذلك بثلاث سنوات ازالة الحوائط التى بناها كلوت بك ولكن ذلك لم يتم الا فى سنة ١٨٩٠م .

ومهما يكن من شىء فان هذا المسجد قد جمع من الزخارف العديدة الجميلة ما يدل دلالة قاطعة على علو شأن الفن الاسلامى فى الحفر على الجص وفى التصميم المسطح بحيث تظهر الاشكال كانها على مستوى واحد . كما أن انتشار الزخارف الهندسية يتمشى مع النزعة الدينية عند المسلمين التى لا تستخدم الزخارف الآدمية .

والظاهرة الواضحة هى الزخرفة العربية الاسلامية وهى استعمال الخط الكوفى فى الزخرفة ، ويمتاز هذا المسجد بأنه سجل بعض آيات القرآن الكريم من سورة آل عمران وغيرها على الكتل الخشبية فى جميع جدران المسجد فى خط جميل يبهر الأبصار .

باب العلم

النجوم

الدكتور محمد جمال الدين الفندى

زين الله تعالى السماء بالنجوم ، وجعل منها مجموعات مميزة يهتدى بها الناس فى البر والبحر . ويجيء ذكر النجوم فى آيات عديدة منها قوله تعالى على سبيل المثال

١ ـ « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » ـ النحل ـ .

٢ ـ « وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون » ـ الانبياء ـ .

والنجوم كالشمس اجرام سماوية عظمى مضيئة بذاتها . وكلما أتمت الأرض دورة كاملة ، مرت فوق الرؤوس نفس النجوم ، الا أننا لانرى منها غير التى تعلو خلال ساعات الليل بطبيعة الحال . وخلال فصول السنة المختلفة نستطيع أن ترى مجموعات متباينة (أبراج) من النجوم ، وذلك بسبب دوران الارض حول الشمس .

ومنذ أكثر من الفى سنة قسم احد العلماء المصريين ـ بطليموس المصرى ـ النجوم الي ستة أقدار ، وجعل اصغر الاقدار لاكثر النجوم بريقا (القدر الاول) ، وأكثر الاقدار (القدر السادس) لاكثرها اعتاما مما يمكن رؤيته بالعين المجردة . وفى عصر العلم وجد أن القدر الواحد أشد بريقا من القدر الذى يليه مرتين ونصف مرة . وعلى ذلك فان بريق النجم الذى من القدر الثانى يبلغ مرتين ونصف مرة قدر بريق نجم القدر الثالث وهلم جرا .. وفيما يلى أقدار بعض النجوم المشهورة

الشعرى اليمانية	١و٤٣
الشمس	٢٦و٨
البدر (القمر مكتمل[1])	١٢و٦
النسر الواقع	٠و٠٤
السماك الرامح	٠و٠٦
النسر الطائر	٠و٨٩
السماك الأعزل	١و٠٠
النجم القطبى	٢و١٢
الصرفة	٢و٢٢

وأغلب الناس لايستطيعون رؤية النجوم التى تلى القدر السادس بالعين المجردة . أما المناظير الفلكية المكبرة فهي تستطيع الكشف عن الاجرام التى تصل الى القدر العشرين . ويبلغ لمعان جرم القدر الاول ١٠٠ مليون مرة قدر لمعان الجرم الذى من القدر العشرين . والمعروف أن مجموعات النجوم والاشكال التى ترسمها (البروج) لاتتغير أثناء حياة البشر القصيرة على الارض ، ولكن التغير الوحيد الذى يطرأ خلال دوران الأرض هو فى الزاوية التى تراها منها . وفيما يلى بيان أهم البروج التى نراها خلال فصول السنة المختلفة :

فى الربيع تظهر مجموعة الدب أو المغرفة الكبرى . واذا ماسرت بالنظر مع قوس المغرفة تصل الى السماك الرامح على امتداد منحنى القوس ، ثم الى السماك الأعزل ، وهو نجم براق . وعلى كثب منه تجاه الغرب تجد مجموعة الغراب . وأشهر نجوم الصيف النسر الطائر والنسر الواقع . ويمكن التعرف على النسر الطائر بواسطة نجمين صغيرين على جانبيه ، الجنوبى منهما من القدر الرابع . أما النسر الواقع فهو نجم براق يمكن رؤيته بسهولة . وعندما تخلو السماء من

السحب يستطيع المرء أن يرى شبه متوازى الأضلاع الذى يقع تقريبا الى الجنوب الشرقى من هذا النجم. وخلال الصيف كذلك تظهر مجموعة العقرب التى تبدو على هيئة العقرب تماما ! وعندما يحل الخريف يسيطر على منظر السماء مربع القوس الأعظم . ولا ينتمى هذا المربع الى كوكبة أو مجموعة واحدة . ويتلالأ فى كبد السماء كذلك نجم العيوق وفم الحوت فى مجموعة الحوت الجنوبية ثم نجم آخر النهر ، وهى كلها يمكن التعرف عليها ببساطة للمتطلع الى السماء . أما فصل الشتاء فيتميز بمجموعة الجبار ، وهى أكثر تجمعات النجوم اثارة للعواطف ، ويلى الدب الأكبر من حيث معرفة الناس بالنجوم . ومما يزيد من روعة هذه الكوكبة ومنظرها الجميل منكب الجوزاء ، ذلك النجم الرائع الذى يميل لونه الى الاحمرار ، وكذلك رجل الجبار اللامع الذى يتلألأ بضوء أزرق ساطع . وصوب الجنوب والشرق ترى الشعرى اليمانية ، وهذا النجم أشد نجوم السماء بريقا ، فقدره ١٫٤٣ . وكان العرب يرصدون هذه النجوم كلها وغيرها ويتخذون منها علاقات تدلهم على الطريق في الصحراء .

ولقد ورد ذكر بعض أسماء النجوم في القرآن الكريم للدلالة على وحدة الكون ، وعلى أن خالق الأرض وما عليها هو أيضا خالق تلك العوالم البعيدة الضاربة فى أعماق الفضاء ، فقال تعالى مثلا :

« وانه هو رب الشعرى » سوره النجم

وتفوق أبعاد النجوم عنا حدود الوصف والخيال ، ولهذا فانه من الاعجاز العلمى حقا أن يقسم بها الخالق العليم حين يقول : « فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم » - سورة الواقعة - . ونظرا لهذه الأبعاد الشاسعة تظل تجمعات النجوم فى السماء محتفظة بأشكالها بالنسبة الينا ، وتلك آية أخرى من آيات الخالق التى يدعونا القرآن الي التمعن فيها ودراستها بدلا من الاعراض عنها لنلمس عظمة هذا الوجود وقدرة مبدعه التى لاحدود لها . وبطبيعة الحال لن نصل الى أى نجم من هذه النجوم مهما تقدمنا فى علوم الفضاء ، لأننا لن نخرج عن نطاق المجموعة الشمسية بحال من الأحوال . والمقصود بالمجموعة الشمسية الشمس والكواكب السيارة التى منها الأرض . وتبعد الشمس عنا بنحو ٩٣ مليون ميل ، أما أقرب النجوم الينا ،ممثلا فى مجموعة قنسطورس فانه يبعد عنا عدة سنوات ضوئية ، أى أن الضوء يقطع تلك المسافة فى عدة سنوات ، علما بأن سرعة الضوء هى ٣٠٠ الف كيلو مترا فى الثانية الواحدة. ومن هنا نستبين استحالة السفر الي هناك لعدم توفر الوقت الكافى لأى فرد من البشر مهما طال عمره خلال تلك الأسفار الخيالية وعدم توفر الوقود والهواء والغذاء .. وهذا مما يفسر لنا قوله تعالى : «وجعلنا السماء سقفا محفوظا » ، أى لا سبيل الى الوصول اليه مع احتفاظه بمنظره العام وجماله وروعته على النحو الذى وصفناه فى هذه الكلمات المختصرة .. ولكن الحديث فى هذا الشأن يطول .

الرحالة والمستكشفون العرب في القرون الوسطى

١ - في بلاد البلغار

الدكتور أنور عبد العليم

اتسمت الفترة بين منتصف القرن التاسع الميلادى والقرن الرابع عشر - وهى الفترة التى امتدت فيها الدولة الاسلامية من المحيط الأطلسى غربا الى حدود الصين شرقا - بنشاط علمي كبير ، فازدهرت العلوم والمعارف خلالها على ايدى البحاث والعلماء العرب فى وقت كانت أوربا فيه تتخبط فى ظلمات الجهل والشعوذة

وفى مقال سابق على صفحات هذه المجلة أوضحنا جانبا من الاثار العلمية التى خلدها علماء العرب فى ذلك الوقت وذلك فى مجال الكشوف الجغرافية والملاحة ورأينا كيف أفاد الاوربيون من علوم العرب ومن خبرتهم فيما بعد فيما انجزوه من كشوف ملاحية أو حضارة

والى الرحالة والمستكشفين العرب فى القرون الوسطى يرجع الفضل أيضا فى تسجيل كثير من المعلومات الهامة عن البلدان والدول التى كانت تقع على أطراف العالم الاسلامى فى ذلك الوقت وهم بهذا العمل قد حفظوا لنا جانبا من تراث تلك الأمم ، لم يتسن لأبنائها أنفسهم أن يدونوه . ومن المدهش حقا أن تعلم أن علماء الاثار فى وقتنا المعاصر يميطون اللثام من آن لآخر عن الكثير من الحقائق التى تؤيد صدق الرواة العرب القدامى فيما كتبوا عن هذه البلدان وعن عادات أهلها

فلقد توغل الرحالة العرب كثيرا فى ربوع آسيا الوسطي والصين ووصفوا بلدانها ومسالكها بل وزار بعضهم أيضا جانبا من روسيا نفسها وكانوا يسمونها بلاد البلغار ووصفوا كثيرا من مراكز التجارة على نهر الفولجا نفسه وذلك قبل عام ٨٤٦ الميلادى .

وفى كتاب « المسالك والممالك » لابن خرداذبة الذى كتبه بتكليف من الخليفة العباسى عام ٨٤٦ م لم يقتصر المؤلف فى وصفه على التجارة وطرقها ومراكزها فى ممالك نائية مثل كوريا فحسب ، بل يعتبر أيضا أول من كتب عن اقليم « الفولجا » من المسلمين

ثم يأتى من بعده رحالة عربى آخر هو احمد بن فضلان بن عباس الذى أوفده الخليفة العباسى « المقتدر » ضمن وفد رسمى الى بلاد البلغار تلبية لطلب ملكها الذى كان قد دخل فى الاسلام ، وكان الأخير قد طلب الى الخليفة أن يبعث اليه بفقهاء فى الدين وبعمال مهرة ومهندسين يستعين بهم على بناء حصون يرد بها غائلة الاعداء من غير المسلمين . وغادرت البعثة المذكورة بغداد عام ٩٢١ الميلادى قاصدة البلغار عن طريق سمر قند وبخارى فوصلت بعد عام الى شاطىء نهر الفولجا الشرقى . ودون ابن فضلان أخبار هذه البعثة بدقة كبيرة وعنه اخذ الاصطخرى والمسعودى وياقوت الحموى من المؤرخين العرب .

ويحدثنا ابن فضلان عن عادات البلغار وطرائق معيشتهم وعن تجارتهم مع أهل اسكندناوة الذين كانوا يفدون من بحر البلطيق ليتبادلو السلع معهم ومن بينها أدوات الحرب والفراء والعبيد .

ويذكر بن فضلان أن الكثيرين من أهل البلغار وان كانوا قد اعتنقوا الاسلام الا أنهم احتفظوا بعاداتهم القديمة ويضيف هذا المؤرخ بأن أهل تلك الديار كانوا علي درجة كبيرة من التادب ، يرفعون قبعاتهم ويضعونها تحت أبطهم عند التحية أو كمظهر من مظاهر الاحترام . وعندما يمر ملكهم بينهم أو أحد من أفراد أسرته انحنوا امامه . والمرأة فى تلك البلاد كانت تحظى بقدر كبير من الاحترام هى الأخرى ، ولم تكن تعرف الحجاب ، وحتى زوجة الملك كانت تظهر معه فى الحفلات الرسمية . والنساء فى تلك البلاد يملن الى السمنة ويذكر ابن فضلان انهن كن يتناولن أطعمة خاصة لتمتلىء ابدانهن !

غير ان من عاداتهم المستهجنة كثرة الاختلاط بين الجنسين حتى ان الرجال والنساء كانوا يستحمون عرايا فى نهر الفولجا وقد حاول ابن فضلان أن يبطل هذه العادة بينهم فلم يفلح .

ويتكلم هذا المؤرخ العربى أيضا عن ازدياد طول الليل فى الشتاء وعن طول النهار فى الصيف مما لم يعهده فى بلاد المسلمين الأخرى . وكيف أن هذا الأمر كان يحدث ارتباكا فى تحديد مواقيت الصلاة ، ويروى كيف كان مسلمو البلغار يجمعون بين صلاة المغرب وصلاة العشاء فى فصل الشتاء . ويحدثنا ابن فضلان بالاضافة الى ذلك انه سمع من ملكهم عن ارض تقع على مسيرة ثلاثة شهور الى الشمال من بلاد البلغار ، لا يزيد طول الليل فيها خلال فصل الصيف عن ساعة واحدة ، وهذه رواية صادقة من الوجهة الجغرافية .

كما يحدثنا ابن فضلان أيضا عن عادات التجار من اهل اسكندناوة وكيف كانوا يقيمون فى بيوت صنعوها على ضفاف نهر الفولجا فى مواسم التجارة ويرسون مراكبهم أمامها . فعندما تطأ اقدامهم أرض الشاطىء يقدمون لآلهتهم قرابين من أطعمة مختلفة من بينها اللبن والنبيذ وكانوا يعبدون أصناما لها وجه يشبه وجه البشر، حتى اذا ما راجت تجارتهم وأتت بربح مجز نحروا الذبائح واسرفوا فى الطعام والشراب .

ولقد وصف ابن فضلان ملابس هؤلاء القوم بتفصيل كبير وكذلك امتدح سيوفهم ودروعهم . اما نساؤهم فكن يحملن خناجر فى جراب من الحديد أو الفضة أو الذهب حسب منزلة الزوج . ويرى كثير من المؤرخين أن هؤلاء القوم التجار الذين تحدث عنهم ابن فضلان وسماهم الروس انما هم من أهل السويد أو النرويج الذين عرفوا باسم قبائل الفكينج وكانوا يفدون الى البلغار فى مواسم التجارة كما أسلفنا .

ومن طريف ما رواه المؤرخ العربي عنهم أنهم كانوا يحرقون جثث موتاهم بعد زفها فى الديباج والحرير وصاحبها يرتدى أغلى حلله وذلك فى مراكب خشبية . ويقيمون لهذا الغرض احتفالا كبيرا على شاطىء النهر يذبحون فيه القرابين ويشربون ويثملون ثم يقدمون من احدى اماء المتوفى قربانا لتحرق جثتها مع جثته . ويذكر ابن فضلان كيف انتهز فرصة وفاة أحد شيوخ تلك القبائل وشهد الاحتفال مع مترجمه ووصف تفاعيل الجنازة وصفا ممتعا . وعندما حان ميعاد حرق الجثة رست المركب على الشاطىء ونصبت فوقها خيمة كبيرة من الديباج ووضع الميت بداخلها واحيطت بالاخشاب ونحرت الذبائح حولها وطعم القوم وشربوا ثم أدخلت الضحية خيمة سيدها المتوفى وهناك اغتيلت فى ظروف رهيبة بينما أتباع المتوفى فى الخارج يزداد صياحهم ويدقون بشدة على دروعهم حتى لا تسمع النساء استغاثة الجارية المنكوبة

هذا وقد عثر علماء الآثار بعد ذلك بقرون على أدلة فى حوض نهر الفولجا تؤيد وصف ابن فضلان لتلك الشعائر الجنائزية التى مارسها تجار الفيكنج فى عصره ، ومنها تلك الآثار التى عثر عليها حديثا فى مدينة شرينكوف بروسيا

وفى زيارتى لاحد المتاحف بمدينة على نهر الفولجا سمعت من الدليل رواية مماثلة الى جانب ما شاهدت من معروضات قديمة . كما سمعت من بعض المواطنين السوفيت ان مدينة موسكو نفسها انما اشتق اسمها من الكلمة الافرنجية المقابلة لكلمة مسجد وهى « موسك » Mospua لكثرة ما وجد بها من مساجد . أما آثار العرب فى بخارى وطشقند وغيرها من مدن دول الاتحاد السوفيتى فى اسيا الوسطى فغنية عن التعريف

ندوة الشهر

نحو مجتمع أفضل

إعداد عبد الرحمن الشنزيني

ونحن بسبيل بناء مجتمع افضل .. لابد ان نحدد ملامح الدعائم التى يقوم عليها هذا المجتمع ..

ولا شك ان من بين هذه الدعائم التى يقوم عليها المجتمع الأفضل .. الادب .. والأخلاق ..

١ ـ تحدث عن أثر الأدب فى بناء المجتمع الافضل الأستاذ على الجندى عميد دار العلوم السابق .

٢ ـ وتحدث عن أثر الأخلاق فى بناء المجتمع الأفضل الدكتور عبد الشافى غنيم الأستاذ بكلية المعلمين .

يقول الاستاذ على الجندى عن دور الادب :

ـ كان مفهوم الأدب عند العرب أنه دعوة الى محاسن الشيم ، ومكارم الأخلاق ، وجمع الناس على ذلك ، ونداء الى الفضائل ، وزجر عن الرذائل .. كما كان يقوم مقام الشرائع والقوانين .. ففى ظله نشأ العرب على الاباء ، والواجب وحماية الذمار ، والوفاء بالعهود ، والاعتراف بالجميل ، وتعشق الحرية ..

قال احد الشعراء :

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد
لنفسى حياة غير أن أتقدما
ولسنا على الأعقاب حين رأيتنا
ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وقال شاعر آخر :

انا لمن معشر أفنى أوائلهم
قيل الكماة الا آين المحامونا
اذا الكماة تنحوا أن يصيبهم
حد الرماة وصلناها بايدينا

وقال اعرابى فى اخ قتل ابنا له فآثر الصفح :

اقول للنفس تأساة وتعزية
احدى يدى أصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه
هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

وحتى فى الهجاء .. كان العرب يتهاجون ولكن لا يسيئون لانهم كانوا سادة اشرافا .

فالشريف الكريم ينقص قدرا
بالتعدى على الشريف الكريم

ولما اشرقت أنوار الهداية برسول الله .. تعاون الأدب الصادق مع القرآن والسنة فى بناء المجتمع .. كان الرسول يستمع الى الخطباء ويستنشدهم ويجعلهم اداة من أدوات الجهاد .. فنصب المنبر لحسان فى مسجده.. وعفا عن زهير ..

كتب الرسول صلى الله عليه وسلم لابى موسى الأشعرى يقول : مر من معك تعلم الشعر فانه يدل على اصالة الحس .

ان المواهب الكلامية تستهوى النفوس وتسيطر على الأرواح بلا عنف ، انها تخاطب الوجدان .. وكانت انجع الوسائل فى تربية الجماهير وصقل الأذواق من مختلف الطبقات .. فالاسماع اليها أسرع .. والنفوس اليها اميل ..

انما تفعل المقالة فى المر
ء اذا صادفت هوى فى فؤاده

ان الأدب القومي المهذب يمكن ان يكون تراثا روحيا يجعلنا نأتى بالمعجزات ويسوقنا الى انبل المقاصد ..

الأدب الذى نريده

والآن .. ونحن فى مفترق الطرق وعلى عتبات بعث جديد نريد ادبا يملأ نفوسنا بانواع العبادة وقدسية الجمال .. نريد أدبا يدفعنا الى الطموح والخلق والابداع ويسمو بنا فوق المادة .

نريد ادبا يعتقنا من اصفاد الغرائز الوضيعة.. ويحلق بنا فوق شوائب الحياة .. ويعلو بنا حيث نرى جوهر الحق ونسمع النغمات اللدنية الخالدة .

نريد أدبا يبصرنا بالمثل العليا ويكشف الأسرار للنفوس ويرسم الحياة فى جميع صورها واشكالها .. ويخلصنا من رواسب الظلم والحواجز التى اقامها الاستعمار وينتشر بالوحدة الكاملة من المحيط الى الخليج .

نريد ادبا يكون شعار الاديب فيه :

وما من كاتب الا سيبلى
ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شىء
يسرك فى القيامة أن تراه

ويقول الدكتور عبد الشافى غنيم عن أثر الأخلاق :

- نحن فى حاجة ماسة الى المجتمع الفاضل .. وما اظن أن ثورة من الثورات كتب لها النجاح الا اذا اعتمدت على الأخلاق الى حد كبير .. ومهما كان القائمون على أمر الثورة من اللباقة فلن يحققوا لها ما يشاءون الا اذا استطاعوا ان يقيموا المجتمع الذى يؤمن بها وبمبادئها .

والتاريخ يحدثنا عن ثورات قامت وفشلت لان المجتمع لم يكن أهلا لهذه الثورة .. فالثورة الفرنسية لم تستطع ان تحقق اهدافها ابان قيامها .. فقد تخبط المجتمع واكل كثير منزعماء الثورة مبادئها ولم يحققوا مفاهيمها الا بعد قرن من الزمان حينما قامت الجمهورية .. اذن فالثورة لا تقوم على قدميها الا اذا استندت الى المجتمع الفاضل الذى يؤمن بمبادئها ..

والتاريخ يحدثنا كذلك عن الكثير من المجتمعات السليمة التى لو أردنا السر فى تقدمها لما رجع الا الى الدعائم القويمة ومن اخصها الدعامة الخلقية ..

المجتمع الاسلامى

فالمجتمع الاسلامى مثلا لم يحقق شريعته الغالية الا لأنه لم يقم الا على أسس خلقية قويمة .. وما محمد الا مثل طيب للانسان صاحب الخلق الكريم « وانك لعلى خلق عظيم » .. انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » .

بدأ دعوته على أسس خلقية .. فكان المشركون يشتدون فى ايذائه فلا يغضب ولا يتألم .. وانما كان جوابه على هذا الايذاء « اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون » ..

وكذلك ايقظ محمد المبادىء الخلقية فى صحابته ومن احاطوا به ..

فهذا ابو بكر خليفة رسول الله يقول : « ايها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم » .. أليس هذا هومنطق الخلق الذى رباه عليه الرسول !! فى الوقت الذى كان عند الملوك نظرية الاله المقدس حين يتولون الحكم فيعتبرون الشعب كالسائمة لا حق له فى أن يتكلم وانما عليه ان يطيع .. « فان احسنت فاعينونى وان أسأت فقومونى » .. أليس هذا يدل على أن الأمة هى مصدر السلطات دون ما ثورة !!.. « الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له » .. أليس هذا دستورا فوق دساتير اقدم الأمم وأرقاها !.. ثم يأبى ابو بكر الا أن يتحدث عن الأسس والدعائم للمجتمع الأفضل فيقول « الصدق أمانة .. والكذب خيانة » .. لأن أبا بكر يعلم أن الكذب يفت فى عضد الأمة وهو لا عقوبة عليه فى القانون .

ثم يتحدث عن الشجاعة والكفاح والجهاد فيقول « لا يدع أحد منكم الجهاد فانه لا يدعه احد الا ضربه الله بالذل » ..

فاذا فهمنا كل هذا فلا نستعجب لم استطاعت الدولة الاسلامية ان تتبوأ مكانتها فى العصور الوسطى .. دولة سياسية ثقافية لها مثلها الاقتصادية فوقفت موقفا كبيرا من الحضارات الحديثة التى قامت فى أوربا ..وهذا هو مثل لدولة قامت على أسس من الدعائم الخلقية .

الالزام الخلقى

وبعد أن ضرب هذه الأمثال استطرد يقول :

يجب أن نعمل على أن تكون المبادىء الخلقية اساسا لعلاقاتنا مع بعضنا لتحقق الأمة الفاضلة حتى تتمكن من المساهمة فى الدور الكبير الذى نحن بسبيله فى هذه الأيام .. يجب أن نلزم انفسنا الزاما خلقيا سواء فى البيت أو المدرسة أو الدولة ..

فالبيت هو النواة الأولى للخلق .. ومن واجب الأبوين أن يكونا مثلا طيبا أمام طفلهما فى علاقتهما وسلوكهما الاجتماعى حتى يتعلم الطفل عن طريق الممارسة .. وقديما قال سقراط « الفضيلة نوع من أنواع الممارسة » الرجل فى بيته يجب ألا يكون مستأسدا .. كما لا يجب أن يكون مستضعفا أمام زوجته .. وانما من واجبه أن يكون وسطا .. وكثير من الاطفال اخذوا ذلك عن آبائهم .. ان البيت الذى تقوم فيه الفضيلة هو بيت جدير بان يكون الخطوة الأولى لمجتمع افضل .

والمدرسة لها دور خطير فى بناء المجتمع .. وعلى المدرس فيها أن يكون مثلا أمام الطالب فى تصرفاتهومعاملاته فيستطيع أن يجعل من المدرسة وحدة متكاملة ومجتمعا صغيرا يكون هو نواة المجتمع الكبير .. المجتمع الافضل

اما الدولة فيأتى دورها فى بناء المجتمع بعد ذلك .. الاشراف على الاذاعة وعلى الصحف والكتب والسينما حتى تكون عوامل توجيه لا عوامل انحراف .. كل ذلك من وسائل بناء المجتمع الافضل..ثم دور الرياضة فى بناء المجتمع على أن تكون وسيلة وليست غاية .

حياة المجتمعات

ان حياة الفرد تختلف عن حياة المجتمع .. لأن حياة الفرد قصيرة .. ومن السهل عليه ان يحصد ويجنى ثمرة ما غرس فى حياته .. أما المجتمع فحياته طويلة .. قد يقوم جيل يعمل ولكنه لا يستطيع أن يرى نتيجة مجهوده .. وهكذا فقد نريد المجتمع المثالى ولكننا لا نراه .. والمهم هو أن نسهم فيه حتى نضمن انالمجتمع المثالى سيتحقق فى يوم من الأيام .

عائشة بنت طلحة

إعداد عائشة حسني

تصدت المراة لفنون العلم وشئون الادب جميعاوامعنت فيه امعانا كبيرا . فرغم ما مهد للرجل من مشاكل المسائل ، وهيىء له من وسائل الكشف والاستنباط،فقد كان للمراة - على لحاقها بالرجل مظهر خلقى كريم فى العلم والتعليم .

وفى هذا العدد نقدم سيدة جليلة كانت من انبه نساء عصرها فى العلم والأدب والحسن والجمال :

هى :

عائشة بنت طلحه بن عبيد الله بن عثمان بين عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، أمها أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق ، وخالتها عائشة أم المؤمنين .

زواجها :

كانت عائشة احب الناس لعائشة ام المؤمنين فزوجتها ابن اخيها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر فلم تلد من احد سواه وتوفى عنها وهى عنده فما فتحت فاها عليه ، وكانت أم المؤمنين تعيب عليها هذا وتزوجت من بعده بمصعب بن الزبير وبعد وفاته تزوجت من عمر ابن عبيد الله بن معمر وبنى بها فى الحيرة ومكثت معه ثمانى سنوات ثم مات عنها فى سنة ٨٢ هـ فندبته ولم تندب احدا من أزواجها الا حابسة فقيل لها فى ذلك : فقالت انه كان أكرمهم على واحسنهم رحما بى واردت أن لا أتزوج بعده .

صفاتها :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال لعائشة : مارأيت شيئا احسن منك الا معاوية أول يوم خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : والله لانا احسن من النار فى الليلة المقرة فى عين المقرور .

وقال الشعبى :

دخلت المسجد فاذا أنا بمصعب بن الزبير على سرير جالس والناس عنده فسلمت ثم ذهبت لانصرف فقال : يا شعبى اتبعنى . فاتبعته . فاتى دار موسى بن طلحة فدخل مقصورة ثم دخل أخرى ثم قال: يا شعبى،اتبعنى فاتبعته . فاذا امراه جالسه عليها من الحلى والجواهر مالم ار مثله وهى احسن من الحلى الذى عليها فقال : يا شعبى ، هذه ليلى التى يقول فيها الشاعر :

وما زلت فى ليلى لدن طر شارى
الى اليوم اخفى حبها وادا جن
واحمل فى ليلى لقوم ضغينه
وتحمل فى ليلى على الضغائن

هذه عائشة بنت طلحة . فقالت له : اما اذ جلوتنى عليه فاحسن اليه فقال : يا شعبى رح العشية ، فرحت. فقال يا شعبى ما ينبغى لمن جليت عليه عائشة بنت طلحه ان ينقص من عشرة الاف . فأمر لى بكسرةوقارورة غالية . فقيل للشعبى فى ذلك اليوم ، كيف الحال ؟ قال : وكيف حال من صدر عن الأميرة ببدره كسوة وقارورة غالية ورؤية وجه عائشة بنت طلحة

اتصفت عائشة بانها صارمة صلبة الارادة ، وقد اشتهر بذلك نساء بنى تيم جميعهن ، الا انه قداستبان لنا فيما بعد بانها تغلبت على طبائعها وشراستها بخلقها الكريم واثبتت بانها مثال الزوجة المخلصة الوفية .

روى أنه كان عند الحسين ابن على بن اسحق بنت طلحه فكان يقول : والله لربما حملت ووضعت وهى مصارمة لى لا تكلمنى .

ووصفها القحذمى بانها من أشد الناس مغايظة لازواجها ، وكانت كثيرا ما تصف لزوجها عمر بن عبيد الله - وكان من أشد الناس غيرة - مصعبا وجمالهتغيظه بذلك فيكاد يموت .

ومن صرامتها أيضا : أن دخل عليها مصعب بن الزبير وهى نائمة ومعه ثمانى لؤلؤات قيمتها عشرون الف دينار فانبهها ونثر اللؤلؤ فى حجرها ، فقالت : نومتى كانت أحب الى من هذا اللؤلؤ . واستمرت حياتها معه على مثل ذلك ، حتى كان دائما يشكو الى كاتبه ابن ابى فروة فقال له . أنا اكفيك هذا ان اذنت لى . فقال . نعم افعل ما شئت . فاتاها ليلا ومعه أسودان فاستأذن عليها ، فقالت . أفى مثل هذه الساعة ؟ قال . نعم . فاذنت له ، فدخل ، فقال للاسودين احفرا هنا بئرا ، فقالت جاريتها ، وما تصنع بالبئر ؟ قال شؤم مولاتك امرنى هذا الظالم أن ادفنها حية ، وهو اسفك خلق الله لدم حرام . قالت عائشة : انظرنى اذهب اليه ، قال هيهات لا سبيل الى ذلك ، وقال للاسودين احفرا ،فلما رات الجد منه بكت وقالت . يا ابن أبى فروة انك لقاتلى ما منه بد . قال . نعم ، وانى لاعلم أن الله عز وجل سيجزيه بعدك ، ولكنه قد غضب . قالت . وفىأى شىء غضبه . قال . من امتناعك عليه ، وقد ظن انك تبغضينه وتتطلعين الى غيره ، فقد جن .فقالت:أنشدتك الله الا عاودته قال . أخاف أن يقتلنى ، فبكت وبكى جواريها . فقال لها . قد رقيت لك ، وحلف لها انه يغرر بنفسه . وقا لها فما أقول ؟ قالت . تضمن لى عنى انى لا اعود أبدا . قال . فما لى عندك . قالت . قيام بحقك ما عشت . قال . فاعطينىالمواثيق ،فاعطته فقال للاسودين . مكانكما . واتى مصعد فاخبره فقال . استوثق منها بالايمان فاستوثق منها ففعلت وصلحت بعد ذلك لمصعب

وهكذا رأينا عائشة الصارمة استطاعت أن تغير صرامتها بل وطباعها بخلقها الكريم وادبها الجم .

لما تايمت عائشة كانت تقيم بمكة سنة وبالمدينة سنة وتخرج الى مال لها عظيم بالطائف وقصد كان لها هناك فتتزه فيه وتجلس بالعشيات فيتفاضل بين يديها الرماه .

وروى عن عائشة انها دخلت على الوليد بن عبد الملك وهو بمكة فقالت : يا امير المؤمنين مر لى باعوان فضم اليها قوما يكونون معها فحجت وحجت ومعها ستون

البقية ص ٢٢٤

ثورة أمة من قلب أم

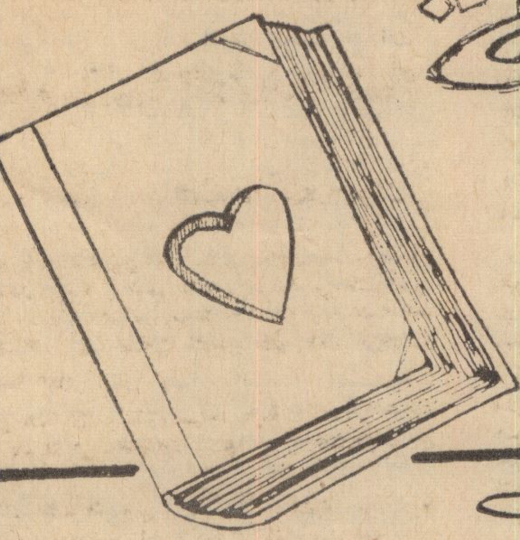

إعداد نجاة الزبيري

« ان العبيد يقدرون على حمل الاحجار ، واما الاحرار فهم وحدهم القادرون على التحليق الى آفاق النجوم ، ونحن بنضال شعبنا من اجل الحرية نبنى السد ، ولكى نحلق الى آفاق النجوم نقيمه عاليا »

تلك هى الكلمات اللامعة التى جاءت فى الميثاق تعلن ارادة أمة فى الخلاص الابدى من عبودية الاستعمار والاستغلال

وتلك هى المعانى المشرقة التى من اجلهـا قامت « الاستاذ السيدة سهيلة الريماوى » برحلتها الرائعة الى السد العالى ، لتاتى من هناك ، وتكتب لنا هذا السفر الممتاز الذى عنونته « من وحى السد العالى » .

وبالرغم من أن عديدا من الكتب قد ألف ونشر حول سدنا العالى العظيم فى اللغة العربية وغيرها من اللغات الاجنبية الا ان كتاب المناضلة العربية سهيلة الريماوى يتميز عنها جميعا بانه مجموعة حية من الانطباعات الانسانية الدافقة بالامانة والصدق .

فلربما استطاعت لغة الارقام ان تكذب بتحليل الرقم الى معادلات خاضعة للاهواء ، ولكن المشاعر النابعة من القلب الانسانى لاسبيل الى تزييفها او الشك فى صدقها .

والسيدة سهيلة الريماوى مؤلفة الكتاب من مواليد حمص بسوريا وقد تلقت تعليمها الاول - الابتدائى والثانوى - فى بلدتها ، ثم انتقلت الى دمشق حيث التحقت بكلية الآداب نهارا ، والمعهد العالى للمعلمين بعد الظهر الى ان تخرجت عام ١٩٥٠ - فحصلت بذلك على شهادة اهلية التعليم - وكانت ضمن اول دفعة تخرجت من الجامعة .

والسيدة سهيلة مجاهدة سياسية منذ وقت مبكر اشعلت الآلاف من المواطنين العرب بالكلمة الملتهبة فى سوريا فى جميع المناسبات السياسية والوطنية فالحماس الوطنى يجرى فى عروقها مجرى الدم الغالى يعطى للقلب نبضاته وحياته .. وقضيتها الكبرى والوحيدة هى الوحدة العربية .. والقومية العربية .. والنضال العربى الواحد فى كل شبر من ارض العرب ..

ثم انتقل نشاطها السياسى من سوريا الى الاردن بعدما تزوجت من المناضل العربى « عبد الله الريماوى » وكان يعمل محاميا ونائبا فى البرلمان الاردنى ثم اصبح وزيرا لخارجية الاردن .

ثم الى القاهرة .. حين لجات هى وزوجها سياسيا عام ١٩٦١ .

قامت السيدة سهيلة اذن منذ وقت مبكر بنضالها الثورى من اجل حياة حرة كريمة تظل العرب جميعا ، فمثلت طالبات الجامعة عام ١٩٥٠ ، فى المؤتمر الثقافى العربى الثانى وقد اقيم هذا المؤتمر تحت رعاية الجامعة العربية فى الاسكندرية وكانت المرة الاولى التى زارت فيها مصر .

ثم اشتركت عام ١٩٥٥ فى مؤتمر الخريجين فى القدس . وهى تعمل الآن عضوا بمجلس ادارة رابطة الاسرة العربية . كما انها تعد رسالة الماجستير فى الفكر السياسى ، جامعة عين شمس وقد تخصصت رسالتها فى « الاحزاب السياسية فى سوريا » كما انها تعد للطبع كتابا عن المفكر العربى عبد الرحمن الكواكبى .

وكان من الطبيعى ان يلفت نظرها مشروع السد العالى العظيم لانه يرمز الى كل تلك المعانى العملاقة التى

وسخت فى وعيها حول الشعب المصرى وحضارته وتاريخه الطويل . وقد حدث أن تحدثها صحفية انجليزية أن تبرهن على ان العامل العربى يستطيع أن يقوم بعمل جبار دون الخبرة الاجنبية .

وكانت ان اخذت سيارتها رافضة ان تركب الطائرة حتى تضع كلتا يديها على اصالة هذا الشعب من القاهرة الى اسوان لترى بعينيها كيف استطاع العامل العربى والفلاح العربى والجندى العربى والمثقف العربى ان ينتشل بلدا كمصر كان هدفا دائما لغزوات الغزاة واستبداد الطغاة من ظلام القرون الوسطى الى اضواء الحضارة المعاصرة فى القرن العشرين .

وطوال الطريق كانت المشاعر تضطرم فى كيان سهيلة ووعيها ، فهى تنظر الى الآثار المصرية القديمة وتكاد توقن ان عباقرة الماضى هم أجداد أولئك الذين سحقتهم العبودية واذلهم الاستغلال . وتقارن بين الماضى العظيم والحاضر العظيم ، فتتأكد من ان هذا الشعب لايمكن أن يموت ، لانه اذا كان فى الماضى قد استطاع ان يبنى الاهرام ، وفى الحاضر ان يبنى السد العالى ، فلاشك ان ما بينهما من قرون سوداء ليست الا من صناعة الاستعمار الاجنبى والطغاة المحليين من سادة الرجعية .

انها ترافق آثار الحضارة العربية والاسلامية ، وتتلمس ماقامت به الثورة من انجازات تقرب حدود المستحيل ، فتحس بصدق الكلمات التى سمعتها من القروى المصرى ولسانه يلهج بالامجاد العظيمة التى يعيش فيها . حقا ، ان هذا الرجل الساذج البسيط ، هو همزة الوصل بين حضارة الفراعنة ، والحضارة العربية الحديثة ، انه الاتصال الحى بين ازدهارين عظيمين .

وفى السد العالى قابلت الوجوه السمراء التى انتصرت فى بورسعيد على اعتى الدول واكثرها طغيانا . قابلت وجوها من بورسعيد جاءت تعمل فى السد ، لان السد العالى فى نظرها ليس الا امتدادا للمعركة فى بورسعيد انها معركة الطريق الطويل الى الاشتراكية انها معركة الثورة التى هبت مع ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ومايزال اوارها يلتهب بين ضلوع كل عربى فى مصر وخارج مصر . فالسد العالى هو الاجابة التاريخية - عند سهيلة الريماوى - على كافة التحديات التى كبلتنا بها عصور الظلام . انها اجابة القومية العربية على دعاة الاقليمية الضيقة ، انها اجابة الثورة الوطنية على الاستعمار انها اجابة التعايش السلمى على دعاة الحرب ، انها اجابة الصداقة بين الشعوب على الدول المنحازة .

واخيرا ، فهى اجابة الثورة الاشتراكية ، على حماة الاقطاع والرأسمالية .

لذلك بلغت المناضلة سهيلة الريماوى ذروة الصدق حين قالت فى مقدمة كتابها الرائع : « ان صدور هذا الكتاب فى جوهره ومضمونه انما هو تعبير عن مشاعر وأفكار وأحاسيس وانفعالات قومية اثارتها فى النفس تجربة السير الحالم مع النيل الخالد استجابة لنداء السد العالى قد بعثتها فى العقل والكيان وقفة الاعتزاز القومى الواعى والتطلع الاشتراكى الثورى مع البناة وامام البناء » وحين قالت فى خاتمته كانت الأحاسيس والمشاعر والانفعالات تتركز ، واذا بها ، وقد تركزت تنتقل اليك . « ثورة أمة من قلب أم » ..

تحية الى مؤلفه «من وحى السد العالى» على ايمانها الصادق ومجهودها العظيم ..

بقية مقال عائشة بنت طلحه

بغلا عليها الهوادج والرحائل فعرض لها عروه ابن الزبير فقال .

عائش ياذات البغال الستين
اكل عام هكذا تحجين

حجت عائشة وسكينة بنت الحسين وكانت عائشة احسن آلة وثقلا

فقال حاديها :

عائش ياذات البغال الستين
لازلت ما عشت كذا تحجين

فشق ذلك على سكينة ونزل حاديها :

عائشة هذه ضده تشكوك
لولا ابوها ما اهتدى ابوك

فامرت عائشة حاديها ان يكف فكف

ارسلت عائشة فى احدى حجاتها الى الحارث بن خالد المخزومى وهو أمير على مكة من قبل عبد الملك بن مروان فقالت : اخر الصلاة حتى أفرغ من طوافى . فامر المؤذنين فأخروا الصلاة حتى فرغت من طوافها ثم اقيمت الصلاة فصلى بالناس . وانكر اهل الموسم ذلك من فعله واعظموه فغفر له عبد الملك وكتب اليه يؤنبه فيما فعل . فقال : ما هون والله غضبه اذا رضيت والله لو لم تفرغ من طوافها الى الليل لاخرت الصلاة الى الليل وانشد

لم نرحب بان سخطت ولكن
مرحبا ان رضينا عنا واهلا
ان وجها رايته ليلة البدر
عليه انثنى الجمال وحلا
ان عند الطواف حين اتته
لجمالا فعما وخلقا رفلا
وليس الجمال ان غبن عنها
فاذا ما بدت لهن اضمحلا

أنت تسأل ..؟

والمفتى يجيب ...

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون

س ١ :

من أ· ع· أ· من شبشير الحصة غربية :

يقول انه حلف وحنث فى يمينه ولم يكفر عن يمينه ثم حلف مرة أخرى وحنث ولم يكفر حتى الآن ، ويسأل عن الحكم فى ذلك ؟

الجواب :

ان اليمين ثلاثة أنواع : غموس ولغو ومنعقدة ، فالغموس أن يحلف على الشيء كذبا أنه فعله فى الماضى وهو يعلم أنه لم يفعله أو أنه لم يفعله وهو يعلم أنه قد فعله ـ وهذه اليمين تدخل صاحبها النار ـ ولذلك سميت غموسا ولا كفارة لها الا التوبة والاستغفار ·

واليمين الثانية : هى اللغو وهى كقولنا لا والله وبلى والله من غير قصد يمين وهذه اليمين يقول الفقهاء عنها اننا نرجو أن تكون هى اللغو المقصود فى قوله تعالى: « لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان » ·

واليمين الثالثة : هى اليمين المنعقدة وهى الحلف على أمر مستقبل أنه سيفعله أو لن يفعله فاذا حنث فى يمينه وجبت عليه الكفارة وهى كما وردت فى الآية الكريمة اطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ·

فاذا تكررت اليمين وتكرر الحنث تكرر وجوب الكفارة الا أن الحانث اذا لم يكن قد كفر عما حنث فيه من الايمان السابقة فانه تلزمه كفارات متعددة عن كل يمين كفارة لأن الكفارات تتعدد بتعدد الحنث وان كان بعض الحنفية يرى تداخلها ـ ونحن نميل الى الراى القائل بالتعدد ونرجحه ونفتى به والكفارة الواحدة هى أن يطعم عشرة مساكين يغديهم ويعيشيهم أو يطعمهم غداءين أو عشاءين مشبعين من أوسط ما يطعم أهله أو يكسوهم فان لم يستطع ذلك فعليه أن يصوم ثلاثة أيام ·· قال تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون ·

س ٢ :

من محمد سيد احمد ـ من كفر الشيخ ابراهيم مركز قويسنا منوفية :

يقول ان فى بلدتهم مدرسا فى المدارس الابتدائية يتصدى للافتاء ـ وأورد أمثلة مما افتى به ذلك المدرس ـ ومن ذلك قوله ان اسماعيل ويعقوب ويوسف ليسوا أنبياء مرسلين ـ وحينما سمع الفقيه يقرأ قوله تعالى : « واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا»، وقوله تعالى :«ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات » وقوله «اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى » قال المدرس الابتدائي لا أعترف برسالة هؤلاء ما لم ترد فيهم قصة طويلة ٠٠ وأنه يفتى بافطار رمضان عمدا فى الصيف وقضائه شتاء حيث السهولة والقصر ، وانه يجمع الناس فى حلقات للذكر فى منزلة على صفير الناى ودق الدف ٠٠ الخ ٠ ويسأل السائل عن حكم ذلك ٠

الجواب :

انه لا يجوز أن يتصدى للافتاء الا العالم المتخصص فى فقه الاسلام الذى كرس حياته لدراسة الشريعة الاسلامية حتى تربت عنده ملكة الفقه التى يعرف بها كيف يستنبط حكم الله فى مصدره التشريعى ويعرف مذاهب العلماء وأقوال الفقهاء فيخرجها للناس من مظانها حتى يبين للناس طريق الهدى والرشاد ٠٠ قال تعالى « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » وليس كل من درس طرفا من الدين أو عرف قدرا من الفقه بأهل للتصدى لافتاء الناس وبيان حكم الله فيما يعرض لهم من مشاكل ومن يفعل ذلك فقد أثم وظلم نفسه وسيحمل نفسه ما لا تطيق من أوزاره وأوزار الآخرين ٠

والآيات الكريمة التى أوردها السائل دلالتها قاطعة على رسالة الأنبياء المذكورين ، وليس أمر ارسالهم متوقفا على ورود قصة طويلة أو قصيرة ٠٠ وأما افطار رمضان عمدا فلا يجوز بحال من الأحوال الا لعذر أو مرض لا يحتمل معه الصوم أو يمنع الصوم البرء منه أو يؤخره أو حيض أو نفاس الى غير ذلك من الأعذار الواردة فى كتب الفقه والتى ليس منها طول اليوم او شدة الحر :

واما صفير الناى ودق الدفوف المصاحبة للذكر وما يصحب ذلك من ضجيج واجتماع نساء حول الذاكرين فذلك أمر يتنافى مع ما يجب لذكر الله من الخشوع والخضوع ومنع من التفكر فى خلق الله سبحانه ولا يؤدى الى اطمئنان القلوب ٠٠ قال تعالى : « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » وقال تعالى « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب»

س ٣ :

من م٠م٠ع ـ دمياط :

يقول أقسمت هكذا « أكون بريئا عن دين الاسلام ألا آكل مع ابنى فلان » وذلك ، غضب معه ، وقد مر على ذلك ما يقرب من ستة شهور والبعض يخبره أن هذا ليس يمينا ، ويسأل الرأى فى ذلك ٠

الجواب :

روى بريدة عن ابيه قال ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من قال انى برىء من الاسلام فان كان كاذبا فهو كما قال : وان كان صادقا لم يعد الى الاسلام سالما » ٠ رواه أحمد والنسائى وابن ماجه ٠

ويقول الشوكانى فى كتابه نيل الأوطار، الجزء الثامن فى باب الايمان ، تعليقا على هذا الحديث ٠٠ « قال ابن المنذر اختلف فيمن قال أكفر بالله ونحوه ان فعلت فقال ابن عباس وأبو هريرة وعطاء وقتاده وجمهور فقهاء الأمصار : لا كفارة عليه ولا يكون كافرا الا ان أضمر ذلك بقلبه وقال الاوزاعى والثورى والحنفية واحمد واسحق هو يمين وعليه الكفارة ـ وهذا ما نميل اليه ونرجحه لأن اليمين حمل الانسان على الفعل أو الترك بتعظيم المحلوف به ـ فاذا حنث فعليه الكفارة

•• وهذا المعنى يتضمن الحلف بالصيغة الواردة فى السؤال •

س ٤ :

من الطالب محمود عبد الحميد محمد الجميل - من بنى عبيد - دكرنس

يقول ان له جارا فلاحا يعمل طول عمره فى الحقل ، ولما قارب الخامسة والأربعين من عمره ترك الفلاحة وتغيرت حاله ويقضى طول يومه فى عبادة ربه تقديسا وتسبيحا لله ليلا ونهارا ، ولكن الناس لا يرضون عن فعله هذا - ويسأل الطالب عن حكم ذلك ؟

الجواب :

ان الاسلام دين عمل وجهاد •• قال تعالى: « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » ، وليس الاسلام دين تواكل أو عكوف فى المساجد بلا عمل لتحصيل القوت وكف اليد عن السؤال قال تعالى « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » •

والرسول - صلى الله عليه وسلم - رأى رجلا عاكفا على عبادة الله فى المسجد لايبرحه فسأل الرسول - صلى الله عليه وسلم - عمن يطعمه فقيل أخوه ، فقال - صلوات الله عليه - « أخوه خير منه » •• ورأى رجلا آخر يقضى نهاره كله فى العبادة فقال من يطعمه فقالوا كلنا يا رسول الله فقال - عليه الصلاة والسلام - « كلكم خير منه » ومن هذا يتضح أن العمل لكسب القوت لا يتنافى مع العبادة لله ، بل عبادة الله تعالى ، ومن الذنوب ما لا يكفر الا بالسعى على المعاش وخاصة اذا كان هذا العابد يتعرض للناس بالسؤال أو يترك من يعوله عالة على غيره •

س ٥ :

من موسى على احمد التابعى من منفلوط

اقسم رجل بالله العظيم على ترك الجماع لزوجته لمدة محدودة من الزمن وبعد يومين عرف انه مخطىء ، ففعل يمينه مع علمه بأن هجره لزوجته بلا سبب حرام ••

الجواب :

ان النبى - صلى الله عليه وسلم - يقول : من حلف على شىء ورأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه » •• ومن هذا يعلم ان السائل قد حنث فى يمينه وهذا ما كان ينبغى عليه فعله لأنه لا يجوز له هجر زوجته بلا سبب ويجب عليه أن يكفر عن يمينه باطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو صوم ثلاثة أيام على الوجه الذى شرحناه فى الاجابة على السؤال الأول •

س ٦ :

من عطا رضوان حسن - من أبو قرقاص - عجوه ••

يسأل عن حكم تناول البيرة ؟

الجواب :

ان البيرة عبارة عن خمير الشعير، وهى مسكرة أو هى على الأقل تحدث للجسم تخديرا وفى العقل تغييرا وما كان هذا شأنه فحكمه حكم الخمر وقد قال صلى الله عليه وسلم : «كل مسكر خمر وكل خمر حرام » وقال : ما أسكر كثيره فقليله حرام •• والله أعلم :

س ٧ :

من حسن سعيد بانا - المملكة العربية السعودية ••

يقول : فى الجمهورية التونسية يصلون الجمعة فى وقتين : الأول « بعد الزوال •• كسائر الأقطار الاسلامية، والثانى قبل العصر بدقائق بحيث أنه بعد اتمام شعائر الجمعة يكون العصر قد حان فيصلون العصر بعد صلاة الجمعة مباشرة ويقولون ان الأول على مذهب الحنفية والثانى على مذهب المالكية ، فما حكم ذلك ؟

الجواب :

ان وقت صلاة الجمعة هو وقت صلاة الظهر وهو من زوال الشمس عن كبد السماء

حتى يصير ظل كل شيء مثله أو مثليه ، وقد فرضها الله مرة واحـــدة لا تتكرر فى وقت واحد فاذا أديت بعد دخول وقتها فقـــد سقطت ولا معنى لاعادتهـــا مرة أخرى ، فاذا أعيدت مرة أخرى فلن تكون جمعة وانما هى نفل ولا معنى للقـــول بأن الأولى على مذهب والثانية على مذهب آخر .

س ٨ :

من محمد حكم يوسف ـ عضو الاتحـــاد الاشتراكى العربى محلصا مركز شبراخيت :

يقول توفى رجل عن بنت وأولاد أبناء ذكور واناث ويريد معرفة توزيع التركة

الجـــواب :

ان للبنت نصف التركة فرضا والبـــاقى لأولاد الأبناء تعصيبا للذكر ضعف الانثى .

والله أعلم

س ٩ :

من أ. اسماعيل ٢١ لارك كورت بريدج تاون ـ جنوب افريقيا

يقول انه يعتنق الدين الاسلامى حسب تعاليم المذهب الوهابى وفى مدينة كاب جنوب افريقيا يعتبرون كل من ينتمى الى طائفـــة الوهابيين كافرا . ويسأل عن الحقيقة فى ذلك وكيف يرمى بالكفر وهو يؤمن بأن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويؤدى أركان الاسلام على قدر استطاعته .

الجـــواب :

ان المؤمن هو من آمن بالله وملائكتـــه وكتبه ورسله واليوم الاخر وآمن بالقضـــاء والقدر خيره وشره والمسلم من شـــهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحـــج البيت من استطاع اليـــه سبيلا ، ولا عبرة بعد ذلك بكونه وهابيا أو غير وهابى ما دام يؤدى فرائض الله ولا ينكر شيئا مما علم من الدين بالضرورة ، فقد سئل النبى ـ صـــلى الله عليه وسلم ـ عن الايمان فقـــال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليـــوم الآخر وتؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، وسئل عن الاســـلام فقال أن تشهد ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ، وســـئل عن الاحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » .

والذى نعلمه أن المذهب الوهابى ليس مذهبا خامسا خلاف المذاهب الاربعة المعروفة وان اصحابه يقتدون بمذهب الامام احمد بن حنبل فهم فى الواقع حنابلة يقتدون بمـــذهب من مذاهب أهل السنة الأربعة .

مع القراء

اعداد : فؤاد هيبة

عزيزى القارىء .

ان الخلق العظيم الذى جاء به القرآن الكريم ،وتحلى به الرسول الامين ، هو خلق العمل البناء خلق الجهاد الاكبر والجهاد الاصغر من أجل حياة أفضل ، ومستقبل مشرق ، وحضـارة وارفة تهنأ الانسانية فى ظلالهـا وتنعم بقطوفها .. فالحضارة العربية الاسلامية هى الشعلة المقدسة التى أضاءت طـريق التقـدم والتطوير فى شتى المعارف والفنون والعلوم لشعوب العالم على اختلاف ألوانهـا وبيئاتها ، وتباين ألسنتها وفلسفاتها ، وتعدد تقاليدها وعقائدها ، فكانت الحضـارة الاسلامية أول حصن للرواد الاحرار وخير جامعة للقادة الثوار الداعين الى العدالة الاجتماعيـة والحرية السياسية ، واقرار السـلام العالمى ،وتحقيق الرخاء الانسانى .. وزعيمنـا الرئيس جمال عبد الناصر هو بحق الرائد الاول فى هذا القرن للامة الاسلامية والشعوب الافرو آسيوية فى هذا المضمار ، وقائدها الذى يسعى جاهـدا بالبـذل والفـداء لتحـريرها من نير الاستعمار ، ويعمل دائبا على بعث نهضتها واقامة حضارتها ،ويخطط مخلصا لتأمين مستقبلهـا ، وتحقيـق عزتها وكرامتها ، ترعاه العناية الالهية ، وتفديه القيادات الشعبية ، وتؤازره المعانى الانسانية

الشعر أصالة .. وفكر وجدانى

السـيد / مصطفى فرغلى الشقيرى ـ معهد القاهرة الدينى الثانوى

ان الشعر يا أخي ـ أساسه الخيـال الخـالق والقـدرة التصويرية اللغوية على التعبير عن التجربة التى يعيشها الشاعر ، والكلمـات والعبارات فى الشـعر يصوغها الشاعر بالوسائل الفنية البلاغية الموسيقية ليبعث منها صورا ايحائية ، وفى هذه القوالب الفنية يستطيع الشاعر ان ينقل تجربته الشعرية الى القارىء أو السامع .. ويخطىء من يجرد الشعر من الجهـد الفكرى فمزية الانسـان دائما أن يحس حين يفـكر ، وأن يفكر حين يحس ، فأغانى شكسبير سلسلة من الافكار يمتزج فيها الفهم بالشعور ، ورباعيـات الخيام يصح أن تسمى « فكر الخيام » لأنها شعور انسـان من المفكرين ، وحكم المتنبى تفكير وجدانى ، والعقاد مع كونه معدودا من شعراء الفكر لم ينكر الحس والوجدان لأنهما انسانيان .. والشـاعر ينبغى أن يكون على علم بمذاهب الشـعراء ، ومعرفة بمعانيهـم ومبتكراتهم وأساليبهم ، فالاطلاع على التراث القديم كان من اسباب اجادة فحول الشعراء كأبى تمام والبحترى وابى العلاء المعرى كما يتضح من اماليه فى « رسالة الغفران » وهو مافعله البارودى فى العصر الحديث حتى بز معاصريه واعاد للشعر سيرته الاولى ..

سبك الأحداث .. مهارة فنية

السيد / محمد أبو الخير

ان قصتك « الشاهدان » يعيبهـا سردك الحـوادث فى رتابة مملة تذهب بعنصرى التشويق والاثارة ، اذ الفن يستلزم بطبعـه الاختيـار من الأحداث وترتيبها على نمط خاص مقنع فنيا ، بحيث توحى الأحداث فى عالمها المصور فى القصـة بالقضايا التى يؤمن بها القاص ويدعو اليها ، والقـاص من أجل ذلك فى حاجة الى مهـارة فنيـة فى سـبك الأحداث المختارة من الواقع وتبريرها فنيا .

حضرة الرسول .. روحانية ملائكية

السيد / فرغلى مصطفى ـ المحامى بأسيوط

عاش أقدس تجربة شعرية ، هى فريضة الحج أكثر الفرائض الاسـلامية روحانيـة وفاعلية وايجابية ، وأعظمها مسا لشـغاف القلوب وجوهر الشريعة العصماء التى سبرت أغوار نفسـه ، فصفت روحه ، وصـدقت سريرته ، وتفاعات أحاسيسه ، وتجـاوبت شاعريته مع عظمة الموقف ، وروعة المقال ، وجلال المقام ، فكان هذا اللحن الخالد الحالم « فى حضرة الرسول » نقتبس منـه هـذه النغمات الصادقة ..

عجبت للدمع من عينيـك ينسـكب
وقلبـك الثبت فى جنبيك يضطـرب
وقفت أعـزل الا مـن شـفاعته
وليس لى بعـدها ما عشت مطلب
كل بمنطقـة راج ومبتهـل
وليس دون ابتهـال المرتجى حجب
وهـذه عـابدات لاح مؤتلقـا
فى صمتهن التقي والطهـر والأدب
كن المـلائك من عليـائها هبطت
ترف شـفافة أثوابهـا القشـب
واذا دعـا وطنى ، هبت تنـازعه
روحى ، وقـد شـدها الـرغب
وعدت تهفـو له روحى وتجـذبنى
وما لغيـر رسـول الله تنجـذب

بريد التعارف

الاسم : لطفى عبد الحكيم خليفة
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٤ سنة
المهنة : طالب بكليـــة المعلمين بالقاهرة
الهواية : مراسلة الشباب المسلم وقراءةالادب الاسلامى
العنوان ٢٢ شارع المديرية بالمنيا

الاسم : عبدالله دميعه احمد
البلد : البحرين
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب فى المدرسة الثانوية
الهواية : جمع الطوابع والمراسلة وتبادل الصور
العنوان شارع الخليفة فريق النبعلى رقم المنزل٢٢٢٥ المحرق البحرين ـ الخليج العربى

الاسم : حافظ بوشعيب
البلد : المملكه المغربية
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : تبادل الاراءوالكتب التاريخية والمناظر الاثرية
العنوان عين الشق الزنقة ١٣٠ رقم٢٨ الدار البيضاء المغرب

الاسم : محمـد السنوسى ابوشهبة
البلد : ليبيا
السن : ٢٢ سنة
المهنة : مدرس
الهواية : المراسله والقراءة
العنوان : ليبيا ـ اجدابيا ـ شـارع سيدى شاهر روحة

الاسم : عبد المنعم فتحى المطحنة
البلد الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهوايه : الاطلاع والمراسلة
العنوان : نبروه ـ دقهلية

الاسم : مصطفى عبدالرازق مصطفى
البلد : السودان
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : قـراءة الادب والثقافة الاسلامية
العنوان مدينة البعـوث الاسلامية عمارة ٣٦

اقرأ فى هذا العدد :

		صفحة
معالم الطريق		٣
زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة		٨
حديث مع سفير الباكستان فى القاهرة		١٠
من قمة جبل النور	السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية	١٤
أزمة اقتصادية فى عهد عمر بن الخطاب	فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى	١٧
عن كتاب معالم فى الطريق	فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى	٢١
لمحات الى جهود المسلمين العلمية (٢)	الدكتور احمد الحوفى	٢٧
الصوفية فى الهامهم	الاستاذ حسن كامل الملطاوى	٢٩
من حضارة الاسلام	الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل	٣٣
خاتمة	فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى	٤٠
ايلاف قريش	الاستاذ مصطفى السقا	٤٣
التوكل ليس تواكلا وتكاسلا وسلبية	الاستاذ عبد الرحيم فودة	٤٨
من الميثاق (٢)	الاستاذ محمود كمال	٥٠
دعائم الاسرة فى بيت الرسول	فضيلة الشيخ عبد الله المشد	٥٥
التكافل الاجتماعى فى الاسلام	الدكتور محمد سلام مدكور	٥٨
شخصيات اسلامية	الاستاذ سعد الدين الجيزاوى	٦٢
شهر شعبان	الاستاذ عطية صقر	٦٥
ليلة نصف شعبان	الدكتور ابو بكر محمد ذكرى	٦٨
شهر شعبان وليلة النصف	الدكتور محمد كامل الفقى	٧١
سبحات فى شهر شعبان	الاستاذ سليمان حسن عبد الوهاب	٧٤
ليلة البراءة	سماحة مبشر الطرازى الحسينى	٧٨
شعبان وذكرياته	الدكتور محمد وصفى	٨١
شعبان بين شهور العام	فضيلة الشيخ ابو الوفا المراغى	٨٢
الليلة المباركة	الاستاذ محمد انيس عباده	٨٤
حول دعاء شعبان	الاستاذ حسين احمد هاشم	٨٨
الليلة المباركة من شهر شعبان	فضيلة الشيخ عبد العزيز قنديل	٩٠
حول ذكرى ليلة النصف من شعبان	الاستاذ احمد مسلم ابراهيم مصطفى	٩٤
فى نفحات القرآن	الاستاذ عبد الرحيم فرغل البلينى	٩٧
فى ذكرى منتصف شعبان	الاستاذ عبد المنعم حسن الادفوى	١٠١
الشريعة الاسلامية والقانون المدنى	المستشار عبد الستار آدم	١٠٣
الاسلام بين العقل والنقل	الاستاذ محمود باو الفيض المنوفى	١٠٥
رجال ونساء فى مجال القدوة	الاستاذ معوض عوض ابراهيم	١٠٧
الاعجاز البيانى	الدكتور حفنى شرف	١٠٩
الايمان صانع المعجزات	الاستاذ محمود الهجرسى	١١٣
فى مسجد للعمال	الاستاذ عبد العليم المهدى	١١٥
بعض مظاهر الحركة العلمية فى مصر	الدكتور محمد جمال الدين سرور	١١٧
عبد الناصر والشخصية المصرية	الاستاذ ابراهيم مصباح	١٢٠
الحركات الثقافية فى عصور الاسلام الاولى	الاستاذ اسماعيل كشميرى	١٢٢
الاعجاز الطبى فى القرآن الكريم	الدكتور محمود دياب	١٢٥
كشف تاريخى هام	الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى	١٢٧
من الاعلام المعاصرين	الاستاذ انور الجندى	١٢٨

مقارنة الاديان « اليهودية » ... الدكتور احمد شلبى ... ١٣٠
شاعر الاسلام بأمريكا ... الاستاذ على الجمبلاطى ... ١٣٣
نزعة الاشتراكية فى سياسة عمر ... الاستاذ محمد محمد الشرقاوى ... ١٣٦
الزار خرافة ... الاستاذ على الجندى ... ١٣٨
الامام ابو بكر الباقلانى ... الاستاذ محمد سيد جاد الحق ... ١٤٠
الملامح الدينية فى شعر عائشة التيمورية ... الاستاذة روحية القلينى ... ١٤٣
عبد الناصر صانع السلام ... الاستاذ كامل عبد المجيد ... ١٤٥
حل الازمات فى الاسلام ... الدكتور فؤاد محمد فخر الدين ... ١٤٧
دراسات فى التاريخ الاسلامى ... الدكتور احمد ابراهيم الشريف ... ١٤٩
صفحة من التاريخ الاسلامى ... الاستاذ حسن الشيخة ... ١٥٢
شاعر ثائر ... الاستاذ محمد عبد العزيز حسن ... ١٥٤
سليمان الملك النبى ... الاستاذ بهاء الدين القبانى ... ١٥٧
الاسلام والفرق الاسلامية ... الدكتور محمد صلاح الدين مجاور ١٦١
دعوة الميثاق الوطنى ... الاستاذ حسنى عبد المجيد ... ١٦٥
اضواء على التاريخ الاسلامى ... الاستاذ محيى الدين الالوائى ... ١٦٨
الاستقامة عنوان المسلم ... الاستاذ منصور نسيم ... ١٧١
نعمة الاسلام ... الاستاذة مفيدة عبد الرحمن ... ١٧٣
المبادىء التى أقرها الاسلام ... الاستاذ محمد عطيه الابراشى ... ١٧٤
الاعتماد على النفس ... الاستاذ عبد العال شعيب ... ١٧٦
ماذا تعرف عن العالم الاسلامى ... الدكتورة عنايات الطحاوى ... ١٨٠
الشعر الدينى ... الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل ... ١٩٣
مع الله ... الشاعر عبد الله شمس الدين ... ١٩٥
ورسول العالمين ... الشاعر محمد محمد السباعى الديب ١٩٧
مع الاحداث فى عدن ... الشاعر محمد حليم غالى ... ١٩٩
النيل باق لايضيع ... الشاعر محمود ابو الفتوح ... ٢٠١
باب الرياضة ... الاستاذ ناصف سليم ... ٢٠٣
الرفيق الاعلى (قصة العدد) ... الاستاذ عبدالحميد جوده السحار ... ٢٠٦
باب الفن الاسلامى ... الاستاذ محمود وصفى ... ٢١١
باب العلم « النجوم » ... الدكتور محمد جمال الدين الفندى ٢١٦
الرحالة والمستكشفون العرب ... الدكتور انور عبد العليم ... ٢١٨
ندوة الشهر ... الاستاذ عبد الرحمن الشربينى ... ٢٢٠
عائشة بنت طلحه ... اعداد عائشة حسنى ... ٢٢٢
ثورة أم ... اعداد نجاة الزنيرى ... ٢٢٣
أنت تسأل والمفتى يجيب ... فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون ... ٢٢٥
مع القراء ... اعداد فؤاد هيبه ... ٢٢٩
بريد التعارف ... ٢٣٠

مجموعة اسطوانات

الصلاة

(تحتوى على ٧ اسطوانات شاملة
الأذان * الوضوء
الصلوات الخمس

اسطوانات

المصحف المرتل

فى ٤٤ اسطوانة

ترقبوا فى منتصف كل شهر عربى

سلسلتى

كتب إسلامية

و

دراسات فى الإسلام

تضمن الحصول على
مكتبة اسلامية جامعة
باقلام كتاب متخصصين

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية